

مَجَلَّةُ الْمُسَدِّسِ

مجلة فصلية علمية تعنى بالشؤون الحوزوية والمعرفة الدينية

السنة الحادية عشر / العدد الرابع والأربعون / لسنة ١٤٤١ هـ



مركز الهدى للدراسات والبحوث

العراق . النجف الأشرف

مركز الهدى للدراسات

مؤسسة فكرية تنشط في ميدان البحث والمساهمة في تطوير الفكر الإسلامي المعاصر؛ إيماناً منها بقدرة الإسلام ومدرسة أهل البيت عليه السلام على تقديم البديل الحضاري للإنسان، وتُعنى بالدراسات الفكرية والسياسية والتاريخية لحوزتي النجف الأشرف وقم المقدسة؛ رغبةً منها في ترسيخ الثوابت، والوقوف بوجه الفكر الدخيل.

مَجَلَّةُ الْمُهَدِّيِّ

مجلة فصلية علمية تعنى بالشؤون الحوزوية والمعرفة الدينية

السنة الحادية عشر / العدد الرابع والأربعون / لسنة ١٤٤١ هـ

هَيْئَةُ التَّحْرِيرِ

- أ. سَمِيرُ الْعَطَوَانِي
- أ. هَادِي بَكْرُ الْكَعْبِي
- أ. ضِيَاءُ كَاطِمِ الْهَاشِمِي
- أ. عَمَّارُ الْوَلَائِي
- أ. جِيدَرُ آلِ وَشَّاح
- أ. إِبْرَاهِيمُ الْأَسَدِي
- أ. مُنَى عَبْدُ الرَّحْمَنِ

الإشراف العام

مُحَمَّدُ صَادِقُ الْهَاشِمِيِّ

رئيس التحرير

أ. عَبَّاسُ النُّورِيِّ

التنسيق والتابعة

مُحَمَّدُ جَمِيدِ الْهَاشِمِيِّ

عصام الساعدي

مُعَمِّلُ التَّرْجَمَةِ الْفَارْسِيَّةِ

جَسَنُ عَيْلِي مُطَر

الإخراج الفني

المركز الثقافي
Khamra - 20-Hasbani

الهيئة الاستشارية

- السيد يوسف المحلو
• أستاذ حوزة النجف الأشرف
- السيد جابر الموسوي
• أستاذ في الحوزة العلمية
- الشيخ حسين السعدي
• أستاذ في الحوزة العلمية
- الدكتور أسامة السعدي
• جامعة النهرين
- الدكتور علي عبد الأمير
• جامعة بغداد
- الدكتور سمير الأسدي
• جامعة بابل
- الدكتور عيسى فياض
• جامعة طهران



مجلة الهدى

العدد: الرابع والأربعون / السنة الحادية عشر / ١٤٤١هـ

الناشر: مركز الهدى للدراسات الحوزوية

المطبعة: الصنوبر

قطع الورق: ٢٣×٢٣ سم

عدد الصفحات: ٣٤٥ صفحة

التصميم والخراج الفني: أحمد الهاشمي

سنة الطبع: ٢٠٢٠ م - ١٤٤١ هـ

❖ البحوث الواردة في مجلة المنهج تعبر عن رأي كاتبها.
❖ ترتيب البحوث خاضع لاعتبارات فنيّة

هَوْبَةُ الْمَجَلَّةِ:

مجلة [الهدى] فصلية علمية تعنى بالشؤون الحوزوية والمعرفة الدينية، تصدر عن مركز الهدى للدراسات الحوزوية، تعنى بالفكر الإسلامي المستنير وما يتصل به من المجالات والتخصصات، في الشريعة والتاريخ والقانون والفلسفة وعلم الكلام الجديد والعلوم الإنسانية المختلفة، مضافاً للفكري الحوزوي وتاريخ المرجعية والفكر المقاوم.

شُرُوطُ الْكِتَابَةِ:

١. يتراوح حجمُ البحث بين (١٠ - ٢٥) صفحةً بحجم (A٤).
٢. ينضدُّ البحثُ على قرصٍ مدمج (CD)، أما التصحيحُ اللغويُّ فتتكفل به المجلة.
٣. يجب أن لا تكون البحوث منشورةً سابقاً، في الصحف أو الدوريات أو مواقع الإنترنت على الإطلاق، وأن يتعهد الكاتب بعدم نشره في مكانٍ آخر إلا بعد أخذ الموافقة من المركز.
٤. تخضع البحوث لتسلسلٍ فنيٍّ في النشر، ولا يحقُّ للكتاب الاعتراضُ على تأخير نشر المادة، لأنه أمرٌ تابعٌ لهيأة التحرير حصراً.
٥. تُقبل البحوث والدراسات المكتوبة بلغةٍ ثقافية مميزة، أما البحوث الضعيفة فتهمَل ولا تعادُ إلى أصحابها.
٦. المجلة ليست ملزمةً بإرجاع المواد إلى أصحابها، سواءً نشرت أم لم تنشر.
٧. يرفق الباحث ملخصاً مع البحث لا يزيد على نصف صفحة.
٨. تكون الهوامش متسلسلة في الصفحة نفسها لا في نهاية البحث.

الإمام الحامني دام ظلته
إِنَّ بَثَّ الشُّكُوكِ يُمَثِّلُ الْعُمُودَ الْفَقْرِيَّ الْحَرْبِ وَمُمَارَسَاتِهِ، إِنَّ أَمْرِيكََا
سَيُطْرَدُ مِنْ سُورِيَا وَالْعِرَاقِ وَلَنْ يَكُونَ لَهَا مَحَلٌّ فِي هَذَيْنِ الْبَلَدَيْنِ .

محطات في الفكر المقاوم

٣٣

الإيمان والتشبث على المنهج الإيماني

٣٥

محاضرات الإمام الحامني دام ظلته

تعريب: السيد حسن مطر الهاشمي

موقف مرجعية الإمام السيد السيستاني دام ظلته من الإختلال الأمريكي

٤٩

د. محمد العبادي

تأثير الإمام الحسين عليه السلام على الاتجاه الديني في عالمنا المعاصر

٦٩

أ. علي رضا محمدي

محطات في الاجتماع والسياسة

٧٩

ضرومة المقاومة وأهدافها في ظل الإرهاب الأمريكي

٨١

مراجعات في تداعيات الإختلال وآثاره ٢٠٠٣-٢٠١٢م

د. غزوان جابر العلي

النشاط الخريبي الصهيوني في العراق

١٠٣

حقيقته، وأبعاده، وآثاره

أ. مهدي حسن الخفاجي

ملف العدد: السَّيِّدُ الشَّهِيدُ الصَّدْرُ الثَّانِي الْعَالَمُ الْمُصْلِحُ وَالثَّائِرُ الشَّهِيدُ
عِدَدٌ خَاصٌّ: بِمُنَاسَبَةِ ذِكْرِ اسْتِشْهَادِ السَّيِّدِ مُحَمَّدٍ مُحَمَّدٍ صَادِقِ الصَّدْرِ عليه السلام

السَّيِّدُ الشَّهِيدُ مُحَمَّدٌ صَادِقِ الصَّدْرِ عليه السلام ثَوْرَةُ الْإِصْلَاحِ وَالنَّعْيِ

أ . يوسف الزركاني

المُعَاجِزَاتُ الْاجْتِمَاعِيَّةُ فِي خُطْبِ الْجُمُعَةِ لِلْسَّيِّدِ مُحَمَّدٍ مُحَمَّدٍ صَادِقِ الصَّدْرِ عليه السلام أَمْوُذَجًا

د . مرتضى عبد النبي الشاوي

الْمَنْهَجُ الْمَعْرِفِيُّ لِلْسَّيِّدِ الشَّهِيدِ مُحَمَّدٍ مُحَمَّدٍ صَادِقِ الصَّدْرِ عليه السلام فِي ضَوْءِ الْمَنْهَجِ الْمَعْرِفِيِّ الْإِسْلَامِيَّةِ

أ . حسين محمد

سُبُلُ بِنَاءِ الْقَاعَةِ الْجَمَاهِيرِيَّةِ فِي الْمَنْظُومَةِ الْفِكْرِيَّةِ لِلْسَّيِّدِ مُحَمَّدٍ مُحَمَّدٍ صَادِقِ الصَّدْرِ عليه السلام

أ . م . د . حيدر عبد الزهرة التميمي

صَلَاةُ الْجُمُعَةِ فِي مَشْرُوعِ الشَّهِيدِ الصَّدْرِ عليه السلام - الْأَهْدَافُ وَالشَّمَارُ -

د . بان صالح مهدي

الدَّرَاسَاتُ الْفِكْرِيَّةُ

طَبِيعَةُ التَّعَاوُلِ بَيْنَ اللَّهِ وَالْإِنْسَانِ - نَظَرُهُ عِلْمِيَّةٌ دِينِيَّةٌ تَحْلِيلِيَّةٌ -

السيد صدر الدين القبانجي

فَتْحُ التَّأْوِيلِ . . . مُمَاحِظَاتٌ عَلَى تَقْدِيمِ خُطَابِ الدِّينِيِّ لِصِرْحَامِدِ أَبِي نَزِيدٍ

د . محمد هاشم البطاط

٣٠٥

مدخل إلى علم الاجتماع الديني الشيعي

د. علي المؤمن

٣١٥

في ضفاف أهل البيت

٣١٧

التنظيم الأسري في وصايا الرسول ﷺ - دراسة وتحليل -

م. م. محمد هاشم الحمداني

٣٤١

من أعلام الشيعة

الشيخ محمد تقي الزنبي

الشيخ محمد أمين نجف



الإمام الخميني دام ظلّه

إِنَّ بَثَّ الشُّكُوكِ يُمَثِّلُ الْعُمُودَ الْفَقْرِيَّ الْحَرْبِهِ وَمُمَارَسَاتِهِ، إِنَّ أَمْرَ بَكَ
سَيُطْرَدُ مِنْ سُورِيَا وَالْعِرَاقِ وَلَنْ يَكُونَ لَهَا مَحَلٌّ فِي هَذَيْنِ الْبَلَدَيْنِ.



التقى الإمام الخامنئي يوم الأحد ٢٠٢٠/٥/١٧ عبر خدمة الاتصال المتلفز بعدد من ممثلي اللجان الطلابية الجامعية، وخلال اللقاء أشار قائد الثورة الإسلامية إلى أنّ العدو يمارس حربه الإعلامية والناعمة التي اشتدت في هذا العصر مع خروج وسائل التواصل الاجتماعي،

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله الطاهرين، ولعنة الله على أعدائهم أجمعين. أشكر الله، وأنا مسرورٌ لأنه في ظل هذه الظروف الحالية غير المواتية تم تنظيم هذا اللقاء بفضل الله، ولو بهذا الشكل. بالطبع، لو كان اللقاء حضورياً معكم، أيها الشباب، لكان أكثر تشويقاً بالنسبة إلي، لكن [اللقاء] بهذا الشكل أيضاً هو من أحد أشكال [اللقاءات]، ونأمل أن يكون هذا الاجتماع مفيداً للبيئة الشبابية، وللبلد، ولهذا العبد [أي سماحته].

طرح المناقشات المدروسة من الطلاب في هذه الجلسة

المناقشات التي أجراها الأصدقاء كان فيها بعض الميّزات التي أود أن أشير إليها بإجمال. أولاً كانت المناقشات ناضجة، ومدروسة بعناية، وللإنصاف، أعتقد أن مستوى المناقشات هذا العام أعلى مما كان يُطرح من قبل في هذه الاجتماعات. هناك تفكير، وهناك عمل، وهذا [الأمر] قيم للغاية، وأشكركم على ذلك. الأسئلة التي طُرحت، حسناً، لقد كانت الأسئلة كثيرة، حتى لو كنّا نريد الإجابة عن بعض هذه الأسئلة، سيأخذ [ذلك] منا وقتاً

طويلاً. ربما سيكون توقعي في محله بأن يتعهد أصدقاؤنا - الذين يمثلوننا في الجامعات وبعض الأقسام المتعلقة بالطلاب والجامعات في المكتب - الإجابة عن هذه الأسئلة، فهذه (الأسئلة) لها إجابات واضحة، وكذلك إن بعض الالتباسات والشبهات التي تطرح لها تفسيرات مقبولة، ويمكن طرحها ومناقشتها. بالنسبة إلى الاقتراحات التي قُدمت، فالاقتراحات هي اقتراحات، وليس بالضرورة أنه يمكن تطبيق أي اقتراح. بعض هذه الاقتراحات يعود إلى غياب الإحاطة بظروف الموضوع المطروح للبحث، وهذا ما أراه وأشاهده، وإن أردنا اتخاذ قرار بشأن هذه الاقتراحات - أو [اضطرت] أنا إلى اتخاذ قرار أو أن تتخذ الأجهزة [المختصة] قراراً - فهذا يحتاج إلى مزيد من العمل. أمل أن يوفقنا الله - سبحانه وتعالى - إلى ذلك بالطبع.

إن طلبي من المكتب الآن هو أخذ هذه الاقتراحات والتحقق منها والعمل عليها بالتفصيل. واسمحوا لي أن أوضح أن بعض الإشكالات المأخوذة على الأجهزة في تصريحاتكم، أيها الأعضاء، ليست إشكالات في محلها: بعضها كان في محله وبعضها لم يكن في محله. وكون الإشكال ليس في محله هو بسبب عدم اطلاعكم الكافي على الظروف الحالية لذلك الموضوع، وبالطبع، لهذا السبب، تتبادر هذه الإشكالات إلى الذهن. كل من يكون في هذه الحالة لديه هذه الإشكالات، وهذه مشكلة. على أي حال، يمكن حل هذه الأسئلة وهذه الالتباسات، وهذه الإشكالات في الحوارات وجهاً لوجه. في الوقت نفسه، كان الكثير مما قيل صحيحاً، وقول هذه [المواضيع] في هذه الساحة وفي هذا البرنامج، بطبيعة الحال، سيساعد في إنشاء حوار في هذه المجالات، وأنا أرحب بظهور النقاشات العامة في بعض هذه المجالات، وأن يتشكل الرأي العام في المجتمع وبلادنا في هذا الاتجاه.

تم طرح سؤال: ما رأي هذا العبد [سماعته] في كل تفصيل مما يقال أو الاقتراحات التي تُقدّم؟ طبعاً، يمكن فهم بعضها من تصريحاتي العامة. لنفترض الآن أنكم تشكون من مجال العدالة. لماذا تعترض جماعة على تشدد بعض الأشخاص الذين يناقشون قضية العدالة. حسناً، أنتم أيضاً كان لديكم اعتراض على بعض التشدد الذي يحدث في هذا المجال. أنا لدي وجهة نظر واضحة حول القضايا المرتبطة بالعدالة، ولقد تحدثت عن هذه القضايا وناقشتها بالتفصيل. ويمكن إبداء الرأي في بعض القضايا الأخرى أيضاً، التي أعتقد أنها على

عائق هؤلاء الأصدقاء في الأقسام الجامعية والطلّابية في مكتبنا أو [مكاتب] الممثلة في الجامعات. حسناً، بالطبع، لن أخوض في النقاش بعد الآن لأنه إن كنا سنتحدث عن هذه المسائل التي طُرحت، فسيكون لدينا نقاشات طويلة.

سبب الإصرار على مخاطبة الشباب

(١) المستقبل متعلق بالشباب

لقد دونت بعض الأمور، وسوف أتحدث عنها وأعتقد أنها مهمة. طبعاً الاجتماع طلابي، لكن المخاطبين في هذا الاجتماع ليسوا الطلاب فقط؛ بالطبع، لدينا أربعة ملايين طالب، وهو عدد كبير، ولكن عدد الأشخاص المخاطبين بهذه المواضيع التي نطرحها هم في الغالب من الشباب. الشباب من الطلاب الجامعيين، والشباب من الطلبة [الحوزيين]، والشباب الخريجون، والشباب العاملون... الشباب هم المخاطبون بهذه النقاشات. إصرارنا على الحديث والنقاش مع الشباب والاستماع لهم والتحدث معهم حول موضوع ما، هذا الإصرار متأثر بفرضية قاطعة، وهذه الفرضية هي أن المستقبل في أيدي الشباب ومتعلق بهم. ليس هناك شك في أنكم، أيها الشباب، والمجموعة من الشباب المخاطبين بهذا الحديث اليوم، لا شك أنه في المدى المتوسط، والبعض في المدى القصير، بأن مسؤولية الكثير من الموضوعات التي تطرحونها اليوم مرتبطة بكم أنتم الشباب ومجموعة من الشباب المعنيين بهذا الكلام وستكون الإدارات في تصرفهم وستقع بأيديهم زمام أمور البلد، لا يوجد أي شك بذلك. لذلك إن النقاش مع الشباب والحوار معهم والاستماع لهم والحديث معهم مهم بالنسبة إلينا. يجب على كل من يهتم بمستقبل البلاد أن يساعد الشباب حتماً على بناء المستقبل على أفضل وجه ممكن، إن شاء الله.

(٢) وجود عناصر ذات قيمة في طبيعة الشباب

جزء آخر من منطق الحديث مع الشباب هو النظر إلى طبيعة الشباب؛ حسناً، كما شاهدنا اليوم في خطاباتكم، أيها الأعداء، ولديّ دائماً هذه النظرة بخصوص الشباب، فطبيعة الشباب [مفعمة] بالأمل، بالمبادرة، بالجرأة، بالمخاطرة،

بالإصرار... هذه العناصر ذات قيمة لإدارة المجتمع؛ بعض مشكلاتنا ناتج عن غياب المخاطرة، أو عن الكلل، أو الافتقار إلى المبادرة، أو فقدان الجرأة، أو عن الإحباط... هذه [الخصال] ليست موجودة عند الشباب، لذلك، بطبيعة الحال، لدينا توجه إلى إقامة المزيد من الحوار والمناقشة مع هذه المجموعة من الشباب التي لديها هذا الطبع.

الانتباه إلى الوضع الحساس الحالي للبلاد من ثلاث زوايا

طبيعي أن تحتل الظروف الحالية للبلد أهمية أكبر، وهذا منشؤه الأوضاع الحالية التي يمرّ بها البلد، والتي يجب أن تؤخذ بعين الاعتبار عند اتخاذ أي نوع من القرارات وأي نوع من الإجراءات باعتبارها ظروف مهمة جداً وحساسة. سأعطي الآن لمحة موجزة عن هذه المسألة، أي الوضع الحالي للبلاد. يمكن النظر بصورة عامة إلى القضايا [الحالية] والوضع من ثلاث زوايا:

١) الجمهورية الإسلامية، أحد أطراف الصراع الواسع والكبير على مستوى العالم

إحدى الزوايا أن هناك حقيقة واضحة، هي أنّ الجمهورية الإسلامية اليوم أحد أطراف صراع كبير وواسع النطاق على مستوى العالم. صراع جاد، أحد أطرافه هو نظام الجمهورية الإسلامية، والطرف الآخر هو جبهة الكفر والظلم والاستكبار. الجمهورية الإسلامية اليوم منخرطة في هكذا صراع كبير وشاسع. لا يوجد أي شك في ذلك. الجبهة المقابلة تحاول إخراج الجمهورية الإسلامية من الميدان، بكل أنواع الأساليب والحيل والإمكانات التي لديها، وإذا ما نجحت في ذلك، وحتماً لن تنجح إن شاء الله، سيكون ذلك مكلفاً جداً لمستقبل البلاد، بأن تتراجع وتستسلم الجمهورية الإسلامية وتخرج من ميدان المواجهة مع هذه الجبهة، جبهة الظلم والكفر والاستكبار.

من ناحية أخرى، إن محاربة جبهة الكفر والاستكبار مع الجمهورية الإسلامية هدفها ألا تتحول [الجمهورية] إلى نموذج [يحتذى به]، وكثير من مشكلاتنا التي نواجهها بسبب هذا الأمر. حدثت عراقيل لكي لا ينشأ هذا النموذج الجذاب عند الشعوب. لا يمكننا أن نغض الطرف عن هذه العراقيل، فقد كانت موجودة، والآن [ستكون] موجودة أيضاً. لذلك، إن إحدى الزوايا لنظرتنا بشأن الوضع في البلاد تعود إلى هذه المسألة، وهي [رؤية] ومعرفة أن الجمهورية الإسلامية مشغولة في مثل هذه المعركة، المعركة السياسية، المعركة الفكرية، المعركة الناعمة، والحرب الناعمة، وفي بعض الأحيان

مواجهات شديدة مع جبهة الظلم والكفر والاستكبار الواسعة.

٢) إمكانية البلاد العالية للمواجهة

زاوية أخرى للنظر إلى وضع البلاد، وهي أننا يجب أن نأخذ بالاعتبار أن قدرة البلاد على المواجهة عالية؛ لدينا إمكانيات عالية جداً لمواجهة هذه الجبهة الشاسعة، التي هي قوية أيضاً، ولديها قوى ظاهرة؛ التجارب تبين لنا ذلك: لدينا الكثير من الخبرة في هذا المجال على مر السنين، وهذه التجارب تثبت لنا أن لدينا القدرة على التصدي والمواجهة لهذه الجبهة الضخمة. لدينا أيضاً تجربة النضال العسكري، وسنوات «الدفاع المقدس»، والقضايا المختلفة التي تلت ذلك، والقضايا الإقليمية التي أشار بعضكم إليها في حال من التعبير عن الإخلاص لشهيدنا العزيز الشهيد [قاسم] سليمان، وأيضاً الجهاد العلمي الذي تم الاعتراف به في العالم، [أي] أن سرعة الجمهورية الإسلامية في مجال التقدم العلمي تبلغ أضعافاً عدة للسرعة المتوسطة في العالم، وكان أمراً مهماً للغاية، لحسن الحظ، وما زال مستمراً، [وكذلك] الجهاد الثقافي.

هناك مجموعة ضخمة من الشباب الملتزمين بالأسس الدينية في وجه الغزو الثقافي للعدو كما ترون، رغم كل هذه الظواهر التي ذكرتموها، أيها الأصدقاء، فأنا أهتم بها أيضاً، وأقر بوجود حقيقة واحدة: هناك الكثير من العمل ضد بلدنا في مجال الغزو الثقافي. الأمر لا يتعلق باليوم فقط، فالآن بمجيء العالم الافتراضي تضاعف الوضع أضعافاً أيضاً، لكن في الماضي كان السعي والعمل ضد المسائل الثقافية للجمهورية الإسلامية يجري عبر المذيع ومحطات التلفزيون وبوسائل متنوعة. رغم كل هذا، كانت هناك مجموعة كبيرة من الشباب - ليست مجموعة صغيرة، ولا أقلية - ملتزمة بالأسس الدينية والعقائدية والثقافية للجمهورية الإسلامية، وهذا يدل على أننا أقوى من العدو في الجهاد الثقافي أيضاً.

هناك قضايا مختلفة، ذكرتم بعضها، ولم تذكرها الأخرى. إن المظاهرات الدينية التي حدثت في هذه السنوات - قضية مسيرة الأربعين، وقضية الاعتكاف، وقضية العزاء الحسيني، وأخيراً التشييع العظيم والفريد من نوعه لجثمان شهيدنا العزيز، الشهيد سليمان، وأمور من هذا القبيل - كلها تشير إلى أن الجمهورية الإسلامية في المعركة والمواجهة الثقافية مع جبهة الاستكبار، [رغم] كل مساعيهم، غير متأخرة، بل تم إنجاز أعمال عظيمة وإحراز تقدم كبير. لذلك إن الجهاد الثقافي هو كذلك. وفي الجهاد الاجتماعي أيضاً [مثل]

كمية هذه الأعمال التطوعية التي شوهدت في الأزمات الأخيرة، أو في فيضانات العام الماضي، أو الزلازل، أو حضور هذه المجموعات المجاهدة في القرى، والحركة الكبيرة التي نشأت في هذه القضية [جائحة كورونا]... كل هذا يشير إلى أنه في الجهاد الاجتماعي كان أداؤنا وأداء الدولة بمستوى عال وكانت إمكانيات البلاد عالية جداً، وحتماً سيكون أكثر من ذلك في المناطق المحرومة وما شابه.

حسناً، سأشير هنا [إلى موضوع]، بالنسبة إلى ما أشاروا إليه حول الأنشطة التي تقوم عليها الأجهزة الخدمية التابعة للقيادة [قيادة الثورة الإسلامية]، أقول لكم: في اعتقادي ليس لديكم علم بمعظم هذه الأنشطة، وهذا يعني أن جزءاً من الأمر يعود إلى غياب الشفافية، وهذا جزء من اعتراضاتكم. أي أن غالبكم ليس لديهم علم بالكثير من الأعمال العظيمة التي يقوم عليها هؤلاء. هناك أعمال جيدة قيد الإنجاز في مجال الخدمات الاجتماعية، وكذلك في مجال الجهاد الفكري. ففي الجهاد الفكري، ازداد العمل الفكري، وتحسّن التمسك بشعارات الثورة. هذه المناقشات نفسها التي تجرونها تدل على العمق والتقدم في العمل الفكري.

بالطبع، قد يقول البعض: لقد مرت أربعون سنة، أو كما قال أحد السادة لقد مرت ٤٢ سنة على انتصار الثورة، نعم، [لكن] ٤٢ سنة ليست مدة طويلة لمثل هذه القضايا العامة، إنها مدة قصيرة. كثير من هذه الأمور تحدث تدريجياً على مر الزمن، خاصة مع المشكلات التي كانت موجودة في بلدنا. لذلك، إذا أردنا أن ننظر إلى الوضع في البلاد من هذه الزاوية، يجب علينا أن نعترف ونقبل أن قدرة البلاد على المواجهة مع العدو - سواء في المسائل العسكرية أو العلمية أو القضايا الاجتماعية أو الثقافية، وغيرها - هي قدرة عالية جداً، ويمكننا مواجهة هذه الجبهة بسهولة والتغلب عليها، أي أن هذا الأمل بالانتصار ليس خيالياً، [بل] أمل قائم على هذه الحقيقة الواضحة.

٣) ترسيخ الشعور بالقوة والعزة في البلاد

هناك زاوية رؤية أخرى أيضاً هي الشعور بالقوة والعزة الذي تم إضفاؤه في البلاد، وهذا أمر مهم للغاية. بعبارة أخرى: هناك شعور راسخ عند عامة الشعب تقريباً [بالقوة والعزة]. طبعاً، هناك البعض الذين يخطئون السلبيات وينسبون نقاط

ضعفهم إلى الدولة والمجتمع وإلى نظام الجمهورية الإسلامية، لكن حقيقة الأمر أنه، لحسن الحظ، هناك شعور عام وعميق في البلاد هو الشعور بالعزة والقوة.

إيجاد حس الحقارة لدى الشعوب، أرضية للهيمنة والاستبداد والاستعمار:

انظروا! أود أن أوضح أمراً هنا: أحد الأشياء المهمة جداً في التعاطي الاستبدادي والاستعماري مع الشعوب هو أن القوى المستعمرة والمهيمنة تحاول خلق الشعور بالذل عند تلك الشعوب التي تريد الهيمنة عليها. أي أن إحدى المقدمات اللازمة لهم هي إذلال الشعب، وجعله يشعر بالدونية، وغرس الشعور بالعجز فيها، وتلقيه بأنه لا شيء، وليست لديه هوية، وليس شيء [مهماً]، وأنه ليست له أهمية... هذه واحدة من الممارسات الأساسية. هذه الممارسات وقعت للأسف في إيران، [وقد] بدأت منذ أواخر فترة القاجار، سواء عبر الاستبداد الداخلي لآخر سلاطين القاجار أو عبر سياسات التدخل والنفوذ الخطيرة جداً التي سادت البلاد - عادة السياسة البريطانية - وكلها ساهمت في هذا الصدد. طبعاً، كانت كل من روسيا وبريطانيا مسيطرة في ذلك الوقت، لكن الروس تراجعوا قليلاً لأسباب متنوعة ليست مورد نقاشنا الآن، وفي المجمل، كان البريطانيون مسيطرين على شؤون البلاد، ومن الأمثلة على ذلك معاهدة وثوق الدولة، الشهيرة، عام ١١٩٩ - المعاهدة الاستعمارية الشهيرة - أي حالة الإذلال والإذلال العام وقلة الأهمية وتقليل أهمية الشعب، التي أحدثوها في البلاد، وهذا ما خلق أرضية خصبة لتسلم شخص مثل رضا بهلوي سدة الحكم ومواصلة حكمه، ومن ثم لتسليم السلطة لابنه محمد رضا. كان هذا حادثة كارثية في بلدنا، ما فعله الأعداء، وكانت الأمة متفرجة. في مسألة وصول رضاخان بهلوي إلى السلطة، كانت الأمة متفرجة ولم يكن لها أي تأثير على الإطلاق، ولم يكن لها أي حضور، ولم يكن لديها [خيار] «لا» أو «نعم»؛ تفرجوا فقط، ثم حدث شيء ما، حدث انقلاب عسكري. لم يبحثوا عنه لمعرفة من كان، وما كان عليه، ولم يعلقوا، ولم يقفوا ضده، فعانوا من العواقب الوخيمة لذلك. وهذا يعني أن ذلك الاستبداد والدكتاتورية التي استمرت خمسين عاماً فرضاً على الشعب الإيراني بسبب ذلك الشعور بالدونية والإذلال الذي جرى في بادئ الأمر.

الثورة الإسلامية واقتلاع الحكم البهلوي، زلزال في العالم

لقد حدث عكس ذلك تماماً في الثورة الإسلامية. في الثورة الإسلامية، شعر الشباب في البلاد بأنهم قادرون

على فعل ما هو مستحيل، الذي قال عنه الجميع في أحكامهم المسبقة إنه أمر مستحيل -وأقصد ههنا أركان الحكم البهلوي -واستطاعوا فعل ذلك بأفضل طريقة. ليس زعزعة الحكم فقط بل اقتلعه من الجذور. الحكم الذي كان يسعى الأجانب إلى دعمه بقوة وكانوا يعملون من أجل ذلك. كما ترون اليوم، إن الأمريكيين يدافعون عن بعض الحكومات، وكانوا يدافعون عن الحكم البهلوي بشكل حاسم، وكانوا يحمونه بصدورهم، وكانوا صامدين، لكن دفاعهم عن النظام البهلوي كان أكثر مما يدافعون اليوم ويدعمون به بعض الحكومات التابعة لهم.

الصعوبات الداخلية، كانت استثنائية للغاية، وأقصد ما كان يُفعل بالناس في ذلك الوقت، وبالمناضلين، وبالمخالفين، وبالمعترضين، لا يمكن لشباب اليوم أن يتصوره، أي أن ما كان يجري في ذلك اليوم بعيد جداً عن تصوركهم. لنفترض أن حملكم كتاباً أو تدويناً، لو نصف عبارة في دفتر، سيؤدي بالشخص إلى تحمل السجن مدة طويلة، إضافة إلى التعذيب الذي كان سيعانيه قبل صدور الحكم عليه، أي أنه كان أمراً خارقاً للعادة، [لكنه] الآن غير قابل للنقاش اصلاً. لقد تمكن الشباب الإيرانيون والشعب الإيراني ككل من اقتلاع جذور حكم كهذا بإرادتهم وبقوتهم، وأن يقوموا بالعمل المستحيل، وأن يجعلوا العالم مذهولاً، أي عندما وصل نظام الجمهورية الإسلامية إلى سدة الحكم وتم القضاء على الحكومة التابعة للملك في البلاد، دُهل العالم. أي أنهم كانوا مذهولين لبعض الوقت مما كان يحدث آنذاك، فقد حدث زلزال في العالم بكل معنى الكلمة. من بعد ذلك إلى اليوم، تكوّنت عناصر الشعور بالعزة والشعور بالقوة على نحو متوالٍ، ولحسن الحظ، وصل مستوى الاقتدار الوطني إلى هذا الحد، أي أننا دولة تقف بقوة وجرأة في وجه التجبر، ليس الأمر على هذا النحو بأنه يوجد شخص أو شخصين في الحكومة لديهم هذه الخاصية؛ لا، [بل] الأمة كلّها امتلكت هذا الشعور، هذا الشعور بالقوة، وهذا الشعور بالعزة. الآن، بالطبع، هناك من يقومون بحياكة المجريات السلبية وهم قليلون جداً وأقلية ومنزويون، [لكن] الشعب عامة لديه هذا الشعور بالقوة والعزة.

محاولة العدو لتقويض هذا الشعور بالعزة والقوة

بطبيعة الحال، العدو يواصل سياسة السعي إلى إذلال الشعب. أي أن لديهم اليوم تلك السياسات نفسها

[ويواصلونها]، والعدو لم ييأس من محاولة التأثير في معنويات الناس. يجب علينا جميعاً أن نأخذ هذه النقطة بعين الاعتبار في تحليلنا، في تعليقاتنا، في اعتراضاتنا، أن العدو يسعى اليوم إلى تقويض وتدمير هذا الشعور بالعزة، والشعور بالقوة، والثقة الوطنية بالنفس. طبعاً، العدو يحاول والله - تعالى - قَدْرَ عكس ذلك. فآزمة كورونا هذه جعلت الناس يشعرون بمزيد من العزة. لذلك أنظروا إلى ما يحدث في الغرب، في الدول الغربية، في أمريكا. الجائحة نفسها التي أتت إلى هنا ذهبت إلى هناك أيضاً. أنظروا كيف هو الوضع هناك، وكيف كان الوضع هنا: الإدارة التي حدثت، وحضور الناس، والأمور العظيمة التي تم إنجازها [هنا] في هذا المجال. أو [على سبيل المثال] إطلاق قمر اصطناعي، أو العمل العلمي الذي يجري الآن لمعرفة هذا الفيروس. هذه كلها أحداث [قَدَرها] الله - تعالى -... أو هذه الحركة العظيمة والمؤمنة للمساعدة والعمل التطوعي الذي تم الإقدام عليه. إذن، هذه هي ظروف البلد. فهناك جبهة مصطفة، وهناك عداوة، وهناك تلك القدرة، وهذا الشعور بالعزة والقوة الموجود في البلاد.

ضرورة الاهتمام بمشاركة الشباب في مختلف الأقسام والإدارات الوسطى

حسناً، من هذا المنطلق، دَوَّنت بعض الأمور لأقولها لكم [حول] المسائل المتعلقة بالشباب وما كان يتبادر إلى ذهني لأقوله لهم. طبعاً، لحسن الحظ، وبسبب التأكيدات التي جرت والتكرار، يتم الاهتمام بقضية الشباب. الآن، في تصريحات الأصدقاء، ربما كانت هناك تصريحات مخيبة للآمال، ولكن، في رأيي، ليس هذا واقع الحال، [بل] تم الاهتمام بمشاركة الشباب في مختلف القطاعات، والعمل جارٍ في هذا الصدد. الآن، ما نعينه بمشاركة الشباب هو أحد الأسئلة التي يجب أن يجيب عنها الأصدقاء في الأقسام الجامعية وما شابه. وقد تم الاهتمام بحضور الشباب وباتت تعطى الأهمية لحضورهم وتسلمهم للإدارات الوسطى، ولوجهات نظرهم وما شابه.

الأعمال الجيدة المنجزة في العام الماضي في البيئات الطلابية والحوزوية

لحسن الحظ، في الغالب كانت تنجز البيئات الطلابية بنفسها أعمالاً جيدة أيضاً. في العام الماضي، أي منذ العام

الماضي [خلال] انعقاد هذا الاجتماع حتى اليوم، أنجزت أعمال جيدة. من الأعمال المميّزة جداً التي تشكلت ضمن الاجواء الطلابية وكذلك الحوزة العلمية قضية "محورية حلّ المشكلات" في الأبحاث والأعمال، هذه كانت واحدة من توصياتنا، [والحمد لله] تمت متابعة الموضوع وطرح مسائل خاصة ومهمة على طريقة اعتبار "محورية حلّ المشكلات"، وتم العمل عليها، وتم التوصل إلى آراء جيدة. أو [مثلاً] معالجة القضايا الدولية، التي كانت أيضاً إحدى توصياتنا. فلحسن الحظ، لاحظت على مدار السنة أنه تم التركيز على قضايا متعددة في المجالات والشؤون الدولية، وطبعاً لا أريد تسميتها. الآن كان هناك اعتراض: لماذا لم يتابعوا الموضوع الفلاني. حسناً، أنتم ليس لديكم اطلاع، فلقد تمت متابعتها.

ذكر أحد الإخوة قضية معينة [وتساءل] لماذا لم تتم متابعة هذه القضية. لقد تمت متابعتها وبجدية أيضاً. مع ذلك، لم تصل إلى النتائج المرجوة، ولكن تمت متابعة العمل بجدية؛ طرف من العمل كان بيدنا، والطرف الآخر بيد الآخرين، وبالطبع، لم يكن ليصل إلى نتيجة. على أي حال، عمل الشباب على القضايا الدولية، أي أنهم وضعوا أفكارهم. مناقشة الأنشطة الجهادية مذهلة حقاً، ورغم أنني أثنت عليها مرات كثيرة، فإنني أرى أنه من الضروري أن أثني عليها، وأشكر الله عليها وأحمده أن أعدّ شبابنا بهذه الطريقة. هذه الشكوى التي لدى الأصدقاء المجاهدين هي شكوى في محلها، [أي] لماذا لا يدعون لاجتماعات اتخاذ القرار في القضايا، أو لماذا لا يستشارون في تدوين الخدمات التي تحدث، فتجري الاستفادة منهم بصفتهم قوى عاملة فقط، أو موظفين كما يُسمون. بالطبع، هذه إشكالات واردة ومحقة.

كانت معالجة قضايا التعيينات أحد الأشياء التي تم إنجازها هذا العام في المجموعة الشبابية. بالطبع، ربما كان هناك بعض التشدد في هذه المجالات، لكن في اعتقادنا أن متابعة هذه القضايا كان أمراً جيداً في حدّ ذاته، وجعل المسؤولين يلتفتون إلى مسؤولياتهم. الآن، الإشكال الذي طرحه أحد الأصدقاء حيث قام الطلاب بعمل ميداني في هذا المجال، ولم يوافق عليه، فهو قابل للنقاش، ولكن على أي حال، في اعتقادنا إن متابعة هذه القضايا كانت جيدة بنفسها؛ هذا الأمر خلق هيئات من تلقاء نفسها أيضاً. [بالنسبة إلى] متابعة قضايا الأسرة وقضايا المرأة، التي تمت الإشارة إليها هنا، لحسن الحظ أيضاً، في رأيي أنا العبد [سمحته] أنها واحدة من القضايا المهمة التي يجب متابعتها، وبالتأكيد صار هناك تقصير في العمل في هذا المجال؛ كل ما يقال في هذا المجال ويُعترض عليه، أقبله وأعتقد أنه حدث تقصير حقيقي في هذا المجال. لحسن الحظ، كان هذا أحد الموضوعات التي رأيتها موجودة ضمن النقاشات الطلابية.

بعض التوصيات للشباب

حسناً، الآن، النصائح التي أقدمها إليكم. بالنظر إلى كل ما قيل، دَوّنت بعض المواضيع.

(١) بناء الذات، على المستويين الفردي والجماعي

توصيتي الأولى إليكم، أيها الشباب الأعزاء، سواء كنتم طلاباً، أو باقي الشباب الذين أسميتهم، هي مسألة بناء الذات. بناء الذات مهم للغاية، سواء من الأبعاد الفردية أو الجماعية. فيجب عليكم بناء أنفسكم بصفتمكم أفراداً، وكذلك بناء أنفسكم بوصفكم جماعة. بناء الذات مهم جداً. شهر رمضان فرصة جيدة. رغم أننا قد وصلنا إلى نهاية الشهر، فإن الأيام القليلة المتبقية هي فرصة جيدة للدعاء والمناجاة والأنس بالقرآن، وتجنب ترك الارتباط المعنوي مع انتهاء رمضان، أي أنه لا ينبغي أن يكون في رمضان [فقط] لأنكم صائمون مثلاً وأجواء الدعاء والمناجاة وتوجّه النفس متوفرة، فيجري عمل بعض الأمور، وعندما ينتهي رمضان يحدث التخلي عنها تماماً. لا، فالأنس بالقرآن، والعلاقة بالقرآن، والصلاة بحضور [القلب]، والصلاة في أول الوقت، والاهتمام بالأدعية - لقد أشرت إلى بعض الأدعية، والآن سأشير أيضاً إلى بعضها - هي أمور أعتقد أنها ضرورية لبناء الذات. هذا سيساعدكم على عبور المنزقات بسهولة وسلامة. فهناك منزقات، الخوف منزلق، والتردد منزلق، والشعور بالضعف منزلق، والدوافع غير السليمة منزلق... هناك العديد من المنزقات في طريقنا، خاصة للناشطين في القضايا الاجتماعية. لذلك، هؤلاء يحتاجون إلى المزيد من بناء الذات وإلى تقوية بُنيّتهم الروحية والمعنوية. في اعتقادي، عندما تكون بُنيّتكم الروحية والمعنوية قوية، ستجدون المزيد من القدرات، سواء في مجال الفكر، أو اتخاذ القرارات، أو العمل، ونحن بحاجة إلى ذلك في جيل الشباب. هذه هي توصيتي الأولى وقولي الأول لكم، أيها الشباب الأعزاء. وأنتم كأبنائي بكل معنى الكلمة، وأنا أحب لكم ما أحب لأبنائي، وأرى أن ما أقوله سيكون مفيداً لكم بالمعنى الحقيقي للكلمة. هذه كانت التوصية الأولى.

(٢) تقوية الأسس المعرفية وتجنب الانفعال والانحراف

التوصية الثانية هي تقوية الأسس المعرفية، وهي مهمة للغاية. الحمد لله، هناك الكثير منكم ممّن لديهم تفكير جيد

ويفكرون في مجالات مختلفة، لكن البيئات الشبابية مثل الجامعات أصيبت بأضرار من القدم، ومن جملة تلك الأضرار المتركة على البيئات الشبابية ضرران رئيسيان: أحدهما الارتباك والآخر الانحراف. الارتباك يعني الشعور بأنك مكتف الأيدي، عديم الفائدة، واليأس أمام الأحداث الصعبة والذي كان من الممكن التغلب عليه بواسطة التوصية السابقة؛ أي عندما يتم رفع مستوى المعنويات، لن يكون هناك ارتباك على الإطلاق. والانحراف - الانحراف الفكري، الانحراف في الأسس المعرفية - تجري معالجته عبر هذه التوصية.

انظروا، لدينا شباب في الأيام الأولى للثورة كانوا أناساً مسلمين ودخلوا إلى الميدان من أجل الإسلام، ولكن لأن أسسهم المعرفية كانت ضعيفة، [أي] أسسهم المعرفية لم تكن قوية - بغض النظر لِمَ تَكُن قوية -، فقد انجذبوا إلى مجموعات لقيطة وتحولوا من شباب مؤمنين سليمين وإسلاميين ليصيروا من أولئك الذين حملوا السلاح ضد إخوانهم من المواطنين، واستهدفوا بهجماتهم الشاب، والرجل العجوز، والتاجر في السوق، وارتكبوا تلك الفجائع، وتلك الجرائم. بسبب ضعف الأسس المعرفية، انجذبوا نحو هذه الجماعات المنحرفة وانجروا إلى هذه الطرق، وفي نهاية المطاف انطووا تحت لواء صدام [حسين]. أي وصلت بهم الحال إلى هذا الحد في نهاية المطاف. منشأ كل هذا كان غياب الأساس الفكري. كان هناك أشخاص آخرون في ذلك الوقت - كنا نعرف أناساً، كنت أعرف الكثير من هؤلاء الناس قبل الثورة في التنظيمات الجماعية نفسها وما شابه ذلك - وقفوا بحزم، لأن أسسهم الفكرية كانت صحيحة، فقد ارتبطوا بكتب الشهيد [مرتضى] مطهري، وكانوا على دراية بأفكار العلامة [محمد حسين] الطباطبائي، وكانوا على دراية بكلام الشهيد [محمد باقر] الصدر الراحل، وكانت أسسهم الفكرية والمعرفية قوية، [لذلك] وقفوا بحزم. وكان لدى البعض أسس معرفية ضعيفة فانجرفوا، للأسف. أو [مثلاً] في وقت لاحق من بداية الثورة أيضاً، قام بعض الناس بعمل ثوري وبعد مدة أصبحوا جزءاً من فئة النادمين - جماعة النادمين - وإحدى قضايا ثورتنا هي قضايا هؤلاء السادة النادمين الذين كانوا ثوريين في يوم من الأيام ثم ندموا على ذلك بعد الثورة.

أدعية الصحيفة السجادية الرائعة

السبب في ذلك هو الأسس المعرفية ضعيفة، أي متى ما كانت الأسس المعرفية ضعيفة، بالطبع لن تستطيع حمايتهم

من الأحداث، من الأسئلة، من الالتباسات... وإبقائهم في الصراط المستقيم. لذلك إن اعتقادي أنه يجب عليكم أن تقوموا بالعمل بالمسائل الإيمانية والعقدية والمعرفية. انظروا، هذا الدعاء الذي ذكرته - الدعاء [رقم] عشرون من الصحيفة السجادية، دعاء مكارم الأخلاق الشهير - على هذا النحو: «اللهم... وبلغ بإيماني أكمل الإيمان، واجعل يقيني أفضل اليقين». يقول عندي يقين، لكن اجعل يقيني أفضل اليقين. «وانته بنيتي إلى أحسن النيات، وبعملي إلى أحسن الأعمال» إلى آخر هذا الدعاء. طبعاً هذا الدعاء دعاء عجيب. أوصيكم، أيها الأعزاء، بأن يتعرف الشباب إلى هذا الدعاء العشرين من الصحيفة السجادية.

طبعاً، أدعية الصحيفة السجادية رائعة جداً، فمسألة الصحيفة السجادية ليست مسألة دعاء أو دعاءين فقط. لقد ذكرت الآن الدعاء العشرين، ومن ناحية أخرى الدعاء الحادي والعشرون هو عجيب أيضاً، وهناك أدعية متنوعة أخرى في هذا الكتاب القيم للغاية. الآن اقرؤوا هذا الدعاء العشرين، الذي هو دعاء مكارم الأخلاق، وانتبهوا إليه. لحسن الحظ، صدرت ترجمات جيدة للصحيفة السجادية، وقد رأيت ثلاث ترجمات أو أربعاً منها، وللإنصاف، إنها ترجمات ممتازة وموثوقة. ارجعوا إلى هذه [الأدعية]، واستفيدوا منها. هذه هي توصيتي الثانية لكم، أيها الأعزاء.

٣) أهمية الاستمرار في طلب القيم المثالية، والمُساءلة

التوصية الثالثة هي ان لا تتركوا أرضاً لواء السعي للقيم المثالية والمُساءلة. كل هذه النقاشات والأحاديث [التي تحدثتم بها] هنا، أيها الأصدقاء، خلال هذه الساعة والنصف، بالطبع كانت مُساءلة. في بعض الأحيان، كنتُ، أنا العبد [سماحتها]، المخاطب بهذه المُساءلة، وأحياناً كان مكتبنا هو المخاطب، وأحياناً كان المخاطبون جماعات أخرى؛ هذا شيء قيم للغاية. لا تفوتوا هذه المُساءلة، لا تفوتوا طلب القيم والغايات المثالية. هذا هو السعي نحو القيم والغايات المثالية. بعض الأشياء التي تطالبون بها قد لا تكون عملاً وهذا واقع القضية، أي عندما يبدأ الشخص في العمل، تصير مشكلات العمل الميداني أكثر وضوحاً بالنسبة إليه، ويصير من الواضح أن كل ما أردناه، إما لا يمكن القيام به وإما لا يمكن القيام به في أمِد قريب، لكن طلب القيم والغايات المثالية هذا بحد ذاته قيمٌ للغاية، لأنه إن لم يكن هناك طلبٌ للقيم والغايات المثالية، فسوف نضيع الطريق، فطلب القيم والغايات المثالية يجعلنا لا نضيع الطريق ولا ننعطف يساراً ويميناً في منتصف الطريق،

وألا نسير يساراً ويميناً. تمسكوا بطلب القيم والغايات المثالية هذا. هذه القيم المثالية: العدالة، الاستقلال، القضاء على الفساد والحضارة الإسلامية في نهاية المطاف... الهدف الرئيسي والحقيقي والنهائي منها هو بناء حضارة إسلامية. لا تضيعوها وطالبوا بها وطالبوا بالتفكير فيها. بالطبع، يجب أن تكون المسألة بحالات منطقية، وقد أتحدث الآن في هذا السياق أيضاً.

ضرورة الحرص على منع العدو من الاستغلال السيء للمسألة التي تقومون بها

لقد دَوَّنت نقطتين في مجال المسألة لكي أقولها لكم، وأعتقد أنه من الجيد الالتفات إليها. النقطة الأولى هي أنا المسألة عادة ما تكون مصحوبة بنوع من الاعتراض. حسناً، نعم، المسألة تعني وجود خلل ما، والمراد من المسألة هو إزالة ذلك الخلل - بالطبع هذه هي المسألة - ولذلك تكون مصحوبة بالاعتراض. لا تسمحوا بأن يُنظر إلى مُساءلتكم هذه واعتراضكم على أنها اعتراضٌ على النظام الإسلامي. هذا هو المهم؛ العدو ينتظر هذا. في بعض الأحيان، قد تحسبون أنكم تحتجون على قضية سوق الأسهم [البورصة] - على سبيل المثال - أو على قضية [سيارة] «البرايد» مثلاً، [لكن] العدو، يفهم من طريقة اعتراضكم أنه احتجاج ضد النظام أو يسوّق أنه كان اعتراضاً ضد النظام، فلا تدعوا ذلك [يحدث]، وامنعوا هذا الأمر بجدية، ولا تدعوا العدو يحصل على هكذا فرصة: أن يحصل من مُساءلتكم ومن اعتراضكم على ما يعطيه معنى كهذا، أو يمكنه من تسويق معنى كهذا إلى الجمهور.

النقطة الثانية هي، أن تكون راية المسألة بأيديكم فهذا أمر جيد، [لكن] إذا أسقطتم هذه الراية على الأرض، قد يقوم بعض الأشخاص الذين لا يهدفون إلى حل مشكلات الناس، [بل] يهدفون إلى معارضة ومحاربة الإسلام والجمهورية الإسلامية والنظام الإسلامي [بها] بالتقاط هذه الراية. لا تدعوا هذا الأمر يحدث، أي أنه ينبغي ألا يقع مثل هذا الأمر. بالطبع، إن التيار اليساري الماركسي، الذي لطالما كان يسعى وراء هذه القضايا، لا يحظى بسمعة في العالم اليوم. التيار اليساري الماركسي أصيب بالفقر الشديد، سواء من حيث الفكر - وفق قولهم من حيث التنظير -، إنهم ضعفاء حقاً وليس لديهم شيء ليقولونه، أو من حيث السياسة، فقد ذهب جميع رؤسائهم وكبارهم ورضخوا لأمريكا، ورضخوا للكيان الصهيوني، ورضخوا للقوى المهيمنة. لذلك، لديهم كل من الفقر المعرفي والفقر السياسي والفقر الميداني، أي ليس لديهم شخص نشيط وفعال وكفوء ليدخل إلى الميدان في هذه المجالات. لذلك ليست لهم أهمية تُذكر، ولكن على كل الأحوال

دائماً يوجد هناك الذين يريدون الاستغلال السيء للشعارات الجيدة والصحيحة؛ فإذا تخلّيتهم عن هذه الشعارات، قد يحصلون عليها، وهذه نقطة [مهمة] أيضاً.

٤) الانتقاد إلى جانب الاقتراح، واجتناب التهكم

النقطة الرابعة هي أن المُساءلة ليست مجرد الانتقاد، المُساءلة ليست مجرد الاعتراض رغم وجود اعتراض فيها. الانتقاد إلى جانب الاقتراح. بالطبع، اليوم كانت هناك اقتراحات، وهناك اقتراحات جيدة أيضاً. بعض هذه الاقتراحات مقبولة، وبعضها الآخر يمكن النظر فيها، ولكن مجموعة الشباب الذين يسمعون هذا الحديث وينشطون في هذه المجالات يجب أن ينتبهوا إلى [حقيقة] أننا ننتقد فقط، ونعترض فقط، فإن هذا لن يجدي نفعاً، وعلى هذا النحو، لن تكون [الاعتراضات] مجدية على الإطلاق ولن يكون لها أثر ثابت. حسناً قد تكون هناك بعض الفوائد الصغيرة في البداية، لكن ما هو مفيد هو الاقتراح. انظروا، في الإسلام أيضاً، إن النهي عن المنكر مصحوب بالأمر بالمعروف، النهي عن المنكر هو ذلك الاعتراض نفسه، والأمر بالمعروف يعني الاقتراح، وتقديم الحل، وعرض العمل الذي يجب فعله ويمكن تطبيقه؛ هذان الأمران يأتيان معاً. بناء على ذلك، قوموا بالمُساءلة مصحوبةً بتقديم الحل حتماً، واعرضوا حلولاً جيدة ومقبولة. وللتذكير أيضاً، لا تصحبوا المُساءلة بالتهكم والشتائم. هذا رجائي لكم. بالطبع، لقد تحدثتم اليوم معي بأسلوب جيد للغاية، وبكل احترام، أشكركم جداً. بالطبع، في الماضي، سواء أثناء مدة الرئاسة أو حتى قبل الرئاسة، عندما كنت أذهب إلى الجامعة، أحياناً كنت أواجه مواقف تهكمية ولم يكن الأمر يهمني، أي كان يمكنني التعامل مع تلك المواقف، وفي نهاية المطاف إن المغلوب في المواجهة، بيني أنا الذي كنت جالساً هناك فوق المنصة، وبين المجموعة التي كانت تنتقديني، المغلوب لم يكن أنا.

اليوم أيضاً، الحمد لله، تحدثتم جميعاً بأسلوب جيد، لكن في بعض الأحيان يأتي المسؤولون إلى الجامعات أو يشاركون في الندوات الطلابية والشبابية من أجل الدردشة [مع الطلاب] لكنهم يتعرضون إلى التهكم. إنكم اعترضتم الآن على أن فلاناً وفلاناً وفلاناً لم يأتوا إلى الحرم الجامعي رغم أنه تمت دعوتهم... نعم، لقد نصحت المسؤولين مراراً وتكراراً بالذهاب والتحدث إلى [الطلاب في] الجامعات، وتوجيههم، والحديث إليهم، وهذا هو رأيي أيضاً، ولكن رداً على ذلك يقولون إنه عندما نذهب، هدف هؤلاء الشباب الذين يتجمعون هناك ليس

فهم القضايا وتوضيحها؛ هدفهم هو التهجم. ولهذا السبب، لا يأتون. أنا أرجو منكم ألا تحجبوا مساحة الحوار. أي عندما يتعلق الأمر بالتهجم والإهانة والشتائم وما شابه، فتصير مساحة الحوار مسدودة بطبيعة الحال؛ لا تسمحوا أن يحدث شيء كهذا. تحدثوا باستدلال ومنطق. بالطبع، قد تكون بعض الكلمات لاذعة. حسناً، لا إشكال في ذلك، لكن التحدث بقسوة لا يتنافى مع منع التهجم والإهانة وأشياء من هذا القبيل.

٥) أهمية صناعة الخطاب

النقطة الخامسة هي صناعة الخطاب، التي ذكرتها في بداية الحديث. إحدى بركات هذا اللقاء الذي عقدناه معكم اليوم، والاجتماعات التي عقدناها ونعقدّها مع الشباب - على الأقل مرة في السنة مؤخراً وأكثر في السابق - كانت صناعة الخطاب. أي مجرد أن تقولوا شيئاً، ويُبَيَّن، وتسمعه مجموعة من الشباب وغير الشباب، هذا يبني ذهنية [جديدة] تدريباً. هذه الذهنيات هي صناعة الخطاب تلك. وهذا يصنع ما يسمى التوجيه الفكري المحدد في المجتمع، وهو أمر ذو قيمة. رجائي لكم هو أن تهتم الحركات الطلابية بصناعة الحوار. استخرجوا قضايا النظام، فكروا [فيها]، قدّموا حلولاً مدروسة وقوية، واطرحوا هذه القضايا.

بالطبع، وسائل الإعلام الوطنية يجب أن تساعد، دون شك، يجب أن تساعد وسائل الإعلام الوطنية. واليوم، في هذه المرحلة الأخيرة، تحتوي وسائل الإعلام الوطنية أيضاً على أقسام شابة وناشطة بالحياة وثورية، [لكن] لم يضعها الأصدقاء في مورد اهتمامهم. في النهاية، يجب أن تؤخذ آراء الشباب هذه وما يقدمه الشباب بعين الاعتبار وأن يُعْتَنَى بها وأن يصنع الخطاب في المجتمع. بمجرد صنع الخطاب، سيحدث إقبال لدى العموم نحو المجموعات الشابة والتقدمية؛ أي سيكون هناك إقبال عام، وحينئذ سوف تترك أثرها في التعيينات الإدارية وما شابه.

علاج مشكلات البلد، حكومة شابة حزب اللهية.

بالطبع - كما أكدت وقلت مراراً وتكراراً في العام الماضي - إنني أؤمن بحكومة شابة حزب اللهية، ولدي أمل فيها، وبالطبع إن الحكومة الشابة لا تعني ببساطة أنه يجب تعيين رئيس شاب، يعني مثلاً شاب عمره ٣٢ سنة، لا، الحكومة الشابة [تعني] حكومة ونشيطة وجاهزة للسنين التي ستتولاها بأن تسعى وتعمل وألا تتعب وتخرج عن الخدمة. هذا هو

المقصود. البعض يبقى شاباً إلى السنين المتقدمة بكل معنى الكلمة. فالآن، هذا الشهيد العزيز الذي ذكرتم اسمه - الشهيد [قاسم] سليمان، وأنا أذكره ليلاً ونهاراً - كان في الستين ونيف، فهو لم يكن شاباً جداً؛ لو أنه عاش عشر سنوات أخرى، وأنا أيضاً بقيت حياً، وكان ينبغي أن أحدد مصيره، كنت سأحتفظ به هنا، أي لم أكن لأتركه، وهو غير شاب. لذلك، في بعض الأحيان، يمكن للأشخاص الذين ليسوا في عمر الشباب القيام بأمور شابة وجيدة. على أي حال، في رأيي، علاج مشكلات البلد هو حكومة شابة حزب الله، فالشباب المؤمن هو الذي يستطيع أن يعبر بالبلاد في الطرق الصعبة.

٦) توسيع جبهة الثورة وتجنب إقصاء الأشخاص المؤمنين

النقطة التالية، التوصية التالية التي دوتها هنا، وأعتقد أنها ستكون [التوصية] السادسة: وسّعوا جبهة الثورة، عبّئوا [لها]، لا تحذفوا [أحداً]، ينبغي ألا يؤدي الاختلاف في الأدواق والاختلاف في وجهات النظر حول قضية ما إلى الإقصاء. هناك من يؤمنون بالإسلام والثورة والنظام الإسلامي وبعدد من الأمور التي تهتمون بها وتؤمنون بها، لكنهم لا يتفقون معكم في قضية معينة؛ هذا يجب ألا يجعلكم تطردونه عنكم، وترونه خارجاً عن دائرة الثورة. وسّعوا جبهة الثورة أكبر قدر ممكن، استقطبوا الأشخاص. طبعاً لا أقصد استقطاب المنافقين ولا الأشخاص الذين ليس لديهم عقيدة، بل استقطاب الإنسان المؤمن الذي لديه اختلاف في الأدواق معكم.

٧) الموقف الصريح والقوي مقابل مثيري الشكوك في المبادئ والذين يجمّلون صورة العدو

النقطة التالية، وهي السابعة، هي أنه في النقطة المقابلة لحالة الإقصاء والرفض تلك، هناك حالة أخرى وهي غير صائبة أيضاً: هناك بعض الأشخاص الذين تركز مساعيهم على إثارة الشكوك في مبادئ الثورة وينكرون علامات تقدّم البلاد. خاطبوا هؤلاء بقوة وصراحة، أي أنه عليكم ترسيم حدودكم معهم. أنا لا أنصح أبداً بالتماشي مع الذي لا يقبل مبادئ الثورة ويثير الشكوك في هذه المبادئ ويجمّل صورة العدو ويضع أمامنا الطريق الخطأ. كلاً، [بل] تصرفوا بصراحة، وتصرفوا بحزم. هذا الذي يثير الشكوك هو [بمكانة] العمود الفقري للعمل الثقافي للعدو. وهذا هو لبّ الحرب الناعمة لدى العدو: أن يثير الشكوك.

إذا فعل شخص ما داخل البلد فعل العدو هذا، بالطبع، عليكم أن تتصدوا له. بالطبع هناك أشخاص يساعدون العدو. أي أنهم يَجْمَلُون صورة العدو.

نبذ الشعوب وحتى الدول لأمريكا

أريد أن أقول، إنه رغم التكاليف الباهظة التي تكبدتها أمريكا على مر السنين الطويلة لكي تصور نفسها كياناً جذاباً للعالم كله، فإن المجتمع الأمريكي اليوم ليس غير جذاب فقط، بل إن الدولة الأمريكية والمجتمع الأمريكي والنظام الأمريكي بمعنى ما هو كيان منبوذ في جزء مهم من العالم، وهذه حقيقة. أن يُحرق العلم الأمريكي في عدد من البلدان، حتى في أمريكا نفسها - كان هناك تقرير واضح منذ بعض الوقت، حيث كانوا يضرمون النار بالعلم الأمريكي في بعض الولايات في أمريكا نفسها -، هذا [يظهر أن] الشعوب ينبذونها. حتى رؤساء الدول نفسها التي ترافق أمريكا في مسائل عدة، عندما يُفصحون بالكلام ويعبرون عن مكنوناتهم القلبية، يرى المرء أنهم يشعرون بالاشمئزاز وبحالة من غياب الثقة وقلة المبالاة بالمسؤولين الأمريكيين والحكومة الأمريكية.

بالطبع، إن هذا الكره والنبذ في السنوات الأخيرة يعود جزء منه إلى بركة وجود هؤلاء «السادة» الذين يتسلمون زمام الأمور هناك، جزء منه يتعلق بهم، [أي] هؤلاء «السادة المحترمين» الذين هم على رأس الدولة؛ أكان من رئيسهم الذي قيل عنه «الدكتور ترامب!» في برنامج كان يقدمه عدد من شبابنا الفكاهيين [واسمه] «سلام يا دكتور»، فالمرء يتذكر ذلك [البرنامج]، أم وزير الخارجية التافه واللاقي والثرثار الذي يتحدث باستمرار هنا وهناك ويلغو بكلمات غير مدروسة وغير محسوبة، وليست في محلها وغير منطقية. بالطبع هذا له تأثير. وجود هؤلاء «السادة» له تأثير في كره الشعوب وحتى مسؤولي الدول تجاه أمريكا، ولكن ليس هذا فقط. فإداء أمريكا الطويل المدى، وإشعالها الحروب، وأداؤها في عدد من البلدان، في أفغانستان والعراق وسوريا... [له تأثير أيضاً].

يعلنون بصراحة أننا ننشر القوات في مكان ما في سوريا بسبب وجود النفط هناك. أي أنهم يعلنون ذلك بصراحة؛ الوقاحة إلى هذا الحد. طبعاً لا يستطيع الأمريكيون البقاء لا في سوريا ولا في العراق، وعليهم الرحيل، سيغادرون بكل تأكيد، ولا شك في ذلك، أي أنهم سيطردون، لكن هذا هو سلوكهم: [التسبب] في الاقتتال بين الأخوة، وشنّ الحروب،

ومساعدة الحكومات المستبدة وسيئة السمعة، التي هي فعلاً سيئة السمعة في العالم بكل معنى الكلمة، والجرائم التي ارتكبوها، والحروب التي شتوها، والإرهاب الذي رعوه، والدفاع عن الظلم المتزايد للكيان الصهيوني الذي مارسوه دون تردد، والجور، وتعاملهم السيء في إدارة قضية «كورونا» أخيراً... هذه هي الأشياء التي توجب الانشمزاز من أمريكا. والآن يحاول البعض أن يجعل أمريكا تبدو أفضل في [عيون الناس].

٨) الاهتمام بالتقدم العلمي

النقطة التالية، وهي الثامنة، قضية التقدم العلمي. قضية التقدم العلمي التي كنت أعول عليها منذ سنوات ما زلت أعول عليها. ومرة أخرى أكرر: العلم سلطان ٢، العلم اقتدار، العلم قوة، ويجب السعي وراء العلم. يجب على البيئات الأكاديمية وبيئات البحث العلمي الاهتمام بقضية العلم بجدية. التفتوا أيضاً، إنني عندما أؤكد على قضية العلم، [لأن] العلم هو لتنمية البلاد، والعلم هو لفتح آفاق المستقبل، والعلم كما قلت قبل سنوات: إنه بعد خمسين عاماً يجب أن نصل إلى مكان حيث لو أراد أي شخص أن يستفيد من الابتكارات العلمية في العالم، عليه أن يتعلم الفارسية... العلم بهذه النية، لهذا الغرض. الأشخاص الذين تقدموا بالعلم في العالم هم أولئك الذين دخلوا في مثل هذه الأهداف، [وإلا] أن نسعى وراء البحث العلمي من أجل المنفعة الشخصية المادية على المدى القصير، كلاً، هذا ليس له قيمة كبيرة. هكذا تكون النظرة الأساسية إلى العلم: أن تعتبره مفتاح الأفق.

٩) أهمية قضية الحجاب الإسلامي والحياء في البيئة الجامعية

التوصية التاسعة هي قضية الحجاب الإسلامي والحياء في الجامعات، ولدي قلق تجاه هذه المسألة، وأرجو من كل من مسؤولي الجامعات ورؤساء الجامعات، وكذلك مديري الوزارات ذات الصلة، ومن الطلاب أنفسهم - بخاصة الفتيات - الانتباه إلى قضية الحجاب، ومراعاة الحدّ الفاصل بين الرجال والنساء والذي ورد في الإسلام. أعطوا أهمية لذلك، راعوا الموازين الشرعية في الجامعة.

١٠) الانتباه والحذر من تجنيد العدو مجتمع الشباب في البلاد

النقطة الأخيرة هي أن الشباب أنفسهم، والذين يتعاطون مع قضايا الشباب والمنظمات ذات الصلة، يجب أن يعرفوا أنه تماماً كما نهتم بقضية الشباب من أجل مستقبل البلد وتقدم البلد، إن عدونا أيضاً يولي أهمية لقضية الشباب من أجل تدمير البلاد وإركاك الثورة، وهو يعرف دور الشباب.

يجب على الجميع الانتباه إلى أنهم يعملون أيضاً على شبابنا، ويسعون أيضاً إلى الاستغلال السيء لشبابنا، وهم جميعاً يتابعون هذا ويخططون له أيضاً. في بعض الحالات، قد يحتاجون إلى عناصر داخل البلد، فيعملون على الشباب داخل البلد، وفي بعض الحالات، يحتاجون إلى عناصر دعائية، ومحلل سياسي، وعنصر سياسي، وما شابه، فيعملون عليه، وفي بعض الحالات، يحتاجون مثلاً إلى إجبار شاب على أن يدير ظهره إلى وطنه، وأن يغادر، ولقد رأيت ذلك يحدث. فيجبرون الفنان، والرياضي، وطالب الحوزة الذي لم يكمل علمه، والطالب الجامعي... يجبرونه بطريقة ما وبضجة [إعلامية] على مغادرة البلاد؛ مثل هذه الأشياء يفعلها العدو الآن مع الشباب. يجب على الجميع الانتباه إلى ذلك والحذر من المساعدة في تجنيد العدو مجتمع شباب البلاد.

أرجو من الله - تعالى - أن يتلطف بكم جميعاً ويتفضل عليكم. وإنني أدعو للشباب دائماً، دون انقطاع، أي أنني أدعو لكم، أيها الشباب، مرة واحدة على الأقل في اليوم، وأدعو لجميع شباب البلد أن يساعدكم الله، ويهديهم الله، ويسعدكم الله، أن يحل مشكلاتهم، مشكلات العمل، مشكلات الزواج، أن يحل مشكلاتهم المختلفة. وسأدعو أيضاً، إن شاء الله. أرجو أن يستجيب الله لهذه الدعوات، وسوف يستجيبها. بالتأكيد، غداً سيكون وضع مجتمع شبابنا أفضل مما هو اليوم، بفضل التوفيق الإلهي وبركات فضائل بقية الله (أرواحنا فداءه). تذكروا دائماً التوسل بهذا الإنسان العظيم الشأن، واطلبوا منه المساعدة والشفاعة والدعاء، وإن شاء الله - تعالى - أن يحسن قلب هذا الإنسان العظيم الشأن عليكم، وعلينا، وعلى جميع الشعوب الإسلامية وأمتنا العزيزة، وأن يبقيه لطيفاً بنا، ونرجو أن يجعلنا مستحقين لهذا اللطف. نرسل التحية والسلام إلى الروح الطاهرة لإمامنا [الخميني] العظيم وإلى أرواح شهدائنا الأعزاء، ونسأل الله لهم الرحمة والغفران (الخواتم التي طلبها السادة، وما أشارت [إليه] السيدة، وكذلك الشال والمصحف وما إلى ذلك، سأقدمها جميعها، إن شاء الله).

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الهوامش:

(١) بموجب هذه الاتفاقية، كانت المؤسسات العسكرية والمالية الإيرانية تحت إشراف البريطانيين، كما تم منحهم امتيازات السكك الحديدية الإيرانية والطرق المعبّدة.

(٢) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد، المجلد ٢٠، الصفحة ٣١٩.

مَحَطَّاتُ فِي الْفِكْرِ الْمُقَاوِمِ

❖ الْإِيْمَانُ وَالشَّكَاكُ عَلَى الْمَنْهَجِ الْإِيْمَانِيّ / مُحَاضَرَتُ الْإِمَامِ الْحَامِنِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ .

❖ مَوْقِفُ مَرْجِعِيَّةِ الْإِمَامِ السَّيِّدِ الْبَيْسْتَانِيّ مِنَ الْإِخْتِلَالِ الْأَمْرِيّ .

❖ تَأْيِيدُ الْإِمَامِ الْحَمِينِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَى الْإِتْجَاهِ الدِّينِيِّ فِي عَالَمِنَا الْمُعَاصِرِ .

الإيمانُ والتَّباتُ عَلَى المنهجِ الإيمانيِّ

مُحَاضَرَاتُ الإِمَامِ الخَامَنِئِي دَامَ ظِلُّهُ

❖ تعريب: حسن علي مطر الهاشمي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ * وَمَنْ يُطِغِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقِيهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾^{(١)(٢)}.

إن من بين المسائل الهامة في بحث الإيمان، هو أن المسؤوليات التي تلقى على عاتق الفرد المؤمن ليست اعتباطية أو مزاجية أبداً. فلا يستطيع أحد أن يركب موجة الإيمان للوصول إلى مصالحه الشخصية، وارتكاب أبشع أنواع الظلم والعدوان باسم العمل على طبق الإيمان؛ فالإيمان ليس مطية لأحد؛ كي يقوم البعض بالتمسك به ما دام يرضى دنياههم، فإذا كلفهم الإيمان دفع بعض الأثمان عمدوا إلى التخلي عنه. لقد نسبنا هذه الصفة - التي تمّ التعرّض لها في القرآن بمختلف الأشكال - إلى أصحاب الأطماع والمصالح. إن جميع الناس يسعون وراء

مصالحهم، فمن ذا لا يريد تحقيق المصالح ويسعى وراء ما يسبب له المشاكل. إلا أن مرادنا من أصحاب المصالح أولئك الذين هم على استعداد للتضحية بالعالم من أجل مصالحهم الشخصية الضيقة.

إن ديدن أمثال هؤلاء هو التمسك بالإيمان ما دام لا يضر بمصالحهم الشخصية، لأن تظاهروا بالإيمان يمكنهم من الوصول إلى مآربهم على نحو أيسر. إن هذا النوع من الناس لا يمكن أن ينطبق عليه عنوان المؤمن من وجهة نظر الإسلام حقيقة. فالآية القرآنية صريحة في نفي الإيمان عنهم.

وعليه فإننا في البحث في حقل الإيمان - الذي هو من أول وأهم المباحث التي يجب تناولها في سلسلة الفكر المعرفي للإسلام - توصلنا إلى نتيجة مفادها أن الإيمان إذا لم يقترن بالمسؤولية، والعمل بما يترتب على هذا الإيمان ولم يكن مصحوباً بالشعور بالمسؤولية، وإذا لم يكن

- على حدّ تعبير القرآن الكريم - مقرونًا بالعمل الصالح، لا يمكن أن يكون إيماناً، وإن نتائج الإيمان الحقيقية لا يمكن أن تترتب على الإيمان الجاف وغير المقترن بالعمل. وعلاوة على ذلك نتوصل إلى حقيقة أخرى مفادها أن المسؤولية المترتبة على الإيمان مسؤولية ثابتة وأبدية، لا تقبل التبعض والتجزئ.

إن ذلك المؤمن الذي يريد أن يكون مؤمناً حقيقة، ويتمتع بنتائج وثمار إيمانه، يجب عليه أن يشعر بالمسؤولية تجاه جميع أحكام الله. وهذا يعني ضرورة أن يستشعر الفرد أن يكون عبداً مطيعاً لله، وأن يسعى دائماً على توجيه الآخرين وهدايتهم إلى عبادة الله. إن الإيمان بالنبي والشهادة له بالنبوة والرسالة، يقتضي أن يكون المؤمن متابعاً للنبي وتحركاً في فلكه ومشروعه. فإن كنت مقرراً بذلك، فلا يكون هناك من مبرر للإعراض عن أهداف الرسول إذا لم تكن توافق رغبتك ومصالحتك. فلا معنى لأن تستعرض عضلاتك وتنفخ أوداجك متظاهراً بالإيمان في الرخاء، وعندما يجدّ الجدّ وتجد الأمور تسير على خلاف مصالحتك الشخصية تنكص على أعقابك وتولي هارباً ولا تعقب، وتنسى أهداف الرسول الذي أمنت به وأقررت بنبوته. فينطبق عليك حينها قول الشاعر: «أسدٌ عليّ وفي الحروب نعمة»^(٣)! وهو من الأشعار العربية التي

ذهبت مثلاً.

إن المسؤولية لا يمكن أن تكون فصلية أو موسمية، حتى يجب العمل بها أحياناً ولا يجب العمل بها أحياناً، أو نقول بها تجاه شخص ولا نقول بها تجاه شخص آخر، إنما المسؤولية عامة وتنطبق على الجميع وفي كافة الأزمنة والأمكنة. يتحدث القرآن الكريم عن اليهود الذين يتحدثون عن أبناء جلدتهم من اليهود تارة ويقولون: هؤلاء إخوتنا، ولكن عندما تتعرض مصالحهم الشخصية للخطر، يميلون على هؤلاء الإخوة ويعملون فيهم السيف قتلاً وتشريداً، ويصادرون أموالهم، فقال عنهم القرآن في مقام اللوم والتقريع: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ﴾^(٤). أهمل يمكن أن تؤمنوا ببعض المسؤوليات الإيمانية تجاه إخوتكم، وتنكرون لبعضها الآخر؟! إذن لا يمكن أن تكونوا من المؤمنين والمعتقدين حقيقة؛ إذ لا يمكن التفكيك بين المسؤوليات التي يفرضها الإيمان الصادر عن معين واحد.

يقول إمامنا الباقر عليه السلام في ذلك الحديث المعروف المذكور في بداية باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من كتاب الوافي - وإن هذا الحديث موجود أيضاً في الكافي^(٥)، وكذلك نجده في المصادر الشيعية الموثوقة الأخرى أيضاً، ولكن كتاب الوافي الجامع للكتب الأربعة

الرئيسة الذي ألفه الفيض الكاشاني^(٦) - عندما تراجعون باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر منه، تجدون الحديث الأول منه على ما أذكر - فقد قرأته منذ فترة ولم أتأكد منه مؤخراً - يشير إلى هذا المعنى، حيث يقول إن بعض الناس يتقيدون بالصلاة والصيام لأنهما أخف مأونة من بعض الأحكام الأخرى، ولكن حيث يصل الأمر بهم إلى فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا يبدون ذلك الاهتمام المناسب. إن الإمام الباقر عليه السلام لا يصف هؤلاء بالإيمان أو عدم الإيمان أو الفسق أو النفاق صراحة، إلا أن الآية القرآنية صريحة في سلب الإيمان عن أولئك الذين يقدمون مصالحهم الشخصية الضيقة على الدين وعلى أحكام الله.

إن الذين يهرعون إلى الاحتكام عند رسول الله صلى الله عليه وآله عندما يكون الحق إلى جانبهم في النزاعات، وينكصون على أعقابهم ويتنكرون لحكم رسول الله إذا لم يكن لصالحهم، يقول عنهم الله سبحانه وتعالى في محكم كتابه الكريم: ﴿أَفِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَمْ ارْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَنْ يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ بَلْ أُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾^(٧). وعليه فإن الإنسان المؤمن هو الذي يذعن لأحكام رسول الله صلى الله عليه وآله في جميع المسائل والأمور، وليس في الأمور التي تنسجم مع مصلحته فقط.

فحتى معاوية بن أبي سفيان كان عند الضرورة يحمل القرآن ويحتمي تحت ظله ويرفعه فوق الرماح - في حادثة صفين كما هو معروف للجميع - فكان عندما تقتضي المصلحة يتظاهر بالصلاح والتدين ويصلي ويصوم ويقرأ القرآن، وإذا أراد أن يستميل واحداً من شيعة أمير المؤمنين، يتحدث عن فضائل الإمام وزهده، بل ويذرف دموع التماسيح أيضاً. ليس هناك من لم يسمع بحادثة يجلس فيها معاوية وعبد الله بن عباس ولفيف من الناس، ليتوجه عندها معاوية إلى ابن عباس أو غيره، طالباً منه التحدث بفضيلة من فضائل الإمام علي عليه السلام، فيطلب هذا الأمان، فعندما يعطى الأمان، يبدأ بذكر فضائل الإمام علي، ويبدأ معاوية من ناحيته بكفكة دموعه الزائفة^(٨). وعندما تقتضي الضرورة يتظاهر بحب الإمام علي، وعندما تقتضي الضرورة يتظاهر بإخلاص العبادة لله، وعندما تضطره الأمور والسيطرة على رقاب المسلمين من خلال استمالة عواطفهم واحترام مشاعرهم، يتظاهر بالتمسك بالقرآن والإسلام.

كل هذا عندما يكون الدين لصالحه. وأما عندما يكون الدين مكلفاً له، ويقتضي منه بعض التنازل عن مصالحه الشخصية، وعندما يتطلب الأمر منه مراعاة العدل والانصاف، ورعاية العدالة الاجتماعية، وانصاف الطبقات

المظلومة والمحرومة ومساواتهم بأفراد حاشيته وبطانته وأفراد أسرته، باعتبار هذه المساواة جزءاً من الدين، ورفع المستوى الثقافي والفكري لعامة الناس بوصف ذلك غاية للرسالات السماوية وهادفاً من أهداف الأنبياء، يتجلى معاوية بوصفه متنكراً للدين وجميع الرسالات السماوية والأهداف النبوية، ولا يشعر بأي مسؤولية تجاه الدين. وإنما أذكر معاوية مثلاً، ليتسنى لي ولكم تطبيق ذلك على أنفسنا في هذا المجال، ونختبر إيماننا ونجعله على المحك، ولنذكر المثال بشكل آخر.

لنفترض للوهلة الأولى أن معاوية شخص مؤمن، ولا ننكر أن معاوية كان شديد التظاهر بالتدين في بعض جوانب الدين، فقد ذكرت مراراً أن معاوية كان مثابراً على الصلاة، ويحرص على إقامتها جماعة، وفي أول أوقاتها، بل كان يأثم الجماعة بنفسه، وفضيلة صلاة الجماعة للإمام أكثر منها للمأموم، فالأجر والثواب الذي يُعطى للإمام أكثر من الأجر والثواب الذي يُعطى للمأموم، على ما ورد في روايات الباب.

وهنا يكون الدين الذي يختار معاوية التظاهر به هو في غاية اليسر، وهو بالنسبة إليه أحلى من الشهد والعسل، والدين من هذه الناحية يعمل على اجتذاب أفئدة الناس وعواطفهم. وأما الجانب الآخر من الدين المتعلق بالهداية

والتربية والقائل بأن النبي بعث لتعليم الناس وتطبيق العدالة والانصاف على الناس؛ إذ يقول تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾^(٩). فقد بعث النبي وجاء بالدين للبشر ليعلمهم وينمّيهم ويرفع من طاقاتهم العقلية، وأن يقضي على كل ما يقف بوجه العقل. ويرفع كل غشاوة وعقبة تقف أمام البصر والبصيرة والعقل والفهم والإدراك.

هذا هو الدين الحق. أما الدين الذي قيل عنه: إنه أفيون الشعوب، فهو شيء آخر لا ينتمي إلى الدين الحق بصلة. ليس هناك من أثر للدين المخدر للشعوب في القرآن الكريم. كما لا نجد من أثر له في الحياة العملية لبنينا الأكرم ﷺ ولأئمتنا المعصومين الأطهار. وإن الإسلام الذي يحارب الكفر والشرك والنفاق، يحارب هذا النوع من الدين أيضاً.

يقول الإمام علي عليه السلام في وصف الأنبياء والمرسلين والغاية من بعثهم إلى الناس: ﴿وَيُثِيرُوا لَهُمْ دَفَائِنَ الْعُقُولِ﴾^(١٠). وعليه فإن كل ما من شأنه دفن عقل الإنسان وفكره تحت ركام العصبية أو الأفكار الباطلة أو الكبت والقمع أو أي شيء آخر، هو على الضد من فلسفة إرسال الرسل وبعث الأنبياء.

لذلك عندما نراجع سيرة معاوية لا نجد غير الظلم والقتل، ودفن الناس وهم أحياء، وتركهم في السجون حتى يقضي عليهم الموت، ولا نرى في سجل معاوية غير قتل أمثال: حجر بن عدي^(١٢)، ورشيد الهجري^(١٣)، وميثم التمار^(١٤). وهذه جرائم واضحة وموصفة قد تعرّف عليها جميع الأفراد بما في ذلك البسطاء وحتى الأطفال من الناس. وهناك بالإضافة إلى كل هذه الجرائم جريمة أخرى في غاية الخطورة لا تراها إلا الأعين الدقيقة والثاقبة. وتتمثل تلك الجريمة في أنه كان يجب على معاوية أن يعمل على تنمية المجتمع الإسلامي الفتى وتطويره بما يتناسب والعشرين سنة من فترة حكمه، ولكنه لم يعمل على تقدّم وتطوير المجتمع الإسلامي أبداً، وبما ليته أبقى المجتمع الإسلامي على ما كان عليه حينما تسلط على رقاب أبنائه، بل أعاده بمقدار قرنين من الزمن إلى الوراء! من أي ناحية أعادهم إلى الوراء؟ هل أعادهم إلى الوراء من الناحية الاقتصادية؟ كلا، وبما ليه جريمته هذه كانت تتعلق بالجانب الاقتصادي من حياة الناس! هل تسبب في تقليص المساحة الجغرافية للرقعة الإسلامية؟ هل تسبب في تجزئ البلاد الإسلامية؟ يا ليت جريمته قد اقتصرت على ذلك! فإن جريمته تكمن في أنه تسبب في تخلف الناس على مستوى الفكر والبصيرة والأخلاق.

وقد كان معاوية بن أبي سفيان على هذه الشاكلة، فحيث يدعو الدين إلى تنوير أفكار الناس، لم يكن معاوية ليفهم ماهية الدين والإسلام أبداً. وحيث يأمره الإسلام قائلًا: ادفع الجوع عن الناس، وارفع الاختلاف الطبقي القائم بين الناس، ولا تمارس العصبية والإجحاف بحقهم، ولا تحمل الظالمين على رقاب الناس، ولا تختار مستشاريك وبطانتك من بين المجرمين، ولا تقذف بالناس إلى نار جهنم، ولا تعرّض الناس إلى عذاب الله وسخطه ونقمته في الدنيا والآخرة، عندما يأمر الدين بهذه الأمور، وعندما يقال لمعاوية لا تقمع الناس، واترك لهم حرية المعرفة وتمييز الأمور، كانت المسافة بين معاوية وبين الدين بعيدة للغاية.

من هنا كان معاوية يقول لابن عباس: كفّ عن تلاوة القرآن! فيقول ابن عباس: وكيف تأمرني أن أمتنع عن تلاوة كتاب الله؟! يقول معاوية: حسناً، اقرأ القرآن، ولكن لا تفسره! فيقول ابن عباس: كيف اقرأ القرآن ولا أفسره؟! فيقول معاوية: إذن يمكنك أن تقرأ القرآن، وأن تفسره أيضاً، ولكن لا تفسره من طريق أمير المؤمنين^(١١)! وهذا يعني في الحقيقة أنه لم يكن يريد للناس أن يتعرّفوا على حقيقة القرآن والدين والإسلام. وكان يرى أن معرفة الناس كلما كانت أقل، كلما كان ذلك في مصلحته.

وقد بلغ بهذه الجريمة التي ارتكبتها معاوية بن أبي سفيان، أن لم يتمكن حتى عمر بن عبد العزيز^(١٥) - الذي عرف بعادل بني أمية - من إصلاح الفساد الذي تسبب به معاوية وأسس له، رغم سعيه الجاد إلى ذلك. وحيث لمسوا منه هذه النية الطيبة لم يمهلهو لأكثر من سنتين، حيث دسّوا له السم وقتلوه كي لا يمضي في مشروعه الإصلاحية قدماً. فقد كان معاوية قد أسس لحالة لا يمكن لها أن تتعايش مع غير الفساد.

كان معاوية قد مارس خطة ممنهجة تقضي بإبقاء الناس غارقين في الجهل والجهالة، وهناك الكثير من القصص في هذا الشأن - وأغلبها ظريف في نوعه - وقد رويت الكثير منها في محاضراتي وبحوثي التفسيرية. ولا بأس هنا من ذكر واحدة من تلك القصص - التي تصلح أن تورد على سبيل الدعابة - وهي على النحو الآتي:

في عهد عبد الملك بن مروان^(١٦)، كان الحجاج بن يوسف الثقفي قائد جيش بني أمية، وكان على استعداد لقمع كل من يبدو منه أدنى ميل للتشيع، وقد استولى على مكة ولم تكن في وقتها تحت سلطة الشيعة، وإنما كانت تحت سلطة عبد الله بن الزبير^(١٧)، ولم يكن عبد الله بن الزبير أقل قسوة وهمجية من الحجاج ولكن الله لم يمهله؛ فتمكن الحجاج من التغلب على ابن الزبير والسيطرة على

مكة واستولى على جبل أبي قبيس، وهو - كما تعلمون - من جبال مكة. فأرسل الحجاج بعد ذلك كتاباً إلى عبد الملك بن مروان يبشره بالاستيلاء على مكة، وأنه سيطر على أبي قبيس. فأمر الخليفة عبد الملك بن مروان بجمع أهل الشام وقراءة الكتاب عليهم، فتم جمع الناس في مسجد دمشق، وكان اليوم يوم الجمعة، وقام الخطيب على المنبر وقرأ الكتاب على الناس بصوت جهوري، وما أن وصل إلى الفقرة التي تتحدث عن السيطرة على أبي قبيس، حتى قام الاعتراض من جميع الحاضرين، وهم يعبرون عن امتعاضهم وعدم رضاهم، مطالبين بإحضار أبي قبيس إلى الشام، قائلين بأنهم لا يصدقون هذا الخبر حتى يؤتى بأبي قبيس الرافضي^(١٨) مكبلاً بالسلاسل والقيود! إذ تصوروا أن أبا قبيس رجل من الشيعة يعيش في مكة. كان هذا هو مستوى وعي الناس وفهمهم، وكل ذلك بسبب سياسة التجهيل التي كان يتبعها معاوية بحق الناس. وهناك الكثير من هذه الأحداث.

فمن هو المسؤول عن تجهيل الناس؟ قد يقول أحدكم: إن المسؤولية في ذلك تقع على عاتق شريح القاضي^(١٩)، أو إنها تقع على عاتق محمد بن شهاب الزهري^(٢٠)، أو إنها تقع على عاتق القاضي الفلاني أو المفتي الكذائي المأجور؛ إذ كان على هؤلاء أن يعملوا

بواجبهم في توعية الناس. وأنا أوافق على ذلك؛ إذ لا شك في أن شريح القاضي أو أبو يوسف القاضي^(٢١) أو محمد بن شهاب الزهري وغيرهم الكثير قد ارتكبوا أفضع الجرائم في هذا الشأن، كما ورد ذلك في مضمون كتاب أرسله الإمام زين العابدين إلى ابن شهاب الزهري. ولكن علينا أن نرى من الذي صنع أمثال محمد بن شهاب الزهري؟ فما هو القطب الذي يعمل على صياغة تلك الطاقة الروحية المناهضة للدين والمخالفة للقرآن؟ هل هناك من قطب غير معاوية هو الذي يصوغ تلك الطاقات؟ إذن فالذنوب والأوزار في ذلك بالتالي يجب أن تلقى على عاتق معاوية وعبد الملك بن مروان وجميع طغاة بني أمية وبني العباس وغيرهم، وإن هؤلاء على الرغم من هذه الأوزار يدعون اتباع القرآن والإسلام!

فما هو تكليفنا هنا؟ وما هو موقفنا تجاه شخص مثل معاوية ومثل شريح ومثل المغيرة بن شعبة؟ أو مثل زيد وعمرو من الناس في عهد معاوية من أي طبقة أو في أي منصب قضائي - دون فرق من أي صنف كانوا - فما هو حكمنا بشأن هذا الشخص؟ تارة يكون هذا الشخص في بعض المواطن قد قبل بالدين، وفي بعض المواطن لا نرى للدين والإيمان من أثر في سلوكه! فهل يمكن وصف هذا الشخص بأنه مؤمن؟ إن القرآن الكريم ينفي صفة الإيمان عن هذا

الشخص صراحة. وعليه فإن الإيمان المنشود والمعتبر في المنهج الفكري للإسلام ليس هو إيمان هذه الشاكلة من الأشخاص - ونظائرهم في عصرنا إلى ما شاء الله - بل الإيمان الراسخ والثابت والصحيح هو إيمان أولئك الذين يلتزمون بلوازم الإيمان في جميع المواطن والحالات والأزمنة، فهؤلاء هم الذين ينطبق عليهم قول الله تعالى عندما يقول: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ إلى آخر الآية.

وإن الوعود التي قطعها الله على نفسه للمؤمنين، إنما تعني هذا النوع من الإيمان المقرون بالعمل الصالح، وليس ذلك الإيمان المجرد من العمل. فإذا قيل: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾^(٢٢)، كان المراد هذا النوع من المؤمنين قطعاً. وإذا قيل: ﴿يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾^(٢٣)، فالمعني هو هذا الصنف من المؤمنين. وإذا قيل: «إن الطبيعة مسخرة للمؤمنين» فالمراد هذا النمط من المؤمنين، وليس من كان على شاكلي وشاكتكم. إذن فإن أدنى ما يمكن أن نستفيد من هذا البحث هو أننا إذا وجدنا إيماناً فاقداً لهذه اللوازم والآثار، ولا يشتمل على تلك البشارات المذكورة في القرآن الكريم للمؤمنين، علينا أن لا نستغرب؛ إذ ندرك حينها أن الإيمان الذي نحن عليه ليس هو الإيمان المنشود والذي يمكن أن يؤدي إلى تحقيق تلك البشائر.

(وسوف نستعرض غداً البشائر المترتبة على الإيمان)

من خلال تتبعها في القرآن الكريم إن شاء الله تعالى). وأما هنا فنستعرض الآيات الآتية من سورة النور^(٢٤):

﴿لَقَدْ أَنْزَلْنَا آيَاتٍ مُبَيِّنَاتٍ﴾، إن آيات القرآن آيات واضحة وبيّنة، وإن الذين لا يسعون إلى فهم القرآن، إنما يحرمون أنفسهم من نعمة فهمه ﴿وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾.

ما الذي تعنيه إرادة الله ومشيئته هنا؟ هل يعني ذلك أن الله يريد شخصاً ولا يريد شخصاً آخر؟ كلا، ليس الأمر على هذه الشاكلة. إن إرادة الله ومشيئته - في الحالات الطبيعية - لا تتجلى إلا في إطار العلل الطبيعية والعادية. فإنك إذا أردت أن تهتدي واستمعت إلى مجلس وعظ لكي تتعظ؛ فإن الله قد أراد هدايتك. وأنت ذاتك إذا اخترت الركون إلى الدعة والكسل، وأغلقت باب الفهم على نفسك، يكون الله قد أراد لك ذلك أيضاً. وعليه فإن إرادة الله تعني توفر الأسباب والعلل والظروف أو عدم توفرها، فإن توفرت هذه الأسباب والعلل طبقاً لإرادة الإنسان، تأتي إرادة الله سبحانه وتعالى لتطابق إرادة الإنسان، وأما إذا لم ترد أنت أن توفر هذه الأسباب، فتكون إرادة الله متطابقة مع عدم إرادتك. وعليه فإن عدم إرادة الله، ليست هي التي تؤدي بك إلى عدم الإرادة، بل أنت مختار في إرادتك. وإنما معني عدم إرادة الله، عدم ترتب العلة اللازمة والضرورية.

إذن لماذا نصرّ على القول بأن الله هو الذي لم يرد؟ لماذا لا نقول إن العلل الضرورية قد تخلفت؟ الجواب: لأن الله هو الموجد للعلل وهو علة العلل. عندما تكون هناك نار موقدة، وأمد يدي نحوها، فإن إرادة الله ستعلق باحتراقها. وأما إذا لم أضع يدي فيها ولم تحترق، فيعني ذلك أن الله لم تعلق إرادته بحرقها، بمعنى أن العلة الطبيعية لم تتوفر لحرقها. والعلة الطبيعية هنا هي وجود النار وعدم وجود المانع المتعلق بإرادتي ومدّ يدي نحو النار. وعليه فإن قولي: إن الله لم يرد في الحالة الثانية، يعني أن العلة الطبيعية للإحراق لم تتوفر، كأن لا تكون يدي في النار، أو كانت يدي مرطوبة، أو أن شعلة النار لم تكن كافية للإحراق وما إلى ذلك من الأمور والموانع. إذن لماذا ننسب الأشياء المرتبطة بالعلل إلى الله؟ لأن الله هو علة العلل.

﴿وَيَقُولُونَ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا﴾ وما إلى ذلك من الادعاءات التي يسهل إدعاؤها لكل شخص ﴿ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِنْهُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ﴾ وبعد هذا النمط من الادعاءات، يعتمد البعض منهم إلى الإعراض، وعندما يصدر الإعراض من هؤلاء، لا يتطرق الحديث إلى الكفار أو المرتدين الذين يعرضون فجأة، ويخرجون من ربة الإسلام، وإنما الحديث يكون عن ذات المؤمنين داخل المجتمع الإسلامي، ثم يقول الله عنهم: ﴿وَمَا أُولَئِكَ

بِالْمُؤْمِنِينَ ﴿١﴾. بل الأوضح من ذلك بشأن هؤلاء، قوله تعالى: ﴿وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ مُعْرِضُونَ﴾ فلا يبدون رغبة من أنفسهم للاحتكام إلى رسول الله ﷺ، ويبدو من الآية بحسب الظاهر أنها تتعلق بالقضاء، فإن التعبير بالحكم في القرآن غالباً ما يراد منه القضاء، بيد أن مضمون الآية عام يشمل غير موارد القضاء أيضاً على ما هو واضح. ﴿وَإِنْ يَكُنْ لَهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ﴾ وأما إذا كان الحق إلى جانبهم، فسيأتون إلى النبي الأكرم ﷺ مذعنين. فحيث تكون الأمور على وفق أهوائهم يستسلمون للدين، وإذا احتملوا أدنى ضرر، فسوف يتنكرون للدين، وهنا يعمل القرآن الكريم على استجوابهم ومؤاخذتهم، ويقول لهم: لماذا تتنكرون للدين عندما لا يوافق مصالحكم الشخصية؟

إن السبب في ذلك على ما يبين القرآن الكريم هو واحد من ثلاثة أمور، وهي كالآتي: ﴿أَفِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾ عِلَّةُ إِذْنِ السَّبَبِ الْأَوَّلُ هو المرض، والمرض هنا إما هو مرض النفاق، أو مرض إتباع الأهواء، أو مرض الجهل والغرور. وهذه الأمراض الكامنة في قلوبهم هي التي تحول دون إذعانهم وانصياعهم للحق. والسبب الثاني: ﴿أَمْ أَزُنَابِلُ﴾، أي أنهم في الأساس يشككون في الدين، وإلا لما عمدوا إلى التبعيض في أحكامه، فيقبلون من الأحكام

ما كان يضمن مصالحتهم، ويرفضون منها ما لا يوافق مصالحهم، بل إنهم في مثل هذه الحالة سينكرون الدين. والسبب الثالث وهو الأسوأ هو الذي يبينه الله بقوله: ﴿أَمْ يَخَافُونَ أَنْ يَحْيِفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولَهُ﴾ وهذا الشك هو أسوأ من السببين الأولين؛ لأنه يمثل عين الكفر! فمن الواضح أن الذي يشك في عدالة الله وعدالة الرسول، ويخشى أن يظلمه الله ورسوله، إنما يعبر شكه هذا عن عدم إيمانه بالله والرسول من الأساس ﴿بَلْ أُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾. فإن الله لا يظلم أحداً وإنما الناس هم الذين يظلمون أنفسهم. وإذا كان لبعض الناس قدرة وسلطان على غيرهم فسوف يظلمون أنفسهم ويظلمون الآخرين أيضاً، وقد يعم ظلمهم البشرية بأسرها.

ثم يقول تعالى: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ﴾، انظروا هذه هي التعاليم القرآنية. فإن للقرآن لغته الخاصة. وعليه فإن المؤمنين في المصطلح القرآني هم الذين ﴿إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾، وقد تقدّم أن ذكرت أن السمع هنا يعني الفهم والإدراك، كما في قوله تعالى: ﴿أَوَ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ (٢٥)، فالسمع في الكثير من الموارد القرآنية يعني الفهم وليس مجرد السمع بواسطة الأذن وهذا العضو الخاص، وهو يعبر عن البحث السابق الذي ذكرنا فيه أن الإيمان يجب أن

يكون عن وعي وإدراك.

يقول المؤمنون في هذه الآية: إنا بعد أن سمعنا عن وعي وإدراك، بادرنّا إلى الإطاعة ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ والفلاح يعني النجاح في تحقيق الغاية والوصول إلى الهدف. ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾، والفوز هنا يحمل نفس المعنى اللغوي للفلاح على ما تقدّم.

أما الآيتان التاليتان فلا صلة لهما ببحثنا، والذي نرومه هو الانتقال إلى الآية التي تقول: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ ^(٢٦)، وهذا هو وعد من الله للمؤمنين أيضاً، فهذه الآية تعد المؤمنين صراحة وتقول: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾.

هناك من يبدي جموداً على الأمر، ويقول إن هذه المسائل تتعلق بعصر الظهور وزمن ولي العصر عليه السلام. لا شك لدينا في أن عصر ظهور إمام العصر عليه السلام يمثل المصداق الكامل لهذه الآية. ولكن هذه الآية لا تذكر أنها تخص عصر الظهور فقط. ألم يحقق الله هذا الوعد

للمؤمنين في صدر الإسلام مع أنه لم يكن عصر ظهور إمام العصر عليه السلام؟ فذات الوعد الذي اشتملت عليه هذه الآية قد تحقق عندما هاجر المؤمنون إلى المدينة، وأقاموا دعائم الدولة الإسلامية. وبذلك تسنى لأمثال بلال أن يصعد إلى أعلى المآذن والجهر بقول «لا إله إلا الله»، بعد أن لم يكن يجروء على البوح بها في مكة. وتمكن أولئك الذين كانوا يجبرون على السجود لمئات الأصنام غير البشرية ومئات الأصنام البشرية، وما إلى ذلك من أصنام الشهوات والأهواء النفسية على مدار الساعة في الليل والنهار، وإن يمارسوا طقوس الشرك بالله، تمكنوا من الهجرة والعتور على ملاذ آمن لهم في مكة، ليمارسوا حياتهم الاجتماعية وبناء المجتمع الإسلامي النموذجي هناك دون أدنى خوف أو وجل. وإذا أمكن لهذا الوعد أن يتحقق لمرة واحدة خارج دائرة عصر الظهور، فما هو المانع من أن يتكرر ذلك لآلاف المرات إذا تحقق الشرط، والشرط هو المذكور في صلب الآيات التي تقدم ذكرها من الإيمان والعمل الصالح، إذ يقول تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا﴾ ما الذي يمكن للمؤمن أن يفعله في ظل هذا الأمن؟ هل يقوم بتناول فنجان الشاي في عصر صيفي رائع مستمتعاً

والخضوع لله، من أجل الوصول إلى التكامل. ثم يقول الله تعالى في ختام الآية: ﴿يَعْبُدُونِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾^(٢٧).

بأوقات فراغه؟ هل هذا هو الذي يعني مفهوم الأمن؟ أن يكون لنا أمن كي نتمكن من أن نحيا حياة الكسل؟ كلا، إنما الأمن يعني أن يتمكن الإنسان من التقدم هادئ البال نحو الكمال والهدف النهائي المتمثل بالطاعة

الهوامش:

[١] بتاريخ: الإثنين، ١ / ٧ / ١٣٥٣ هـ ش، الموافق لـ: ٦ / رمضان المبارك / ١٣٩٤ هـ / ١٩٧٤ م.

[٢] النور: ٥١ - ٥٢.

[٣] (أسد عليّ وفي الحروب نعامه.. ربدأ تنفر من صفيّر الصافر)، بلاغات النساء، ص ١٧٣.

[٤] البقرة: ٨٥.

[٥] محمد بن يعقوب الكليني، الكافي، كتاب الجهاد / باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ح: ١.

[٦] محمد الكاشاني (١٠٠٧ - ١٠٩١ هـ)، الملقب بالملا محسن الفيض الكاشاني، فقيه ومحدّث ومتكلم وفيلسوف شهير. درس على أساتذة كبار من أمثال: الملا محمد تقّي المجلسي، والشيخ البهائي، والميرداماد، والميرفندرسكي، وصدر المتألهين. بعد عودته من الحج أقام في قرية كهك ولازم الفيلسوف الشهير صدر المتألهين. وبعد رحيل صدر المتألهين توجّه الفيض إلى كاشان ليمارس هناك مهمته في التدريس والتعليم. من بين آثاره ومؤلفاته: تفسير الصافي، وكتاب الوافي، وعلم اليقين في أصول الدين، والمحنة البيضاء في معرفة الإحياء.

[٧] النور: ٥٥.

[٨] انظر مثلاً: العلامة محمد باقر المجلسي، بحار الأنوار، كتاب الفتن والمحن، أبواب ما جرى بعد قتل عثمان، باب نوادر الاحتجاج

على معاوية.

[٩] آل عمران: ١٦٤.

[١٠] الحديث رقم: ١١.

[١١] انظر: كتاب سليم بن قيس الهلالي، ح ٢٦.

[١٢] وفد حجر في شبابه إلى المدينة برفقة أخيه هاني، واعتنقا الإسلام هناك، ثم أصبح من شيعة الإمام علي عليه السلام، وتولى قيادة جيشه. تمرد فيما بعد على حاكم الكوفة المنسوب من قبل معاوية، فأخذ إلى معاوية مع مجموعة من أصحابه إلى الشام بتهمة الخروج عن البيعة لمعاوية، فقتلوا صبراً.

[١٣] من خاصة شيعة أمير المؤمنين وصاحب سرّه، كما كان من أصحاب الإمامين الحسن والحسين عليهما السلام، تعلم من أمير المؤمنين علم الأحوال والآجال والبلايا. وكان قتله كما أنبأه أمير المؤمنين صلباً، مع قطع لسانه وأطرافه.

[١٤] ميثم بن يحيى، كان عبداً مملوكاً أعتقه الإمام علي عليه السلام، فصار من خلّص أصحابه وشيعته. ثم مارس التجارة ببيع التمور، فعرّف لذلك بميثم التمار. وقد تعلم من أمير المؤمنين علم تفسير القرآن، كما تعلم منه علم المنايا والبلايا. وقد صلبه عبيد الله بن زياد بعد استيلائه على الكوفة، على جذع نخلة سبق لأمر المؤمنين أن أخبره أنه سيصلب عليها، فكان لذلك يتعهدها بالسقاية.

[١٥] كان عمر بن عبد العزيز والياً على المدينة في عصر الإمام زين العابدين، وفي عام ٩٩ للهجرة نصب خليفة على المسلمين، ولم تستمر خلافته لأكثر من سنتين، وقام في أثناء فترة خلافته القصيرة بتخفيف الظلم الذي مارسه من سبقه من سلاطين بني أمية، وكان من بين الإصلاحات التي قام بها: منعه الخطباء من سب أمير المؤمنين من على المنابر - وهي بدعة كان قد سنها معاوية - وأعاد فدك إلى أهل البيت، ورفع الحظر عن تدوين الحديث، ورفع الضغط عن العلويين.

[١٦] تربع عبد الملك بن مروان على عرش الخلافة عام ٦٥ للهجرة، في الوقت الذي كان الحجاز والعراق تحت سيطرة آل الزبير. وعلى الرغم من اشتهاار عبد الملك بن مروان بالزهد والعبادة قبل الخلافة، ولكنه لم يتكشف بعد الخلافة إلا عن وجه القاتل السفاح والمخادع. فقد اعتمد على سياسة السيف وعلى سفاح مثل الحجاج بن يوسف الثقفي للسيطرة على جميع أجزاء البلاد الإسلامية، وقد امتدت فترة حكمه عشرين عاماً.

[١٧] كان عبد الله هو أكبر أولاد الزبير بن العوام من أصحاب رسول الله. وقد كان لابن الزبير دور مؤثر في أحداث عصر الخليفة الثالث وما تلاها من الأحداث، وبعدها كان له دور محوري في إثارة حرب الجمل، وقال الإمام أمير المؤمنين في حقه وحق أبيه: (لا زال الزبير منا أهل البيت حتى ولد ابنه المشؤوم عبد الله). وبعد استشهاد الإمام الحسين عليه السلام نصب نفسه خليفة على الحجاز، ثم استولى بعد ذلك على مناطق من العراق. حتى قتل عام ٧٣ للهجرة على يد الحجاج بن يوسف الثقفي أثناء زحفه على مكة وإحراق الكعبة.

[١٨] الرفض يعني الترك والتخلي، وهو مصطلح أطلق في زمن الأئمة

المعصومين الأطهار على الشيعة.

[١٩] شريح بن حارث، تولى منصب القضاء في الكوفة منذ عصر الخليفة الثاني. وقد أبقاء الإمام علي عليه السلام في منصبه بشرط أن ينسق معه في إصدار الأحكام. وقد كان شريح مكباً على الدنيا. وفي الكتاب الثالث من نهج البلاغة نجد أمير المؤمنين يعاتب شريح على شرائه داراً بشمانين ديناراً. وبعد دخول عبيد الله بن زياد، انضم إليه شريح القاضي. وكان هو الذي أعلن عن سلامة هاني بن عروة كذباً، وعمل بذلك على إبعاد قبيلته من قصر عبيد الله، وهو الذي أباح دم الإمام الحسين. وبعد أن سيطر الحجاج على الكوفة كان من المقربين منه.

[٢٠] محمد بن شهاب الزهري، من تلاميذ الإمام السجاد، استقطبه الجهاز الحاكم وقبل بأن يكون في خدمة السلطان. وكان أول من قام بجمع الحديث وكتابته وتدوينه، بعد رفع الحظر عن تدوينه من قبل عمر بن عبد العزيز.

[٢١] أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم، قاضي القضاة في بغداد (١١٣ - ١٨٢ هـ)، كان في شبابه تلميذاً لأبي حنيفة، تولى القضاء في مدينة بغداد لثمانية عشر عاماً في عهد المهدي وهارون الرشيد والهادي العباسي.

[٢٢] المؤمنون: ١.

[٢٣] الفتح: ١٠.

[٢٤] من الآية: ٤٦ إلى ٥٢.

[٢٥] ق: ٣٧.

[٢٦] النور: ٥٥.

[٢٧] النور: ٥٥.

مَوْقِفُ مَرْجِعِيَّةِ الْإِمَامِ السَّيِّدِ السَّيِّدَانِي مِنَ الْإِحْتِلَالِ الْأَمْرِيكِيِّ

❖ د. محمد العبادي (*)

(*) باحث وأكاديمي من العراق.

المقدمة

تمتلك المرجعية الدينية في العراق تاريخاً عريقاً في مقاومة الإحتلال الأجنبي، فهي لم تهادن على حساب مصالح الشعب ابداً، وقد قدمت مواقف أصيلة تستند فيها الى أحكام الإسلام الأصيل من قوى الظلم والعدوان.

لقد وقفت المرجعية بوجه المخططات الإستعمارية؛ وقاومت الإحتلال الإنجليزي في مطلع القرن العشرين تناسى علماء الشيعة الأسلوب الطائفي الذي ركبته الدولة العثمانية وجلسوا في خندق واحد معها لمقاومة الإستعمار الإنجليزي، حيث تطوع للدفاع عن العراق عدد من العلماء من أمثال محمد سعيد الجبوبي ومحمد الحسين كاشف الغطاء ومحسن الحكيم ومحمود كاظم اليزدي وأضرابهم واستنهضوا العشائر في وسط وجنوب العراق لمقاومة المحتلين، وأيضاً قام علماء الشيعة

بالثورة ضد الإنجليز في ثورة العشرين بقيادة الميرزا الشيرازي واستمرت المرجعية الدينية بمواقفها الرافضة لكل أشكال الإحتلال حتى وصلت النوبة لعصرنا الحاضر حيث وقفت المرجعية الدينية كالسد المنيع بوجه الإحتلال الأمريكي للعراق ومقاومة مشاريعه المشبوهة.

إن هدفنا من هذا البحث المختصر هو بيان موقف مرجعية سماحة السيد السيستاني من الإحتلال الأمريكي؛ فقد كان موقف المرجعية من الإحتلال الأمريكي واضحاً وساطعاً كالشمس في رابعة النهار، لكن حاول الأعداء ماوسعتهم المحاولة في إثارة الغبار عليه وتشويش الأذهان. وعليه سوف نقوم بإستعراض موجز في وصف مواقف المرجعية الدينية من التواجد الأجنبي ولاسيما الأمريكي على أرض العراق من خلال أجوبتها للصحف والمجلات

بيان موقف السيد السيستاني (دام ظله) من الإحتلال الأمريكي

لقد قالت المرجعية الدينية في النجف الأشرف - متمثلة بسماحة السيد السيستاني - كلمتها في أكثر من مناسبة وموقف، ونعتت القوات الأمريكية بأنها قوات إحتلال وغزو، وقد ورد ذلك في:

أولاً: إستعمال لفظ (الإحتلال) وما يؤدي معناه في أجوبة المرجعية للصحف والمجلات المختلفة

تعدد الطلبات من قبل الأمريكان لزيارة سماحة المرجع السيستاني، لكنه رفض ذلك مراراً وتكراراً، ورفض كل أنواع الإتصال والعلاقة بالأمريكان أو بقائهم حتى أن بريمر يعترف في مذكراته بأن سماحة السيد السيستاني لم يسمح بلقاء الأمريكان ورفض أكثر من (١٥٠) دعوة أو طلب للقاء به، لأنه كان يعتبرهم سلطة إحتلال.

لقد طرحت مجلة دير شبيغل الألمانية بعض الأسئلة عبر مراسلها فولكهارد فيندفور، وفي أثناء الإجابة على أسئلة المجلة المذكورة؛ إستعمل سماحة السيد السيستاني كلمة (الإحتلال) لخمس مرات، واستعمل كلمة (الغزو) مرة واحدة؛ هذا عدا بعض العبارات والجمل التي إستعملها والتي لها دلالتها الواضحة مثل كلمة (نقل السيادة) و

المختلفة وبياناتها ورسائلها للشخصيات الرسمية والدولية وخطبها في عموم الناس.

تمهيد

كانت أمريكا قد وظفت كل إمكانياتها الإعلامية والدولية والعسكرية وعلاقاتها الدولية في سبيل أن تصل الى العراق لتوسيع خارطة نفوذها ومصالحها في المنطقة، وقد تحقق لها ماتريد وسقط النظام السابق على يد الإحتلال الأمريكي في التاسع من شهر نيسان سنة ٢٠٠٣م.

لقد كانت أمريكا تعمل بعيداً عن مبادئ القانون الدولي ومواثيقه الدولية والتي تنص على إحترام سيادة الدول، والإمتناع عن إستخدام القوة ضد أية دولة، وعدم التدخل في شؤونها السياسية، الى ذلك من المواثيق الدولية.

لقد مزقت أمريكا تلك المبادئ الدولية المرتكزة، وهمشت كل ماله علاقة بسيادة الدولة، وهشمت كل ماله علاقة بوحدة المجتمع العراقي وسلامة أراضيه.

لقد كانت المرجعية الدينية تراقب الموقف الأمريكي تتابع سير الأحداث بدقة، وقد كان لها مواقف مشرفة ومتميزة في تلك الظروف، وفيما يلي بيان ذلك:

(محنة العراقيين) و (إنهيار مقومات الدولة) و (عرقلة الانتخابات) ويقصد عرقلتها من قبل سلطة الاحتلال الأمريكي وغير ذلك، ونذكر تفصيل ذلك بما يلي:

كان السؤال الأول لمراسل المجلة هو (هل تمت عملية إسقاط نظام صدام حسين بالشكل المنشود؟) وأجاب السيد السيستاني بلفظة صريحة وواضحة بأن ما جرى هو عبارة عن غزو واحتلال وقد أدى الى إنهيار مقومات الدولة العراقية حيث جاءت الإجابة عن السؤال بالنص التالي: (لم يكن المنشود تغيير النظام الاستبدادي عن طريق الغزو والاحتلال بما استتبع ذلك من مأسـ كثيرة، ومنها انهيار مقومات الدولة العراقية وانعدام الأمن والإستقرار وتفاقم الجرائم وتلف الكثير من الممتلكات العامة حرقاً ونهباً وتدميراً وغير ذلك).^(١)

ومرة أخرى وجه سماحة السيد السيستاني إصبع الاتهام لقوات الاحتلال في المماطلة والتسويق عن إجراء الانتخابات وبأن سلطات الاحتلال تقف وراء ذلك تأخير إجراء الانتخابات حيث أجاب عن السؤال الثاني حول رأي المرجعية عن خطط تأخير الانتخابات من قبل المحتل الأمريكي؟ فأجاب بجواب مبسوط حول أهمية الانتخابات ثم قال بشكل صريح الى الأمريكيين ودورهم السلبي ونعتهم بلفظ (سلطة الاحتلال) حيث قال: (وليس السبب

وراء ذلك إلا مماطلة سلطة الاحتلال وتسويقها المستمر في اتخاذ الخطوات اللازمة لإعداد الانتخابات طوال الأشهر السابقة)^(٢).

وعند طرح مراسل المجلة الألمانية المذكورة السؤال التالي (ماذا تتوقعون من دور للامم المتحدة في المرحلة القادمة؟) إتهم الأمم المتحدة بأنها (أقرت الاحتلال ووفرت له الغطاء الدولي) وحملها مسؤولية ذلك، وطالب الأمم المتحدة بأن تأخذ دوراً مركزياً في (عملية نقل السيادة) الى العراق، واستبعاد سلطة الاحتلال ومجلس الحكم من ذلك، وقد عبرت المرجعية عن ماتقوم به سلطة الاحتلال بـ (المحنة) وقد ورد إستعمال لفظ (الاحتلال) و (نقل السيادة) في إشارة الى إنتهاك سيادة العراق، وطالبت بإستبعاد المحتلين؛ حيث قال (إن المرجعية الدينية قد سبق لها أن طالبت - في رسالة التعزية التي بعثت بها إلى السيد كوفي عنان بوفاة السيد دي ميلو- بأن تلعب الأمم المتحدة دوراً مركزياً في عملية نقل السيادة، وكانت المرجعية وراء مطالبة مجلس الحكم من الأمين العام للأمم المتحدة إرسال فريق من خبراء المنظمة الدولية لدراسة الآلية المثلى التي ينبغي اعتمادها في ذلك بعد أن استبعدت سلط الاحتلال ومجلس الحكم - في اتفاقية ١٥ تشرين الثاني - أي دور للأمم المتحدة في هذا المجال.

ج ٤: كلا. (٥).

فقد أجاب بـ (كلا، كلا) بمعنى أنه يقول (كلا للاتصال بقوات الاحتلال، وكلا لبقاء قواتهم)، وذلك من خلال الإجابة عن تلك الأسئلة.

وأيضاً طرحت صحيفة لوس أنجلوس بعض الأسئلة الاستكشافية لموقف السيد السيستاني وكانت مرجعيته ترفض الخطوات التي تتخذها أمريكا فالمرجعية لا تؤمن بالإنقاذ والتنصيب من قبل الأمريكيان في كتابة الدستور، وتؤمن؛ بل تطالب بإجراء انتخابات حرة ونزيهة، وانتخاب مجلس يمثل إرادة الشعب في كتابة الدستور فقد جاء في ديباجة الإجابة عن أسئلة صحيفة لوس أنجلوس:

(س ١: كما ورد في فتوى سماحتكم بأن مجلس الـ (٣٠) شخصاً يجب أن يكون منتخباً، من الذي سينتخبهم؟ هل هم جميع العراقيين؟ ومن الذي يقرر من هو المؤهل للتصويت؟ ومن الذي يختار المرشحين؟

ج ١: أعضاء مجلس كتابة الدستور يجب أن يتم اختيارهم من قبل الشعب العراقي بجميع أبنائه المؤهلين للانتخاب، وأما الشروط التي يجب توفرها في المشاركين في التصويت وفي المرشحين فهي شروط عامة معروفة. (٦) وأيضاً قال لصحيفة لوس أنجلوس تايمز (لا صلاحية لأيّة جهة كانت في تعيين أعضاء مجلس كتابة

وان المرجعية ترى أن الأمم المتحدة التي أقرت الاحتلال ووفرت له الغطاء الدولي تتحمل مسؤولية كبيرة أمام الشعب العراقي، وهي مطالبة بأداء دور فعال في مساعدة العراقيين في الخروج من محتهم والإشراف العام على العملية السياسية إلى حين الوصول إلى الوضع الدائم) (٣).

وأيضاً استعمل سماحة السيد السيستاني لفظ (الإحتلال) وإطالة أمده، حيث ورد في جواب السؤال الثامن بأن أولئك الذين يستعملون العنف (يساهمون في إطالة أمد الاحتلال والأضرار بمصلحة الشعب العراقي) (٤).

في الأسئلة التي طرحتها صحيفة نيويورك تايمز؛ يظهر من خلال كلماته أنه يقول: (كلا كلا أمريكا)؛ فقد أجاب على سؤالين متتاليين من قبل الصحيفة المذكورة حول الأمريكان بالشكل التالي:

(س ٣: هل لكم اتصال بقيادة قوات التحالف في العراق؟

ج ٣: كلا.

س ٤: قوات التحالف تريد البقاء في العراق مدة غير قصيرة وربما لعدة سنوات فهل المرجعية الدينية توافق على ذلك؟

الدستور بل يلزم أن يكون منتخباً من قبل الشعب العراقي عن طريق صناديق الاقتراع وهي الطريقة الوحيدة التي يمكن التوصل بها إلى معرفة رأي الشعب العراقي في هذه القضية المهمة^(٧) وفي كل الأجوبة التي طرحتها المرجعية تأكيد على دور الشعب وإحترامه، ورفض كل مجلس غير منتخب؛ وبهذا فإن المرجعية الدينية متمثلة بالسيد السيستاني ألزمت المحتل بما ألزم به نفسه من إدعاء الديمقراطية.

لقد كان رأي المرجعية أن تكون يد العراق وأبنائه هي العليا وقد أجاب مكتب السيد السيستاني وكالة روتترز بهذا الخصوص حول السؤال عن مستقبل العراق (المبدأ الذي يؤكد عليه سماحته هو أن الحكم في العراق يجب أن يكون للعراقيين بلا أي تسلط للأجنبي، والعراقيون هم الذين لهم الحق في اختيار نوع النظام في العراق بلا تدخل للأجانب)^(٨).

وقد كان المرجع السيستاني يشعر بالقلق من التدخل الأجنبي في شؤون العراق حيث طالب بفسح المجال للعراقيين بأن يحكموا أنفسهم بأنفسهم وهذا ما ذكره لصحيفة الواشنطن بوست حينما سألته عن موقفه من التواجد الأمريكي فقال سماحته: (نشعر بقلق شديد تجاه أهدافهم ونرى ضرورة أن يفسحوا المجال للعراقيين بأن

يحكموا أنفسهم بأنفسهم من دون تدخل أجنبي)^(٩).

لقد كان المرجع السيد السيستاني يسمي الأشياء بأسمائها ويقول بأن مجلس الحكم وقوانينه التي يصدرها مع الإحتلال لاتضفي صفة الشرعية أو هي فاقدة للشرعية، وقد إستعمل لفظة (الإحتلال) في معرض جوابه لمراسل صحيفة الواشنطن بوست (انها تبتني على إعداد قانون الدولة العراقية للفترة الانتقالية من قبل مجلس الحكم بالاتفاق مع سلطة الاحتلال، وهذا لا يضفي عليه صفة الشرعية)^(١٠).

ومرة أخرى تطرح صحيفة الواشنطن بوست أسئلتها عبر مراسلها أنطوني شديد حيث ورد في السؤال الرابع من أسئلته لسماحة السيد السيستاني (ما هو نظركم بخصوص القوات التي تعمل في العراق لحفظ الأمن والسلام كالبلغار والبولنديين؟) وأجاب سماحة السيد بأن تلك القوات على إختلاف جنسياتها هي قوات إحتلال حيث قال في معرض جوابه على السؤال (إذا كان هناك حاجة اليهم فليكن عملهم بإشراف الامم المتحدة لا قوات الاحتلال)^(١١)، وأيضاً كرر لفظة (الإحتلال) في معرض جوابه على السؤال الخامس من أسئلة الصحيفة المذكورة؛ فقد ورد في جملة ما ذكر (تأجيل اتخاذ القرارات المصيرية إلى حين تشكيل الحكومة المنتخبة بعد انتهاء الاحتلال)^(١٢).

وهكذا نشاهد ان المرجعية الدينية كانت تؤدي دورها التوجيهي والإرشادي وتؤدي برأيها في الأحداث المهمة وفي المنعطفات الخطيرة.

ثانياً: استعمال لفظ (الإحتلال) وما يؤدي معناه في بيانات ورسائل المرجعية الدينية للشخصيات الرسمية والدولية.

لقد كانت المرجعية الدينية بحق هي المدافع الحقيقي عن الشعب العراقي وتطلعاته في الحرية والاستقلال ووحدته الوطنية ومن يقرأ الرسالة الجوابية التي بعث بها سماحة السيد السيستاني للأخضر الإبراهيمي في ٢٧ / محرم / ١٤٢٥ هـ ق يلاحظ حرص المرجعية على إحقاق حقوق الشعب العراقي والإشراف الواقعي على الأوضاع فيه ورغبته في أن تكون المرحلة الانتقالية بأيادي عراقية خالصة مع ترك الحرية الكاملة للشعب.

وفي تلك الرسالة الجوابية يستعمل المرجع السيستاني كلمة (الإحتلال) مرتين مثل (وبالتنسيق مع سلطة الاحتلال)^(١٣) و (ان المرجعية... تخشى ان تعمل سلطة الاحتلال)^(١٤) ، مضافاً الى كلمات قريبة من معنى الإحتلال مثل (وجود قوة اجنبية ضاغطة)، أو كلمات فيها تعريض بالإحتلال وخطواته مثل (قانوناً غريباً) ويقصد

بذلك ما أملاه الإحتلال من قوانين غريبة وأيضاً عبارة (مجلس غير منتخب) ويقصد مجلس الحكم الإنتقالي الذي نصّب الإحتلال الى غير ذلك من العبارات والتي تشير بشكل صريح الى الأدوار السلبية التي تقوم بها سلطة الإحتلال الأمريكي.

وعندما حصل حادث اغتيال المبعوث الأممي في العراق سرجيو دي ميلو بعث سماحة السيد السيستاني برسالة تعزية ودعا فيها الأمم المتحدة الى أن تلعب دوراً محورياً في مساعدة العراق خلال المرحلة الانتقالية وإعادة السيادة والأمن إليه فقد جاء رسالة التعزية (نأمل أن تتولى دوراً مركزياً في إقامة الأمن والاستقرار في العراق خلال المرحلة الانتقالية، وتقوم بالإشراف على الخطوات اللازمة لتمكين العراقيين من أن يحكموا بلدهم بأنفسهم وتعود إليهم السيادة عليه).^(١٥)

في رسالة التعزية الآتية كانت المرجعية الدينية في النجف ترغب في سحب البساط من تحت أقدام الأمريكان، وذلك بدعوة المنظمة الدولية بتحمل مسؤوليتها في المرحلة الانتقالية بدلاً عن الأمريكان، وفي الرسالة إشارة واضحة الى أن العراق واقع تحت سيطرة الإحتلال ومسلوبا للسيادة والاستقرار ويطالب بتمكين العراقيين من أن يحكموا بلدهم بأنفسهم.

وفي بيان مكتب سماحة السيد السيستاني حول إغتيال الشهيد السيد محمد باقر الحكيم وردت كلمات صريحة في تحميل قوات الاحتلال مسؤولية ما يجري في العراق واستعمل سماحة السيد السيستاني كلمة (قوات الاحتلال) بشكل صريح فقد ورد في بيان التنديد والإستنكار والتعزية أن (ونحن إذ نستنكر هذه الأعمال البشعة نحمل قوات الاحتلال مسؤولية ما يشهده العراق من انفلات في الأمن وتزايد في العمليات الاجرامية ويدعو مرة أخرى إلى تعزيز القوات الوطنية العراقية ودعمها وتمكينها من توفير الأمن والاستقرار).^(١٦)

إن العبارات الكثيرة في بيانات المرجعية المختلفة والتي يستخدمها السيد السيستاني (دام ظله) دقيقة في إشارتها الضمنية الى أن العراق لا يتمتع بالسيادة في ظل وجود قوات أجنبية محتلة تمارس السلطة، كما أن موضوع إقامة الانتخابات الذي تؤكد عليه المرجعية ينسف كل التبريرات التي يتذرع بها الاحتلال في البقاء، وقد وردت كثير من العبارات التي تنطوي على مفهوم إعادة السيادة والتي سلبها الاحتلال أثناء تواجده.

وفي بيان التعزية والشجب والإستنكار لضحايا المجازر في المدينتين المقدستين كربلاء والكاظمية في يوم العشر من المحرم حيث وقع العديد من الشهداء والجرحى؛ صدر

عن مكتب سماحة السيد السيستاني (دام ظله) بيان تعزية وتنديد، واستعمل لفظة (قوات الاحتلال) وتحميلهم المسؤولية فقد جاء في البيان (وأننا في الوقت الذي نحمل قوات الاحتلال مسؤولية ما يلاحظ من التسويف و المماطلة في ضبط حدود العراق ووضع المتسللين، وعدم تعزيز القوات الوطنية المكلفة بتوفير الامن و تمكينها من العناصر الكفوءة و تأمين حاجتها من الاجهزة، و المعدات اللازمة للقيام بمهامها).^(١٧)

وكانت المرجعية تتابع الأحداث عن كثب في الفترة الإنتقالية حيث علمت أن هناك من يسعى لإضفاء الشرعية على قانون إدارة الدولة في المرحلة الإنتقالية وحذرت المرجعية من الإشارة الى هذا القانون عند صياغة القرار ١٥٤٦، وقد استعملت المرجعية لفظ (الاحتلال) في هذه الرسالة التحذيرية فقد جاء فيها (ان هذا (القانون) الذي وضعه مجلس غير منتخب وفي ظل الاحتلال وبتأثير مباشر منه يقيد الجمعية الوطنية المقرر انتخابها في بداية العام الميلادي القادم لغرض وضع الدستور الدائم للعراق).

وهذا أمر مخالف للقوانين ويرفضه معظم أبناء الشعب العراقي).^(١٨)

وفي أثناء وقوع الفتنة الطائفية كانت المرجعية قد

الجمعة تبث الثقافة وتزرع البصيرة في تناولها لموضوعات مختلفة وخاصة الشأن الداخلي العراقي، وخلال تلك الأعوام الطويلة صدرت مئات الخطب التي تتحدث عن مختلف الموضوعات السياسية والخدمية والإقتصادية والأمنية وما يرتبط بالاحتلال وأثاره السلبية.

إن المرجعية كانت ولا زالت تؤكد وبشكل مكرر على ضرورة إستعادة العراق لسيادته الكاملة ولهذا نجدها تطالب المسؤولين على ضرورة (إخراج العراق من طائلة البند السابع، الذي لا نجد مبرراً لبقائه تحته، وعلى السياسيين السعي الحثيث لإخراج العراق من هذا البند حتى تكتمل السيادة)^(٢٠).

لقد كانت المرجعية تراقب الأوضاع في العراق عن كثب، وقد علمت بقدوم قوات أمريكية بذريعة مكافحة الإرهاب، ونبهت الى ضرورة إحترام القوانين والمواثيق الدولية في إحترام سيادة العراق (من المعروف ان هناك قوانين ومواثيق دولية تنظم العلاقة بين الدول واحترام سيادة كل دولة وعدم التجاوز على اراضيها هو من اوضح ما تنص عليه القوانين والمواثيق الدولية، وليس لأي دولة ارسال جنودها الى اراضي دولة اخرى بذريعة مساندتها في محاربة الارهاب، ما لم يتم الاتفاق على ذلك بين حكومتي البلدين بشكل واضح وصريح.

أرسلت رسالة وخطاباً الى أبناء الشعب العراقي بكافة طوائفهم وقومياتهم، وقد وصف السيد السيستاني (دام ظله) القوات الأمريكية بـ (الإحتلال) حيث قال (ولقد كنت - ومنذ الأيام الأولى للإحتلال - حريصاً على أن يتجاوز العراقيون هذه الحقبة العسبية من تاريخهم من دون الوقوع في شرك الفتنة الطائفية والعرقية، مدركاً عظم الخطر الذي يهدّد وحدة هذا الشعب وتماسك نسيجه الوطني في هذه المرحلة، نتيجة لتراكمات الماضي ومخططات الغرباء الذين يتربصون به دوائر السوء ولعوامل أخرى)^(١٩).

ومما تقدم أن المرجعية الدينية في النجف الأشرف متمثلة بسماحة السيد السيستاني (دام ظله) قد عمدت الى إستعمال لفظ (الإحتلال والمحتل) الأمريكي في كثير من المناسبات وكانت هذه العبارات التي تستخدمها المرجعية في توصيف الوجود الأمريكي بالإحتلال مزعجة لهم وكانت تبعث على تحريك الشعب ودفعه الى إنتزاع سيادته من المحتلين.

ثالثاً: إستعمال لفظ (الإحتلال) وما يؤدي معناه من قبل ممثل المرجعية في خطب الجمعة

طوال (١٧) عاماً كانت المرجعية ومن خلال خطب

ومن هنا فإن المطلوب من دول جوار العراق، بل من جميع الدول ان تحترم سيادة العراق، وتمتنع عن ارسال قواتها الى الارض العراقية من دون موافقة الحكومة المركزية ووفقاً للقوانين النافذة في البلد.^(٢١)

كما أشارت المرجعية الى التدخل الخارجي في العراق (في المشهد السياسي هناك أطراف خارجية تحرك بعض الاوراق في الداخل شئنا أم أبينا، ولا نحتاج الى دليل على ذلك، فالطفل يعرفه قبل الكبير)^(٢٢).

ومع إقتراب الموعد النهائي لإنسحاب قوات الاحتلال الأمريكي من العراق في سنة ٢٠١١م؛ أشار ممثل المرجعية الى أهمية إستعادة الأمن ونبذ الخلافات وطي صفحة الماضي المؤلمة (إن تحملكم لهذه المسؤولية وأدائها على الوجه الذي يأمله أبناء الشعب العراقي سيُعطي ويوفر له الاطمئنان والأمل بعودة الأمن تماماً إلى البلد وطي صفحة الماضي المؤلمة)^(٢٣).

والمرجعية الدينية ترى أن حل المشاكل لا يأتي من خلال الإستعانة بالأجنبي، بل من خلال التعاون بين الفرقاء السياسيين حيث ذكر السيد الصافي: (بعض الساسة يعتقد أن حل المشكلة يكون بالاستعانة بالأجنبي، ورأيه هذا اما ناتج عن غفلة او اشتباه أو سبب آخر، وهو اعتقاد ورأي خاطئ، والحل يكمن في ان يقوم السياسي

الأخر بأن ينبه اخيه الغافل والمخطئ في هذا الأمر، وان يفهمه بأن الحل هو في مد يد العون إلى الفريق العامل معه لحل المشكلة لا بالاستعانة بالأجنبي، فأن أصر البعض على أن الحل يمر عن طريق الأجنبي فيجب ان يصر الطرف الآخر على أن الحل يكمن في الداخل)^(٢٤).

لقد كانت المرجعية هي الكهف الحصين الذي يلجأ إليه الناس وسنشير لاحقاً الى مقارعة المرجعية لتنظيم داعش الإرهابي والذي هو الوجه الآخر للإحتلال والتخريب حيث أعلنت فتوى الجهاد في الخطبة الكربلائية التي صرح بها الشيخ عبدالمهدي الكربلائي نيابة عن المرجعية (.. وفي الوقت الذي تؤكد فيه المرجعية الدينية العليا دعمها واسنادها لكم فانها تحثكم على التحلي بالشجاعة والبسالة والثبات والصبر وتؤكد على إن من يضحي بنفسه منكم في سبيل الدفاع عن بلده وأهله وأعراضهم فإنه يكون شهيداً إن شاء الله تعالى)^(٢٥)

لقد كان تأكيد المرجعية ولايزال على إستقلال العراق وسيادته ووحدته أراضيه (وهو أن يكون العراق سيد نفسه يحكمه ابنائه ولا دور للغرباء في قراراته، يستند الحكم فيه الى إرادة الشعب ويكون حكماً رشيداً يعمل لخدمة جميع المواطنين على اختلاف انتماءاتهم القومية والدينية، ويوفر لهم العيش الكريم والحياة السعيدة في عزّ وأمان)^(٢٦)

(إن المرجعية الدينية تؤكد موقفها المبدئي من ضرورة احترام سيادة العراق واستقلال قراره السياسي ووحدة أرضاً وشعباً، ورفضها القاطع لما يمس هذه الثوابت الوطنية من أي طرف كان وتحت أي ذريعة، وللمواطنين كامل الحرية في التعبير - بالطرق السلمية - عن توجهاتهم بهذا الشأن والمطالبة بما يجدونه ضرورياً لصيانة السيادة الوطنية بعيداً عن الاملاءات الخارجية) ^(٢٧).

إن المرجعية تقدم توجيهاتها السديدة بشأن موضوع الاستعانة بالقوات الأجنبية وتريد أن يكون الحل هو شأن داخلي صرف يتم معالجته من خلال تكاتف وتعاون الجهات السياسية مع بعضها ومن خلال إصلاح علاقتها بالشعب.

إن المرجعية تريد أن تقول ثقوا بقواكم الداخلية وأعتمدوا على وحدتكم وشعبكم في مواجهة التهديدات واقطعوا أملككم من القوى الخارجية الأجنبية والتي تسبب المشاكل تلو المشاكل لبلدكم وشعبكم.

موقف السيد السيستاني (دام ظله) من تنظيم داعش الإرهابي

فتوى الجهاد الشهيرة ضد داعش هي واحدة من الصفحات المشرقة التي سجلتها المرجعية الرشيدة في

الوقوف ضد الإحتلال وضد الحركات التكفيرية المتطرفة والتي تعتبر أحد أدواته، وهي وليدة العلاقة السرية غير الشرعية بين حركة التكفير وأجهزة الـ (السي آي أيه) حيث أنجبت هذا الكيان المسخ المسمى (داعش)، والذي ليس له مهمة سوى سفك الدماء، وإنتهاك الأعراض، وتخريب الأوطان.

لقد إعترف غير واحد من المسؤولين الأمريكيين ومنهم (هيلاري كلينتون) بأن تنظيم القاعدة وطالبان قد تم إنشاؤها في الغرف السرية المظلمة، وحتى الرئيس ترامب أثناء حملته الإنتخابية قد وجه الإتهام الى أوباما وكلينتون في صناعة (داعش). نعم (تنظيم داعش) هو أحد التنظيمات والأدوات التي إستخدمتها أمريكا لتحقيق أغراضها في المنطقة.

إن الحركة الوهابية لاتستطيع أن تعيش مع باقي المسلمين بشكل سلمي وسوي فهي تكفيرية وعدوانية وتأخذ تعاليمها من نصوص متوحشة لاعلاقة لها بالإسلام العالمي السمح ولابتعاليمه المتعالية، وتأخذ تعاليمها من أولئك الذين إستباحوا قتل الناس من أجل عقال بغير!!! وتأخذ تعاليمها من أولئك الذين وضعوا آلاف النصوص المكذوبة ونسبوا الى الرسول وكانوا كيداً وحرصاً على الإسلام.

فقد كان يتقدم في المناطق الغربية من العراق ويرتكب في أثناء تقدمه أبشع عمليات القتل، وأسوأ عمليات التخريب والحرق والتدمير، وكان الإعلام الغربي وقربنه الإعلام العربي الرجعي يطبل له على مايرتكبه من آثام بحق الآمنين.

ولما أختطف هذا التنظيم مدينة الموصل، أخذ يردد ويتوعد بأخذ بغداد والنجف وكربلاء وأن يجعل أعزة أهلها أذلة وكذلك يفعلون، لكن أحلامه تبددت عندما أصدرت المرجعية الحكيمة فتوى الجهاد الكفائي بوجه تنظيم داعش الإرهابي وذلك بتاريخ ١٤/شعبان /١٤٣٥هـ ق الموافق ١٣/٦/٢٠١٤م، واندفع الناس شيباً وشباناً يتسابقون الى تنفيذ فتوى الجهاد التاريخية.

لقد كانت هذه الفتوى هي فتوى الفخر والإعتزاز؛ لأنها أفضلت المخطط الأمريكي الخبيث في تقسيم العراق والمنطقة، وتخريب بلدانها، واستنزاف خيراتها، ورسم خرائط جديدة تتناغم مع رقعة المصالح الأمريكية الآخذة بالتوسع، ويطيب لي أن أنقل نص تلك الخطبة الأصيلة الألمعية العصماء والتي ببركتها لاحت أعلام النصر وخفقت عالية في الأفق واندحر المشروع الأمريكي، وفيما يلي نص الخطبة التي ألقاها فضيلة الشيخ عبدالمهدي الكربلائي ممثل مرجعية السيد السيستاني (دام ظله)

لقد تم إستغلال الفكر الوهابي التكفيري من قبل أجهزة المخابرات الدولية وخاصة الأمريكية منها، لأن هذا الفكر لا يقيم وزناً للقيم الأخلاقية والإنسانية، ويستهتر بالأرواح لمجرد أنها لا تؤمن بما يؤمن به فكرهم المنحرف، وما أسهل قتل النفس التي بقتلها كأنما يُقتل الناس جميعاً على هذا التنظيم المسمى (داعش).

لقد إستخدموا هذا التنظيم المتوحش كجسر للوصول الى مآربهم وقتل في يوم واحد أكثر من (١٧٠٠) شهيد في قاعدة سبايكر الجوية وأخذوا يقتلون ويعيثون في الأرض فساداً، وهانحن الى اليوم نعاني من ويلات آثار ذلك القتل والتخريب؛ فقد قُدر حجم التخريب في الموصل بعشرات المليارات من الدولارات ولا زالت بعض العوائل النازحة بلا مأوى من بركات ذلك التنظيم الهمجي الصحراوي.

نعم هذا التنظيم الإرهابي ليس له ذمة، وليس له أخلاق، وليس فيه رحمة تستمتع تحت ظلها البشرية، ولو قُدر لهذا التنظيم المتوحش أن يحكم في الأرض لما ترك على ظهرها من دابة إلا وقد أخذه وأوثقه وقتله، لأن هذا الفكر المنحرف قائم على سلب حق الحياة الذي وهبه الله للجميع وتحديده في فئتهم الضالة المتطرفة.

لقد خرج هذا التنظيم الدموي من جحوره الى العلن في العراق، وكان خروجه نذير شئم على الشعب العراقي؛

والتي ورد فيها نص الفتوى الشهير:

(إن العراق وشعبه يواجه تحدياً كبيراً وخطراً عظيماً وإن الارهابيين لا يهدفون إلى السيطرة على بعض المحافظات كنيوى وصالح الدين فقط بل صرحوا بأنهم يستهدفون جميع المحافظات ولا سيما بغداد وكربلاء المقدسة والنجف الأشرف، فهم يستهدفون كل العراقيين وفي جميع مناطقهم، ومن هنا فإن مسؤولية التصدي لهم ومقاتلتهم هي مسؤولية الجميع ولا يختص بطائفة دون أخرى أو بطرفٍ دون آخر.

إن التحدي وإن كان كبيراً إلا أن الشعب العراقي الذي عرف عنه الشجاعة والإقدام وتحمل المسؤولية الوطنية والشرعية في الظروف الصعبة أكبر من هذه التحديات والمخاطر.

أنه لا يجوز للمواطنين الذين عهدنا منهم الصبر والشجاعة والثبات في مثل هذه الظروف أن يدب الخوف والاحباط في نفس أيٍّ واحدٍ منهم، بل لا بد أن يكون ذلك حافزاً لنا للمزيد من العطاء في سبيل حفظ بلدنا ومقدساتنا. ودعا الكربلائي القيادات السياسية الى ترك الاختلاف والتناحر ولاسيما خلال هذه الفترة العصيبة وحثهم على توحيد مواقفهم ودعمهم واسنادهم للقوات المسلحة ليكون ذلك قوة إضافية لأبناء الجيش العراقي في الصمود

والثبات، موضحاً انهم - أي القيادات السياسية - أمام مسؤولية تاريخية ووطنية وشرعية كبيرة.

واضاف الكربلائي: ان دفاع أبنائنا في القوات المسلحة وسائر الأجهزة الامنية هو دفاع مقدس، ويتأكد ذلك حينما يتضح أن منهج هؤلاء الارهابيين المعتدين هو منهج ظلامي بعيد عن روح الاسلام، يرفض التعايش مع الآخر بسلام ويعتمد العنف وسفك الدماء وإثارة الاحتراب الطائفي وسيلة لبسط نفوذه وهيمنته على مختلف المناطق في العراق والدول الأخرى.

وخطب الكربلائي ابناء القوات المسلحة قائلاً: اجعلوا قصدكم ونيتكم ودافعكم هو الدفاع عن حرمت العراق ووحدته وحفظ الأمن للمواطنين وصيانة المقدسات من الهتك ودفع الشر عن هذا البلد المظلوم وشعبه الجريح.

ثم قال الكربلائي: وفي الوقت الذي تؤكد فيه المرجعية الدينية العليا دعمها واسنادها لكم فانها تحثكم على التحلي بالشجاعة والبسالة والثبات والصبر وتؤكد على إن من يضحي بنفسه منكم في سبيل الدفاع عن بلده وأهله وأعراضهم فإنه يكون شهيداً إن شاء الله تعالى. وأضاف: المطلوب أن يحث الأبُّ ابنه والأمُّ ابنتها والزوجة زوجها على الصمود والثبات دفاعاً عن حرمت هذا البلد ومواطنيه. وتابع قائلاً: إن طبيعة المخاطر المحدقة

بالعراق وشعبه في الوقت الحاضر تقتضي الدفاع عن هذا الوطن وأهله وأعراض مواطنيه وهذا الدفاع واجب على المواطنين بالوجوب الكفائي، بمعنى أنه إذا تصدى له من بهم الكفاية بحيث يتحقق الغرض وهو حفظ العراق وشعبه ومقدساته يسقط عن الباقيين.

ثم قال: ومن هنا فان المواطنين الذين يتمكنون من حمل السلاح ومقاتلة الارهابيين دفاعاً عن بلدهم وشعبهم ومقدساتهم عليهم التطوع للانخراط في القوات الأمنية.

واختتم ممثل المرجع السيد السيستاني كلامه بقوله: إن الكثير من الضباط والجنود قد أبلوا بلاءً حسناً في الدفاع والصمود وتقديم التضحيات فالمطلوب من الجهات المعنية تكريم هؤلاء تكريماً خاصاً لينالوا استحقاتهم من الثناء والشكر وليكون حافزاً لهم ولغيرهم على أداء الواجب الوطني الملقى على عاتقهم^(٢٨)

وعندما نثر الشيخ الكربلائي درر الفتوى على رؤوس الأشهاد بقوله (وفي الوقت الذي تؤكد فيه المرجعية الدينية العليا دعمها واسنادها لكم فانها تحثكم على التحلي بالشجاعة واليسالة والثبات والصبر وتؤكد على إن من يضحي بنفسه منكم في سبيل الدفاع عن بلده وأهله وأعراضهم فإنه يكون شهيداً إن شاء الله تعالى)^(٢٩) عند ذلك مضى الناس من فورهم يتسابقون على الفوز بشرف

الدفاع عن وطنهم، ونيل وسام الشهادة، وقدموا أغلى مايملكون وجادوا بأنفسهم الزكية (والجود بالنفس أقصى غاية الجود).

وكان قد نفر فريق من العلماء الأجلاء لتلبية نداء الواجب في الدفاع عن الوطن:

قوم اذا نودوا لدفع ملمةٍ
والخيل بين مدعس ومكردس
لبسوا القلوب على الدروع واقبلوا
يتهافتون على ذهاب الأنفس
نصروا الحسين فيا لها من فتية
عافوا الحياة والبسوا من سندس

إن القلم ليعجز عن وصف أولئك الذين نفروا من فورهم إستجابة لنداء المرجعية ولاسيما العلماء الأجلاء؛ الذين تطوعوا للتفقه في الدين وأنفقوا ماتعلموه وألقوه على مسامع الناس، ثم لما رأوا ان باب الجهاد - الذي فتحه الله لخاصة أوليائه - قد فتح بتلك الفتوى التاريخية إنطلقوا ملبيين نداء الواجب وأختارهم الله الى دار السلام والمأوى الحقيقي.

لقد استشهد في اثناء معارك الجهاد ضد داعش عدد من السادة العلماء والمشايخ الأجلاء بعد ان صدقوا

ما عاهدوا الله عليه، ونذكر منهم:

١- الشهيد الشيخ نجم عبود ضاحي السبتي

٢- الشهيد الشيخ علي السراي

٣- الشهيد الشيخ إبراهيم مالك العامري

٤- الشهيد السيد محمد قاسم الناجي

٥- الشهيد السيد رزاق خشن المكصوسي

٦- الشهيد السيد جعفر إسماعيل الموسوي

٧- الشهيد السيد جاسم محمد شبر

٨- الشهيد السيد جاسم عبادي الموسوي

٩- الشهيد السيد باسم حمادي البطاط

١٠- الشهيد الشيخ عبد الجبار توفيق الحلفي

١١- الشهيد الشيخ ضياء عبد الكاظم نوماس ساهي

الغزي

١٢- الشهيد الشيخ صفاء طه عبد الرزاق الخطيب

١٣- الشهيد الشيخ خميس عبد الحسين المنصوري

١٤- الشهيد الشيخ حيدر مهدي العامري

١٥- الشهيد الشيخ حسن هادي محمد العتيبي

١٦- الشهيد الشيخ جعفر عبد الكاظم المظفر

١٧- الشهيد الشيخ جاسم لطيف شريف منشد العتابي

١٨- الشهيد الشيخ باسل أحمد عبد الرضا الطائي

١٩- الشهيد الشيخ أنور عامر عبد الغني الوزير الفتلاوي

٢٠- الشهيد الشيخ أحمد يوسف محسن غضيب

الزبيدي

٢١- الشهيد الشيخ إبراهيم حسين الزبيدي

٢٢- الشهيد السيد عبد الرضا علي الفياض

٢٣- الشهيد الشيخ طعمة راهي المرشدي

٢٤- الشهيد الشيخ حيدر رحيم هاشم علي الساعدي

٢٥- الشهيد الشيخ سالم جاسم لفته العبادي

٢٦- الشهيد الشيخ أحمد راضي كريم رسن العواجي

٢٧- الشهيد الشيخ مشتاق عبد القادر الزبيدي

٢٨- الشهيد السيد عبد الرحمن نعمة الموسوي

٢٩- الشهيد الشيخ حسن عبد علي العيساوي

٣٠- الشهيد السيد عبد الله إبراهيم الحسيني

٣١- الشهيد الشيخ منعم عبد الحسن اللامي

٣٢- الشهيد الشيخ لقمان عبدالخضر البدران

٣٣- الشهيد الشيخ علي ناصر المالكي

٣٤- الشهيد السيد جعفر الموسوي

٣٥- الشهيد الشيخ عبدالحسين لازم جابر الحلفي

٣٦- الشهيد الشيخ عبدالغفار نوري جناح المنصوري

٣٧- الشهيد الشيخ رضا عبدالرزاق رضا المياحي

٣٨- الشهيد الشيخ مصطفى فاروق مهدي علي
البريسم الحلفي

٣٩- الشهيد الشيخ سالم عبيد جواد الجبوري

٤٠- الشهيد الشيخ جبار صدام عبدالنبي التميمي

٤١- الشهيد الشيخ علي عبدالزهرة رزوقي سلطان

٤٢- الشهيد الشيخ عبدالجليل نعيم حسن القطيفي

٤٣- الشهيد الشيخ حسن الكربلائي.

ماهو الموقف الشرعي من الإحتلال الأمريكي

بعد أن رأينا أن المرجعية الدينية تصف التواجد الأمريكي على أرض العراق بـ (الإحتلال)، لاسيما وأن هذا الإحتلال يأتي بذرائع وهمية مثل مكافحة الإرهاب وغيره.

لقد قامت أمريكا بتأسيس (١٢) قاعدة أو معسكر، وفيها أكثر من (٥٢٠٠) عسكري أمريكي وتنتشر تلك القواعد ذات المهام المتعددة في وسط وشمال وغرب العراق، وهذه القواعد العسكرية لا تحترم قوانين الدولة العراقية فقد إنتهكت أجواء العراق وقتلت لمرات عديدة أبناء الشعب العراقي كما أنها تحاول خلق التبريرات لإدامة وجودها في العراق هذا عدا إستخدامها لأرض العراق في تهديد دول الجوار ومنها الجمهورية الإسلامية الإيرانية.

إن الموقف الشرعي بعد ان رأينا توصيفات المرجعية الدينية العليا يستدعي أن نستند في مقام العمل الى ماتريده تلك المرجعية الرشيدة في إستخدام الطرق القانونية لإخراج المحتلين من أرض العراق وتحقيق سيادته ووحدته، لاسيما وأن ساسة العراق مقبلون على التفاوض مع الأمريكان.

إن وجود الإحتلال الأمريكي لم يحقق للعراق سوى المزيد من المآسي، ولايوجد إنجاز واحد حققه الأمريكان للعراق وحسبنا أن نشير الى الأمن وعشرات الشركات الأمنية الأمريكية والتي قبضت مئات الملايين من الدولارات من أموال العراق، ولم تحقق أمريكا للعراق إلا المزيد من الدماء والتداعي الأمني، ناهيك عن الملفات الأخرى والتي كانت فيها أمريكا هي السبب الأصلي

المعقل.

الأمريكي بـ (الإحتلال - والمحتل - وسلطة الإحتلال - والغزو) وقاومت المرجعية خطوات الإحتلال في البقاء على أرض العراق ورفضت مشاريعه في تأسيس مجلس غير منتخب وسعت بكل السبل والوسائل القانونية في أن يحكم الشعب نفسه بنفسه وأن تصدر القوانين من إرادة حرة نزيهة غير خاضعة لسلطة الإحتلال وقدمت المرجعية نصحتها المتكرر للساسة العراقيين في سبيل الحفاظ وحدة العراق واستتباب الأمن والاستقرار فيه.

لقد قدم العراق آلاف الشهداء في مقاومة الإحتلال الأمريكي وصنيعته داعش الوهابية، وقد سطر أبناء العراق أروع الملاحم، ونتمنى أن يكون الساسة على قدر المسؤولية في ميدان إحقاق حقوق الشعب العراقي وأن يكون موقفهم هو استمرار لنهج الشهداء وخطهم المقاوم لقوى الهيمنة وأذئابها.

العالم العربي فولكهارد فيندفور، وقد أجاب عنها سماحة السيد السيستاني بتاريخ ٢٤/ذي الحجة /١٤٢٤هـ.ق.

[٤] أسئلة مجلة دير شبيغل الألمانية والتي طرحها مراسل المجلة في العالم العربي فولكهارد فيندفور، وقد أجاب عنها سماحة السيد السيستاني بتاريخ ٢٤/ذي الحجة /١٤٢٤هـ.ق.

[٥] أسئلة صحيفة نيويورك تايمز الأمريكية في الأشهر الأولى من الإحتلال الأمريكي للعراق.

إن الموقف الشرعي يتطلب الأخذ بزمام الأمور في مطالبة الأمريكان بالرحيل عن العراق لاسيما وأن المرجعية الدينية تنظر الى الإحتلال بعين الشك والريبة وأنه يقف وراء كل ما يحصل من أزمات ومشكلات تعصف بالبلد ولاسيما أيضاً أن البرلمان العراقي قد أصدر قراره بالأكثرية على ضرورة خروج القوات الأجنبية وخاصة الأمريكية من العراق بعد إستباحتها لدماء أبنائه وإنتهاكاتها المتكررة لسيادة العراق وإنتفاء الحاجة إليها.

النتيجة

إن مرجعية سماحة السيد السيستاني هي إمتداد للخط المرجعي الأصل حيث وقفت في وجه الإحتلال في مواقف كثيرة ونعتت التواجد الأجنبي وخاصة التواجد

الهوامش:

[١] أسئلة مجلة دير شبيغل الألمانية والتي طرحها مراسل المجلة في العالم العربي فولكهارد فيندفور، وقد أجاب عنها سماحة السيد السيستاني بتاريخ ٢٤/ذي الحجة /١٤٢٤هـ.ق.

[٢] أسئلة مجلة دير شبيغل الألمانية والتي طرحها مراسل المجلة في العالم العربي فولكهارد فيندفور، وقد أجاب عنها سماحة السيد السيستاني بتاريخ ٢٤/ذي الحجة /١٤٢٤هـ.ق.

[٣] أسئلة مجلة دير شبيغل الألمانية والتي طرحها مراسل المجلة في

[١٥] رسالة تعزية في ٢٢/ جمادي الآخرة / ١٤٢٤هـ ق من قبل مكتب سماحة السيد السيستاني الى كوفي عنان الأمين العام للأمم المتحدة.

[١٦] بيان صادر من مكتب سماحة السيد السيستاني بتاريخ ٢/ رجب / ١٤٢٤هـ ق، حول إغتيال الشهيد السيد محمد باقر الحكيم (طاب ثراه).

[١٧] بيان مكتب السيد السيستاني (دام ظلّه) الصادر بتاريخ ١٠ / محرم الحرام / ١٤٢٥هـ ق حول مجازر مدينتي كربلاء والكاظمية في يوم عاشوراء.

[١٨] رسالة من مكتب السيد السيستاني (دام ظلّه) صادرة بتاريخ ١٧ / ربيع الثاني / ١٤٢٥هـ ق الموافق ٦/٦ / ٢٠٠٤م الى رئاسة مجلس الأمن الدولي تحذر من الإشارة إلى قانون إدارة الدولة للمرحلة الإنتقالية في القرار الدولي ١٥٤٦.

[١٩] رسالة سماحة السيد السيستاني (دام ظلّه) الصادرة بتاريخ ٢٢ / جمادي الآخرة / ١٤٢٧ هـ ق الى الشعب العراقي حول الفتنة الطائفية.

[٢٠] خطبة الجمعة للممثل المرجعية الدينية السيد أحمد الصافي في الحرم الحسيني المقدس بتاريخ ٧ / جمادي الأولى / ١٤٣٣هـ ق، الموافق ٣٠ / آذار / ٢٠١٢م.

[٢١] خطبة الجمعة للممثل المرجعية الدينية السيد أحمد الصافي في الحرم الحسيني المقدس بتاريخ ٢٨ / صفر / ١٤٣٧هـ ق، الموافق ١١ / كانون الأول / ٢٠١٥م.

[٢٢] خطبة الجمعة للممثل المرجعية الدينية السيد أحمد الصافي في الحرم الحسيني المقدس بتاريخ ١٠ / ربيع الأول م / ١٤٣٣هـ ق الموافق ٢/٣ / ٢٠١٢م.

[٦] أسئلة صحيفة لوس أنجلوس الأمريكية والإجابة عنها من قبل مكتب سماحة السيد السيستاني بتاريخ ٢ / جمادي الأولى / ١٤٢٤هـ ق.

[٧] أسئلة صحيفة لوس أنجلوس تايمز ٢ والإجابة عنها من قبل مكتب سماحة السيد السيستاني في تاريخ ٤ / جمادي الثاني / ١٤٢٤هـ ق.

[٨] أسئلة وكالة رويترز والإجابة عنها من قبل مكتب سماحة السيد السيستاني (دام ظلّه).

[٩] أسئلة صحيفة واشنطن بوست والإجابة عليها من قبل مكتب سماحة المرجع السيستاني.

[١٠] أسئلة صحيفة واشنطن بوست من قبل مراسلها أنطوني شديد حول ١٥/١١/٢٠٠٣م، والإجابة عليها من قبل مكتب سماحة السيد السيستاني في ٣ / شوال / ١٤٢٤هـ ق.

[١١] أسئلة صحيفة واشنطن بوست من قبل مراسلها أنطوني شديد، والإجابة عليها من قبل مكتب سماحة السيد السيستاني في تاريخ ٢٧ / شعبان / ١٤٢٤هـ ق.

[١٢] أسئلة صحيفة واشنطن بوست من قبل مراسلها أنطوني شديد، والإجابة عليها من قبل مكتب سماحة السيد السيستاني في تاريخ ٢٧ / شعبان / ١٤٢٤هـ ق.

[١٣] رسالة موجهة من مكتب السيد السيستاني دام ظلّه في النجف الأشرف بتاريخ ٢٧ / محرم / ١٤٢٥هـ ق إلى السيد الأخضر الابراهيمي جواباً على رسالة منه.

[١٤] رسالة موجهة من مكتب السيد السيستاني دام ظلّه في النجف الأشرف بتاريخ ٢٧ / محرم / ١٤٢٥هـ ق إلى السيد الأخضر الابراهيمي جواباً على رسالة منه.

[٢٣] خطبة الجمعة لممثل المرجعية الدينية الشيخ عبدالمهدي الكربلائي والتي أقيمت في العتبة الحسينية المقدسة بتاريخ ٢١ / ذي الحجة / ١٤٣٢ هـ الموافق ١٨-١١-٢٠١١ م

[٢٤] خطبة الجمعة لممثل المرجعية الدينية العليا السيد احمد الصافي في الحرم الحسيني المقدس بتاريخ ٢٨ ذو الحجة ١٤٣٢ هـ الموافق ٢٥/١١/٢٠١١ م.

[٢٥] خطبة الجمعة لممثل المرجعية الدينية الشيخ عبدالمهدي الكربلائي والتي أقيمت في العتبة الحسينية المقدسة بتاريخ ١٤ / شعبان / ١٤٣٥ هـ ق، الموافق ١٣/٦/٢٠١٤ م

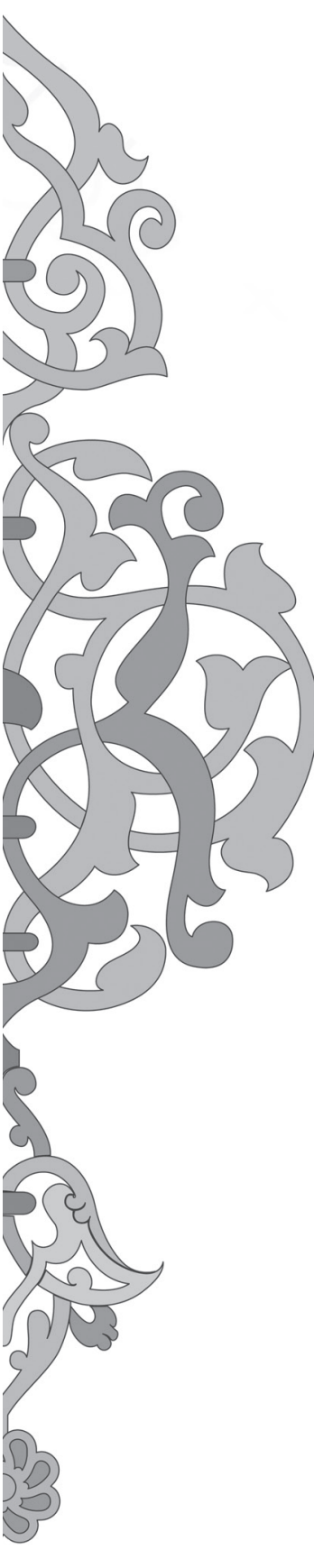
[٢٦] خطبة الجمعة للممثل المرجعية الدينية السيد أحمد الصافي في الحرم الحسيني المقدس بتاريخ ١٤ / جمادي الأولى / ١٤٤١ هـ

ق، الموافق ١٠/١/٢٠٢٠ م.

[٢٧] خطبة الجمعة للممثل المرجعية الدينية السيد أحمد الصافي في الحرم الحسيني المقدس بتاريخ ٢٨ / جمادي الأولى / ١٤٤١ هـ ق، الموافق ٢٤/١/٢٠٢٠ م.

[٢٨] خطبة الجمعة لممثل المرجعية الدينية العليا في كربلاء المقدسة فضيلة الشيخ عبدالمهدي الكربلائي في تاريخ ١٤/شعبان / ١٤٣٥ هـ ق، الموافق ١٣/٦/٢٠١٤ م.

[٢٩] خطبة الجمعة لممثل المرجعية الدينية الشيخ عبدالمهدي الكربلائي والتي أقيمت في العتبة الحسينية المقدسة بتاريخ ١٤ / شعبان / ١٤٣٥ هـ ق، الموافق ١٣/٦/٢٠١٤ م



تأثير الإمام الخميني قاسمه على الاتجاه الديني في عالمنا المعاصر

❖ د. علي رضا محمدي (*)

(*) باحث وكاتب، الجمهورية الإسلامية الإيرانية.

مما لاشك فيه ان اسم الامام الخميني امتزج مع التاريخ المعاصر للعالم فهو بلاشك رجل القرن و محيي التراث الاسلامي العظيم في زمننا الراهن. اذ نلاحظ انه رغم سيطرة و هيمنة الثقافة الغربية و انبهار عدد كبير من البشرية بظواهرها الزاهية و البراقة فتح طريق جديد امام انسان اليوم واسس مدرسة اصيلة لاحياء القيم و المبادئ الاسلامية في عالمنا اليوم.

و هذا المقال يتولى دراسة اهم تأثيرات ثورة سماحة الامام على عالم الغرب و مفهوم الغرب في هذا المقال لاييني المساحة الجغرافية للغرب و انما يشمل اوسع من ذلك حيث يتم التأكيد اكثر على الابعاد الثقافية و الحضارية التي حدثت في المحيط الجغرافي الغربي خاصة بعد النهضة الجديدة. وعلى هذا الاساس يعني الغرب في هذا المقال الفكر الديني العلماني التجريبي الذي يتميز

بفرض الهيمنة المادية و الاستثمار المادي الذي تمتد جذوره ليس في ظاهري الغرب و انما في جميع الاهواء والرغبات النفسية للانسان و انانيته و حبه لنفسه فقط.

١- الاتجاه الى المعنوية احياء الدين والتدين:

ان الانتشار السريع للافكار الالحادية و الابتعاد عن الله عزوجل و اتجاه بعض بلدان العالم الى النظام الغربي السياسي العلماني، قد جعل الكثير من المفكرين يصدقون بأن الانزواء والانهيار والفشل الكامل سيكون المصير المحتوم للاديان الالهية. الا ان نهضة الامام الخميني و نجاح و انتصار الثورة الاسلامية بقيادته لم تستطع فقط تغيير الخطاب الديني في ايران و انما خلقت ظروف تشير الى دخول العالم في مرحلة تختلف عن المراحل الماضية و في عصر يمتاز بخصوصيته الدينية و المعنوية الممتازة.

و مكونات الغرب و هذا هو سر نجاحه و سر شعور اتباعه بالفخر).

كما أن شبكة تلفاز بي بي سي ابدت و جهة نظرها في هذا المجال و قالت: (ان ماحدث في ايران عام ١٩٧٩ كان نقطة عطف ليس للايرانيين فحسب و انما لجميع الاديان السماوية في العالم، نقطة عطف تحكي عن عودة الملايين من البشرية في جميع انحاء العالم الى العقيدة و المبادئ الدينية و حسب تعبير هذه الشبكة: (في انحاء العالم التجأ بقية اتباع الاديان مثل المسيحية و اليهودية و الهندوسية ايضاً الى العقيدة و المبادئ المذهبية، و حتى في تركيا ايضاً التي كانت قد دخلت قبل ٧٠ عاماً في حرب ضد الدين نلاحظ ان عملية العودة الى الدين اخذت تزداد فيها بسرعة.

وفي هذا المجال يشير اية الله مصباح اليزدي في معرض اشارته الى موضوع محاربة الدين و الاتجاه الالحادي في اوربا و الغرب خلال القرون الاخيرة و الذي امتد الى بعض البلدان الاسلامية مثل ايران في زمن الحكم البهلوي قائلاً: (ان اهم انجازات حركة الامام الخميني كانت احياء الدين و التدين في العالم بحيث ان بركة هذه الحركة لم تشمل اتباع الدين الاسلامي فقط و انما ادت الى عودة الحياة للاديان الاخرى مثل المسيحية

و من وجهة نظر الكثير من الكتاب و الخبراء المحللين ان تجديد الحياة المعنوية و الدينية للبشرية قد بدأت بانتصار الثورة الاسلامية في ايران و من هنا ينبغي اعتبار عقد الثمانينات من القرن الماضي اول عقد لهذا التجديد. من هذه الزاوية اذا اردنا ان نحدد تاريخاً لحياء الهوية الدينية فان هذا التاريخ سيكون عام ١٩٧٩ م يعني تزامنا مع انتصار الثورة الاسلامية في ايران التي اوجدت حركة عظيمة و قفزة كبيرة في الفكر الديني لجميع الاديان. فأخر الاحصائيات التي تم اجراءها حول احياء الفكر الديني في عام ١٩٩٠ تشير الى ان ٧٠% من سكان اوربا يشعرون بالتدين. كما نلاحظ ان في جميع الاديان من الهندوسية و حتى البوذية و انواع الفرق المسيحية تحكي عن نوع من العودة الى الفكر الديني وان الثور الاسلامية الايرانية أدت الى احياء الفكر الديني في العالم. فشخصية الامام و نداءاته و رسائله المعنوية قد تركت تأثيراً كبيراً على اتباع بقية الاديان و المذاهب، و حتى ان بعض العلماء و المفكرين المسيحيين وصفوه بانه كان (مسيح العصر) و كان نموذجاً لصلاية و عدم مساومة عيسى بن مريم عليه السلام. و من وجهة نظر مجلة (اوبزرفر) الاسبوعية (ان الامام الخميني كان رجلاً كبيراً دعى الناس مثل الانبياء القدماء لاتباع المبادئ الدينية. وكانت دعوته و رسالته للناس تبين اخلاصه في العقيدة و انتهاج الحياة البسيطة ازاء تعقيدات

ايضاً و بالتالي ازداد الاتجاه الى الدين و التدين بين جميع الشعوب الاخرى ايضاً).

كما اشار اية الله مصباح اليزدي ايضاً الى تصريح بطريرك مسيحي من المكسيك عندما التقى به حيث قال البطريرك: (ان هذا الفخر خاص بكم حيث استطعتم ان تحيوا الايمان في العالم و الافضل من ذلك قد مزجتم بين موضوع ادارة البلد و التدين فنحن المسيحيون لانستطيع ان نحفظ الايمان بين الناس و ذلك لان الناس قد فقدوا ثقتهم بنا والاسوء من ذلك لم نتمكن من المزج بين التدين و ادارة البلد. كمل تحدث بعض المسيحيون عن مدى تأثيرهم العميق بمكانة و عظمة و صبر و حلم الامام الخميني في اول لقاء لهم بالامام. و حسب تعبير ميشيل فوكو عالم مابعد الحداثة الفرنسي: (ان الامام الخميني منادي المعنوية و الروح الجديدة لعالم قد فقد معنويته و روحه في عصرنا الحاضر).

٢- الاجماع بين المعنوية والحكم:

في القرون الجديدة و ما قبل انتصار الثورة العظيمة للامام الخميني كان امكانية الاجماع بين المعنوية و الحكم في الشرق و الغرب اسطورة و امراً

مستحيلاً. و مثل هذه العقيدة و هذا الفكر كان مهيمناً ليس على الرأي العام فحسب بل كانت جميع النصوص الاكاديمية و الجامعية في مجال السياسة متفقة على ذلك. بحيث ان (برنارد واندوبل) صاحب اسطورة خلية النحل في الغرب الذي يعتبر من اوائل و طلائع تيار الحداثة الغربية يقول: (ان الاخلاق منفصلة عن الحكم و هاتين المقولتين لاتتلائم مع بعضها ابداً و لايمكن ادارة المجتمع و الحكومة بمايطرح في موضوع الاخلاق باسم الفضيلة الخلقية). كما يصرح بانه اذا كان من المقرر ان يكون جميع الناس من اهل الزهد و التوكل و الايثار و الشجاعة فلا يعد بالامكان بناء نظام اجتماعي و تشكيل حكومة. فالمجتمع خلافا لهذه القيم وانه ينبى على ما يطلق عليه اسم الرذيلة). و في الواقع ان التقدم و التنمية و الاعمار و رفاه المجتمع يحصل عندما لا يكون الناس من اهل الكرم و الانفاق و التضحية، و انما بالعكس يحصل عندما يكون الناس من اهل الطمع و الحسد و الانانية و عدم القناعة بالقليل. ففي مثل هذه الظروف يمكن ان يعيش الانسان اجتماعياً. كما ان الفلسفة السياسية الحديثة ايضاً تركز على هذه الفرضية ايضاً و على اساس ذلك تشكلت ثلاثة مذاهب و هي

الماركسية والليبرالية و الفاشية كنتيجة للحدثة الغربية في القرن الماضي و فرضت سيطرتها الخبيثة على العالم. و قاموا بالتنظير لأكثر الحروب دموية في تاريخ البشرية باعتبارها مكاتب لتوجيه الحروب و سفك الدماء.

الأ أن الامام الخميني اربك هذه المعادلة و الموازنة و غيرها وفي الحقيقة تحدى الغرب و الحياة الغربية ذات الاتجاه الاحادي من خلال طرحه مشروع الحياة المعنوية و الباطنية للبشرية و تقديم نموذج دقيق و فاعل باسم الجمهورية الاسلامية و أعلن بان الاجواء الاحادية و غير المعنوية للغرب لايمكن ان تستمر للأبد، و ان الانسان الغربي سيتعب يوماً من الحياة في الاجواء المادية و انه سيضطر لامناص بالاتجاه الى المعنوية، و الحقيقة ان الانسان اليوم يتجه نحو انتهاء فترة انفصال المادية عن المعنوية، المادية التي اوصلت الانسان الى نفق مسدود، و الان حان زمن تعتبر فيه النشاطات المادية استعداداً لرقى تسامي الانسان معنوياً و نفس هذا الفكرة ستعيد اليوم او غداً البشرية الى الدين. فالاسلام دين يتمكن من خلال تنظيم النشاطات المادية ان يفتح المجال للرقى المعنوي

للانسان.

تأسيساً على ذلك لم تعد العلمانية اليوم كنظرية غير مرغوبة فسحب و انما يعتقد اصحاب النظريات في الغرب ان ما يهدد الثقافة الغربية هي العلمانية بذاتها. و قد اعترف بريجنسكي بذلك حيث قال: (ان العلمانية اللادينية السائدة على انحاء الغرب، تربي في داخلها دمار الثقافة الغربية و بالتالي فان ما يعرض قوة اميركا العظمى الى الزوال هي نفس هذه العلمانية اللادينية. و يعتبر السبيل الوحيد للتخلص من هذه الازمة هو احياء عنصر الدين).

٣- مواجهة الافكار والايديولوجيات السائدة و تغيير النظام الدولي.

ان التأثير العميق لافكار الامام لم تكن محدودة قي البعد النظري و الفكري، و انما تركت تأثيرها على الصعيد العملي ايضاً و تمكنت من تغيير التوازن الموجود في النظام الدولي و تحدي المتطلبات السائدة على النظام الدولي بحيث ان هنري كسينجر مستشار الرئيس الاميركي في عقد السبعينات يعترف ويقول: (ان اية الله الخميني جعل الغرب يواجه أزمة حقيقية في مجال التخطيط، و كانت قراراته صاعقة

الى درجة سلبت اي نوع من الفكر و التخطيط السياسي من السياسين و المنظرين للسياسة. و لم يكن احد يستطيع ان يتكهن ماهي القرارات التي يتخذها، اذ كان يتحدث و يعمل بمعايير اخرى غير المعايير المعروفة في العالم. و يبدو كأنه يوحي اليه من مكان اخر، و ان عدا اية الله الخميني مع الغرب ناجم عن تعاليمه الالهية و حتى انه كان خالص النية في عداه ايضاً).

و تكتب صحيفة تايمز اللندنية في وصف سماحة الامام: (ان الامام الخميني كان رجل سحر الشعوب بكلامه، فقد كان يتكلم بلغة عامة الناس و كان يزرع الثقة في قلوب مؤيديه الفقراء و المحرومين. و هذا الشعور جعلهم قادرون على ازالة كل من يقف في طريقهم، و قد برهن للناس بانه حتى يمكن الوقوف امام قوى مثل اميركا دون الشعور بأي خوف). كما تمكن الامام من نقل جراءة توجيه النقد و الوقوف بوجه القوى العظمى. الى بقية قادة العالم و شعوب البلدان و ينتقدوا اداء النظام الدولي. كما ان هزيمة و فشل القوى العظمى و خاصة اميركا في ادارة التطورات في ايران قد برهن لجميع الشعوب بان قدرتهم و قوتهم كبيرة جداً يمكن الاعتماد عليها.

و كانت رسالة الامام الخميني الى غورباتشوف في

الواقع نقد على التغيرات الطموحة و الحصرية للحدثة مع وجود فروق بين اليمين و اليسار حيث انهم كانوا يظنون بأنه لايمكن ان يحدث أي تطور في العالم و أي تغيير علمي او اجتماعي او شعبي الا على اساس المعايير الغربية، فالامام في هذه الرسالة يبين آفاق تغيير المفاهيم في العالم و الادوار في المستقبل القريب و هي:

١- انهيار الماركسية و الشيوعية و ذهاب هذه الرؤية الى متاحف التاريخ

٢- تنامي العقيدة بالله عزوجل و التدين بين الشعوب العالم.

٣-تحرر الثوار في العالم من الحصار الحديدي للتغيرات الماركسية و النظريات الثورية اليسارية.

٤-فراغ يوتوبيا الرأسمالية الغربية.

٥- ضرورة اعادة النظر في ادراك بعض المفاهيم مثل: الله، الدين، الحديقة الخضراء لعالم الغرب، الانحطاط و النفق المسدود، مبدأ الوجود و الخلق، سجون الغرب و الشيطان الاكبر، التخيلات الماركسية، المعقول و المحسوس، الرقي و التطور، الانسان و الحيوان، الفراغ العقائدي، النظام العالمي و...

الحقيقة هو ان الاتجاهات الدينية التي هي على وشك

الظهور اليوم في المجتمعات الحديثة هي بادرة مفعمة بالامل تبشر بنوع من الوعي و الادراك لدى شعوب هذه البلدان و مما لاشك فيه ان الاجتماع العظيم للسود في الولايات المتحدة الاميركية في عام ١٩٩٥ في واشنطن و انطلاق صوت و صرخة الله اكبر بقوة امام البيت الابيض (مقر الرئاسة الاميركية) تعتبر دليل مبارك على نهضة معنوية و اخلاقية في قلب اخدى المجتمعات الحديثة.

٤- النهضات الاسلامية وحركات التحرير المعاصرة:

ان حياة الحركات و النهضات الاسلامية المعاصرة مدينة للثورة الاسلامية بقيادة بقيادة سماحة الامام عليه السلام وذلك لان ثورة سماحة الامام عليه السلام وهبت حياة جديدة للاسلام و المسلمين و انقذتهم من العزلة و الذل، وبرهنت عجز الماركسية و الليبرالية و القومية في ادارة و هداية المسلمين، و طرحت الاسلام بعنوان الحل الوحيد للحياة السياسية للمسلمين.

و يصرح سماحة قائد الثورة في هذا المجال: (رغم مرور اكثر من ١٥٠ عاماً من التخطيط الحديث و الشامل ضد الاسلام، قد حدث اليوم حركة اسلامية عظيمة في جميع انحاء العالم، حيث ان الاسلام استعاد حياته من

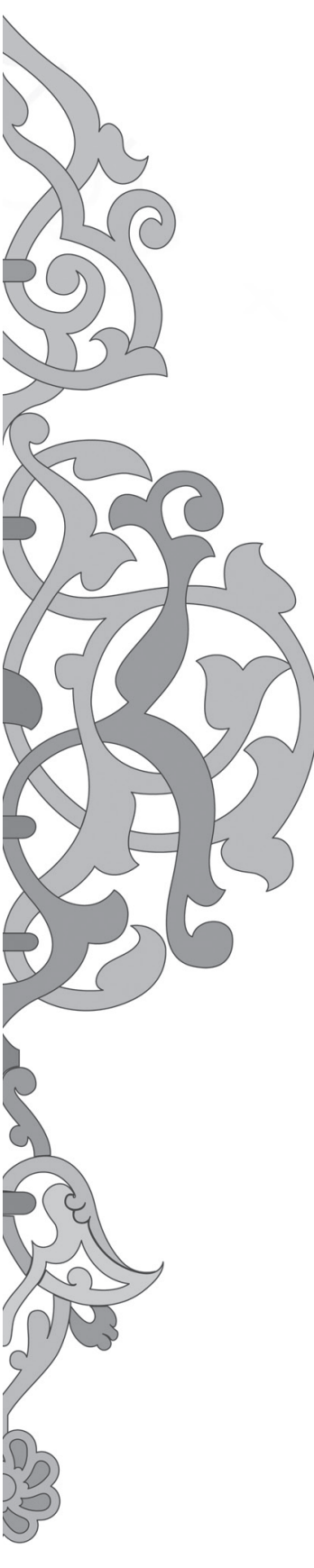
جديد في افريقيا و آسيا و حتى في قلب اوربا و ادرك المسلمين شخصيتهم و هويتهم الحقيقية.

يعتقد الامام الخميني عليه السلام ان الغرب يحاول فرض سيطرته الثقافية على الشرق و هذه السيطرة ستؤدي بلاشك الى انهيار النظام الثقافي للمجتمع الشرقي. و برأيه ان اصلاح المجتمع ينبغي ان يبدأ من اصلاح الثقافي لذلك المجتمع. واسلوب اصلاح الثقافي الذي قذمه الامام لعالم اليوم هو في الحقيقة انموذج و قدوة من التطور الثقافي في ظل الالتزام الثقافي. من هنا ان الجدل المنطقي للامام الخميني عليه السلام ضد الغرب كان يركز دائماً في مسير خاص يؤكد على حفظ و صيانة الاستقلال الثقافي. ومن وجهة نظر الامام ان مكافحة الثقافة الغربية الى جانب التطور الثقافي في اطار الثقافة الشرقية ينبغي ان يؤدي الى الاستقلال الثقافي. حيث يقول سماحته: (في النهاية ينبغي ان تتغير الثقافة و ان تتبدل الى ثقافة سالمة و الى ثقافة مستقلة و ثقافة انسانية). فالثورة الاسلامية من جهة أدت الى اتجاه شعوب العالم الى الدين و رقي الاتجاهات المعنوية و تضعيف الافكار المادية، كما أدت من جهة أخرى الى تبدلها الى قدوة لنضال الشعوب المظلومة في مختلف انحاء العالم.

الاستنتاج

ان ثورة الامام عليه السلام قد تركت تأثير وتطورات كبيرة ومذهلة على العالم الغربي من الناحية النظرية والعملية والتطلعية. و كما تفضل سماحة القائد المعظم بأن الامام عليه السلام مبشر العهود الجديدة لتاريخ الحياة البشرية بحيث ان المطالب المعنوية للبشر والاتجاه الديني و المذهبي للانسان سيظهر جلياً أكثر من العهود الماضية و القرون العديدة الاخيرة. طبعاً: ان الامام الخميني لم يكن نبياً جديداً، لكنه كان من المذكرين و من المخاطبين

بكلمة (أنت مذكر) الذين ذكروا الناس بعهدهم و ميثاقهم الفطري مع الله عزوجل... وبعد مرور عدة قرون من هبوط البشرية بصورة عامة قام مثل اسلافه من ابراهيم و اسماعيل ببداية عصر جديد من التدين بعد اجتياز مرحلة من الجاهلية. من هنا يجب ان نطلق على هذا العصر الجديد عصر الامام الخميني عليه السلام و أن تكون هذه الفترة من عصر الامام الخميني عصر الاسلام و عصر تفوق القيم الالهية و المعنوية فهذه الفترة و هذا العصر هو عصر الامام الخميني و سيرى شبابنا ان شاء الله هذا المستقبل.



مُطَارَحَاتُ فِي السِّيَاسَةِ وَالْاجْتِمَاعِ

❖ ضَرُورَةُ الْمَقَاوِمَةِ وَأَهْدَافُهَا فِي ظِلِّ الْإِمْتِهَابِ الْأَمْرِيكِيِّ .
❖ النَّشَاطُ الْخَرِيْبِيُّ الصَّهْيَوْنِيِّ فِي الْعِرَاقِ .

ضُرُورَةُ الْمُقَاوَمَةِ
وَأَهْدَافُهَا فِي ظِلِّ الْإِرْهَابِ الْأَمْرِيكِيِّ
مُرَاجِعَاتُ فِتْدَاعِيَّاتِ الْإِحْتِلَالِ وَأَثَارِهِ ٢٠٠٣ - ٢٠١٢ م

❖ د. غزوان جابر العلي (*)

(*) باحث وأكاديمي، العراق.

ظهور المقاومة - بوصفها مشروعاً وطنياً - ليس أمراً عبثياً واعتباطياً بلا أُسس وأهداف تحرّك المقاوم للعمل الذي يعرّض فيه حياته للخطر، إنّ وجود المقاومة كما مرّ أنفاً هو وجود طبيعي في ظل احتلال البلاد؛ لأجل إجهاض مشروع هذا الاحتلال، ومنعه من الاستمرار، وتحديد أكبر قدر ممكن من الخسائر التي لحقت بالعراق من جرائه.

هدف أية مقاومة هو إخراج المحتل، ولكن علينا فهم فهم النقطة بشكل أعمق، فلا يعني خروج المحتل مجرد سحبه للقوات العسكرية من الأرض المحتلة؛ ذلك أنّ الآلة العسكرية بحد ذاتها مجرد وسيلة لتحقيق هدف أو مجموعة أهداف استراتيجية متوسطة و بعيدة الأمد للبلد المحتل، وتأمين مصالحه على حساب مصالح الشعب العراقي، إنّ التحرير الناجز لا يتم إلا عبر أمور، وهي:
أولاً: انسحاب آخر جندي من جنود الاحتلال.

ثانياً: استقلالية القرار السياسي العراقي على وجه لا يكون للبلد المحتل -الولايات المتحدة الأمريكية- أيّ تأثير في صناعة ذلك القرار، و عدم قدرتها على التدخل و التحكم بالشأن العراقي الوطني الخاص.

ثالثاً: صيانة مكتسبات العملية السياسية، و قطع الطريق على أية مشاريع تتخذ اللبوس الوطني، في وقت تكون هي في واقعها ذراعاً للمحتل الأمريكي، إنها قضية مماثلة تماماً لواقع تاريخي مرّت به أغلب البلدان الإسلامية والعربية والأجنبية التي تعرّضت في فترة الاستعمار للاحتلال الغربي الذي طال عقوداً وأحياناً قروناً، ليكون بديل انسحاب تلك القوى الاستعمارية هو قوى داخلية أنتجت نظماً دكتاتورية تعمل لمصالح الأجنبي و تأمينها له، فكانت هي التعويض الاستعماري للجيوش الغازية.

رابعاً: الاستقلال الاقتصادي للعراق، وعدم التأسيس لأيّ شكل من أشكال مصادرة ونهب ثرواته الوطنية.

ولنناقش هذه النقاط بالتفصيل:

أولاً: الانسحاب العسكري الكامل

بعد احتلال العراق لم يكن هناك مجال للحديث عن خروج القوات الأمريكية والبريطانية ما لم يتمكن العراقيون من بناء بلدهم وقيادته، وهي ذات المقولة التي ردّتها قوات الاحتلال البريطاني في عشرينيات القرن المنصرم، فقد اشتركت المقلتان في قضية واحدة هي عدم أهلية العراقيين لقيادة دفة الحكم و تسييره ما لم يكن ذلك تحت الوصاية الأجنبية، بمعنى ربط انسحاب القوات المحتلة بمدى قناعة المحتل بأن العراقيين أصبحوا قادرين فعلاً على إدارة شؤونهم!

إلا أن التخطيط والأمنيات شيء والواقع الذي وجدت فيه الولايات المتحدة نفسها شيء آخر، إذ ما لبثت أن تصاعدت الأعمال العسكرية بوجهها، و بدأت تتشكل ملامح مقاومة واضحة في خطها الوطني وأهدافها، صاحبها ظهور مسلحين من نوع آخر هم الإرهابيون التكفيريون الذين سرعان ما وجدت بقايا حزب البعث فيهم ضالتها للاستمرار في قتل وإراقة دماء العراقيين الأبرياء.

لقد كانت بريطانيا تردّد في العشرينيات من القرن المنصرم أنها ستسحب بعد أن يصبح العراقيون قادرين على حكم بلادهم، وكأن الشعب العراقي مجموعة من البرابرة والهمجيين ولا يسعه إدارة شؤونه بنفسه، ومن ادعاءات بريطانيا آنذاك تأسيس نظام ديمقراطي للعراق دشنته بانتخابات عام ١٩٢٣ التي كانت أول انتخابات تجرى في العالم العربي، لكنها تعرضت لتزوير واسع النطاق، وجاءت بأناس أرادتهم الإدارة البريطانية، واستبعدت مكونات هامة من الشعب العراقي لا سيما الشيعة^(١)، فقد كان صعباً على بريطانيا وهي القوة العظمى أن تنسى مبلغ الذل الذي لحقها على يد المجاهدين الثوار في الجنوب العراقي.

لقد كان ادعاء بريطانيا هو إقامة نظام ديمقراطي، وعلى غرار ذلك ما دعت إليه الولايات المتحدة بعد سقوط نظام صدام حسين المقبور، ورددت نفس الحجج العقيمة وغير المنطقية، فوزير الدفاع السابق في حكومة ديليو بوش رامسفيلد صرّح: (أن الولايات المتحدة ستقيم في العراق نموذجاً للديمقراطية الرائدة في منطقة الشرق الأوسط، وأنها لن تسحب قواتها قبل أن يتمكن العراقيون من إقامة نظامهم

التعرض لها من قبل ما كانت تسميها بالمليشيات الشيعية،
و تقصد بها المقاومة.

ولا يختلف الحال بالنسبة الى القوات الأمريكية فهي
أيضاً سارت على نفس الخطوات التي خطتها بريطانيا مع
اختلاف التكتيكات التي لجأت إليها للحفاظ على ماء
وجهها أمام الرأي العام العالمي، فالمستتقع الجهنمي
الذي وجدته القوات الأمريكية التي على حسب تعبير أحد
جنرالاتها كانت تمسك بالأرض ليلاً وتسقط منها نهاراً، لم
يترك لها المجال إلا بالتفكير في الانسحاب الذي لم يكن
وارداً على الإطلاق في ذهن الإدارة الأمريكية التي
خطت للبقاء مدة طويلة جداً، بل وبحسب بعض ما ورد
في الصحف العالمية^(٤) كانت تخطط للبقاء قرنين من
الزمن، وهو وقت لا يهدف في واقع الأمر إلى التحديد
الزمني، بل إلى القول: إنهم باقون إلى الأبد، وهذا الأبد
يتحدد بمدى ما يتحقق من المصالح الأمريكية من
تواجدها العسكري في العراق، فقد يكون اقل بكثير وقد
يكون مخططاً له أكثر بكثير.

إن كل الحقائق والوقائع والمعطيات تؤكد بما لا يقبل
الشك أن الضربات العسكرية على يد المقاومة الوطنية
العراقية قد أجبرت الولايات المتحدة على تغيير خططها
الطويلة الأمد في العراق، و انتقلت من التفكير بالبقاء إلى

الديمقراطي وإدارة شؤونهم، ولا سيما فيما يتعلق
بالقدرة على حفظ الأمن^(٢)، ومن جانبها كانت
بريطانيا قد أعلنت عدم نيتها سحب قواتها من مدينة
البصرة قبل تحقيق كامل الأهداف التي دخلت
لأجلها تلك القوات عام ٢٠٠٣.

وكما حدث لبريطانيا في منتصف القرن العشرين من
اضطرابها لسحب قواعدها العسكرية الدائمة بفعل
المقاومة المسلحة والسياسية، أو كما يقول بيتر مانغولد:
وضعت القواعد البريطانية البرية والبحرية في وضع لا
يمكن الدفاع عنه إزاء مزيج من الضغط السياسي و نشاط
قوى المقاومة الوطنية المسلحة^(٣)، فكان للولايات
المتحدة أن تعيش وضعاً مشابهاً تحت وقع الضربات التي
وجهتها إليها المقاومة العراقية، فتراجعت خطوة إلى الوراء
عام ٢٠٠٥، وإذا بحكومة توني بليز تتحدث عن إستراتيجية
خروج، لكنها كانت لمدة من الوقت تتأرجح بين التأكيد
والنفي، وقد ردت حكومة بليز على دعوات أطلقها الرئيس
العراقي جلال الطالباني بسحب بريطانيا لقواتها عبر
تصريحات وزير الدفاع البريطاني جون ريد في مجلس
العموم البريطاني بالقول: إن بريطانيا قد تنسحب وقد لا
تنسحب نهاية العام، لينتهي المطاف بأن تخرج بريطانيا
بعد توسلات وجهود كبيرة بأن يتاح لها سحب قواتها دون

التفكير بكيفية الخروج، وكانت المستويات الضاغطة على الإدارة الأمريكية باتجاه الانسحاب تتمثل بما يلي:

أولاً: تعاظم الرفض في الرأي العام الأمريكي للبقاء في العراق بعد تزايد عدد الجنود القتلى والجرحى هناك، وقادت بعض المؤسسات والهيئات و عوائل الجنود مظاهرات و فعاليات أسهمت في الكشف عن أن الأمريكيين يتعرضون لخسائر جسيمة في الأرواح داخل العراق أكثر بكثير مما يعلن عنه من بضعة مئات من القتلى والجرحى في القائمة الشهرية التي يصدرها البنتاغون^(٥).

ثانياً: انقراط عقد التحالف الدولي الذي قادته الولايات المتحدة لإضفاء الشرعية على قرار الاحتلال، وذلك بعد أن تعرضت قوات تلك الدول لعلميات مقاومة شرسة، واضطرار جنودها للرد العشوائي، وسقوط عشرات القتلى من العراقيين، كما حدث مع للقوات الأسبانية في مدينة النجف، الأمر الذي خشيت منه حكومات تلك الدول من أن يتسبب في تشويه سمعتها وإحاقها بالولايات المتحدة وتزايد كراهية الشعوب الإسلامية والعربية لها، وبالتالي وضعها في موقف لا تحسد عليه، فلم يكن أمامها إلا الانسحاب وسط دعوات شعبية في داخل تلك البلدان لتحقيق هذا الهدف^(٦).

ثالثاً: اتضح أن استمرار القوات المحتلة مع استحالة

الإمساك بزمام الأمور في العراق سيزيد من سلسلة الأخطاء المرتكبة، وسيكلفها الكثير على مستوى سمعتها العسكرية فضلاً عن خسائرها الجسيمة التي تضرّ بجيوشها ومعنويات جنودها على المدى المتوسط والبعيد.

رابعاً: الكلفة المادية الباهظة، فقد كانت الولايات المتحدة تتحمل تكاليف مادية غير مسبقة بفعل ما تتطلبه عمليات قواتها العسكرية، وتوفير العدد والتجهيزات وأعمال حفظ الأمن لقواعدها من الهجمات المستمرة، حتى بلغت الكلفة أربعة مليارات دولار شهرياً، بل تضاعفت هذه الكلفة المرتفعة إلى ثلاثة أضعافها عام ٢٠٠٨ بحسب ما قاله جوزيف ستيغلitz باحث متخصص وحائز على جائزة نوبل للسلام الذي أكد أن الكلفة الشهرية عام ٢٠٠٨ أصبحت بحدود ١٢ مليار دولار.

كل هذه المستويات من التأثير على القوات المحتلة باتجاه انسحابها من العراق كان بفعل المقاومة المسلحة البطولية للشعب العراقي، ولولا تلك المقاومة وما سببته من تداعيات فاقت قدرة الولايات المتحدة وبريطانيا على تحملها، لما تغيرت سياساتهما في البلد، ولجرت الأمور وفقاً لسياق مختلف كلياً، ففي العامين الأولين لم تنكر الإدارة الأمريكية على لسان كبار ساستها إمكانية إبقاء جنودها في قواعد عسكرية دائمة، لكن ذلك تغير فيما بعد

في حروب محتملة ضد الجمهورية الإسلامية الإيرانية تهيئ لها الإدارة الأمريكية مستقبلاً^(٧).

سارت الأمور وفقاً لهذا المنحى التراجعي على صعيد إبقاء القوات العسكرية، ليتم توقيع الاتفاقية الأمنية عام ٢٠٠٨م، التي كانت برغم كل ما فيها من مساوئ واضحة خطوة على صعيد المقاومة السياسية؛ لأنها على الأقل ألزمت الولايات المتحدة أمام الرأي العام العالمي بمراحل زمنية محددة للخروج النهائي من العراق، مع أن الولايات المتحدة حاولت أن تمرر عبر هذه الاتفاقية الكثير من المواد والنقاط التي تسمح لها بالتدخل في الشأن العراقي، وفتح الباب لإمكانية إبقاء قواعد وقوات عسكرية لها، مراهنه على حسابات واحتمالات من أن تخف وطأة المقاومة وتحدث بعض المتغيرات التي تسمح في نهاية المطاف لها بالبقاء وبناء قواعد عسكرية دائمة، أريد لها أن تكون منطلقات لشن عمليات عسكرية مستقبلية على بعض دول الجوار، وأيضاً إبقاء تلك القواعد وسيلة للضغط والابتزاز السياسي للحكومات العراقية القادمة، لكن الضغوط الشعبية أجبرت الحكومة العراقية على اتخاذ موقف معقول في قوته التفاوضية، بل كان الاعتراض الذي جوبهت به الاتفاقية من قبل الشارع العراقي ومن بعض القوى الوطنية داخل البرلمان، بمثابة ورقة مساندة

خلال السنوات التي تعرضت فيها القوات الأمريكية إلى عمليات مقاومة بأسلة كالتى حدثت في النجف وبغداد والبصرة والناصرية والعمارة والحلة والديوانية، وعمليات القصف المستمرة للقواعد العسكرية الأمريكية، هنا فقط أعلنت الولايات المتحدة أنها لا تفكر بإقامة أية قاعدة عسكرية دائمة في العراق، وذلك في محاولة واضحة لتهدئة المقاومة وتخفيف الضغط على جنودها الذين تعرضوا إلى حالة من الانهيار المعنوي، ويأس خائق من إمكانية خروجهم من مستنقع الخوف الذي عاشوه في العراق.

ولا بد هنا من الإشارة إلى أن أهم القواعد الأمريكية التي كان من المؤمل إبقاؤها مدة طويلة تقع في المناطق الجنوبية والفرات الأوسط وبغداد ذات الأغلبية الشيعية، لما تمثله هذه الجغرافيا من أهمية إستراتيجية ولوجيستية تتيح للقيادة العسكرية ربط تلك القواعد بمثيلاتها في دول الخليج، وهذا خلاف للمناطق الغربية والصحراوية من البلاد، وتراجع الولايات المتحدة الظاهر في الأقل عن إبقاء تلك القواعد بشكل دائم، جاء ليشير بوضوح إلى ما تتعرض له تلك القواعد العسكرية من عمليات دك لمعاقلها من قبل المقاومة، الأمر الذي يفقدها أية قيمة وقدرة على البقاء والاعتماد عليها، خاصة في شن هجمات عسكرية

للحكومة العراقية نفسها التي استغرقت وقتاً أطول من المعقول لتفهم أن عملية الرفض نفسها كانت لصالح تقوية موقفها تجاه الغطرسة الأمريكية، وأنه جزء من المقاومة السياسية المشروعة التي تهدف لضمان مصالح الشعب العراقي^(٨).

وبمجيء إدارة باراك أوباما الذي أعلن في حملته الانتخابية أنه سيعمل على سحب القوات الأمريكية بشكل سريع وعاجل^(٩) اتضح فيما بعد أن خطابات أوباما ليست إلا أقوالاً وشعارات انتخابية، فبعد تسلمه لمقاليد الحكم في البيت الأبيض انقلب الحديث من السحب السريع للقوات العسكرية من العراق إلى ضرورة التفكير باستراتيجية النصر التي كان يرددها سلفه بوش، ولكن بعنوان أكثر جاذبية وأكثر مخاتلة، وهو (الانسحاب المسؤول) وأخيراً وجد أوباما ضالته في الاتفاقية الأمنية لحفظ ماء الوجه الأمريكي، ومع أن الإدارة الأمريكية الحالية تبدو ظاهراً مصرة وماضية في طريق تطبيق الجدول الزمني للانسحاب وفقاً لاتفاقية سحب القوات (الاتفاقية الأمنية)، إلا أن عامل الثقة غير متوافر في الولايات المتحدة كنتيجة حتمية لتاريخ الوعود والسياسات الأمريكية التي كثيراً ما تنكث، ولا تلتزم أمريكا بالمواثيق والاتفاقيات التي توقعها مع باقي البلدان في العالم، كما

هو حال اتفاقياتها مع دول مثل باكستان التي لم تنفذ منها الإدارة الأمريكية أيّاً من بنودها، لهذا لا يقطع العراقيون المقاومون بأن الإدارة الأمريكية لها أن تنفذ فعلاً ما نصت عليه اتفاقية سحب القوات بشكل كامل وحرفي لينتهي وجودها العسكري كلياً في نهاية عام ٢٠١١، ونشهد انسحاب آخر جندي محتل من العراق.

وأخر أدلة المخاتلة ومحاولات الالتفاف هو دعوتها للسماح لها بإبقاء جيش (مصغر) بحجة حراسة سفارتها في بغداد، ففي بداية أيار ٢٠١٠ صرح الجنرال ستيف لانزا بأن القوات الأمريكية المسؤولة عن حفظ أمن السفارة الأمريكية في بغداد غير مشمولة باتفاقية سحب القوات، باعتبار أنها ليست جزءاً من القوات العسكرية الأمريكية وغير خاضعة لإدارة الجيش الأمريكي، مع أن هذه القوات الخاصة بحماية السفارة يبلغ تعدادها خمسة آلاف جندي أمريكي.

وفي حزيران ٢٠١٠ تسربت وثيقة من موقع وزارة الخارجية الأمريكية تشير إلى طلب ما يمكن تسميته (جيشاً مصغراً) في قلب بغداد، بحجة حفظ أمن العاملين في السفارة الأمريكية التي تعتبر أكبر سفارة في العالم على الإطلاق، وفي تلك الوثيقة يتبين أن الخارجية الأمريكية بعثت برسالة إلى وزارة الدفاع تخبرها فيها بحاجتها إلى

وكالة تتمتع بقدرات عسكرية استثنائية تكون جاهزة بحلول شهر كانون الأول وهو الموعد النهائي لجدولة جميع القوات الأميركية لمغادرة العراق، وبحسب الوثيقة التي سربت من موقع وزارة الخارجية الأميركية لعدة ساعات قبل أن يتم رفعها، فإن وزارة الخارجية تطلب من وزارة الدفاع ٢٤ طائرة هيلكوبتر من طراز بلاك هوك (يكلف النوع المتطور من هذه الطائرة حوالي ١٨ مليون دولار) ومركبات مقاومة للقنابل والألغام الأرضية، وشاحنات مدرعة لنقل البضائع الثقيلة، ومقطورات وقود وأنظمة مراقبة عالية التقنية^(١٠).

إن النوايا الأميركية لم تعد خافية، فالولايات المتحدة لن تنسحب تماماً من العراق، وكل التصريحات الأميركية لكبار مسؤولي الإدارة الأميركية أو تلميحاتهم توضح ذلك.

في الثالث والعشرين من حزيران ٢٠١٠ أطلق رايان كروكر، وهو سفير سابق للولايات المتحدة في العراق، تصريحات تعبر عن النظرة الإستراتيجية للولايات المتحدة قوامها بقاء النفوذ الأمريكي في العراق لمدى بعيد، وأن شكل العلاقة مع العراق يتيح لأمريكا أن تعدّل من خارطة الشرق الأوسط، فقد شدد كروكر على أهمية العلاقات طويلة الأمد بين واشنطن وبغداد، واصفاً الاتفاقية الأمنية بأنها باروميتر لعلاقة ثنائية في التعليم والتجارة

والدبلوماسية والثقافة والعلوم والتكنولوجيا^(١١)، وهو وصف لا يمكن أن ينطبق على علاقة مثيلة إلا كتلك التي تقيمها الولايات المتحدة مع تل أبيب، وشدّد كروكر على أن الاتفاقية خلاصة لتحالف يمكن أن يعدّل الخريطة الإستراتيجية من أساسها في الشرق الأوسط، لكن ذلك يتطلب التزاماً أميركياً، وأبدى كروكر رغبته القوية في أن يرى نائب الرئيس جو بايدن منشغلاً بشكل مباشر وبلا انقطاع بالعلاقة مع العراق؛ لأن هناك حاجة للولايات المتحدة الى تدعيم هذه الشراكة للمستقبل، والتي اعتبرها علاقة مطبّعة جداً بين شريكين لكل منهما سيادته، وأن التدخل الأمريكي النشط سيستمر، لكنه بمرور الوقت سيكون حيويّاً، وقال: يجب أن نكون حساسين وقلقين بشأن سيادة العراق، ولكن ذلك يستدعي أن يكون لنا وجود في العراق، وأن مجرد وجود الأميركيين فيه طمأنينة للعراقيين، ولهذا فإن الولايات المتحدة يجب أن لا تفقد تركيزها في هذا السياق.

ويستمر كروكر بطرح التصورات الأميركية لكون العراق يقع في قلب الشرق الأوسط، وارتباطه الاستراتيجي بالغرب وأميركا يعدل الحسابات السياسية في المنطقة، ويؤكد بالقول: لدينا مخططنا لجعل ذلك حقيقة، معتبراً أنّ اتفاقية وضع القوات واتفاقية الإطار الإستراتيجي هما

خريطة طريق للمستقبل الأمريكي الجديد في منطقة الشرق الأوسط وما بعدها (نقلا عن وكالة ملف برس)^(١٢)

إذاً فمن الواضح أن البقاء الأمريكي في العراق سيستمر إلى سنوات طويلة مخطط لها، وأن من المصالح الحيوية لدى الإدارة الأمريكية إبقاء العراق واقعاً في دائرة نفوذها، بحيث يكون من الممكن أن تعمل الولايات المتحدة على إحداث تعديلات تناسب مصالحها في منطقة الشرق الأوسط عبر العراق، وهذا الأمر يتطلب في واقعه أن يكون العراق كالجذء الفعال من منظومة السياسة الخارجية الأمريكية، مستلب الإرادة السياسية، لأجل تحقيق مصالحها، سواء تلاقى ذلك بمصالح العراق أو تقاطع معها.

إن هذا البقاء الطويل الأجل لتحقيق نفوذ طويل و مستمر و مؤثر في الشرق الأوسط يمكن أن يأخذ أشكالاً متعددة، وفي كل الأحوال يرجح أن يكون إبقاء جزء من القوات الأمريكية أمراً ضرورياً بالنسبة الى واشنطن يدعم نفوذها السياسي^(١٣).

في مقال لصحيفة نيويورك تايمز بعددها ليوم ٣/تموز/٢٠١٠ يقول بريت ماك كورك مسؤول مجلس الأمن القومي السابق في العراق والزميل الحالي في مجلس العلاقات الخارجية: «أنا أود أن أقول: إن الأمر

الوحيد في العراق الذي يعرفه الأمريكيان بصورة مؤكدة هو أننا لا نعرف شيئاً مؤكداً، والاستثناء الوحيد حول ما سيأتي هو أن حكومة جديدة ستشكل، وهم سيطالبون تعديل الاتفاقية الأمنية ويمددون تاريخ ٢٠١١، وعلينا أن نتعامل مع ذلك الطلب بجدية» (مقال نيويورك تايمز، بقلم تيم أرانجو).

وبتاريخ ٢٢ آب ٢٠١٠ صرح قائد القوات الأمريكية أوديرنو إن بلاده مستعدة لاستئناف دورها القتالي في هذا البلد إذا عجزت القوات العراقية عن ضبط الوضع الأمني، وقد جاء هذا التصريح متزامناً مع تصريحات سفير الولايات المتحدة في بغداد جيمس جيفري التي قال فيها: إن الولايات المتحدة ملتزمة بالتوقيات المذكورة في الاتفاقية الأمنية بينها وبين الحكومة العراقية، خصوصاً فيما يتعلق بسحب القوات المقاتلة، وأن المرحلة القادمة من العلاقات ستتركز على النواحي الاقتصادية والثقافية والاجتماعية^(١٤).

وتعدّ هذه التصريحات - لا سيما تصريح القائد العسكري الأمريكي - معززة للشكوك المتواصلة بسحب كامل للقوات الأمريكية من العراق، بل هو تصريح يحمل أكثر من رسالة أهمها: أن بقاء القوات الأمريكية يخضع لتقييمات واستنتاجات الجانب الأمريكي أولاً وقبل كل

اعتبار آخر، وإلا كيف يمكن فهم مثل هذه التصريحات رغم أن انتهاء المهام القتالية في العراق محدد بموعد زمني واضح ضمن الاتفاقية الأمنية!

وبتاريخ ١٩ آب نشرت وسائل الإعلام الغربية، ومنها صحيفة الغارديان تحقيقاً حول الانسحاب الأمريكي ومستقبل العراق، أكدت فيه أن الانسحاب بحسب خطة أوباما مجرد خطوة رمزية، وأنّ هناك ستة ألوية ستبقى في العراق في ٩٤ قاعدة عسكرية، وتوضح الصحيفة أن هذه القوات لن تقف وتكتفي بمشاهدة بغداد وهي تحترق، لأن سمعة أمريكا ستتعرض إلى ضرر يصعب إصلاحه، بحسب تعبيرها، ويبدو أن قراءة الغارديان كانت موفقة؛ لاعتمادها على تصريحات ومواقف المسؤولين الأمريكيين، ذلك أن أوباما لا يعمل سوى على التخلص من ميراث سلفه بوش عبر خطوات رمزية، ولكن في نهاية المطاف ستكون لأوباما حرب جديدة قد تترك خلفها ميراثاً آخر ثقيلاً ينتظر خلفه في رئاسة البيت الأبيض^(١٥).

وتزامناً مع سحب بعض الأولوية القتالية، صرّح الناطق الرسمي باسم الخارجية الأميركية بي جي كراولي لشبكة NBC بأن انسحاب القوات المقاتلة كان حدثاً تاريخياً، وعلى الرغم من ذلك، فإنه لا يعني أنّ مهمة الولايات المتحدة في العراق قد انتهت! ويعقب إيفان تولياكوف

المحلل الروسي المعروف على هذا التصريح بالقول: طبعاً إن كراولي لا يعلم كم تابوتاً سوف ترسل إلى الولايات المتحدة من العراق قبل نهاية سنة ٢٠١١.

إن انسحاباً كلياً وشاملاً للقوات الأمريكية من العراق في نهاية ٢٠١١ أمر مشكوك فيه إلى حد بعيد، بل ربما يمكن التأكيد أن الولايات المتحدة الأمريكية لن تنسحب كلياً من العراق، وستحاول الضغط على الحكومة العراقية لإبقاء جزء من قواتها تحت عناوين شتى كتدريب القوات العراقية أو تقديم الاستشارة أو عبر عقد اتفاقية جديدة تجعل العراق جزءاً من حلف الناتو وتبرير تواجد القوات الأمريكية لدواعي مواجهة الأخطار الخارجية التي تهدد مصلحة البلدين، وربما تشهد السنوات القليلة القادمة نزاعاً عسكرياً أو مقدمات لذلك النزاع خاصة مع الجمهورية الإسلامية الإيرانية على خلفية الملف النووي، وربما يجرّ ذلك إلى أن تقدم الولايات المتحدة على تشكيل حلف إقليمي بوجه إيران وجعل العراق جزءاً من ذلك الحلف، أو على أقل تقدير اختلاق مبررات للتواجد العسكري عبر ادعاء تهديدات إيرانية لأراضي العراق بعد قيام حلف إقليمي لضرب إيران، ما يلقي العراق في معمة بين الجانبين يمكن استثمارها من قبل الولايات المتحدة طبقاً لما سبق قوله، وبهذا يمكن معرفة معنى التعديل على

خارطة الشرق الأوسط، وهو مخطط يعود إلى عام ٢٠٠٢ وضعه اليمين المسيحي المتطرف في ولاية بوش الابن، فقد صاغ المحافظون الجدد في الحزب الجمهوري خطة لما يسمى بـ (دليل لتخطيط الإستراتيجية للولايات المتحدة) والذي أقرّ جملة أسس ومبادئ رئيسة أهمها ثلاث نقاط أساسية هي:

١- ضمان عدم قيام قوة عظمى منافسة للولايات المتحدة، واستخدام القوة إذا لزم الأمر لمنع انتشار أسلحة الدمار الشامل في إيران والعراق وكوريا الشمالية.

٢- توجيه ضربة عسكرية للعراق تستهدف خلخلة منطقة الشرق الأوسط وإعادة رسم خريطتها السياسية والإقليمية بما يخدم الهدف الإسرائيلي للتهيئة لواقع عربي مخلخل يسهّل تقبله للضغط من أجل حلّ النزاع العربي الصهيوني وفقاً للرؤية الإسرائيلية.

٣- غزو العراق نقطة انطلاق لهزّ المنطقة بإضافة نظام حليف مختلف، إضافة إلى تدقّق بتروল العراق ثم السيطرة على النفط وأسعاره، وإعادة نظام إدارته دولياً يُعدّ من أهم أبعاد مخطّط الحرب.

ومن المؤكّد أن بقاءً عسكرياً أمريكياً تحت أية حجج، وبأيّ مقدار تحقق ذلك التواجد يؤكد ضرورة بقاء المقاومة العراقية ويعطيها مبررات شرعية وقانونية وأخلاقية واضحة،

ولكن على افتراض أن الولايات المتحدة ستقوم فعلاً بتنفيذ بنود الاتفاقية وتعمل على سحب قواتها بشكل كامل من أراضي العراق، فهل يعني ذلك انتهاء الاحتلال وانتفاء الحاجة لمشروع مقاومة في البلاد؟

ثانياً: الاحتلال السياسي

ربما لا يكون الاحتلال السياسي مصطلحاً منصوباً لحساب مصطلح الاحتلال المؤسساتي الأكثر شيوعاً، لكنه بكل تأكيد مفهوم له مصاديقه وتطبيقاته منذ ما بعد الحقبة الاستعمارية؛ إذ انسحبت فعلاً جيوش القوى الاستعمارية، و لكنها لم تفقد شيئاً من مصالحها تماماً، بل كان العكس هو الصحيح، فقد كان في انسحاب تلك الجيوش الجرارة عوائد مهمة أبرزها توجيه الكلفة المالية إلى قطاع التنمية الداخلية، وتخلصت ميزانيات الدول الكبرى من كلف باهظة كان يتطلبها وجودها العسكري في الدول التي احتلتها، ولعل أبرز مثال هو الجيش الفرنسي الذي انسحب من مصر نتيجة للكلفة المالية التي كادت تطيح باقتصاد فرنسا، ولكن هذا الانسحاب لم يكن في أغلب نماذجه ليفرط بمصالح تلك الدول، إذ وجدت في تنصيب حكومات موالية لها خير ضامن لتلك المصالح، وبدأت كأنها تدير الأمور بشكل أكثر سلاسة من سابقه، لقد تركت الدول الاستعمارية حكّاماً دكتاتوريين في أغلب بلدان

ومباشر على القرار السياسي العراقي، ففي كلتا الحالتين سيكون ميزان المصالح الأمريكية هو المعيار.

إن غياب إرادة وطنية في صناعة القرار العراقي وعدم العمل على ضمان مصالحه لا مصالح الولايات المتحدة مبرر يعطي الحق بمثل ما يملئ الضرورة في أن يكون للعراقيين مشروعهم المقاوم للعنجهية والخطرسة الأمريكية، على أن الأبواب مشرعة على مختلف السيناريوهات التي يمكن للولايات المتحدة اللجوء إليها لتحقيق مصالحها وجعل العراق موردها الخام في الشرق الأوسط لضمان ما تريده في هذه البقعة من العالم، ومن ذلك أن تلجأ الولايات المتحدة لدعم بعض القوى السياسية من واجهات البعث ومن بقاياها، كي تعود بالعراق القهقري، ومع الوقت تنضج تلك الطبخة ليجد العراقيون أنفسهم أمام واقع شبيه بالأمس المظلم وبتخطيط وتدير من الولايات المتحدة الأمريكية، وهنا تبرز الأهمية القصوى لمشروع المقاومة العراقي وأهمية بناء وترسيخ هذا المشروع لضمان مكتسبات لا يمكن ضمانها عبر التعهدات الأمريكية أو الظنون الحسنة والنوايا الطيبة التي لا مكان لها في عالم السياسة اليوم.

إن ما يقوي فرص أمريكا في نفوذها على القرار السياسي العراقي هو استثمارها للخلافات بين القوى

العالم الثالث التي سحبت منها قواتها العسكرية، وكان هؤلاء الحكام أوفياء لها رغم الخطاب القومي أو الشعارات الوطنية البراقة التي ثبت زيفها تماماً، وثمة ظاهرة تتجلى بأولئك المقاومين المزيفين، مقاومي الخطابات الطنانة، في حين قد يكونون من أكثر المتعاونين في الخفاء مع الاحتلال، وفي العراق نماذج معروفة من هؤلاء.

في العراق اليوم لا يمكن لأحد أن يتغاضى عن مشروع مماثل ولو ببعض التعديلات، فإذا كانت الديمقراطية تقف حجر عثرة أمام تنصيب خادم جديد و صريح للإدارة الأمريكية في العراق بعد صدام حسين، فإن ثمة خياراً آخر يسلك الطريق المناسب ويتم عبر قدرة الولايات المتحدة في تأكيد نفوذها الضاغط على أية زعامة عراقية يمكن أن تصعد إلى سدة الحكم عبر التوافقات السياسية؛ نظراً إلى أن النظام العراقي هو نظام برلماني يعتمد التمثيل النسبي، وليس نظاماً رئاسياً يتم عبره اختيار مباشر لرئيس السلطة التنفيذية بإرادة شعبية، وهذه آلية أمريكية كي تتدخل بواسطتها بالنتائج والغاء الإرادة الجماهيرية، وهو ما يحصل فعلاً في كل انتخابات برلمانية.

إن بقاء النفوذ الأمريكي ومصادرة إرادة العراق هو احتلال بكل ما تعنيه الكلمة، ولا فرق بين أن يتم هذا الاحتلال عبر وجود قوات على الأرض، أو عبر نفوذ قوي

المختلفة وإثارة وتغذية تلك الخلافات ذات الأبعاد القومية والطائفية، فلا شك أن للولايات المتحدة رجالها في الساحة، وهؤلاء بمثابة نسخ صدامية مصغرة تقوم بأدوارها المرسومة بما لا يخدم حتى الطائفة التي يدعون تمثيلها، بل هو العمل لأجل مصالحهم ومصالح أمريكا، مهمة هؤلاء هي إدامة الوضع المتشردم على الساحة العراقية، وبالتالي توفير الغطاء اللازم للتدخل الأمريكي بحجة رعاية النظام الديمقراطي الوليد في العراق، وهي حجة لا أفق نهائي لها؛ لأن بقاء الصراعات السياسية والقتال الأمني سيستمر لفترات طويلة ما دام هو الوضع المثالي المطلوب من قبل واشنطن الأقرب إلى توصيف ما يعرف بالفوضى الخلاقة، وما دام هناك من يعمل على توفير هذا الوضع^(١٦).

إن مشروع المقاومة يضع في الاعتبار التهديد الذي يمثله تدخل أمريكا في الشأن السياسي بوصفه احتلالاً غير عسكري، على افتراض سحب أمريكا لورقة الضغط العسكرية من العراق، مع أننا أكدنا في المبحث السابق أن من المستبعد بصورة شبه مؤكدة أن تقوم بسحب كامل قواتها العسكرية من البلاد، وأن التصريحات التي يدلي بها قادة عسكريون وساسة أمريكيان تؤكد أن المواعيد المحددة للانسحاب النهائي سوف يتم مراجعتها بعد طلب

متوقع من الحكومة العراقية لإبقاء جزء من القوات الأمريكية القتالية داخل العراق حتى يستكمل بناء قواته العسكرية، والموعد المتوقع لاستكمال بناء الجيش العراقي هو عام ٢٠٢٠ حسب خطة التسليح والتجهيز التي وضعها مستشارون أمريكيون والتزمت بها وزارة الدفاع العراقية، ولا شك أنه حتى هذا الموعد، سيكون هناك ما يدعو أمريكا لتواجد عسكري بحجة الحفاظ على أمن وسلامة الأراضي العراقية من التهديدات الخارجية، وهو أمر سيأخذ منحى جدياً فيما لو ازدادت وتيرة التصعيد مع الجمهورية الإسلامية في إيران، إن إعادة سيناريو بقاء القوات الأمريكية في مناطق من الخليج بعد غزو الكويت بحجة التهديدات التي يمثّلها الدكتاتور المقبور صدام حسين، ستتم عملية تكرارها بالتخويف من الخطر الإيراني المزعوم.

ثالثاً: صيانة مكتسبات العملية السياسية

على الرغم من الادعاءات الأمريكية بالحرص على ترسيخ التجربة الديمقراطية في العراق والمحافظة على المكتسبات التي تحققت بعد سقوط النظام البائد، فإنه لا يوجد مراقب أو معني بالشأن العراقي يمكنه استبعاد أن تطيح الولايات المتحدة بهذه المكتسبات ما دامت قد أيقنت منذ فترة بأن الأمور لم تجرِ وفقاً لما كانت تخطط

وتجاوز خلافاتهم، وبهذا يتحمل الساسة العراقيون أمام الله والتاريخ والشعب العراقي مسؤولية إعطاء الولايات المتحدة فرصة كهذه، ربما لا يمكن تعويضها، ليبقى اللاعب الأمريكي حاضراً في مستقبل العراق، ويؤسس لهذا الحضور كل أربع سنوات تشهد أزمة تشكيل للحكومة وولادة عسيرة لها، لا تتم إلا في اللحظات الأخيرة على يد واشنطن^(١٧).

إن هذا الدور يعطي الولايات المتحدة فرصة استثنائية للتحكم بمسار العملية السياسية والوضع السياسي العراقي برمته، ويكرس تأثيرها المستقبلي في العراق، وهنا نكون أمام تحديات صعبة ومربرة، فالخيارات ستكون بيد واشنطن في رسم ملامح المستقبل العراقي، وتأسيساً على رغبة واشنطن في تغيير ما تم إنجازه من مكتسبات لصالح الشعب العراقي، فستعمل لا محالة على إعادة تشكيل العملية السياسية وفقاً لمقاسات خاصة تلبى مصالحها ومصالح حلفائها أو من سيكونون حلفاء علنيين لها في القريب العاجل بعد انسحاب أغلب قواتها، وتغيير الجهات المعادية للشعب العراقي لخطابها المزيف، وفتح ملفات ما يعرف بالمصالحة التي تعني لدى واشنطن: إشراك القتلة والبعثيين وأعداء الشعب في العملية السياسية، وإعادة إنعاش جثة البعث الهامدة في الشارع العراقي، فضلاً عن

له، فصعود التيارات الإسلامية الشيعية يؤزق واشنطن ويمثل بالنسبة إليها خيبة أمل كبيرة، كانت آخر محاولات ترتيب أوراق العملية السياسية لصالح حلفاء أمريكا ما حدث في الانتخابات التي أجريت في السابع من آذار ٢٠١٠، فقد جرت عمليات تزوير وتلاعب بالنتائج لصالح جهة معينة، أرادت الولايات المتحدة أن تكون هي الفائزة في الانتخابات، وليكون ذلك الفوز معرقلاً لأي توافق سياسي سلس في تشكيل الحكومة، فالتعثر الذي شهدته عملية تشكيل الحكومة الأخيرة لا يستبعد المراقبون أن يكون نتيجة رتب لها الولايات المتحدة مسبقاً بعناية فائقة، لعلها بحجم التقاطعات والتباينات بين الفرقاء، الأمر الذي سيدفع في نهاية المطاف لطلب تدخلها، وقد سبق الانتخابات العراقية قيام الإدارة الأمريكية بتعيين جو بايدن مسؤولاً عن ملف العراق السياسي، وهي خطوة توحى بشكل واضح بالدور الذي كان مخططاً أن تلعبه في العراق.

إن ترسيخ الدور الأمريكي كمفتاح لحل الأزمات السياسية بين الفرقاء العراقيين تخمّن الولايات المتحدة أن يكون محط ترحيب أو قبول ولو مشوباً بالحدّ من قبل الشارع العراقي والمحيط الإقليمي المؤيد لها، ما دام ساسته عاجزون عن تحمل مسؤوليات حلحلة أزماتهم

مقاومة حقيقي، فعلى سبيل المثال أحدثت ثورة العشرين تغييراً هاماً في موازين القوى، وأجبرت الاحتلال الانكليزي على تلبية بعض المطالب الجماهيرية والشروط التي طرحها الثوار، ولكن فيما بعد تلك الثورة ومع الميل لسياسة الانتظار الممزوج بحسن النوايا، تمّ مع الوقت وبحيل مختلفة الإجهاز على كل الحقوق السياسية والمدنية للمكون الشيعي التي وُعد بنيلها، وسط غياب مشروع مقاومة قادر على إعادة الأمور إلى نصابها الطبيعي، ليرزح الشيعة العراقيون تحت نير الحكم الطائفي والتمييز والاضطهاد لثمانين عاماً ولم يفلحوا في استرداد أي من الحقوق الطبيعية لهم.

هل ثمة تعارض بين مشروع المقاومة والمشروع السياسي

قد يرى البعض تناقضاً أو تناقضاً أو تصادماً بين الوقوف إلى جانب العملية السياسية والمقاومة معاً، أو عبارة أدق في هذه المرحلة هو المراهنة على السياسة والمقاومة معاً، وبرغم ما قدمناه من أنّ من استراتيجيات العمل المقاوم في العراق حفظ مستقبل العملية السياسية ودرء الأخطار المحدقة بها، إذ لا ضمان لعدم تغيير الدول الكبرى لمواقفها وتحديداً الولايات المتحدة ونكوصها عن ظاهر ما تطرحه وتحرص عليه أمام الرأي العام العالمي والعراقي،

تغيير الدستور وإعادة مركز السلطة أو فصل المكونات العراقية طبقاً لسياسة التقسيم اللين، وعندها فلا يمكن التكهن بكيفية جريان الأمور على الساحة مع متغيرات قد تحصل في عموم منطقة الشرق الأوسط، تنعكس مباشرة على الوضع العراقي الداخلي.

إن الوقوف بوجه هذه المخططات لن يتم إلا عبر ترسيخ مشروع مقاوم لهذا المخطط يمكن أن يكون ضامناً حقيقياً للمكتسبات السياسية التي حصدها العراقيون بتضحيات جسيمة وفاجعة، فوضع الأجهزة الأمنية والعسكرية بيد جهات مشبوهة الولاء وذات ارتباطات قوية بواشنطن، يجعل الأمور أكثر تعقيداً ومفتوحة على كل الاحتمالات، وعندها سيكون الخيار الوحيد لأغلبية الشعب العراقي، ولا سيما المكون الشيعي، هو خيار مقاومة هذا الانقلاب على العملية السياسية، ولا بدّ حينها من توفر ذراع قوي وفعال ومؤثر على الساحة، لن يتشكل إلا من مقاومين مخلصين قادرين على الذود بأرواحهم من أجل مصلحة الشعب وجماهير الأمة.

شيعة العراق وخيار المقاومة في هذه المرحلة

لقد أثبتت تجارب التاريخ القريب أن حقوق المكون الشيعي منتهكة ومصادرة ما دام هناك غياب لمشروع

من أنها راعية وداعمة للعملية السياسية، ذلك أن مؤشرات لا تنتهي ووقائع حدثت تشير بوضوح إلى أن الولايات المتحدة يمكن لها - إن لم تكن تخطط فعلاً لذلك - أن تنسف تلك العملية بشكل تدريجي عبر إعادة حزب البعث إلى السلطة بعد أن يئست من تطبيق أجندتها الاحتلالية للعراق بوجود القوى الإسلامية التي يصعب على واشنطن التعامل معها لتكون خادماً للمصالح الأمريكية بدلاً عن صدام.

إن هذه الرؤية التي ترى تقاطعاً بين العمل السياسي ومشروع المقاومة بإدعاء أن العملية السياسية هي وليدة الانتخابات ومن هنا أنها تحظى بالشرعية ويفترض علينا أن نؤيدها في رؤيتها التي تنص على ترحيل القوات الأمريكية من خلال الاتفاقيات والمعاهدات وبالتالي فإن الخروج على رؤية القادة السياسية الشرعيين بطبيعة الحال هو خروج عن الشرعية ويخلق تعارض بين مشروع المقاومة ومشروع العملية السياسية، هذا الإدعاء وهذه الشبهة غير قائمة على أية ركيزة واقعية، فالحقيقة: أن العمل السياسي محكوم بأطر وحالة عامة وشاملة لا يمكن معها القطع بأن كل ما ستؤول إليه هو لصالح الشعب العراقي، ما دامت التأثيرات الخارجية موجودة، ويبدو الأهم في كل ذلك هو الأداء السياسي الذي خيب الآمال، إذ لم

تستطع القوى السياسية المعبر عنها بانتخابات اختار من خلالها المواطنون ممثلهم أن تفي بتعهداتها لناخبها، وبدا واضحاً أن توقع تراجع نفوذ هذه القوى أمر محتمل بقوة، طالما أخفقت في توفير الخدمات الأولية البسيطة للمواطن، مع تفهم الصعوبات التي تواجهها في هذا الصدد، إلا أن الفئات المسحوقة التي بحاجة لتلك الخدمات لم تعد قادرة على تحمل المزيد من الضغوط اليومية المتعلقة بشؤونها المعيشية والحياتية، ولعل ما أفرزته الأزمة الخانقة على صعيد توفير التيار الكهربائي صيف ٢٠١٠، وما أعقب ذلك من مظاهرات شعبية، مؤشر واضح على تنامي انعدام الثقة بالمسؤولين والأحزاب، وبالتالي يطرح السؤال نفسه: ما هو الضمان إذا فقدت تلك القوى السياسية القدرة على التحكم بزماء الأمور، وتمّ استغلال معاناة الناس الذين يطلبون التشبث بقشة إنقاذ من واقعهم الصعب من قبل المندسين في العملية السياسية من بقايا البعث أو المتعاطفين معه؟ ماذا لو تم إعادة الخارطة السياسية و بروز قوى أخرى لا تمثل بالضرورة مصلحة المكون الشيعي، وإن صعدت عبر جزء من أصوات هذا المكون؟

لقد حاول البعثيون على عاداتهم وكما هو متوقع استثمار تلك التظاهرات - مظاهرات المطالبة بتحسين

الكهرباء - لأجل إشاعة الفوضى وخلق القلاقل في الشارع لأغراضهم المكشوفة، فقد صدر بيان عن البعثيين جناح عزة الدوري يحمل الرقم ١٨٨ دعا إلى الاستفادة من التظاهرات الحالية والتغلغل بين أوساط الجماهير الجنوبية وإطلاق الشائعات، وخلق الفوضى والتسبب بصدامات مسلحة، وتحويل المظاهرات إلى أعمال شغب (عن صحيفة البيئة الجديدة).

إن العقل والمنطق يحتمان على شيعة العراق التحسب والاستعداد لأسوأ الاحتمالات، وانطلاقاً من مقدمة أن الحقوق على الأغلب لا يمكن استردادها وضماتها دون عمل جدي على الأرض، والمشاريع السياسية المنوطة رعايتها بالخارج لا تحمل أية مقومات للديمومة والاستمرار إلا في حالة قطع يد التدخلات التي تقوم بها الأطراف الخارجية التي تعمل لأجل مصالحها حتماً، وأن يكون أي مشروع سياسي مشروعاً وطنياً محضاً تتحكم به إرادة الجماهير ونخبها الواعية والمخلصة البعيدة عن الحسابات الضيقة الفئوية والشخصية، وبدون ذلك لا يعدو أي مشروع سياسي سوى ضرب من الخداع للأمة واستخفافاً بمصير أجيالها القادمة، وقد تجد القوى السياسية نفسها يوماً مضطرة للارتقاء في أحضان المقاومة، وعليه على شيعة العراق جميعاً بلا استثناء ان يتمسكوا بخيار المقاومة

لمواجهة كل التحديات الامريكية والوهابية والبعثية، وتحديات دول الجوار التي تريد اسقاط حقوق شيعة العراق الدستورية والسياسية، على شيعة العراق بكل قواهم ومؤسساتهم وحوزاتهم ومراجعهم وقواهم الجماهيرية وأحزابهم، وحتى القادة في مناصبهم السياسية، على الجميع ان يتمسكوا بخيار المقاومة والدفاع عن حقوق الطائفة الشيعية، وحتى القادة السياسيون عليهم أن يدركوا إن أمريكا إنما تباغتهم من نفس عناصر القوة التي يزعمون، وهي المؤسسة العسكرية، خصوصاً أنها اليوم لا تخلو من عناصر خطيرة، وبات الحديث عن الانقلاب العسكري وارداً، مع احترامنا للشرفاء من ابناء القوى المسلحة المخلصين الذين لم تتلطف أيديهم بدماء الشعب العراقي، ولم يلوّث تاريخهم العمل في صفوف البعث الصدامي، وعليه لا سبيل أمامهم إلا أن يستندوا إلى المقاومة الشيعية الصادق، وسيجدون انفسهم يوماً أمام هذا الواقع، وخلاف ذلك فإن أحد المصيرين ينتظرهم، إما القدر الأمريكي في انقلابات عسكرية وسياسية، وإما هوان وسلب للإرادة والسيادة، فلا مناص إذن من أن يكونوا أبناء هذه المقاومة، وهم جزء من مكوناتها الواسعة كما ذكرنا وافترضنا.

وانطلاقاً مما ذكرنا تتحول المقاومة من مجموعة

ومن الحقائق المهمة أن العراق يحتوي بحسب الدراسات الجيولوجية على نحو ٥٣٠ تريليون جيلوجيا، تعطي مؤشرات قوية بوجود كم نفطي هائل، ولم يحفر من هذه التراكيب سوى ١١٥ من بينها ٧١ ثبت احتواؤها على احتياطات نفطية هائلة تتوزع على العديد من الحقول، وتبلغ الحقول العراقية المكتشفة ٧١ حقلاً، لم يستغل منها سوى ٢٧ حقلاً (بحسب تقارير إعلامية نُشرت عام ٢٠٠٧) من بينها عشرة عملاقة.

إن المقاومة إذا ما كانت مشروعاً وطنياً شاملاً يهدف إلى تخليص البلاد من كل أشكال الهيمنة والنفوذ الأجنبي والوصاية على مقدرات الشعب العراقي، فلا بدّ والحال هذه أن تضع المقاومة في حساباتها هذا الجانب، أعني التحرير الاقتصادي، وعدم وضع اليد على مقدرات البلاد وثرواتها، وبشكل خاص الثروة النفطية التي كانت من الأهداف المهمة للاحتلال الأمريكي عام ٢٠٠٣^(١٨).

صحيح أن الاعتماد الأمريكي على نفط المنطقة في الوقت الراهن قد تراجع بشكل غير مسبوق، ودخلت السوق النفطية الشرق أوسطية بلدان منافسة تمثل أقطاباً عالمية صاعدة كالصين والهند، ففي الوقت الذي تراجع استيراد النفط من قبل الولايات المتحدة الأمريكية من إحدى أكبر مصدريه في المنطقة وهي العربية السعودية

صغيرة معزولة عن حركة الأمة العراقية كما يصورها الإعلام الأمريكي المغرض، الى كونها جزءاً من حركة الأمة وأحد الماهيات المكونة للمجتمع العراقي، فإن عنصر المقاومة داخل في ماهية هذا المجتمع على غرار ما يفعله شيعة لبنان فإن المقاومة هناك تساوي الأمة، والأمة تساوي المقاومة فلا أمة من دون مقاومة ولا مقاومة من دون أمة.

رابعاً: الاستقلال الاقتصادي للعراق

إذا كانت الحروب ذات الأسباب والدوافع الاقتصادية من أقدم أنواع الحروب التي عرفتها البشرية، نتيجة الصراع على الموارد وطرق التجارة وفرض الهيمنة، فإن الإحتلالات المعاصرة بدءاً من الاستعمار مطلع القرن الثامن عشر، حتى منتصف القرن العشرين، لم تكن إلاّ لأسباب اقتصادية في جزء كبير منها، وقد أجمع الدارسون لأسباب احتلال العراق من قبل القوات الأمريكية ومن تحالف معها، على أن نزعة الهيمنة الاقتصادية ووضع اليد على مقدرات المنطقة الغنية بالنفط هو السبب الرئيس والدافع الأهم.

والعراق يمثل خزيناً استراتيجياً عالمياً للنفط، بما يمتلكه من احتياطي ضخم يصل إلى ٣٥٠ مليار برميل،

إلى ما يعادل مليون برميل، وهو أقل معدل منذ عام ١٩٨٨ في موازنة اعتماد الصين المتزايد على صادرات المنطقة، فيما تستورد الهند أكثر من ثلاثة أرباع احتياجاتها من الشرق الأوسط، إلا أن كل ذلك لا يعني شيئاً في المحصلة النهائية، ذلك أن النفط في المنطقة ولا سيما في العراق هو الأبعد زمناً لنفاذ الاحتياطي الاستراتيجي، وبما أن النفط يبقى حسب التقديرات الأولية مصدر الطاقة الأرخص خلال الخمسين سنة المقبلة، فإن أهمية الثروة النفطية العراقية بالنسبة لأمريكا ستبقى عاملاً مهماً في تحريك و صياغة مواقفها، ثم هناك من يتساءل عما هو الشيء المختلف الذي يأتي بعد تبادل الدول العظمى لأدوارها على الساحة؟

من جهة أخرى، هناك طرح ساذج يطرحه بعض الكتاب ينزه الولايات المتحدة من أن تكون صاحبة أطماع في النفط العراقي، ويعرض هؤلاء أدلتهم وهي: أن الصادرات النفطية خلال السنوات التي أعقبت الاحتلال عام ٢٠٠٣ صبت مواردها في الخزينة العراقية، ويمكن الإطلاع عليها بحساب مبسط لقيمة برميل النفط ومقارنته بالقدرة الإنتاجية، وملاحظة الموازنات العامة للحكومات العراقية خلال نفس المدة الزمنية، ولم يثبت أن الولايات المتحدة قامت بسرقة النفط الذي قيل: إنها جاءت لأجل

الاستحواذ عليه، فيما تعتمد قواتها داخل العراق على استيراد ما يلزمها من الوقود من دول الخليج و خاصة الكويت، أضف إلى ذلك أن أمريكا لم تعمل على زج شركاتها في مشاريع استخراج النفط تحت أي عنوان، حتى أنها كانت أكبر الخاسرين في المنافسة على العروض الاستثمارية للشراكة في استخراج وحفر آبار جديدة لحساب شركات فرنسية وصينية وماليزية، وغيرها ممن لم تشارك حتى في الحرب عام ٢٠٠٣.

لا شك أن هذه حقائق لا يسعنا أن نغالطها، ولا أن نشكك فيها منساقين إلى خطاب حماسي مجرد بوجه الاحتلال وإن كان مسوغاً، وهي كذلك على ما يبدو ظاهراً على الأقل، لكن لا يعدو كل ذلك إلا جزءاً من الحقيقة وتبسيطاً ساذجاً للأمور، ما تريده الولايات المتحدة ليس امتلاك النفط العراقي امتلاكاً مباشراً، بل هو ضمان تدفق هذا النفط لخدمة مصالحها، وبمعنى آخر: تكريس مقولة إن النفط لا تشربه الشعوب، هي تبيع ونحن نشترى، وبالتالي فالهدف هو سحب ثروة الشعوب الإسلامية من يدها بشكل غير مباشر، على وجه لا يمكن استخدام هذه الثروات سلاحاً بيد تلك الشعوب لتأمين مصالحها وتقوية مواقفها تجاه الغطرسة الغربية، في الوقت الذي يبيح فيه الغرب لنفسه استخدام ثرواته وقدراته التقنية سلاحاً لتأمين

المتحدة.

إن الهيمنة والتحكم بشروات الشعوب أسوأ أوجه الاحتلال، بل لا هدف لأي احتلال إلا تأمين مصالحه الاقتصادية بالدرجة الأولى، وكما اشرنا سابقاً فإن هذا الشكل من الاحتلال لعلّه أقدم وأجلى أشكال استعمار واحتلال الشعوب عبر التاريخ.

مصالحه ومحاربة الدول والحكومات التي لا تتماشى سياساتها مع ما يطمح إليه، ومع كل ذلك فهناك تقارير أشارت إلى أن الولايات المتحدة قامت بسرقة فعلية للنفط العراقي وتهريبه إلى أمريكا من الموانئ الجنوبية، ولا شك أن تلك الكميات سدت احتياجات كبيرة وضرورية لها، فضلاً عن ذلك فالأسعار التي يباع بها النفط العراقي اليوم بحسب تقارير إعلامية هي أسعار تفضيلية للولايات

الهوامش:

[١٠] مستقبل الوجود العسكري الأمريكي في العراق: الدكتور محمد عباس.

[١١] جريدة الشرق الأوسط: ١٧ / ٥ / ٢٠١٠.

[١٢] ٢٠ / ٥ / ٢٠١٠.

[١٣] مستقبل العلاقات الإقليمية بعد الانسحاب الأمريكي من العراق: ليلي الرحباني

[١٤] مستقبل العراق السياسي بعد الانسحاب الأمريكي: الدكتور حميد السعدون.

[١٥] العراق في ظل إستراتيجية الأمن القومي الأمريكي: الدكتور عماد رزق.

[١٦] الصراع في العراق وحوله: الدكتور العميد أمين حطيط.

[١٧] الموقف الإقليمي من الانسحاب الأمريكي من العراق: الدكتور وجدان عناد.

[١٨] إشكاليات التحول الاقتصادي في العراق: الدكتور عاطف مرزوق: ص ٦٠.

[١] مع ان الشيعة في الإحصاء الذي قامت به بريطانيا عام ١٩٢٠ كانت نسبتهم ٦٧٪ لكنهم همشوا عن الدولة، بينما الاقليات التي لم تبلغ الا ١٧٪ كان لها مناصب سياسية (حسن العلوي، الشيعة والدولة القومية في العراق ١٩١٤ - ١٩٩٠).

[٢] جريدة كيهان ١٧ / ٧ / ٢٠٠٤.

[٣] بيتر مانغولد، تدخل الدول العظمى في الشرق الأوسط، ص ٢٠.

[٤] الواشنطن بوست (١٢ / ٣ / ٢٠٠٣).

[٥] الصراع في العراق وحوله... العميد الركن الدكتور أمين حطيط.

[٦] انكفاء الامبراطورية الأمريكية، الدكتور عبد علي معموري، ص ٧٣.

[٧] تداعيات الانسحاب الأمريكي على العراق: الدكتور ستار جبار الجابري.

[٨] أمريكا وأوهام الانسحاب من العراق: الدكتور خيرى عبد الرزاق جاسم.

[٩] الواشنطن بوست (٢٩ / ٤ / ٢٠٠٩).

النشاطُ النَّخْرِيّ الصُّهُيُونِيّ فِي الْعِرَاقِ

حَفِيقَتُهُ، وَأَبْعَادُهُ، وَآثَارُهُ

❖ أ. مهدي حسن الخفاجي (*)

(*) أكاديمي وباحث سياسي، العراق.

رغم أن الحديث ينصب حالياً على الدور الأمريكي فيما يشهده العراق من تدهور سياسي وأمني، ومن استمرار مشاهد القتل الدموي المروعة، ومن تدمير منهجي للإنسان والبلد، ومن تفجير للمساجد والمراقد المقدسة، محاولة لإثارة الفتنة الطائفية بين السنة والشيعة.

فإن الدور الصهيوني لا يقل حضوراً وفاعلية فيما يشهده العراق، بل إن أكثر عمليات التخريب والقتل يقف وراءها الصهاينة، غير أن الإعلام وخصوصاً العربي منه، لم يسلط الضوء على ذلك بشكل جلي وواضح، وذلك إما لأن هذا الإعلام لا يريد التعرض للكيان الصهيوني بسبب تأثيره وقوة نفوذه، أو لأنه تعمّد العمل تحت واجهات مستعارة، كعناوين الأمريكية أو العربية، كما أكدت ذلك مصادر عراقية موثوقة، وذلك لأن الظهور الصهيوني بعناوينه يستفز الأمة العربية والإسلامية، فيؤدي إلى رد فعل قد يفسد على الصهاينة نشاطاتهم، ويمنعهم من

تحقيق أهدافهم، وهذا ما أدركه المسؤولون الصهاينة، لذلك تعمّدوا التخفي وراء هذه العناوين المستعارة.

وبسبب طغيان الدور الإسرائيلي، ذهب بعض المحللين والاستراتيجيين إلى الاعتقاد بأن إسرائيل هي التي ورّطت أمريكا وجرتّها إلى غزو العراق وتدميره، بل يذهب البعض إلى حدّ الجزم بأن السلطات الصهيونية تتحكم بالبيت الأبيض الأمريكي، ولذا تمكّنت من تسخير الجيش الأمريكي لضرب العراق وغزوه.

وبغض النظر عن خلفية الآراء المتقدمة، فإن الثابت أن للكيان الصهيوني حضوراً فاعلاً في أحداث الساحة العراقية ابتداءً بالغزو وحتى ما بعده، وقد تعرّض لهذا الحضور عدد من الباحثين والكتاب تحليلاً ومناقشة، ورغم أهمية تلك البحوث والدراسات، إلا أن الموضوع يحتاج بنظري إلى متابعة متواصلة ومتابعة دقيقة لكشف الدور الصهيوني في العراق، وذلك لخطورته، فيستدعي الإلمام بكل جوانبه

وفروعه وجذوره، كي يتم وضع إستراتيجية مواجهة فاعلة ومجدية، خصوصاً وأن الصهاينة يستخدمون التخفي والنفوذ للجسم الآخر.

وانطلاقاً من الشعور بأهمية تلك الدراسات والمتابعات جاءت هذه الدراسة لتكون حلقة إضافية، لعلها تزيد المهتمين بالدور الصهيوني الخطير.

وسنناقش في البداية حجم الدور الإسرائيلي في عملية الغزو الأمريكي للعراق، ثم أتبعها ببيان أهداف الكيان الصهيوني من التحريض والمشاركة في الغزو، وأنهى هذه الدراسة بتسليط الأضواء على ما يقوم به الصهاينة من تدمير في العراق، وذلك من خلال عمليات القتل والتخريب، وإثارة الفتنة الطائفية، واستهداف العقل العراقي.

أولاً: القضاء على أخلاقيات وعادات المجتمع العراقي

تدمير المجتمعات العربية والإسلامية يشكل ركناً أساسياً من أركان الإستراتيجية الصهيونية التي يركز عليها مستقبل ووجود الكيان الإسرائيلي في أرض فلسطين الإسلامية، وهذه قضية معروفة إذ لا أضيف شيئاً جديداً في هذا المجال، فبروتوكولات بني صهيون واضحة وتنص

بصراحة على مسألة تدمير المجتمعات الإسلامية بكل وسائل التدمير الأخلاقي وغير الأخلاقي، ثم إن وصايا قيادات اليهود الدينية والسياسية في هذا الإطار متواترة.

وإذا أخذنا تجربة التطبيع الصهيوني مع مصر والأردن والدول العربية الأخرى، نجد أن التعامل الصهيوني مع هذه المجتمعات ينطلق من هذه القناعة الإستراتيجية، فشبكات التجسس التي اكتشفها النظام المصري زادت عل عشرين شبكة، وبيوت الدعارة التي اشرف عليها المعهد الأكاديمي الصهيوني في القاهرة كانت بالعشرات، والتخريب الزراعي والصناعي كان كارثياً لدرجة أن الأسمدة التي استوردها وزير الزراعة المصري السابق يوسف والي، دمرت إنتاج القطن وهو المحصول الرئيسي الذي تشتهر به مصر بين دول العالم، بعدما كانت مصر تتبوأ المرتبة الأولى في العالم بإنتاج هذا المحصول ذي الجودة، بهذه الخطوة المدروسة لتدمير الزراعة في مصر أصبحت ثاني أو ثالث دولة بعد الولايات المتحدة، وكذا الأمر بالنسبة لبقية المحاصيل.

وأما اختراق الجامعات، فكان هو الآخر كارثياً أيضاً، لدرجة أن العدو أصبح مساهماً في تعيين موضوعات ومواد الدراسات العليا للطلبة المصريين، الذين يدرسون لنيل درجة الماجستير أو الدكتوراه، ونظمت للكثير من هؤلاء

الطلبة أو الأساتذة الذين نجح الصهاينة في استمالتهم سفرات سياحية إلى الكيان الصهيوني، وتلقوا هناك دورات مكثفة شارك فيها يهود باراك وشاؤول موفاز واسحاق مردخاي وشيمون بيريز وغيرهم من رجالات السياسة والفكر الأمني والعسكري والسياسي الصهيوني، لدرجة أن يوسف والي انتقده نواب المجلس المصري من أتباع الحزب الحاكم نفسه، الحزب الوطني واتهموه بالخيانة وبأنه دمر الزراعة المصرية عندما أصبح وزيراً للزراعة، وأخرجوه من الوزارة بعد خراب سامراء كما يقول المثل العراقي.

وقد كتب الدكتور سمير محمود قيرع الباحث في الشؤون الأمنية والاستراتيجية دراسة مفصلة ومطولة حول شبكة المصراتي، وحول خطورة المعلومات التي نقلها، وشبكته للعدو، والمهمة الخطيرة التي كان يقوم بها، فهذه الدراسة^(١) من ٢٧ صفحة منشورة في صحيفة دنيا الوطن الفلسطينية، بين فيها الدكتور قيرع كيف أن فارس سخر ابنته الجميلة وهي مصابة بالايذز لاصطياد الشباب المصري والشخصيات المصرية وتشغيلهم في شبكة الموساد أو اخذ وانتزاع معلومات منهم، ثم أن فارس تمكن من أخذ صور عن المواقع العسكرية والصناعية وكذلك معلومات عن شخصيات مهمة في البلد من السلك

السياسي والاجتماعي والديني، وعثر في شقته على أجهزة متطورة جداً يستخدمها في إرسال تقاريره التجسسية بشكل يومي للموساد الإسرائيلي، ونجح في زراعة أجهزة تنصت في بيوت بعض الشخصيات، وامتدت نشاطاته عبر ابنه ماجد ومساعدته الذي يتحرك تحت لافتة تاجر ورجل أعمال إلى ليبيا، فطالت هذا البلد وعثر في حوزة رجل الأعمال الموسادي وماجد على الكثير من المعلومات الخطيرة حول ليبيا.

ويقول قيرع: إن السلطات المصرية تريد التعرف على الأشخاص الذين ارتبطوا ببنت فارس المصراتي (فائقة)، وهم كثر على ما يقول جيران فارس المصراتي الذي استأجر شقة مفروشة في أرقى حي في القاهرة، ولذلك يتخوف المصريون من انتشار الايذز بسبب هذه الجاسوسة المريضة، والأخطر من ذلك أن السلطات الأمنية عثرت في بيت هذه الشبكة على أجهزة تزوير مستمسكات ووثائق رسمية، وحتى دولارات وغير ذلك. ومازال مثل هذه الشبكات منها غير مكتشف، وما زالت تعيث فساداً وتدميراً في المجتمع المصري!؟

وما يقال عن مصر يقال أيضاً عن الأردن، وهناك معلومات كثيرة في هذا المجال لا أريد أن استغرق وقت القارئ فيها، لأنها مدونة، ولكن أشير إلى ما يقوم به حالياً

أساليب وطرق عمل الموساد في نواكشوط حيث قال: «أن السفير الإسرائيلي يستخدم المال والجنس في سبيل إيقاع الشخصيات الإعلامية المهمة... وأن هناك ٣ شقق مفروشة في حي (تفرغ زينة) لهذا الغرض... وأن هناك نوعين من الأشخاص يتعامل معهما السفير، الأول مجموعة من الصحفيين لا يزيد عددهم على الثمانية، وعدد من السياسيين أغلبهم من اليسار الموريتاني، وبالأساس عدد من رجالات حزب الرئيس المخلوع معاوية ولد الطابع، وكذلك شبكة من الشواذ والعاشرات من الجنسين»^(٢).

وإذا كان الأمر في تلك الدول العربية التي لم يسقط منها إلاّ سفارة بأيدي الإسرائيليين، فكيف الأمر بالعراق وقد سقط بأجمعه بأيديهم وأيدي حلفائهم الأمريكيين وغيرهم، فهذا هو في قبضة الموساد والسي أي أي من شماله إلى جنوبه، إذ تسرح فيه قطعان الموساد وتبعث به بكل حرية، تحت حماية قوات الاحتلال الأمريكية وشركات الأمن التي استأجرتها السلطات الصهيونية أو قوات الاحتلال.

والمعطيات حول عمليات التخريب والإفساد للمجتمع العراقي لحد الآن لم تتوفر بالقدر الكافي، لكن ما تسرّب عن هذه العمليات مع أنه قليل، إلا أنه ينذر بالكارثة

سفير إسرائيل في موريتانيا فبعد أن حوّل الكيان الصهيوني موريتانيا، إلى مقبرة لنفايات المفاعلات النووية الصهيونية، بدون أي اكتراث لخطورة هذه المواد المشعة على الشعب الموريتاني، يقوم السفير الصهيوني هناك بزرع بيوت الدعارة في البلاد، ويستخدمها لإفساد الشعب وإسقاطه في مستنقع الرذيلة، وفي إسقاط الشخصيات السياسية والعسكرية الموريتانية في وحل الارتماء بأحضان العدو، هذا ما عكسته الصحافة الموريتانية في الآونة الأخيرة حول نشاطات السفارة الصهيونية.. وتحدثت عن نشاطات اختراق جهاز الاستخبارات الإسرائيلي الموساد عبر وكلائه في السفارة في نواكشوط، وأشارت تقارير صحافية إلى أن رجال الموساد يستخدمون الجنس وتمويلات مالية للصحافيين ووعوداً بمناصب سياسية من خلال دعمهم في الانتخابات القادمة، انتهاءً بمنحهم رواتب شهرية من أجل كسب تعاونهم.

وبحسب تقرير صحافي للصحفية خديجة الطيب، نشرته صحيفة الوطن السعودية يوم ٢٤/٣/٢٠٠٦: «يعود سبب الاختراق الصهيوني للصحف الموريتانية للسفير الحالي بوغر بوسميث الذي خلف أول سفير لإسرائيل بنواكشوط ارييل كرم...».

وكشف صحافي موريتاني رفض الكشف عن اسمه عن

قطعاً شوطاً كبيراً في عمليات الإفساد والمتاجرة ببنات العراقيين، كما يؤشر إلى ذلك تقرير خطر نشرته وزارة الخارجية الأمريكية نفسها، وقد نشرت صحيفة التايمز الأميركية هذا التقرير موضحة: «أن ظاهرة التجارة الجنسية في أراضي العراق لم تراع السن القانونية للفتاة، فمن بين ضحايا هذه الظاهرة فتيات في سن المراهقة تصل أعمارهن إلى ١٤ سنة، وتعرض الفتيات لعمليات الخطف الذي تقوم به العصابات التي انتشرت في شوارع العراق، وبالتأكيد التي يشرف عليها السي أي أي والموساد، بإغراء هذه الفتيات بالثياب والحياة الفاخرة في بيوت الأثرياء العرب المتمركزين في سوريا واليمن والأردن وبلاد الخليج، وعند قبول الفتاة لهذا العرض يتم استصدار جوازات سفر مزورة بأسماء وهمية، ثم يتم ترحيلها إلى بلد المشتري، وقد وصل سعر الفتاة في سن المراهقة إلى ١٠ آلاف دولار، وتختار هذه العصابات من العاملات في دور الأيتام الفتيات ذوات الظروف المعيشية القاهرة والحياتية الصعبة، حتى يكون من السهل استقطابهن، وكانت جمعية حرية المرأة في العراق قد أعلنت اختفاء ٢٠٠٠ فتاة منذ الغزو الأمريكي حتى الآن، بينما يؤكد أحد المسؤولين الغربيين في العراق أن هذه الأرقام ليست

والمأساة لما ينتظره الشعب العراقي من كيد وتآمر صهيوني خطير، فقد برزت ظاهرتان خطيرتان في بغداد والمدن الأخرى وهما: البغاء والمخدرات، وهذا مما حدا برجال الدين في المساجد إلى التنبيه والتحذير من خطورة تفشي هذه الأمراض الاجتماعية بشكل لم يسبق له مثيل، وكشف تقرير سري صدر عن دوائر صحية في العراق عن ارتفاع ملحوظ في عدد الإصابات بمرض الإيدز وتعاطي أنواع مختلفة من المخدرات بين العراقيين، إلا أن وزارة الصحة العراقية تكتمت على هذا التقرير^(٣).

هذا وقد أوضح اللواء أحمد كاظم إبراهيم الوكيل الأقدم لوزارة الداخلية في تصريح لصحيفة: «أن شبكات إقليمية ودولية للمخدرات والبغاء تتحرك باتجاه الأراضي العراقية، وأن تقارير وصلت إلى الشرطة العراقية من الخارج تفيد أن زعامات هذه الشبكات صنفت العراق بالبيئة الآمنة لممارسة تجارة الجنس والمخدرات، في الوقت الذي اتهم فيه رجل الدين أحمد الكبيسي جهاز المخابرات الإسرائيلي الموساد والمخابرات المركزية الأمريكية، بالإعداد لبناء أكبر شبكة للبغاء وللمخدرات في العراق، لغرض تعزيز الاختراق الأمني والأخلاقي في دول العالم العربي وإيران...».

ويبدو أن السي أي أي و الموساد الإسرائيلي

حقيقية وتفوق ذلك الرقم بكثير، بسبب تضليل الأسر العراقية، أو خوف الأسر من الفضيحة والعار^(٤).

ويشير مثقفون ورجال فكر ورجال ودين عراقيون بأصابع الاتهام إلى بعض رجال الأعمال من العراقيين والعرب والأتراك بالسعي لجني أرباح مالية خيالية من وراء دعم هذه الشبكات، إضافة إلى دور قوات الاحتلال وأجهزة الموساد^(٥).

ثانياً: استهداف المشروع العلمي في العراق

المشروع العلمي العراقي معروف ومشخص إقليمياً وعالمياً، فقد عرف العراق بعلمائه في كل النواحي كالطب والقانون والأدب والفن والفقہ والزراعة والاقتصاد... وزاد في الآونة الأخيرة بسبب التكنولوجيا الحديثة المتطورة.

وبما أن النواحي العلمية المستهدفة عديدة، فسنتكفي في طرق موردين منها:

المورد الأول: استهداف العلماء شخصياً

بأن إفراغ العراق من طاقاته الفكرية ومن علمائه بات هدفاً أساسياً لدى الأوساط الصهيونية ومن والاهم.

ف قضية استهداف العلماء والأساتذة والكوادر العلمية في العراق لم تكن قضية عادية مطلقاً، وإن حاول بعض السذج

تفسيرها من زاوية البعد الطائفي، لكن مثل هذا التفسير لا يختلف في خطورته عن خطورة تصفية العلماء نفسها، لأنه يساهم في تضليل الرأي العام ويوفر الفرصة السانحة للجهة التي تستهدف إفراغ العراق من طاقاته العلمية والعلمائية، بمواصلة جرائمها بحق هذه النخبة.

والجهة التي تقف وراء هذه الجرائم كما اتضح لنا هي الموساد الإسرائيلي والسي أي أي، فهذان الجهازان يتعاونان فيما بينهما لإفراغ الساحة العراقية من الطاقات والنخب العلمية، وسنسوق بعض الأدلة التي تدعم هذا الرأي.

ولو رجعنا إلى الوراء وتحديداً لما قبل الغزو «الانكلو-أمريكي» للعراق نجد أن الاهتمام الأمريكي فيما يخص قضية أسلحة الدمار الشامل العراقية كان مصباً العلماء والطاقات العلمية، فطالبوا النظام العراقي في ذلك الوقت بأسماء العلماء العراقيين الذين كانوا يعملون في المجالات العسكرية، وللأسف زودهم النظام الصدامي بأسماء هؤلاء العلماء وعناوينهم، وبعد عام ١٩٩١ رأت الولايات المتحدة أن الفرصة باتت مواتية لتفريغ العراق من كفاءاته العلمية، حيث ركزت على ملاحقة العلماء والخبراء العراقيين الفنيين، كما عبر عن ذلك بوضوح مارك كلايتون في تموز عام ٢٠٠٢ حين كتب في صحيفة كريستيان ساينس

يبين هذا العدد الضخم كان ٨٣% قد درسوا في جامعات أمريكية وأوربية، وأما الباقون فقد درسوا في جامعات عربية أو في أوروبا الشرقية ويعمل ٨٥% من هؤلاء في اختصاصهم^(٦).

فمهمة إخلاء العراق من طاقاته العلمية كان مخططاً لها، وما أن أسقطت أمريكا النظام الصدامي حتى باشرت ومعها الموساد مهمتها بكل أبعادها، فقاموا بإخلاء العراق من طاقاته العلمية، وفي هذا الإطار نشر الدكتور عمار شاكر خبير الشؤون الإسرائيلية تقريراً أعده حول محنة المفكرين والعلماء العراقيين، وتم توزيعه كوثيقة جاء فيه: «أن الولايات المتحدة نقلت من العراق جواً ٧٠ من العلماء العراقيين إلى خارج العراق ووضعتهم في مناطق نائية، خشية أن يسربوا ما لديهم من معلومات، أو يحولون تلك المعلومات إلى منظمات أو دول معادية للأمريكيين، وفي سجل حوادث الاغتيال تشير المصادر المطلعة إلى أن أكثر من ٣٥٠ عالماً عراقياً قتلوا حتى الآن، وحوادث القتل جميعها مدبرة، ويقف خلفها جهاز الموساد الإسرائيلي ووكلاؤه الذين يتواجدون في العراق، ويعملون تحت واجهات مختلفة ومعهم أطراف أخرى، كما ذكرت تقارير أوربية وعربية محايدة أن أكثر من ٢٠٠٠ عالم عراقي من شتى الاختصاصات قد غادروا العراق منذ بداية الاحتلال

مونيتور الأمريكية، يحذر من العقول المفكرة قائلاً: «أن هؤلاء العلماء والفنيين أخطر من أسلحة العراق الحربية، وقد اتخذت واشنطن العديد من الإجراءات لتحقيق هدفها في تفرغ العراق من علمائه قبل إعلان الحرب عليه، فقد أصرت على تضمين قرار مجلس الأمن رقم (١٤٤١) الذي صدر عام ٢٠٠٢ فقرة تجبر العراق على السماح للمفتشين الدوليين باستجواب علمائه وفنييه، حتى لو تطلب الأمر تسفيرهم هم وعائلاتهم خارج البلاد، لضمان الحصول على معلومات منهم عن برامج التسليح العراقية المزعومة».

وفي مطلع عام ٢٠٠٣ أقر الكونكرس الأمريكي قانون هجرة العلماء العراقيين الذي ينص على منح العلماء العراقيين الذين يوافقون على تقديم معلومات ذات مصداقية بشأن برامج السلاح العراقية، تصريح إقامة دائمة في الولايات المتحدة، وفيما يبدو أن الخطة الأمريكية قد عملت أيضاً على إجبار العلماء العراقيين على الاختيار من بين بدائل عدة تحددها واشنطن، وأما من يرفض من العلماء العراقيين التعامل مع هذه الخيارات فإن المصير غامض، وتشير الدراسات إلى أنه بين عامي ١٩٩١ و ١٩٩٨ غادر العراق أكثر من ٧٣٥ عالماً تلقفتهم دول أوربية وكندا والولايات المتحدة الأمريكية وغيرها، ٧٦% منهم اساتذة جامعيون، و ٢٣% معلمون في مراكز أبحاث علمية، ومن

وذلك خوفاً على حياتهم»^(٧).

وأعلن الدكتور سامي أحمد المظفر رئيس جامعة بغداد: «أن قوات الاحتلال اعتقلت عشرات العلماء العراقيين، بينهم عدد من كبار أساتذة الجامعات، خاصة جامعة بغداد والمستنصرية والجامعة التكنولوجية»^(٨).

وصرح الدكتور سامي للصحفيين يوم ٢٠٠٣/٨/١٦: «أن أمراً ما بيّنت وراء هذه الاعتقالات، حيث يجري اللقاء بالأساتذة بصورة سرية، ولا نعرف ما الذي يعرض عليهم... سألناهم - العلماء الذين اعتقلوا ثم أفرج عنهم - عما دار في التحقيق فلم نحصل منهم على إجابات دقيقة... حيث يقول بعضهم أن المسألة كانت حول برنامج التسليح السابق»^(٩).

وحول التدابير التي اتخذها رئيس الجامعة حيال ذلك: «لقد قمت بمخاطبة جميع الجهات ذات العلاقة، كما تحاورت مع رئيس الحكم المدني، وأرسلت مذكرة بأسماء الأساتذة الذين تم اعتقالهم... ولكن المسألة مستمرة»^(١٠).

وقال وزير التعليم العالي والبحث العلمي العراقي زيادة عبد الأسود في مؤتمر صحفي يوم ٢٠٠٣/١٢/٢١: «أن قوات الاحتلال الأمريكي اعتقلت عدداً من علماء الجامعة التكنولوجية، مشيراً إلى أن هؤلاء العلماء يخضعون حالياً لتحقيق كبير خاص بأسلحة الدمار الشامل في العراق من

جانب عناصر أمريكية»^(١١).

ورغم محاولات المسؤولين العراقيين التدخل لحل قضية العلماء والمفكرين العراقيين، إلا أن محنتهم تفاقت وازدادت سوءاً، وهذا ما كشفته الرسالة الاستغاثة التي بعثوا بها عبر البريد الالكتروني، لعل أحداً يسمع نداءهم واستغاثتهم تجاه المضايقات الأمريكية، بل ومن الموت الذي ينتظرهم أو بات يقف على أبواب بيوتهم أو أبواب جامعاتهم، وفي مراكزهم العلمية والمختبرية، فقد أشاروا في هذه الرسالة إلى: «أنهم أملوا هذه الرسالة لأحد العلماء العراقيين الشرفاء في هولندا بالهاتف عن طريق القمر الصناعي، وطلبوا منه أن يرسلها لكل الجهات المعنية للعمل على إنقاذهم من عمليات المداهمة والتحقيق والاعتقال التي تنفذ ضدهم، ومطالبتهم بتسليم ما لديهم من وثائق وأبحاث علمية خصوصاً علماء الفيزياء والرياضيات والكيمياء».

وأشارت الرسالة إلى أن جنود الاحتلال يشجعون أعمال السلب والنهب، ويقومون بنقل غوغاء في عربات خاصة إلى المؤسسات العلمية، ويستغلون الفوضى الموجودة في البلد لتدمير مراكز الأبحاث ومصادرة كل الوثائق وأوراق المشروعات الأكاديمية الموجودة في هذه المؤسسات، لحرمان العراق من أي نواة لنهضة علمية.

أعدته الخارجية الأمريكية ورفعته للرئيس الأمريكي جورج بوش أن جهاز الاستخبارات الخارجية الصهيونية الموساد بالاشتراك مع القوات الأمريكية في العراق، تمكّن حتى الآن من قتل ٣٥٠ عالماً عراقياً وأكثر من ٢٠٠ أستاذ جامعي في المعارف العلمية المختلفة.

وجاء في التقرير المشار إليه: «أن وحدات الموساد والكوماندوز الإسرائيلية تعمل في الأراضي العراقية منذ أكثر من عام، وأن هذه الوحدات تعمل خصيصاً لقتل العلماء العراقيين وتصفيتهم بعد أن فشلت الجهود الأمريكية منذ بداية الاحتلال الأمريكي للعراق في استمالة عدد منهم للتعاون والعمل بالأراضي الأمريكية».

وأكد التقرير: «أنه على الرغم من أن البعض من العلماء أُجبر على العمل في مراكز أبحاث حكومية أمريكية، إلا أن الغالبية الكبرى منهم رفضوا التعاون مع العلماء الأمريكيين في بعض التجارب، وأن جزءاً كبيراً منهم هرب من الأراضي الأمريكية إلى بلدان أخرى...، وأما العلماء العراقيين الذين قرروا التمسك بالبقاء في الأراضي العراقية فإنهم خضعوا لمراحل طويلة من الاستجواب والتحقيقات الأمريكية التي ترتب عليها إخضاعهم للتعذيب، إلا أن الموساد الإسرائيلي كان يرى إبقاء هؤلاء العلماء أحياء يمثل خطراً على أمن إسرائيل في

وعمليات التهريب والمضايقة التي كانت القوات الأمريكية تقوم بها ضد العلماء والخبراء العراقيين وتمارسها معهم، تهدف إلى حمل هؤلاء على التعاون مع الولايات المتحدة من خلال الانتقال إلى المراكز العلمية الأمريكية والعمل فيها، بل أقدمت أمريكا على تأسيس مركز عراقي أمريكي لتوظيف العلماء في ممارسة نشاطاتهم العلمية، ولكن وفق المنهج الذي ترسمه الإدارة الأمريكية نفسها، حيث أعلن في ذلك الوقت الناطق باسم الخارجية الأمريكية ريتشارد باوتشر عن تأسيس مكتب في بغداد في إطار ما اسماه برنامج التوظيف السلمي يضم خبراء أسلحة الدمار الشامل العراقيين، وأضاف باوتشر في بيان أصدره يوم ٢٠٠٣/١٢/١٨: «سيقوم المركز بتحديد احتياجات وتوفير التمويل لمشروعات علمية محددة تستخدم خبرة الأشخاص الذين كانت لهم علاقة في السابق ببرنامج أسلحة الدمار الشامل بالعراق»^(١٢).

ورغم الشكوك التي تكتنف هذه المحاولة؛ إذ أنها كما يعتقد البعض مجرد محاولة للتغطية على الجرائم الأمريكية الصهيونية بحق العلماء، أو أنها محاولة لجذب العلماء ومنعهم من الخروج من العراق والسيطرة عليهم...، فالذي حصل هو أن المنطق الصهيوني ساد في النهاية متمثلاً بقتل العلماء والفتك بهم...، فأكد تقرير أمريكي

الخطة الإسرائيلية بخيار واحد وهو ما سمي بخطة إسرائيل بشأن التطبيع مع العراق في المجال العلمي، التي روج لها بشكل كبير بعد سقوط بغداد، فمنذ ذلك التاريخ حتى تموز ٢٠٠٤ عقدت في الدولة العبرية ٢٥ ندوة وحلقة دراسية ونقاشية حول العراق، وقد حظيت هذه الندوات باهتمام كبير من المسؤولين، الذين حرصوا على حضور بعضها مثل إيهود أولمرت وزير التجارة والصناعة سابقاً ورئيس الوزراء الحالي، وسيمور لفنتز وزير التعليم، وتومي لبيد وزير العدل، ويوسف بريتسكي وزير البنية التحتية، ويهود ديت تاوت وزيرة البيئة، وغيرهم من المسؤولين السياسيين وحتى العسكريين الذين دعموا هذه الخطة التي قدمتها تل أبيب إلى هذه النخبة العراقية من العلماء بعد احتلال العراق بمساعدة أطراف خارجية للعمل في جامعاتها، أو التعرض للاغتيال بهدف تفريغ هذا البلد من العلماء

وأصحاب الكفاءات العلمية، وبحسب مصادر استخبارات عراقية فإن نحو ٢٤٠٠ من عناصر القوات الإسرائيلية الخاصة دخلوا مع القوات الأمريكية عقب سقوط النظام السابق، وتشير تلك المصادر إلى أن هذه الفرقة الخاصة كانت تستهدف العلماء والمفكرين والمهندسين العراقيين، الذين يعتقد أنهم كانوا وراء تطوير البرنامج العلمي العراقي، إذ كانت تلك الفرقة الخاصة تملك

المستقبل، وأشار التقرير الأمريكي إلى أن البنتاغون كان قد أبدى اقتناعه منذ أكثر من ٧ أشهر بوجهة نظر تقرير المخابرات الصهيونية، وأنه لهذا الغرض تقرر قيام وحدات من الكوماندوز الصهيونية بمساندة القوات الأمريكية بهذه المهمة، وأوضح أن الفريق الأمني الأمريكي يختص بتقديم السيرة الذاتية الكاملة لهؤلاء العلماء العراقيين وأن هذه العملية مستمرة منذ أكثر من ٧ أشهر وكان حصيلتها قتل ٣٥٠ عالماً و ٢٠٠ أستاذ جامعي حتى الآن، خاصة في الشوارع بعيداً عن منازلهم»^(١٣).

ومن الجدير بالذكر أن ما جاء في هذا التقرير يؤكد جنرال فرنسي، فقد أعلن الجنرال لقناة التلفزة الفرنسية يوم ٢٠٠٣/٤/٨ أي قبل يوم واحد من سقوط نظام صدام: «أن أكثر من ١٥٠ جندياً إسرائيلياً من وحدات الكوماندوز دخلوا الأراضي العراقية في مهمة تستهدف اغتيال العلماء العراقيين، الذين كانوا وراء برامج التسليح العراقية، وقدمت أسماؤهم إلى لجنة مفتشي الأسلحة الدولية برئاسة هنز بليكس... وإن مخطط الاغتيال هذا تم وضعه من قبل مسؤولين أمريكيين وإسرائيليين بهدف اغتيال العلماء العراقيين الذين كانوا نواة برامج التسليح الصاروخي والنووي والكيميائي...»^(١٤).

وفي هذا الإطار يقول الدكتور عمار الحلو: «اتسمت

نحو ٣٥٠٠ اسم لعالم ومهندس ومفكر عراقي، عملوا في تلك البرامج اغتيال، منهم نحو ٢٥٠ عالم عراقي، فيما اضطر آخرون إلى المغادرة بعد أن تلقوا تهديدات أو خطفوا ودفعوا مبالغ مالية كبيرة طلب من بعدها منهم المغادرة»^(١٥).

ويقول الدكتور شاكِر الحاج مخلف رئيس تحرير جريدة المدار الأدبي: «بلغ عدد علماء الذرة العراقيين الذين تمت تصفيتهم من قبل الموساد والقوى الأخرى المتعاونة مع الاحتلال ٦ علماء بعضهم واجه الموت داخل العراق وفي أماكن التدريس، والبعض الآخر تم استهدافه وقتله خارج العراق بعد عمليات ملاحقة وتحري من قبل عملاء الموساد الإسرائيلي، وشكّلت حوادث مهمة مثل حادثة اغتيال عالم الذرة البارز مجيد حسين علي أستاذ كلية العلوم بجامعة بغداد، كما تم اغتيال عالم هندسة الطائرات الدكتور محيي حسين، والعالم البارز مهند الدليمي أستاذ العلوم في الجامعة التكنولوجية ببغداد، إضافة إلى حادثة اغتيال العلم البارز الدكتور شاكِر الخفاجي مدير قسم التقييس والسيطرة النوعية في العراق، وكذلك قتل العالم البارز علي موجد الحميداوي المدير العام في أمانة العاصمة»^(١٦).

ويقول الدكتور الشخيلي: «تعرض ملاكاتنا العلمية

والصحية إلى أنواع من العنف، بعضها اعتداءات وأخرى خطف، وأكثرها شدة وخطورة الاغتيالات، وأن هذا النوع من العنف الذي ينال من كفاءاتنا العلمية والطبية والصحية مما يجعلها تغادرنا وتهاجر، ونحن بأمر الحاجة إلى خبرة كل منهم لدعم مسيرتنا الصحية والعلمية، وقد تناقلت وسائل الإعلام أن عدد الشهداء من الأطباء لغاية شهر شباط الماضي بلغ أكثر من ٦٣ شهيداً و٦٩ جريحاً، بينما بلغ عدد الشهداء من الكفاءات الصحية والتمريضية ١٦٣ شهيداً، فيما بلغ عدد الجرحى أكثر من ١٦٠ جريحاً.... الآن تنفذ بحق كفاءاتنا العلمية حملة منظمة، ولا بد من أن نعمل ونناشد المسؤولين في الحكومة لإيلاء الموضوع الجدية والأهمية لمكافحة العنف ضد كوادرنا الطبية والعلمية والحفاظ على تلك الثروة، ووضع حدّ للنزيف الدموي لتلك الشريحة وعدم إجبارها على مغادرة العراق تحت أية ذريعة»^(١٧).

فالمعلومات كثيرة وواضحة حول دور السي أي أي والموساد الإسرائيلي في تصفية العقول العراقية، وأخلاء الساحة العراقية منها، وحرمان الشعب العراقي من عطائها العلمي والفكري، واكتفي بالإشارة لتقرير أعد حول هذه الجرائم تحت عنوان (الموساد وراء اغتيال وخطف ٥٣٠ بروفيسوراً وعالماً عراقياً) ونشره موقع قرية القنية

الالكتروني^(١٨).

والتقرير هو خلاصة عمّا دار في المؤتمر الذي استضافته العاصمة الأنسانية مدريد، وتناول مأساة اغتيال العقل العراقي كخطوة أولى في عملية اغتيال العقل العربي ذو الكفاءة الرفيعة، في إطار مؤامرة كبرى للسيطرة على المنطقة وتجريدها من ثروتها البشرية، وقد تمت عمليات اغتيال العلماء والمفكرين والأكاديميين العراقيين بالتعاون الوثيق بين قوات الاحتلال، بقيادة الولايات المتحدة وجهاز المخابرات الإسرائيلي الموساد.

وهذا ما يُدّد عمل بعض الجهلاء من الإعلاميين والكتاب الذين يردّدون كذباً ما تنشره وتروجه وسائل إعلام الموساد والسي أي أي لتغطية هذه الجرائم، بأن العلماء تتم تصفيتهم في إطار ما يسمونه بالحرب الطائفية بين السنة والشيعة.

ولذلك نقول لهؤلاء: إن عليهم التريث قبل ترديد مثل هذه المعلومات الخاطئة حول عمليات قتل العلماء والأساتذة العراقيين، لأنها لا تخدم سوى الموساد وعملائه كجماعة الزرقاوي وعملاء السي أي أي، الذين يواصلون تخلية الساحة العراقي من علمائها ومثقفها لأهداف سنتعرض إليها بعد قليل.

فكثير من المعطيات تؤكد أن الموساد والسي أي أي

وراء كل عمليات استهداف العلماء والأكاديميين العراقيين، تضمّن بعضها الإشارة إلى الأهداف التي يسعى الموساد والسي أي أي إلى تحقيقها أو الوصول إليها، ونشير إلى بعض منها:

أولاً: أن تجريد أي شعب من طلائعه المثقفة وعلمائه يعني تحويل هذا الشعب إلى مجرد كم بشري يقاد ويوظّف حسب مقتضيات المصالح الأمريكية والإسرائيلية، وبالتالي التحكم في ثرواته.

ثانياً: تصفية علماء العراق ومثقفيه وفقهائه في كافة المجالات أو تشريدهم وإجبارهم على ترك بلدهم، يعني: إفراغ القطاع التعليمي بكل مستوياته، وبالتالي إحلال هذه القطاعات بأساتذة ومعلمين أجانب، وهؤلاء في الوقت الذي لا يقدّمون علماً يصنع نهضة، فإنهم سيصنعون جيلاً عراقياً وفق مقاسات الموساد والسي أي أي.

ثالثاً: الصهاينة يعتقدون ومعهم الأمريكيان أن تدمير العقل العراقي سوف يجعل من البلد سوقاً استهلاكية للبضائع الصهيونية والأمريكية لتوقف الصناعة والإبداع فيه، ومصرفاً لتصريف البطالة الأمريكية والصهيونية على حساب إمكانات و ثروات الشعب العراقي المظلوم.

رابعاً: يعتقد الصهاينة أيضاً أن تصفية العقل العراقي المبدع ستكون تجربة مهمة يمكن تعميمها على بقية

وللأسف بما أن الهمم كلها مشغولة في الفوضى العارمة في البلد، لم يلتفت لهذا الأمر، فمن الطبيعي أن تكون المعلومات قليلة فيه، ولكن نشير لما حصلنا عليه من معلومات.

فما تناقلته بعض المصادر الإعلامية العراقية له دلالة كبيرة جداً ويؤثر إلى الأخطار التي تنتظر القطاع الزراعي في العراق، سيما زراعة محصول النخيل الذي يشتهر به العراق، كأول دولة في العالم لإنتاج التمور، وإذ نجح الموساد في تدمير القطن المصري الذي كانت مصر تحتل أول دول العالم من ناحية إنتاجه ونوعيته، فإنه سوف ينجح في تدمير القطاع الزراعي إذا لم يواجهه العراقيون، ومما جاء في هذا الخبر أن تقريراً أعده خبراء في وزارتي الزراعة والموارد المائية يقول: إن من الأسباب الرئيسية لتفشي الأوبئة في بساتين النخيل في جنوب العراق، إدخال بعض الجهات الأجنبية المعادية للعراق فيروسات متنوعة أدت إلى انتشار الأوبئة والأمراض بين أشجار النخيل، بهدف قتل هذه الأشجار التي اشتهر بها العراق وتخريب الاقتصاد الوطني.

وأوضح التقرير الذي وُزِعَ على الدوائر ذات العلاقة أن معظم بساتين النخيل أصيبت بآفات وأمراض فتاكة بعد الحرب الأخيرة في منتصف عام ٢٠٠٣، مما أثر بشكل

الدول العربية، ما دام الاختراق الصهيوني الأمريكي مؤمناً. خامساً: الصهاينة والأمريكان يعتقدون أن الإمام الحجة (ع) سوف يجعل العراق عاصمة له، وهذا يعني: أن الشعب العراقي بكل طاقاته سيلعب دوراً رئيسياً في ثورة المهدي (ع) العالمية، ولذلك لابد من تدمير هذا الشعب ولا يتم هذا إلا من خلال تصفية طاقاته العلمية والفكرية.

المورد الثاني: استهداف المشروع الزراعي

من علامات الدولة العراقية أنها بلد يتمتع بقطاع زراعي واسع غني، وذلك لأسباب ثلاثة التراب والمياه والهواء، فأرضه خصبة صالحة لأغلب أصناف المحاصيل الزراعية، ومياه وفيرة لجريان النهرين الكبيرين فيه دجلة والفرات، وأما هواؤه فيتمتع بهواء معتدل يناسب متطلبات المزروعات سواء الدائمة أو الموسمية.

هذا مضافاً إلى الطاقة البشرية الزراعية سواء على مستوى علماء الزراعة أو الأيدي العاملة فيها. وهذا كله لم يخف على أعداء العراق قديماً وجديداً، ولذا استهدف هذا المجال بقوة وشراسة.

وبما أن كلامنا عن الغزو الأخير للعراق، فسننتحدث عن هذا الأمر فيما يخص الزراعة وخاصة علماءها العراقيين، وما ابتكروه من إبداعات فيها.

سليبي على معدل كميات التمور وأنواعه للإنتاج السنوي للنخلة المثمرة، إضافة إلى ذبول وموت المئات من أشجارها^(١٩).

ومن الجدير بالإشارة هنا أن ثروة النخيل في العراق كانت قد تلقت ضربات مؤجعة في عهد صدام خلال الحربين اللتين شنهما دكتاتور العراق على إيران والكويت، حيث أكدت وزارة الزراعة العراقية: «أن العراق خسر خلال حربي الخليج الأولى والثانية أكثر من ٩ ملايين نخلة، وأن أعدادها حالياً تبلغ ١٢ مليون شجرة بعد أن كانت عام ١٩٨٠ أكثر من ٢١ مليوناً»^(٢٠).

وتركيز حديثنا على الدور الصهيوني لا يعني مطلقاً تبرئة الاحتلال الأمريكي، فهذا الاحتلال هو الآخر يقوم بدور منهجي في عمليات التخريب، هذا على الأقل ما لاحظناه مع دول أمريكا اللاتينية وبعض دول آسيا التي كانت تحت الهيمنة والوصاية الأمريكية، فالأدوار متكاملة بين الموساد والسي أي أي، وإن كان الموساد أكثر إبلاماً، وباعتقادي أن مقالة الكاتب العراقي علاء اللامي^(٢١)، التي اعتمد فيها على دراسة للكاتب الانجليزي جيريمي سميث مدير مجلة ذي ايكولوجست البريطانية، تعطي صورة واضحة عما ينتظر القطاع الزراعي في ظل الاحتلال.

يقول الكاتب علاء اللامي الذي عنوان مقاله بـ (الأمير

العسكري الأمريكي): «إن إعدام الزراعة العراقية النوعية مقدمةً لتصحير العراق!... إن دراسة سميث التي جاءت تحت عنوان (الاحتلال وشركات البذور الأمريكية تهدد قرناً من الابداع الزراعي العراقي)، تشير إلى الخطر الذي ينتظر الزراعة العراقية ويعتبرها أقرب - السياسة الأمريكية - إزاء القطاع الزراعي العراقي للفضيحة الاقتصادية والسياسية والأخلاقية التي ارتكبتها سلطات لاحتلال في المراحل الأولى لاحتلالها للعراق».

ويقول اللامي: «بادرت الحكومة العراقية السابقة، إلى جمع التراث العراقي من البذور المحلية والمنتجة ضمن شروط البيئة والمجتمع العراقي في ما سمي حينها البنك الوطني للبذور في مدينة أبو غريب، وقد استمر الفلاح العراقي يستعمل بذوره المحلية بنسبة تصل ٩٧% مع انعدام ما يسمى حق الملكية الفكرية، حيث دأب المجتمع العراقي على اعتبار هذا الكنز المتنوع والغني من الخزين البذوري ملكية مشاعة بين الناس... وبعد الاحتلال الأمريكي مباشرة تم تدمير وإنهاء البنك الوطني للبذور مع ما دمر من مؤسسات ومكونات البنية التحتية والفوقية العراقية... وفي أجواء الفوضى والخراب الشامل للذين أعقبوا احتلال العاصمة بغداد، وجدت سلطات الاحتلال الفرصة سانحة للبدء بتنفيذ مخططها لتأسيس وضع جديد

في الميدان الزراعي يحل محلّ النظام الزراعي العراقي الأصيل والموروث».

ثم يتحدث الكاتب عن الخطة الأمريكية التي تشكّل خطراً على مستقبل العراق، ويقدم إحصائيات وتوثيقات في غاية الأهمية حول الموضوع فيقول: «يقوم المخطط الأمريكي الذي تولّى الحاكم الأمريكي تنفيذه على خطة شاملة لما دعاه إعادة هيكلة البذور والزراعة العراقية في خطة زراعية جديدة ومصرف وطني جديد للبذور بهدف القضاء على حق الملكية الفكرية العامة للبذور المحلية، ويتيح لشركات البذور الأمريكية احتكار إنتاج وتصدير بذورها وتعليم الفلاحين العراقيين إعادة اكتشاف زراعة القمح على أسس حقوق الملكية التجارية! تقول الإحصائيات المعتمدة إن العراق أنتج في العام ١٩٩٥ ما مقداره ١٢٣٦ طن من القمح ثم تراجع الإنتاج إلى ٣٤٨ ألف طن العام ٢٠٠٠ وعزت منظمة الزراعة والأغذية (الفاو) سبب هذا التراجع إلى انعدام الاستقرار في العراق والحصار الطويل الذي تعرض له هذا البلد، على أن وزارة الزراعة الأمريكية خالفت هذا التفسير - استنتاجات الفاو - وخلصت إلى أن الزراعات العراقية قليلة الإنتاجية، وأنها تحتاج إلى إعادة هيكلة جديدة».

ويضيف اللامي نقلاً عن سميث قوله: «ولتنفيذ هذا

المخطط الإبادي أصدر بول بريمر قبل مغادرته العراق مجموعة من الأوامر العسكرية بلغ عددها مائة أمر وفرمان، ومن أخطرها الأمر العسكري المرقم ٨١ الخاص بحق الملكية وحماية بذور القمح الآتية من وراء الأطلسي... وأن هذا الأمر العسكري ينص على حماية تنوع المزروعات **pup**، ولكنه لا يعني كما يدل اسمه، حماية التنوع الحيوي وتعدد التنوعات والبذور العراقية والمحلية، بل يعني تماماً القضاء عليها، بمعنى يمكن لنا أن نتصور المآل الذي ستؤول إليه الأمور، فالتراث البذوري الموروث في العراق سيختفي تماماً، وسيتم ربط الزراعة العراقية ربطاً محكماً بشركات إنتاج البذور الأمريكية صاحبة الحق الوحيد في الملكية الفكرية لتلك البذور، وهذه البذور بدورها ستجعل الأراضي العراقية ساحة لعملية تلويث بيئي خطير».

ويوضح الكاتب الأساس القانوني الذي تقوم عليه الخطة الأمريكية، وفق هذا الأساس، ف «إن أمريكا تمنع المزارع العراقي من استخدام بذور الموسم السابق، وعليه أن يستخدم بذور جديدة تتمتع بمواصفات التعريف العالمي للبذور المحمية، وهكذا سيكون الطوق قد أحكم على مستقبل العملية الزراعية العراقية بعد أن تم القضاء على التنوع الحيوي الطبيعي وأبىد التراث البذوري العراقي

العريق، وأصبحت الأراضي الزراعية في خطر داهم بسبب التلوث المتوقع والأكيد الذي ستحمله معها البذور الهجيننة - المعدلة وراثياً - لتنتهي الدورة بتصحير العراق تماماً وتحويله إلى دولة نفطية قاحلة في غضون بضعة عقود».

وتعرض الكاتب إلى الجانب التطبيقي لهذه الخطط الأمريكية التي يقول عنها: إنها انتهت في عدد من دول أفريقيا وأمريكا اللاتينية إلى إفقار الفلاحين وهيمنة الشركات الأمريكية الكبرى على الميدان الزراعي في تلك البلدان، تعرض إلى هذا الجانب قائلاً: «في محافظة الموصل العراقية مثلاً التي تنتج كميات كبيرة من القمح العراقي رفيع النوعية في منطقة الجزيرة، أخذت القوات الأمريكية بتوزيع البذور الأمريكية على الفلاحين، وتمت زراعة ٣٢٠ هكتاراً من نوعيات عالية الإنتاجية من الحمص والشعير والعدس والقمح، وأن هذه التجارب وصلت إلى ٣٠ ألف مزارع في السنة الأولى من سنوات الاحتلال، وكانت حصّة الأسد في العملية لشركة للأبحاث الزراعية في اربزونا، وقد وزعت حتى الآن ستة أنواع من البذور في العراق ثلاثة منها معدة لصناعة الخبز، وثلاثة أخرى معدة لصناعة المعجنات (المعكرونة)، مما يدل على أن الأنواع الثلاثة الأخيرة

مخصصة للتصدير ولا تدخل في النطاق المحلي».

وبما أن تربة العراق ذات خصوصيات بيئية خاصة، فيما يتعلق بشدة حساسية التربة من مشكلة التسيخ العريقة، والتي تتحول بموجبها الأراضي الزراعية الخصبة إلى حقول من السباح - الأراضي ذات الملوحة العالية - في حال تكرار استعمالها سنوياً، فإن الخطة الاحتلالية للزراعة العراقية ستكون ماحقة وسريعة التأثير، وستقضي - بتسيخ السهول المسقية سيما تلك المروية ديماً - المعتمدة على المطر - في مناطق الجزيرة الشمالية.

ويلخص اللامي هذه النتيجة بقول مقتضب للكاتب سمث جاء فيه: «تهجنت تلقائياً - أي الزراعات - والبذور الجديدة تنقل ملوثاتها إلى المزروعات الأخرى، حيث لا يحق للمزارعين إعادة استخدام البذور الملوثة بدون حيازة حق الملكية الفكرية، فيضطرون لشراء بذور جديدة في كل موسم ويرغمون على شراء المواد الكيماوية الملائمة لهذه البذور إلى أن تنهك الأرض خلال سنوات قليلة، وترغمهم على شراء بذور أكثر مناعة ومبيدات أكثر فاعلية، حيث يفضي بهم الأمر إلى التخلي عن زراعة الأرض نتيجة قلة العائدات في تغطية كلفة المنتج والمحصول».

ويضمن اللامي مقالته بقول جدير بالأهمية لسميث

جاء فيه: «تقول الحكومة العراقية الجديدة إنها ستستغني عن خدمات القوات المتعددة الجنسية حالما تستطيع حماية الأمن، غير أن الحري بها أن تستغني عن خدمات شركات البذور والمبيدات الأمريكية قبل فوات الآوان، وأن تعيد بناء البنك الوطني للبذور وحماية الإرث التاريخي العراقي من التلوث والانقراض».

وفي نهاية الدراسة القيمة المشار إليها ساق كل من اللامي وسمث جملة توصيات لمعالجة الأمر قبل فوات الآوان، ارتأيت من الضرورة تدوينه في هذا الجانب من دراستنا تعميماً للفائدة، وهي ما يلي:

: جمع عينات بذور غير ملوثة من المزارعين العراقيين في بناء البنك الوطني للبذور.

: الاستعانة بـ **center for a gricultural** **research the dry area carda** الموجودة في سوريا، حيث يضم عينات من البذور العراقية.

: يمكن الاستفادة من **focus on the global south** وهو مركز أبحاث في بانكوك، تقوم به منظمة غير حكومية **grain** تعني بالتنوع الحيوي ونشر المعارف الزراعية المحلية.

: علماً بأن هذا المركز يضم إرثاً زراعياً يعود للمزارعين

العراقيين، وأن هذا الإرث ينبغي أن يعود إلى بلده الأصلي.
: مبادرة المزارعين العراقيين والمتخصصين في ميدان البذور والزراعات السنوية إلى عقد مؤتمرات علمية وجمع ومناقشة خبراتهم الغنية في هذا الصدد.

: القيام بحملات إعلامية واسعة النطاق لتنوير الرأي العراقي العام إزاء موضوع الزراعة، وشرح مخاطر المخططات الأمريكية في هذا الصدد.

تحريض الفلاحين العراقيين على مقاطعة التعامل مع الشركات الأمريكية المنتجة للبذور المعدلة وراثياً، وتبيان مخاطر هذا التعامل عليهم وعلى أراضيهم.

الاستفادة من أنظمة حماية الحقوق الفكرية وتسجيل جميع أنواع البذور العراقية بأسمائها وصفاتها ضمن مسعى واسع النطاق لتكون مشمولة بهذه الأنظمة وتكون هذه الحقوق ملكاً للشعب العراقي.

وأضيف نقطة مهمة وهي توعية العراقيين بما آلت إليه الزراعة في مصر، من مثل ما آلت إليه زراعة محصول القطن، كما أشرت في بداية الحديث عن التخريب الزراعي الصهيوني في مصر وكذلك باقي المحاصيل الزراعية الأخرى.

إفهام الرأي العام العراقي أيضاً أن التخريب الأمريكي

الصهيوني للزراعة في العراق والبلدان الإسلامية يشكل ركيزة من ركائز المشروع الأمريكي الصهيوني في العراق وفي المنطقة لتظل هذه الدول أسواقاً ممتازة ورائجة لتصرف ما يزرعه الفلاح الصهيوني والشركات الأمريكية من أجل امتصاص أموال العراق، وتكريس تبعية هذا البلد اقتصادياً، وبالتالي سياسياً للعجلة الأمريكية الصهيونية.

ثم يجب أن يلتفت المسؤولون العراقيون المخلصون منهم خصوصاً إلى تبعات السكوت وعدم فضح ما يقوم به الموساد الإسرائيلي والسي آي أي في العراق، من تخريب وتأمر وما إلى ذلك؟

وأخيراً التنبيه إلى أن الصادرات الصهيونية للعراق تحمل الكثير من الأضرار سواءً للمواطن العراقي، أو للقطاع الزراعي والصناعي، فإذا كان العدو يصدر لمصر أجباناً فاسدة ومواد غذائية لا تتميز بالموصفات العالمية، وملابس تسبب العقم على الرغم من الرقابة المصرية الصارمة والمشددة، فكيف نتصور الأمور مع غياب الرقابة العراقية نهائياً؟!

وأن النقطة السابقة تنطوي على أهمية وخطورة إضافية، إذا عرفنا أن شركة (شر) الصهيونية بدأت بتلبية طلبات سريعة لبضائع أساسية كالتجهيزات الطبية، أغذية أطفال، الحليب المجفف، وطلبات على المدى البعيد

لمشاريع في مجالات الأبنية التحتية، الطاقة، المياه، وتمثل شير شركتي (وتربول)، (أمانيت) اللتين كانتا تعملان على اختراق السوق العراقي في حزيران؛ وأن الشركة الأمريكية، (ميدست) ستفتح فرعين في بغداد وعمان، وامتداداً لها في إسرائيل، وتفكر الشركة بالاستفادة من المعلومات الإسرائيلية، وضم شركات إسرائيلية، وثمة بنك أمريكي للتجارة الخارجية، لم يكشف عن هويته، يجري مفاوضات، وكذلك أصبحت في مرحلة متقدمة مع شركة إسرائيلية لإرسال خبراء زراعيين من إسرائيل إلى العراق، وتمويل مشاريع إعادة تأهيل في القطاع الزراعي، ويقود هذه المفاوضات أهارون إفروني رئيس شركة (عزين ايست)، مدير المعهد اليهودي العربي في كلية بيت بيرل... (٢٢).

ثالثاً: إثارة الفتنة الطائفية وتقسيم البلاد

الفرع الأول: إثارة الفتنة الطائفية

للفتنة أطراف ثلاثة، طرف يصنعها، وآخر يكون أرضاً لها، وثالث يدركها ويشخصها.

نعم، ولكل فتنة مادة تصنع منها، سواء كانت تلك المادة مادية أم معنوية، واختلاف مواد الفتن، لا يستطيع أن يخرجها ويحولها عن حقيقتها، ولكن فيه قابلية أن

يطلي أمرها على ضعاف الأذهان من خلال تصورهم أنها ليست بفتنة، وإنما أمر واقع لا بد من المسير فيه لآخر نقاطه كي يتم المراد، وبذلك فعلت قابلية اختلاف مواد الفتن وصارت عاملة ونشطة، وكأنها هي الفواعل لا أنها قوايل.

هذا جزء يسير من معالم الفتنة، وإلا فالكلام فيها طويل، ولكننا سقنا الحديث بشيء من الاختصار للدخول في الفتنة التي تواجهنا، وربما الصحيح نحن الذين نواجهها، وكلاهما صحيح؛ نواجهها، حيث لو نظرنا من طرف العدو الأمريكي الصهيوني لكان الأول، لإلقاهما للفتنة في أوساطنا، وتوخيها النتائج المبتغاة منها، ومن خلال ما تقوم به بعض الأوساط العربية من دعم ومن تقديم تسهيلات لهذه الفرق المجرمة والمولعة بالدماء، فالصهاينة استغلوا هذه الأطراف العربية استغلالاً بشعاً في مشروعاتهم وخططهم إزاء العراق!!

فقد كتب الكاتب الأمريكي سيمور هيرش بحثاً نشر في حزيران / يونيو عالم ٢٠٠٤ تحت عنوان (كيف خلقت إسرائيل أسطورة القاعدة) قال فيه: «أن مقاتلي الموساد الأجانب في العراق كانوا هناك منذ وقت طويل، واختصاصهم: تلغيم السيارات، والتعذيب الجنسي، وقطع الرؤوس، وجاء هؤلاء المواطنون الإسرائيليون إلى العراق

باعتبارهم مدنيين عرباً أو أكراداً، ورجال أعمال، أو ربما مقالون ضمن تعاقد مع مكتب المحافظين الجدد في البنتاغون»^(٢٣).

وقد جاء في إحدى مقالات الكاتب العراقي المعارض سمير عبيد: «أن الذين يقومون بعمليات القتل وإثارة الفتنة هم من الذين دربتهم السي أي أي والموساد الإسرائيلي في غوام وهسنغاريا وإسرائيل، وهؤلاء تدربوا خصيصاً للقيام بهذه المهام في العراق، عندما تدرب هؤلاء وصرفت عليهم الولايات المتحدة ملايين الدولارات ليس للبطر أو للبرستيغ، بل لمهمات معينة، وما نراه الآن من خلط للأوراق، ومن تفجيرات وحرب قذرة في كل مكان، ما هو إلا جزء أعمال ومهام هؤلاء، فعلى من يريد التوثيق أو زيادة في المعلومات عليه قراءة مجلة **Majazin Marianne** وتحديداً بعد العاشر من سبتمبر / ايلول ٢٠٠٥، حيث تقول المجلة: (أن هناك خلايا تستلم تعليماتها من الأمريكيين لتقوم بالقتل والتفجير، ولقد قتل لحد الآن وبهذه الطريقة ١٦٠٠ عراقي) وأن من أشرف على تأسيس هذه الخلايا هو السفير الأمريكي السابق في العراق والمعروف بخبرتها الدولية في تأسيس هكذا خلايا منذ أن عمل في الهندوراس والسلفادور وهو السفير نغروبونتي.. وهناك من

ساعدها في عملية التأسيس وهو المدعو بيتروس؛ وقالت المجلة: (أن عدد أفراد هذا التنظيم حوالي ١١ ألف مقاتل...)»^(٢٤).

ولا نريد أن نطيل ذكر الشواهد بعد أن أصبحت من المسلمات إن لم يكن عند الكل فعند الأغلب، ولكن للأسف أن بعض الرموز السنية وأتباع النظام السابق، وغالبية الإعلام العربي، وبعض الأنظمة العربية لهم مساهمة فعالة في تسهيل مهمة الصهاينة والأمريكيين في إثارة الفتنة الطائفية، وللمساهمة في عدة جهات، منها التشكيك بالشيعة وبوطنيتهم، وباتهامهم بابتلاع وقتل السنة! وهذا تزيف للحقيقة، وقد انطلى على بعض شرائح الشعب العراقي، وإلى الآن نجد مثل الشيخ عبد السلام الكبيسي وهو من هيئة علماء المسلمين يتهم الشيعة في البصرة وفي أماكن أخرى بأنهم يستهدفون السنة، بينما الحقيقة في أن ما حصل في البصرة بعد زيارة رئيس الوزراء نوري المالكي وإعلانه حالة الطوارئ، هو أن الشرطة العراقية حصلت على معلومات مؤكدة أن مفجر السيارة التي حصدت أكثر من ٥٠ بين قتيل وجريح من الأبرياء، اختفى في مسجد العرب، وهو مسجد تابع للسنة في البصرة، وحين ذهبت الشرطة للتحقق، ردّ عليها الذين في المسجد بالرصاص، وقتلوا اثنين منهم، ثم تطور الأمر

إلى مواجهة دامت خمس ساعات، وتبين أن هذا المسجد كان مخزناً للأسلحة والمتفجرات.

ومن المعلوم أن مثل تلك التصريحات تثير علامات استفهام مرعبة، وتسوق المراقب لأن يرجّح حصول اتصالات بين الطرف الإسرائيلي والأمريكي المحب والصانع للفتنة الطائفية مع تلك الرموز، هذا مضافاً إلى الحملة التي قادتها كل من جبهة الدليمي والمطلق ضد الشيعة، والتركيز على محور الطائفية ومعاداة التيار الصدري وجيش المهدي، كل ذلك يشير إلى أن ثمة تنسيقاً وراء الكواليس بين الطرفين، وكأن هذه الحملة جزء من الثمن الذي يقدمه هؤلاء السياسيون للعدو الصهيوني حتى يقوم بالضغط على أمريكا، وبغض النظر عن صحة هذا التحليل أو عدم صحته، فإن هذه الرموز ساهمت مساهمة فعالة في تمرير خطة العدو في إثارة أجواء عداوية بين السنة والشيعة، تمهيداً لعملية التقسيم.

والملاحظ أن الأعمال الإجرامية اتخذت اتجاهات خطيرة، وكلها تشير لمخطط مدروس، وهو التأكيد على التطهير العرقي المناطقي، بمعنى محاولة السيطرة على الأوضاع وعدم السماح لها بالانزلاق إلى مواجهة عامة شاملة - حرب أهلية طائفية - بين السنة والشيعة، لأنه وإن كان مراداً للسلطات الصهيونية وسعت إليه، إلا أنه يصطدم

بالمصلحة الأمريكية وبمصالح الأنظمة العربية، فإن أقصى ما تريده أمريكا ما دامت موجودة في العراق استنزاف القوى العراقية بعضها للبعض وانهاكها جميعاً، فهي لا تدفع بالأمور للمواجهة الشاملة، إلا إذا قررت الخروج من العراق والتخلي عن مشروعها فيه، ولذلك حذر السفير الأمريكي في العراق خليل زاد من احتمالات انزلاق الأمور إلى الحرب الطائفية، واعتبر أن هذا الانزلاق قد يفتح على العراق أبواب جهنم إذا تم تفجير مرقد للأئمة في العراق... فالملحوظ الآن أن الصهيونية والأمريكية بدأت تركز على مسألة العزل الطائفي إذا صح التعبير، فالمناطق الشيعية لا يمكن أن يدخلها سني، وكذا العكس في المناطق السنية، وأما المناطق المختلطة فإذا كانت فيها أكثرية شيعية ترحل أقليتها السنية، وإذا كان العكس فترحل أقليتها الشيعية، وتجري الأمور الآن وفق هذه المعادلة في مناطق بغداد وديالى والموصل وكركوك بشكل واضح، والإحصاءات مخيفة عن عدد العوائل التي اضطرت إلى ترك مناطقها ومساكنها تحت ضغط التهديد والقتل والخطف واغتصاب النساء، وما إلى ذلك من وسائل الإرهاب والترهيب.

نعم هذه الأعمال ترتكب تحت إشراف المخابرات الصهيونية، وقد نشرت (منتديات بوابة الماجدة)^(٢٥) تقريراً

مفصلاً عن قضية اختطاف السفير المصري في العراق إيهاب الشريف ضمن صفقة بين هذه المجموعات الإجرامية والموساد الإسرائيلي، ولا يهمني هذه التفاصيل، لكن ما يهمني إشارة التقرير إلى التعاون بين هذه المجموعات والموساد، وأنا أقول هذه المجموعات خدمت الموساد، لأنها شكّلت كما قلت تحت إشراف هذا الجهاز الخطير، وفعلاً إذا رجعنا إلى أعمال جماعة الزرقاوي ومجاميع أزام النظام، نجد أنها تصبّ في صالح العدو الصهيوني، بل إن تنظيم الزرقاوي فضح نفسه بشكل واضح من ناحية ارتباطه بالموساد عندما شن الزرقاوي قبل موته حملة إعلامية شعواء على حزب الله ومحاولة تشويه هذا الحزب، ثم دعوته السنة إلى التخلي عن الوحدة الوطنية بقوله: «فيا أهل السنة أفيقوا واستعدوا لدفع سموم الرافضة التي كانت تلدغكم وتسومكم سوء العذاب منذ احتلال العراق إلى يومنا هذا.. وكفاكم من دعاة ترك الطائفية والوحدة الوطنية!! هل أتاك حديث الرافضة.. وحزب الله الذي أصبح الغطاء الواقعي لإسرائيل»!!^(٢٦).

بينما الكل يعرف أن الوحدة الوطنية مطلب أهل العراق سنة وشيعة، وحزب الله هو الحربة في خاصرة الكيان الصهيوني، والتهديد الذي يورق الأخير ويقض مضاجعه، والزرقاوي يتحدث باسم السنة في حين هو الذي قتل

باعتراف أهل السنة رؤساء عشائريهم في الرمادي، ولذا واجهه أهالي الفلوجة والرمادي وأجهزوا على تنظيمه الذي احتضنه بعض المحسوبين عليهم من أمثال الشيخ عبد الله الجنابي، فقتلوا تسعة أشخاص من أتباعه.

واستمرار استهداف السنة والشيعة عبر شبكات الموساد الإرهابية وعملاء الموساد من العراقيين والعرب أدى إلى إيجاد جو من الرعب والخوف في البلاد، وقلق حتى بالنسبة للأوساط الأمريكية نفسها بسبب ما قد يؤدي إلى انفجار في الوضع، وانهيار تام قد يطيح بالاحتلال ورموزه، لأن الشعب قد يصبر فترة، لكن لهذا الصبر حدوداً، فإذا تجاوزها يمكن أن ينزل الشعب إلى الشارع وتتحوّل الأوضاع إلى (هرج ومرج) لا يعرف الأمريكيان كيفية الخروج منها، والتخوف من احتمالات انزلاق الأمور إلى هذه النتيجة المخيفة دعت صحيفة واشنطن بوست الأمريكية إلى وصف العراق والأوضاع فيه بـ (جمهورية الخوف)، فتحت هذا العنوان كتبت الصحيفة بقلم مراسلها نيروزين يقول: «في كلّ صباح تغص شوارع بغداد بعشرات الجثث، تتناثر مطعونة، ممزقة، مبتورة الأطراف، وقد سرقت منها الحياة لا لسبب سوى أن أصحابها سنة أو شيعة.. لقد أمضيت سنتين من السنوات الثلاث، منذ سقطت بغداد، في العراق، وفي رحلتي الأخيرة قبل أسابيع

قليلة خرجت وكأنما أطيّر هارباً من المدينة التي باتت محكومة بقدرية.. تحت حكم صدام كان المنشقون يسمون العراق (جمهورية الرعب) وأمّلوا في أن يكون ذلك قد أذن بالنهاية لدى إسقاط صدام، لكن الحرب كما يتبين قد نشرت الرعب بشكل ديمقراطي، والآن لم يصبح الرعب قادمًا من النظام وحسب أو من القوات الأمريكية، ولكن من الجميع وفي كل مكان.. في البداية كان الحضور الطاغى للألة العسكرية بمركباتها العالية تجوب شوارع بغداد. بينما يبدو جنودها عمالقة بخوذاتهم وأسلحتهم.. واليوم بات الأمريكيون مجرد ميليشيا أخرى ضائعة في خضم الفوضى، وهم أيضاً يقتلون العراقيين.. عندما أغار الأمريكيون على الحسينية - حسينية المصطفى بحي أور في بغداد التابعة لمقتدى الصدر - اصطحبوا قوات عراقية معهم، ولم يقوموا بقتل أتباع الصدر فحسب، وإنما الشيعة الأبرياء الذين صادف وجودهم في المكان ومنهم صحافي أعرفه، في عملية وصفها شهود عيان بأنها إعدامات بالجملة، ورغم أن الجيران القوا باللائمة على القوات الأمريكية، فإن القوات العراقية المدججة بالعتاد والسترات والخوذ التي قدمها لهم الأمريكان كانوا بالتأكيد يميزون عن الأمريكيين في أغلب الأحيان، وعندما قمت بزيارة المكان في اليوم التالي كانت أرضية الحسينية وجدرانها وسقفها ملطخة بالدماء، وكانت قطع من الأدمغة تتناثر

على البلاط الأحمر. وتاماً كما ابتهج الشيعة عندما ضرب الأمريكيون أهدافاً سنية، استقبل مؤيدو التمرد من السنة أخبار الغارة الأمريكية بمشاعر الارتياح...»^(٢٧).

ويمضي مراسل الصحيفة يصف الحالة المزرية في العراق، والأوضاع المتفجرة بسبب استمرار القتل على الهوية، ويعرج على التطهير المناطقي فيقول: «لقد استمر التطهير العرقي والطائفي منذ ذلك الحين، حيث يتم تطهير الأحياء التي كانت مختلطة، وفي العامرية يتم العثور على جثث الموتى في الشارع العام بمعدل يتراوح ما بين ثلاثة إلى خمسة بل إلى سبعة جثث في اليوم، وقد أصبح الناس يخافون الاقتراب من الجثث أو استدعاء سيارة إسعاف أو قوات الشرطة، خوفاً من أن يتم العثور عليهم وقد قتلوا أيضاً في اليوم التالي. وفي أبو غريب، في الدورة، وفي العامرية والأحياء التي كانت ذات يوم تمتاز بالتنوع والعددية، تم إرغام الشيعة على المغادرة...»^(٢٨).

وبغض النظر عن هذه التحذيرات التي لم تلق ذلك الصدى المهم عند أوساط صناع القرار الأمريكي، فإن تهئية الأرضية لتقسيم البلد بنظر بعض المنظرين الأمريكيان والصهاينة بات مواتياً إلى حد ما، على الأقل تُتقبل أجواء طرح مشروع إقامة الدول الثلاث الكردية والشيوعية والسنية، وفعلاً بدأت أصوات أمريكية وغير

أمريكية تتحدث عن هذا المشروع بصيغ مختلفة، إذ مجرد طرح مثل هذا المشروع يشكل خطوة تمهيدية لتقبله وليصبح فيما بعد الخلاص الذي ينقذ العراق من هذه الأوضاع الدموية المأساوية وهذا ما سنتناوله في الفرعها الآتية.

وفي الختام نشير لدراسة اللواء الركن مهند العزاوي بعنوان (السيارات المفخخة واستخدام العوامل الكيميائية ضد الضحايا المدنيين تكتيك بأصابع أمريكية ودعم إقليمي)، وقد بيّن فيها حسب خبرته العسكرية، أن العمليات الإجرامية أو أغلبها التي تستهدف المدنيين العزل من أبناء الشعب العراقي، وخاصة التي يستخدم فيها مواد كيميائية، يقوم بها أجهزة مخابراتية مدربة تدريباً فائقاً، لا المجاميع العراقية المسلحة التي هي في حالة التحام دائم مع قوات الاحتلال.

ومما جاء في هذه الدراسة: «... مما يصعب تنفيذ المقاومة عمليات باستخدام العوامل الكيميائية بهذا الحجم للأسباب الفنية التالية:

١ - العوامل الكيميائية تحتاج إلى تخزين وفق مقومات أساسية فنية للتخزين لا تمتلكها المقاومة العراقية في أي وقت، نتيجة الالتحام المستمر مع القوات الأمريكية والحكومية، وجميع المناطق مكشوفة إلكترونياً وبصرياً

مما يستحيل معه إنتاج وتخزين هذه المواد بهذا الحجم.

٢ - العوامل الكيميائية تفقد خاصيتها بعد مرور فترة من الزمن، أي تصبح غير مؤثرة أو تأثيرها محدود جداً، وتفقد صلاحيتها وقت الإعداد، وإعادة الفعالية لها يحتاج إلى جهد فني كيميائي كبير ومؤمن.

٣ - تحتاج هذه العوامل إلى وسائل نقل آمنة ومحمية وبحذر عال، عند النقل للمكان المطلوب، وهذا غير متيسر لأي من الأشخاص أو المقاومة، لوجود ضغوط بالغة في تنقل الأفراد والمعدات من مكان إلى مكان آخر، لتعدد السيطرات الأمريكية والحكومية الثابتة والسيارة، وتنوع توقيت المdahمات وأساليبها، علاوة على الوكلاء والمصادر التي تعمل للقوات الأمريكية وانتشار الجواسيس المأجورين، وتبليغهم عن أي تحرك يثير الشك.

٤ - الإمكانية المادية والتكلفة، أي أن تهيئة الشاحنات والمتفجرات والمواد الكيميائية تحتاج إلى مبالغ نقدية هائلة لا تتمكن المقاومة من تأمينها بهذا الشكل المكلف، وإن تيسرت يمكن استخدامها ضد القوات الأمريكية بعمليات موجهة ومدروسة توقع خسائر كبيرة بها، وهذا هو الهدف الرئيسي للمقاومة العراقية.

٥ - استعمال المواد الكيميائية في هذه العمليات يحتاج إلى كميات كبيرة منها غير موجودة في الأسواق

المحلية، أو في أي مكان آخر من العراق، فلا تؤمنها إلا قدرات كبيرة، أو دولة، والكل خارج قدرات المقاومة العراقية.

٦ - تدخل تهيئة الشاحنات بالمتفجرات والمواد الكيميائية يحتاج إلى خبراء اختصاصيين فنيين بهذا المجال المعقد، ولم يعهد العراق سابقاً مثل هذه الخبرة، وخبراء العراق السابقين في المجال الكيميائي قد تعرضوا للتصفية الجسدية أو لتهجير خارج العراق.

٧ - الأماكن التي تجري فيها هذه العمليات جميعها تخضع للتفتيش الدقيق ولأكثر من جهة، وكيف يتمكن فرد أن يجتاز جميع هذه الإجراءات دون الكشف بوسائل الكشف المتيسرة الالكترونية والبصرية، ولحسن الصدف أن جميع هذه العمليات لا تصيب الجيش الأمريكي أو قواعده!!»^(٢٩).

ويريد اللواء مهند الانتهاء إلى نتيجة من كل ما تقدم هي: أن القوات الأمريكية والمخابرات المتعاونة معها بدرجة أساسية «الموساد الإسرائيلي» هي التي تقوم بهذه العمليات الإجرامية، لإثارة الفتنة الطائفية، ولزرع ونشر الرعب وسلب الأمان من العراقيين، كما هي حال تجاربهم أي الأمريكيين في السلفادور و فيتنام وتشيلي، وغيرها من الدول التي ذاقت الأمرين من فرق القتل والموت

الناس، بحيث لا يمكن لأحد أن يميزهم عن العراقيين، بعكس بقية الأجانب الذين يأتون من أماكن بعيدة، ولذلك فإن أمريكا تتكلف ٥٠ ألف دولار لتأمين وصول المرتزقة اللبنانيين ومباشرة عملهم في العراق.

وتحدث الكاتب سمير عبيد عن تفجير ضريح الإمامين العسكريين عليهما السلام.

فقال: «إن الصهاينة والأمريكيين وراء هذا التفجير الآثم من خلال برنامج فينكس العراق، وبرنامج فينكس هو البرنامج الذي قرره الولايات المتحدة في فيتنام، وكانت أهدافه تفجير المدارس والمطاعم والطرق والتجمعات والمعابد، واغتيال الأطفال والنساء والعائلات البريئة، وذلك من أجل كسر شوكة الشعب الفيتنامي، و إيصال جميع تلك التفجيرات والجرائم بالمقاومة الفيتنامية، ولقد استنسخت الولايات المتحدة نسخة منه في نيكاراغوا وأمريكا اللاتينية، حيث دعمت واشنطن مافيات السلاح والمخدرات والاحرام هناك، وكان يرعاها السفير الأمريكي آنذاك نغروبونتي، الذي أشرف على تأسيس فينكس العراق عندما عمل سفيراً قبل أشهر،^(٣٠) وأشرف على هلو كوست الفلوجة والمدن الأخرى أيضاً» .

ويقول الكاتب سمير عبيد في مقالة تحت عنوان على المكشوف: «إن جهاز الموساد هو الذي يقوم بمعظم

الأمريكية، ودفعت مئات الآلاف من الضحايا بسبب الإحرام الأمريكي، وكما يحصل الآن في الأرض المحتلة، فباستخدام الوسائل الالكترونية المتطورة مثل السائل البخاخ الذي يرى بالعين وبيعت إشعاعات حرارية، تقوم الطائرات الصهيونية باغتيال قيادات المقاومة ونشطاءها الميدانيين، وبواسطة العملاء الذين تجندهم المخابرات الصهيونية، وهذا ما اعترف به بعض هؤلاء العملاء».

ومن الجدير بالإشارة أن العمليات الإجرامية لا يقوم بها عملاء الموساد والسي أي أي وأعوانهم وحسب، وإنما يشترك معهم في هذه الأعمال القذرة منتسبو الشركات الأمنية الأمريكية، ومن أهم هذه الشركات الأمنية كما مر بنا شركات صهيونية، أو يشرف عليها خبراء صهاينة في الاغتيالات والقتل والتفجير وما إلى ذلك.

وتشير معلومات مؤكدة أن الكيان الصهيوني بدأ يستفيد الآن من جماعة انطوان لحد، وهم لبنانيون خونة كانوا يخدمون الإسرائيليين في جنوب لبنان، ولديهم خبرات ضخمة في مجالات التفجير وقتل الناس في أعمالهم الجبانة ضد أبناء الجنوب اللبناني وضد أبناء المقاومة الإسلامية لحزب الله، قبل هزيمة العدو في جنوب لبنان وتطهير الجنوب اللبناني من دنس الاحتلال، فهؤلاء يجيدون اللغة العربية، ويجيدون التنكر والاختلاط بين

في كثير من الدولة العربية والإسلامية بل وغيرهما، فالتقسيم مشكلة بنفسه ونسيانه من قبل أبناء الدول المقسمة مشكلة أخرى، بل هي الأعظم من سابقتها، وكلنا يدرك ما في التقسيم من ضعف وهوان، ولم يكتف أصحاب الأطماع في مناطقنا ودولنا في التقسيم القديم حتى شرعوا بالتفكير في تقسيم آخر يلبي طلباتهم غير المنتهية، فهذا هو المقسم الجديد يشرع في تقسيمه للمنطقة، وليس هذا الكلام قد تولد بتولد الغزو للعراق، أو أن أصوات أبواق الغزو دعتنا وغيرنا للتفوه بذلك، وإنما الكلام هذا قبل الغزو، وقد تناوله الباحث والمتتبعون في مجال السياسة، بل وغيرهم، لجنبة ربط فيما بين الأمور السياسية وغيرها كالاقتصاد والاجتماع.

يقول الكاتب والخبير الاستراتيجي المصري اللواء حسام سويلم: «فإن هذا التفكير لم يكن وليد الساعة، أو وليد فترة الغزو الأمريكي للعراق وما بعد الغزو، إنما هو قديم، فمنذ سنوات عدة، ومن أوائل من طرح هذه الفكرة وزير الخارجية الأمريكي الأسبق اليهودي والصهيوني هنري كيسنجر، وأبعد من فكرة كيسنجر زمنياً فكرة بن غوريون في عام ١٩٥٨ حيث ذكر في خطته الرامية إلى مواجهة العدو - العربي - قضية تقسيم العراق و السودان وحتى مصر... ومنذ ذلك الوقت ظلت هذه الفكرة تتردد في

عمليات التفجيرات والاعتقالات في العراق، وهو الذي يخلق بؤر التوتر، كي يخدم المخطط الصهيوني يريد تفتيت الأوطان العربية إلى دويلات متناحرة، وأن خلايا الموساد هي التي تدير قسماً من مواقع الانترنت التي توزع صور قطع الرؤوس، وبعض البيانات لخلايا إسلامية وهمية، خصوصاً وأن أمريكا وأجهزتها قادرة على كشف تلك المواقع ومصدر البيانات، ولكنها لا تفعل؛ لأنها تعرف مصدر هذه المواقع، وأي جهة تديرها، خصوصاً إذا أخذنا بنظر الاعتبار تداخل المشروع الصهيوني والأمريكي في العراق والمنطقة»^(٣١).

فأصبح مما لا شك فيه حتى على مستوى الناس البسطاء أن الكيان الصهيوني والولايات المتحدة ومخابراتهما السي أي أي والموساد دفعوا بالأوضاع في العراق إلى حد خطير، بعدما فجرت مجموعات هذين الجهازين المخابراتيين مرقد الإمامين العسكريين عليهما السلام في سامراء، إذ تلا ذلك موجة من القتل من كلا الطرفين السنة والشيعة.

الفرع الثاني: تقسيم البلاد

تعظم المشكلة عندما ينسى أصحاب الشأن ويتذكر غيرهم، مسألة التقسيم التي حصلت منذ عقود من الزمن

فقسمت السودان لدولة الشمال والجنوب، ولكن بشكل الحكم الذاتي شبه المستقل، ولمدة ست سنوات، كي يتسنى لها فرض التقسيم الذي تريده، فالجنوبيون والشماليون يعيشون التقسيم الابتدائي كي يطلبوا النهائي، وبذلك يكون العدو قد تخلص من نسبة التقسيم إليه.

وها نحن نعيش عملاً آخر من قبل أعداء الأمة في مجال التقسيم، فالعراق كان غزوه مقدمة أخرى في تقسيمه، والمقدمة الأولى مثلتها حالة تقسيم العراق لثلاث مناطق في الحظر المفروض على العراق من قبل القوات المتحالفة ضده في حرب الخليج الثانية، فكان هذا التقسيم منسجماً مع ما تضمنه كتاب غراهام فولر المشار إليه آنفاً.

والتقسيم كان سهلاً بالنسبة للمنطقة الكردية، فمنذ العام ١٩٩١ وحتى الغزو الأمريكي للعراق وُفر الأمريكيان الغطاء الكافي والحماية العسكرية والسياسية لانفصال الشمال العراقي، ومنذ ذلك الوقت تمتع الأكراد باستقلالية وبنوا مؤسسات، كالبرلمان، والحكومة المحلية، والصراعات فيما بين فصائل الأكراد والاختلافات التي تعصف بقياداتهم التاريخية أثّرت على أوضاعهم السياسية والاقتصادية والاجتماعية، إلا أن ذلك لم يقلل من الاتجاه الانفصالي عن الجسد العراقي عند أهل الشمال، ولم

كتابات الصهاينة والأمريكان من الخبراء والمنظرين والسياسيين وحتى الإعلاميين، سيما الأوساط المقربة من مركز القرار الأمريكي أو حتى تلك الأوساط التي تساهم بشكل مباشر أو غير مباشر في صناعة هذا القرار، فعلى سبيل المثال: كتب غراهام فولر في عام ٩١ كتاباً مفصلاً لمؤسسة راند التي تعتبر مؤسسة دراسات فاعلة تابعة لوزارة الدفاع الأمريكية وتشكل كتاباتها تنظيراً للخطط العسكرية الأمريكية والسياسات التي تتبعها وزارة الدفاع الأمريكية، كتب كتاباً حول أن العراق سيقسم بالنهاية وحدّد العام ٢٠٠٠ م موعداً لحصول أو وقوع هذا التقسيم^(٣٢).

والعدو على طبيعته القديمة معنا، فهو يطرح ما يريده أولاً بشكل كلام وتصريحات وتسريبات، ثم يقدم على تنفيذه بشكل مشابه أو قليل أو جزئي، ثم بعد ذلك يجعل ما يريده واقعاً نعيشه، وبذلك حصل على مراده من غير تنفر منا، بل إن كان فينا أحد واعٍ لما يفعله العدو يُنكر عليه ويتنفر أبناء وطنه منه، لعدم عيشه الواقع الذي فرضه العدو بنظرهم، وبذلك يكون أبناء تلك البلدان كالذين ينسبون الموت للأسباب، لا لملك الموت نفسه.

فأمريكا وإسرائيل، بل وبعض الدول الغربية عندما أرادت تنفيذ مخططاتها التقسيمية الجديد في السودان، جعلت هذا التقسيم بشكل مشابه وقريب مما تريد،

يشكل أي معوق لهذا الاتجاه.

وأما في الوسط والجنوب فإن قضية التقسيم لم تكن عملية ميسرة للصهاينة والأمريكيين، بسبب التلاحم ما بين السنة والشيعة، والحرص الوطني لدى كلا الطرفين على وحدة العراق ووحدة ترابه، بما في ذلك الشمال العراقي، ولذلك رأى المنظرون الصهاينة والأمريكان أنه حتى يمكن إجراء التقسيم لابد من تهشيم أو أضرار التلاحم تلك بين السنة والشيعة بإثارة الفتنة بينهما، وذلك ما حصل فعلاً، إذ تقوم الفرق الإجرامية التابعة للسي أي أي والموساد الإسرائيلي بمهاجمة السنة والشيعة وتحميل المسؤولية كلا الطرفين.

وقد يرى البعض هذا الكلام نوعاً من الاتهام أو التحليل المتسرع، لكن هناك من الدلائل والوثائق ما تؤكد أن هذا التحليل هو عين الحقيقة؛ فالكاتب الأمريكي المشهور جون بيلغر وطبقاً لما نقل عنه الكاتب العراقي المعارض سمير عبيد في مقالته (أسرار خطيرة)، يكشف أسرار الزرقاوي ولعبة القتل في العراق فيقول: «وزارة الداخلية العراقية التي تدار من قبل المخابرات الأمريكية هي التي تشرف مباشرة على فرق الموت، وأن أعضاء فرق الموت ليسوا من الشيعة فقط فهناك بعض السنة المتطرفين (المتميزين بالعنف) والذين يتلقون تعليماتهم

من جنرالات كبار في جيش صدام السابق وحزب البعث والذين تم تدريبهم من قبل (CIA) وعملائها، إضافة إلى خلايا إرهابية من صنع (CIA) أعدت لهذا الغرض وعلى غرار ما كان معمولاً به في السلفادور عام ١٩٨٠...»^(٣٣).

واستمر المخطط التقسيمي للعراق في مراحل يستتبع بعضها بعضاً من معاناة الشعب في كل المجالات، وفساد إداري ومالي، وتفجير وقتل وخطف... حتى غدا التقسيم الفعلي أمنية وأغنية أفراد أغلب الشعب العراقي.

فقد صرح زعيم حزب جبهة التوافق العراقية عدنان الدليمي: «أن السنة العرب هم الذين يحافظون على مصالح أمريكا في العراق».

فعرله للسنة لحفظهم المصالح الأمريكية دعوة منه لتقسيم العراق سواء جغرافياً أم حكومياً.

وعلى هذا المنوال سينسب التقسيم للعراقيين في آخر المطاف، ويكون مطلباً لهم، لا لمن قام به واقعاً وفعلاً، وإن صرح بذلك، كالشواهد التالية:

فالسنتاتور الأمريكي جوزيف باندن عضو مجلس الشيوخ طالب بضرورة تقسيم العراق في مقال نشرته صحيفة النيويورك تايمز الأمريكية جاء فيه: «أن جهود إدارة الرئيس الأمريكي بوش بإقامة حكومة مركزية قوية

جنب، فتعاون، وتزاوج، واندماج في نسيج اجتماعي متماسك.

وبذلك يتحقق الحلم الإسرائيلي في العراق بعد أن عاش في فكره طويلاً، يقول الكاتب والخبير الاستراتيجي المصري اللواء حسام سويلم: «إن التفكير الإسرائيلي يركز على تجزئة العراق إلى دولة شيعية وأخرى سنية، وفصل الجزء الكردي في شمال العراق، ولم يكن الدور الإسرائيلي في حرب الخليج الثالثة - الغزو الأمريكي للعراق - سوى تطبيق لاستراتيجيتها بعيدة المدى، لتحقيق هذا الهدف الذي يسمح باقامة إسرائيل العظمى من المحيط إلى الخليج»^(٣٦).

الخاتمة

اتضح لنا من خلال الدراسة والتحقيق أن للعدو الصهيوني نشاطاً وفعّالاً في غزو وشن الحرب على العراق، وإسقاط نظامه، والسيطرة عليه من خلال التحريض المتواصل من قبل لإدارة بوش على شن الحرب، على العراق بذريعة القضاء على أسلحة الدمار الشامل، ومن خلال اللوبي الأمريكي الصهيوني الذي يقوده ديك تشيني نائب الرئيس الأمريكي ووزير الدفاع رونالد رامسفيلد المستقيل، وبول وولفوفيتز وريتشارد بيرل ودوغلاس فايت

في بغداد محكوم عليها بالفشل، بسبب التناحر الطائفي والعربي الذي قاد إلى أعمال عنف واسعة الانتشار».

فقد كتب رجل القانون الأمريكي (الان توبول) المستشار للإدارات الأمريكية لأربعين عاماً و (جون يوم) عن تقسيم العراق: «أن أمريكا تسعى الآن، بكل قوتها إلى لتفتيت العراق»^(٣٤).

وجاء في صحيفة النيويورك الأمريكية أن ثمة مخططاً إسرائيلياً لتفتيت العراق: «أن هناك مخططاً إسرائيلياً لتفتيت العراق وإقامة دولة كردية في الشمال»^(٣٥).

وجاء في مقالة للباحث في مركز الدراسات الإستراتيجية الدولية في واشنطن انتوني كوردزمان: «لقد ارتكبت الولايات المتحدة أخطاءً جسيمة وفادحة في العراق، وليس مستبعداً بالتالي أن ينقسم البلد على ذاته تلقائياً».

وإن عبّر الباحث بالانقسام الذاتي، إلا أن العقلاء ومن ينظر للأمور بفكر وتدبر ينسب المسببات لأسبابها الواقعية لا الوهمية، فالإنقسام إن حصل في العراق فهو ينسب لمن صرّح بإرادته له، وعمل على تثبيته في الواقع من خلال تدهور الأوضاع والاقتتال والتطهير الطائفي والعربي، مع أن هذا البلد لم ير في حياته مثل هذه الحالة، فقد عاش فيه كثير من القوميات والسنة والشيعية جنباً إلى

وليبي وجون بولتن وغيرهم، فهؤلاء قد أعدوا وثيقة عام ١٩٩٦، بالتشاور مع حزب الليكود لغزو العراق، لتتمكن إسرائيل من تحسين شروط التسوية، وفرض تلك الشروط على العرب، ولتتمكن إسرائيل وأمريكا معاً من فرض وصايتها مباشرة على العراق وثرواته النفطية، وعلى المنطقة برمتها.

وأما الدافع الأساسي للعدو الصهيوني من وراء تشجيع وتحريض بوش على شن الحرب على العراق، فهو دافع ديني واستراتيجي.

الدافع الديني

وهو يتمثل بثلاثة أبعاد:

البعد الأول: يرتبط بمستقبل الكيان الصهيوني، إذ أن نصوص الصهاينة التوراتية التي تعجّ بها التوراة تتحدث عن دور العراقيين في الانقراض على الصهاينة وتدميرهم مرة أخرى، كما دمروهم على عهد الملك نبوخذ نصر، ولذلك يحاول الصهاينة القيام بضربة استباقية تتمثل بمنعهم من الاستقرار، ليطمئنوا بذلك من عدم نهوضهم أو التحرك تبوء موقع ريادي في مسار أحداث المنطقة، ثم قيادتها نحو الانقراض على الكيان الغاصب.

البعد الثاني: وهو يتعلق بقضية الانتقام من بابل

(العراق)، لأن العراقيين أسروا اليهود في القرن السابع قبل الميلاد في عهد نبوخذ نصر زعيم البابليين، واذاقوهم الذل والهوان بعد أن اسقطوا مملكتهم وأسروهم حتى جلبوهم إلى العراق، فنصوبهم التوراتية حسب ما جاء في أغلب أسفارها الـ ٣٩ تزدحم بالوصايا والدعوات للانتقام من بابل على إذلالها لليهود.

البعد الثالث: وهو يرتبط بغيبات الصهاينة التي حفلت بها كتبهم الدينية، فهم يعتقدون بحسبها أن هناك معركة تنتظرهم تسمى عندهم بـ (هرمجدون) وسوف ينتصرون فيها على من يريد القضاء عليهم، وكل ما جاء في خصوص ذلك يشير إلى أن الذي يقود تلك المعركة من قبل أعدائهم هو رجل عربي ذكرته التوراة باسم قدوس تارة، وباسم ملك أورشليم من ذرية إسماعيل عليه السلام تارة أخرى، وقد قرب وقت ظهوره، وبالتالي قرب زوال الكيان الصهيوني إن لم يستعدوا لذلك؛ وصحيح أن اليهود يقلبون الحقائق الخاصة بنبوءات أنبيائهم وخصوصاً نبيهم حزقيال عليه السلام، لكنهم يعلمون جيداً أن هذا الرجل العربي سيكون زوالهم على يده، وستكون قاعدته العراق والكوفة عاصمته التي ينطلق منها لفتح تلك الديار وإعادة الأمور إلى نصابها، ولذلك ومن باب قطع الطريق على هذا الرجل الذي هو المهدي الموعود عليه السلام من خلال ضرب قاعدته

عسكرية وبحثية أمريكية أو غربية ترتبط بصورة وأخرى بالكيان الصهيوني، وأما علماء الذرة والذين كانوا على ارتباط بالمشروع النووي العراقي، فقد تمت تصفيتهم، والذي حاول الهرب لاحقه الموساد الإسرائيلي واغتاله بعد رفضه التعاون مع الأمريكان أو الصهاينة، وقد طالت التصفيات وعمليات القتل كما أشرنا أساتذة الجامعات في كل الاختصاصات لمنع العراق من أي تطور علمي أو حضاري....

٢ - تدمير العراق، وعملية التدمير هذه بدأت منذ بداية الاحتلال، فقد لاحظنا كيف أن القوات الأمريكية سمحت لمجموعات وفدت من بلدان عربية مجاورة، ولمجموعات الإجرام التي كان صدام قد أعدها وأفرج عنها من السجون قبيل الغزو، كان لها نشاط بتخريب المؤسسات والوزارات باستثناء وزارة النفط، فلم تبق مؤسسة ولا مدرسة ولا إدارة سالمة من التدمير والنهب والتكسير!! وما تزال عمليات تدمير محطات توليد الكهرباء ومحطات تصفية المياه، وكل البنى التحتية من جسور ومن مؤسسات متواصلة حتى هذه اللحظة، وإن احتمل أن التدمير ناتج عن الفراغ الأمني ومن تفكك مؤسسات الدولة، فصحيح لو كان التدمير عشوائياً، ولكن التدمير القائم حالياً مقصود ومخطط له، بل ومخطط له الاستمرار ليبقى البلد متخلفاً

الشعبية وتخريب العراق على كل الأصعدة، اجتماعياً واقتصادياً وسياسياً وأمنياً، وحسب اعتقادهم أن المهدي ﷺ لا يخرج إذا لم يدرك بأن قاعدته باتت قادرة على الاضطلاع بالمسؤولية التاريخية والعالمية، فإذا ما نجح الصهاينة من شردمة تلك القاعدة وتمزيقها في حروب طائفية وعرقية، واستنزافها من الداخل، وفرض السيطرة والوصاية عليها، فذلك يعني بنظرهم أنهم عطلوا مشروع المهديوة المبارك وتمكنوا القضاء عليه أو إبعاده إلى زمن آخر.

وأما الدافع الاستراتيجي

فهو لا يقل أهمية عن الدافع الديني، بل يتوازي معه أهمية، ويرتبط ارتباطاً جديلاً مع الدافع الديني، فلا يمكن التفكيك بينهما، لأن كلاً منهما يكمل الآخر، والدافع الاستراتيجي يتمحور حول الأمور التالية:

١ - إقصاء العراق علمياً أي: القضاء على نهضته العلمية من خلال تصفية علمائه وكوادره العلمية في كل الاختصاصات، سيما الحيوية منها، وكما مرّ بنا في محلّه فإن كل العلماء الذين كان لهم دور في تطور الصناعات العسكرية العراقية الكيماوية والبيولوجية والثقيلة قد قتلوا أو اختطفوا أو أُجبروا على ترك العراق والالتحاق بمؤسسات

محتاجاً للصهاينة والأمريكيين حتى يرهق الشعب.

٣ - إثارة الفتنة الطائفية، وذلك برفع التوتر بين طوائف هذا الشعب، والاحتقان بين شرائحه الاجتماعية من خلال استهداف المراكز والأسواق الشيعية والمرقد المقدسة وزوار هذه المرقد، بالسيارات المفخخة والأحزمة الناسفة ومدافع الهاون وكل أنواع القتل والانتهاك والترهيب والترحيل من المناطق ذات الأكثرية السنية، وبالعكس أيضاً، أي استهداف المراكز والتجمعات السنية، وكذلك المساجد ورموز هذه الطائفة وقتلهم، وقد قطع أعداء الشعب العراقي من الأمريكيين والصهاينة ومن الطائفيين العرب شوطاً في إثارة التوتر الطائفي، والاحتقان بحيث أصبح الوضع خطيراً وحساساً في العراق، إذ أن إشعال أي فتيل في هذه الفتنة يمكن أن يسبب حريقاً لا يلتهم العراق وحسب، وإنما يلتهم المنطقة برمتها.

٤ - تقسيم العراق، وتقسيم المنطقة برمتها، فإثارة الفتنة الطائفية، ورفع التوتر بين شرائح الشعب العراقي ومكوناته المذهبية والعرقية، وما رافق ذلك من تطهير عرقي لبعض المناطق في بغداد وضواحيها، كل ذلك يشكل مقدمة لخلق المناخات السياسية والأمنية والاجتماعية وحتى المذهبية لتقسيم العراق، لأن مشروع التقسيم كما أوضحنا مشروع صهيوني قديم متجدد ارتكز

عليه مشروع الشرق الأوسط الكبير، فكان مخططاً أمريكياً وصهيونياً تقسيم العراق، إذا تعذرت السيطرة عليه، أو تعذر قيام نظام موال لأميركا فيه، ويكون تقسيمه لدويلات صغيرة متنافسة متضاربة، حتى يستهدف بعضها البعض الآخر، وحتى يبقى الصهاينة والأمريكان أسياد الساحة يتلاعبون بهذا الطرف وذلك حسبما تقتضيه مصالحهم.

وتقسيم العراق يشكل بنظرهم نموذجاً سيعمم على كل المنطقة العربية والإسلامية، فهناك إصرار من بعض المحافظين الجدد في أمريكا على تجزئة دول العالم الإسلامي أو بعضها على الأقل، وإعادة رسم خرائطها الجغرافية والسياسية، لتتمكن أمريكا من تحقيق مشروعها الكوني في الهيمنة على العالم، انطلاقاً من هيمنتها على مستودع النفط والأسواق (منطقة العالم الإسلامي)!

٥ - اتخاذ العراق قاعدة ومركزاً للتأمر على الدول المجاورة خصوصاً الجمهورية الإسلامية وسورية، فهناك شواهد ووثائق كثيرة تشير إلى أن الموساد أقام مراكز في شمال العراق، وفي بغداد، وفي المحافظات الجنوبية كالناصرية والسماوة والبصرة والعمارة مستخدماً عناوين مموهة لاختفاء هوية هذه المواقع، ونشاط أفراد هذه المواقع والمراكز بشكل التفت إليه حتى المواطن العراقي البسيط

لقربه منها، وقد كشف الكاتب الأمريكي المعروف سيمور هيرش في صحيفة النيويورك الأمريكية أن الموساد الإسرائيلي اتخذ مواقع له في كردستان للتجسس على إيران وسورية، وللقيام بعمليات تخريب قد تستهدف المنشآت النووية الإيرانية، وقد أسقطت إيران طائرة تجسس على متنها أربعة أشخاص، عند الحدود العراقية الإيرانية، وإذا أخذنا بنظر الاعتبار تجربة الصهاينة في تجنيد جيش من العملاء في الضفة الغربية وغزة بعد احتلالهما عام ١٩٦٧، ندرك خطورة الجهد الصهيوني في تجنيد جيش من العملاء سيوظفون في التجسس على العراقيين أولاً وعلى الدول المجاورة ثانياً.

٦ - استهداف عقيدة الشعب العراقي وهويته الإسلامية، فمحاربة الدين الإسلامي كما هو معروف تشكل مرتكزاً أساسياً في إستراتيجية الأمريكيين والصهاينة الخاصة بمواجهة العالم الإسلامي، وهناك شهادات من كتاب ومفكرين أمريكيين، أن محاربة الإرهاب وهو الشعار الذي رفعه بوش والصهاينة، ما هو إلا غطاء للحرب الأمريكية المعلنه على العالم الإسلامي ديناً وشعوباً، فاستهداف الشخصيات الدينية المؤثرة سنية كانت أم شيعية، واستهداف مراكز التوعية الدينية والعلم، كالذي حصل في شارع المتنبي، والقضاء على آلاف الكتب المهمة،

واستهداف المواكب الحسينية تفجيراً وقتلاً، ثم محاولات تشويه وتسقيط الحوزة العلمية في النجف الأشرف، كل ذلك ممارسات ومحاولات أمريكية صهيونية للحد من حالة الوعي الإسلامي المتصاعدة، ويمكن أن تشهد هذه المحاولات تصعيداً إذا استتبت الأوضاع السياسية في العراق لصالح الأجندة الأمريكية والصهيونية.

٧ - استهداف الأخلاقيات والعادات الاجتماعية للشعب العراقي، وذلك من خلال نشر الفساد والرذيلة والمخدرات بين أوساط الشباب، باعتبارهم الجيل القادم للقيام بأعباء مجتمعه، فلاحظنا أن الكيان الصهيوني ما انفك يزرع خلايا الفساد والتجسس والتخريب الاجتماعي في مصر، فما أن تكتشف أحداها حتى تنبت مكانها أخرى أو أخريات، وكمثال على ذلك مجموعة المصراي التي جلبت المخدرات والايدز للشباب المصري فضلاً عن التجسس، كما أكدت ذلك السلطات المصرية. وإذا كان العدو يقوم بكل هذا التخريب الاجتماعي في بلد مستقر سياسياً وأمنياً، وفيه جهاز مخابرات نشط يحصي الأنفاس على الناس، فكيف يكون الأمر في مثل الوضع العراقي حيث لا جهاز مخابرات متمكن، ولا حكومة مهيمنة، فضلاً عن التدخل الإقليمي والدولي المخابراتي، فنعتقد أن المسألة أخطر واعقد، والمناخات مناسبة للجهد الصهيوني الافسادي

وفي الختام نقول: إن الشعب العراقي بعد أن عرف خطط الأعداء ومؤامراتهم فقد أمن نصف الطريق لمواجهة هذا الكيد، والنصف الآخر يرتبط بهمة ووعي الشعب العراقي خاصة، والشعوب العربية والإسلامية عامة، فهناك مسؤولية في عنق كل مسلم للدفاع عن هذا البلد المحتل الجريح، لإنقاذه من براثن الاحتلال أولاً، من الصهاينة ومكائدهم ثانياً.

للمجتمع العراقي، وقضية إفساد المجتمعات الإسلامية وتدميرها تشكّل ركناً أساسياً من أركان الإستراتيجية الصهيونية الخاصة لمواجهة الأمة الإسلامية.

ولكن هل يترك العراق لقطعان الموساد والسي أي أي تعبت وتدمر مرافقه الحضارية والحياتية، وتنهك أفرادها وخصوصاً شبابه، وتسلب مقدراته وثرواته الطبيعية؟ بالطبع لا يرضى بذلك كل عراقي محب لوطنه وعقيدته، بل وكل عربي وكل مسلم يعرف عدوه وما يخطط له؟

الهوامش:

- [١] د. سمير محمود قيرع، شبكة جاسوسية للموساد في القاهرة تستغل الجنس وتنشر المخدرات ومرض الايدز، صحيفة دنيا الوطن ٩ ديسمبر ٢٠٠٦.
- [٢] العربية نت، ٢٤/٣/٢٠٠٦.
- [٣] إمارة كامل مقالة عن (التغلغل اليهودي في العراق)، صحيفة كتابات الالكترونية، ٢٠/١٢/١٤٢٤ هـ. ق.
- [٤] (٢٠٠٦/٤/٢٦) _ alwatan arab American national (newspaper).
- [٥] أسامة كامل، مقالة عن التغلغل اليهودي في العراق. صحيفة كتابات الالكترونية، ٢٠/١٢/١٤٢٤ هـ. ق.
- [٦] صحيفة الوطن العربية الصادرة في أمريكا، ٢٦/٤/٢٠٠٦.
- [٧] د. شاكر الحاج مخلف رئيس تحرير المدار الأدبي. (مجلة المحرر - العدد ٢٠٤) ٢٧/١١/٢٠٠٤.
- [٨] شبكة البصرة نت، ١٦/حزيران/٢٠٠٤.
- [٩] المصدر السابق.
- [١٠] المصدر السابق.
- [١١] إسلام أون لاين نت، ٢١/١٢/٢٠٠٣.
- [١٢] شبكة البصرة نت، ٢١/١٢/٢٠٠٣.
- [١٣] وكالات، ١٤/٦/٢٠٠٥.
- [١٤] وكالات، ١٤/٦/٢٠٠٥.
- [١٥] المصدر السابق.
- [١٦] مقالة الدكتور شاكر الحاج مخلف رئيس تحرير جريدة المدار الديني، www.١ _ moharer.net.
- [١٧] (٢٠٠٦/٤/٢٦) _ alwatan arab American national (newspaper).
- [١٨] موقع قرية تقنية الالكترونية، ٢٤/٥/٢٠٠٦.
- [١٩] صحيفة الشرق الأوسط، ٧/٥/٢٠٠٥ / تقرير مراسلها جاسم داخل من البصرة.

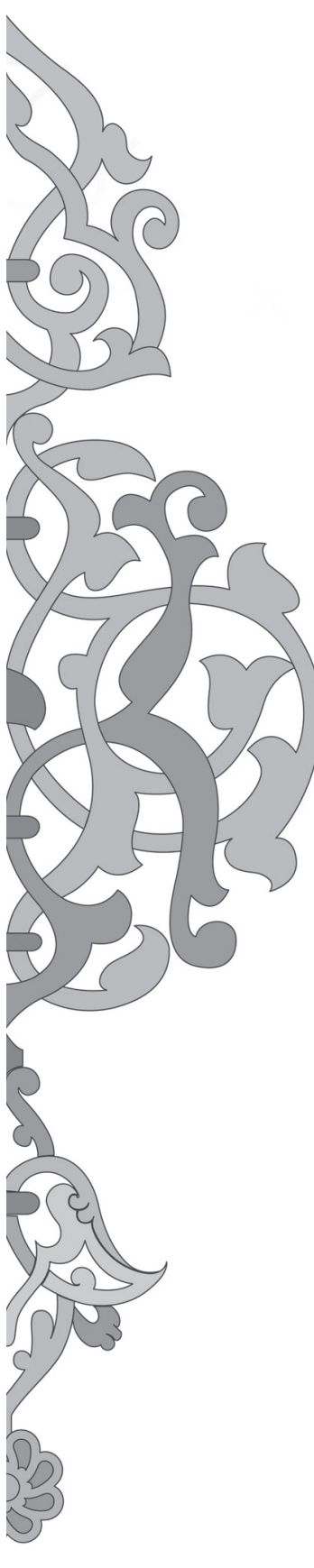
- [٢٠] صحيفة الشرق الأوسط، ١١/١٢/٢٠٠٠ م.
- [٢١] صحيفة القدس العربي، ٦/٢٠٠٦.
- [٢٢] د. خالد الناشف، الاختراق الصهيوني للعراق، نشر اتحاد الكتاب العرب، دمشق ٢٠٠٥ ص ١٨٠.
- [٢٣] نال عن سمير عبيد، sawiroff@hotmail.com. ١٥/٢/٢٠٠٦.
- [٢٤] سمير عبيد، لماذا التركيز على ذوي اللباس الأسود في العراق... من هم وإلى أي فصيل ينتمون، www.ssnp.info شبكة المعلومات السورية القومية الاجتماعية.
- [٢٥] اخطر عملية مخبرية بين الموساد وتنظيم إرهابي عميل في العراق / منديات بوابة ماجدة، ١٠/٥/٢٠٠٥.
- [٢٦] صحيفة الشرق الأوسط، ٣/يونيو/٢٠٠٦.
- [٢٧] صحيفة الواشنطن بوست الأمريكية، ٣١/مايو/٢٠٠٦.
- [٢٨] المصدر السابق.
- [٢٩] اللواء الركن مهند العزاوي، السيارات المفخخة واستخدام العوامل الكيميائية ضد الضحايا المدنيين تكتيك بأصابع
- أمريكية ودعم إقليمي.. صحيفة دنيا الوطن الالكترونية الفلسطينية، ١١/ابريل/٢٠٠٧.
- [٣٠] سمير عبيد، تحليل سياسي محايد، غنايات وأهداف تفجيرات الأضرحة المقدسة في مدينة سامراء العراقية، www.ssnp.info في ٢٣/٢/٢٠٠٦.
- [٣١] سمير عبيد، التغلغل الإسرائيلي في العراق، samiroff@hotmail.com.
- [٣٢] http://www.aljudsonline.com [٣٣] سمير عبيد، أسرار خطيرة - الكاتب المشهور (جون بيلغر) يكشف أسرار الرزقاوي ولعبة القتل في العراق، WWW.ssnp.info ٧/٦/٢٠٠٦.
- [٣٤] د. محمد العبيدي تقسيم العراق هدف أمريكي صهيوني مسبq التحضير، نشرة كنعان الالكترونية العدد ٦٨٢ - ٦/ايلول/٢٠٠٥.
- [٣٥] صحيفة النيويورك الأمريكية، ٢٤/مايو/٢٠٠٦.
- [٣٦] http://www.aljudsonline.com

ملف العدد:

السيد الشهيد الصدر الثاني العالم المصلح والتأثر الشهيد

عدد خاص: بمناسبة ذكرى استشهاده
السيد محمد محمد صادق الصدر عليه السلام

- ❖ السيد الشهيد محمد صادق الصدر عليه السلام . . . ثمرة الإصلاح والتغيير
- ❖ المتعاليات الاجتماعية في خطب الجمعة للسيد محمد محمد صادق الصدر عليه السلام نموذجا
- ❖ المنهج المعرفي للسيد الشهيد محمد محمد صادق الصدر عليه السلام في ضوء المنهج المعرفية الإسلامية
- ❖ سبل بناء القاعدة الجماهيرية في المنظومة الفكرية للسيد محمد محمد صادق الصدر عليه السلام
- ❖ صلاة الجمعة في مشروع الشهيد الصائغ عليه السلام



السَّيِّدُ الشَّهِيدُ مُحَمَّدٌ صَادِقُ الصِّدْرِ ثَوْرَةُ الْإِصْلَاحِ وَالنَّغْيَرِ

❖ أ. يوسف الزركاني (*)

(*) باحث وكاتب، العراق.

مقدمة:

لم يعد الحديث عن شهداء الحوزة العلمية ثوار المرجعية شيئا جديدا أو ملفتا للنظر لان هذا الكيان العظيم صار مؤسسة إلهية لتخريج الشهداء وعنوانا ربانيا للتضحية والفداء، ومنارا مقدسا لكل قرايين الدين من طلاب الحق وعشاق القيم والمبادئ. فلا يكاد يمر عقد أو عقدان حتى ينبري من هذه المؤسسة المجيدة علم من أعلامها يتحدى طاغوت زمانه أو مجرمي عصره ليسجل بدمه الزاكي أسما مصاديق المواجهة ضد هذا الطاغوت وأبهى معاني الثأر والإيثار والعطاء ضد هؤلاء المجرمين.

ويبدو أن صدقية الإنسان حتى لو كان نبيا أو إماما لا يمكن أن تؤتي ثمارها إلا إذا امتزجت بعرق الجهد والجهاد، وتمخضت بدم الشهادة وآلام التضحيات ومشاهدة الموت الزؤام.

يبدو أيضا إن حياة العظماء أو معظمهم لا تبدأ إلا بعد وفاتهم أو استشهادهم إذ أنهم برحيلهم لا يعودون منافسين فيغار منهم، ولا مزاحمين يتوجس من مزاحمتهم فيصير الحديث عنهم مباحا بعد أن كان محضورا وتصير سيرتهم تصحيفا أو شعارا، بعد أن كانت تهديدا أو تأسيسا مخيفا ومرعبا للآخرين. ومن هنا فأن الأسى ليس في شهادة هؤلاء العظماء، لأنهم بشهادتهم يصبحون منار عز ورموز فخر ومصاييح الدجى، ولكن الأسى كل الأسى أنهم لا يقيمون ولا يعرفون إلا بعد مماتهم واستشهادهم وبالتالي فأن الأمة تحرم من عطائهم عندما كانوا في وسطها وبين ظهرانيها ولكنها سرعان ما تستسقي على مشهد الدم، فتروح تلطم وتنوح وتندب الحض والسوء الطالع ولو بعد فوات الأوان.

وليس أدل على هذا المشهد المؤلم والعناوين الصارخة من المرجع المظلوم والثائر العظيم آية الله العظمى السيد

الشهيد محمد محمد صادق الصدر رحمته الله.

استشهد هذا المرجع العظيم بعد أن أحيا أمة تصور طاغوتها أنها هممت وماتت ولا يمكن أن تستفيق، استشهد وهو كان يتنبأ باستشهاده كان يقول (لقد استشهد الشيخ الغروي والشيخ البر وجردى وقد أكون ثالثهما) وقال رحمته الله في حوار آخر ما نصه أيضا (أنا في خطر وسابقي في خطر وإذا ذهبت فسأذهب كما ذهب المعصومون عليهم السلام) وكما ذهب ميتم التمار و حجر بن عدي وسعيد بن جبير وشهداء ألطف وكثيرون ممن عملوا في سبيل الله وقتلوا في سبيل الله).

الملخص:

أثار مشروع الشهيد الصدر الثاني رحمته الله جدلا حادا في الواقع الإسلامي الداخلي في العراق غير انه جدلا ايجابيا في محصلته النهائية، ورغم معرفة الشهيد بما سيثيره مشروعه من جدل أو خلاف إلا انه اجتهد أن يفجر قضية الإصلاح للواقع الإسلامي وفي خطة أولية متسلسلة.

وهنا نشير إلى النقاط التالية:

أولا: انه قدم نموذجا جديدا لتعاطي الفقيه مع السلطة، وهو نموذج يجد له مصاديق في تاريخ إشكالية العلاقة بين الفقيه الشيعي والسلطة. إلا أن الجديد فيه كما اشرنا في

هو سلطة الطاغية الهدام بكل خصوصياتها الدموية، وإمكانية تحييدها لفترة، وانتزاع بعض الأدوات من يدها، والدخول معها في معادلة صراع علنية، معادلة هي بحاجة إلى قراءة دقيقة للمتغيرات التي مرت بها السلطة والمؤثرات الخارجية عليها، ومن ثم تمييز هذه المتغيرات والمؤثرات لصالح المشروع بإصلاح ذاتي من جهة، وبناء إسلامي جديد من جهة ثانية.

لقد خاض الصدر الثاني هذه المعادلة والتقط كل الفرص الداخلية والخارجية لكي يكون طرفا قويا فيها، وهذا ما لم يفكر فيه فقيه أو مرجع في العراق. ولذلك فهو تحمل ما سيقال عنه كثمان لذلك، ولو أن ما يقال سيكون قاسيا ومريرا.

ثانيا: ولقد انطلق هذا المشروع، أول ما انطلق نحو بناء قاعدة شعبية متفاعلة، وجاء هذا البناء متصاعدا عبر خطوات تحرك كبرى باتجاه الوسط الاجتماعي والعشائري، تطلب الخروج على المألوف المرجعي أو على العرف المرجعي، وقيام الشهيد الصدر الثاني بجولات وزيارات إلى العشائر العراقية والاطلاع على أوضاعها وبناء علاقات معها ومن ثم أخيرا وضع فقه خاص بها اندرج في هذا السياق.

كما تطلب بناء القاعدة الشعبية، تجاوز خطاب الفقيه

هذه التجربة وسيعبر هذا الوعي عن نفسه عاجلاً أو آجلاً في صناعة مستقبل العراق.

ثالثاً: وإذا كان تأسيس القاعدة الشعبية شكل محورياً أساسياً من محاور المشروع التغييري للشهيد الصدر الثاني فإن المحور الثاني كان محورياً إصلاحياً للوضع الإسلامي الداخلي أي بوضع الحوزة وكل ما يتعلق بشؤونها بدءاً بمواصفات المرجع التي حددها الصدر الثاني ومروراً بأجهزته الوكلائية و التبليغية والمالية وانتهاءً بمناهجها ومستواها ومواكبتها بحركة العصر وحاجته ومتطلباته.

رابعاً: وكان المحور الآخر الذي شكل معلماً من معالم مشروع الصدر الثاني التغييري يتمثل بالعلاقة بين الحوزة والأمة واكتشاف الآليات والأساليب والطرق الكفيلة بإيجاد علاقة من نوع آخر بينهما وكانت صلاة الجمعة أكبر آلية تواصلية بين الفقيه والمجتمع وبين الحوزة والأمة إذ لم يعمل بهذه الآلية من قبل إلا بشكل محدود، ولوعي الشهيد الصدر الثاني بأهميتها فإنه أعطاها أهمية استثنائية وأوصى بضرورة أو وجوب مواصلة مواصلة حتى بعد موته.

إيمانه بإقامة دولة إسلامية:

استكمالاً للمشروع النهضوي الإسلامي الذي وضع أسسه السيد الشهيد محمد باقر الصدر رحمته الله، ونفذه بتوفيق

المكتوب إلى خطاب الفقيه المسموع، وإلى تنشيط الاتصالات مع الناس، وإلى مواكبة همومها وشؤونها والعمل بفقهِ الواقع أو فقهِ الحياة بكل ما تلد من جديد مع مرور الزمن إضافة إلى التواجد الميداني معه وربط مصير الفقيه مع مصيرهم. وبالطبع إن هذا الواقع لم يألّفه الشعب العراقي من قبل لذا فإنه شكل وضوحاً له بدور الفقيه ومن ثم تعاطفاً معه.

وقد أثبتت تجربة الصدر الثاني إن الشعب العراقي يختزن الاستجابة للعمل الإسلامي إذ بمجرد أن تحرك السيد الشهيد الصدر باتجاهه فإنه استجاب استجابة واضحة لا تخلو من شجاعة وربما إن هنالك من يقول إن استجابة هذا الشعب انطلقت في جزء منها من وعيه بموقف السلطة التي سمحت للشهيد الصدر الثاني الأمر الذي أزال جزءاً من المخاوف لديه، ومن ثم قرر الالتحاق بهذه التجربة، ولذا فإن الناس الذين التحقوا بركب الصدر الثاني لم ينتفضوا كلهم بعد اغتياله.

وربما تكون وجهة النظر هذه صحيحة بشكل جزئي ومحدود وإذا قيسَت التجربة بنتائجها وكمياتها وضر وفها واحتياجات السلطة وطبيعتها فإن الأمر لا يبدو كذلك فالجمهور الصدري كان له رد فعل ولو أنه لا يتناسب مع ما حصل بحكم الضر وف الأمنية القاسية إلا أنه اختزن وعي

المطلوب.

وبيضيف:

(إن الأمة إذا شاع بين ظهرانيها الظلم والتعسف، وكانت راضية به ولا يوجد فيها عمل ضده ولا التفكير برفعه أو التخفيف منه، سوف تكون أمة خائنة يتسافل إخلاصها وينمحي شعورها بالمسؤولية، وتحتاج في ولادة ذلك عندها من جديد إلى زمن مضاعف ودهر طويل...)

مضيفاً: (أن الفرد لا يتكامل إخلاصه ووعيه الإسلامي إلا بالعمل والتضحية ومواجهة الصعوبات، لا بالراحة والاستقرار).

ويؤكد المرجع الشهيد أن المسلمين كانوا ولا زالوا يواجهون الاستعمار مواجهة دموية ساخنة حيث يقول عليه السلام «وقد كان الاتجاه العام لهذه المواجهات هو التضحية في سبيل الإسلام» ولكن وللأسف الشديد وخلال العقود الأخيرة «حاولت

المادية المعاصرة السيطرة على الأيدلوجية العامة للثورات في عالم اليوم». ومن هنا ينطلق عليه السلام (ومن قناعة كاملة بأن الدين كان ولا يزال أساس الثورات المطالبة بإقامة الحق والعدل، وعلى مدى التاريخ لا سيما في العصر الحديث وابتداء بغزو نابليون لمصر و انتهاء بغزو

وسداد كاملين السيد أية الله العظمى روح الله الخميني رحمته الله في إقامة أول حكومة إسلامية في العصر الحديث، آمن الشهيد الصدر الثاني بضرورة إقامة دولة إسلامية، وأكد إن تطبيق الأحكام الإسلامية يبقى ناقصاً دون إقامة دولة إسلامية وتحكيم حدود الله وانطلاقاً من قوله الأمام علي عليه السلام الشهيرة (الدين أس والسلطان حارس، فما لا أس له فمهدوم، وما لا حارس له فضائع) اعتقاده بأن الثورة والتضحية والتحريك من مقدمات الفعل التغييرى لإقامة الدولة استكمالاً أيضاً لمشروع الشهيد الصدر الأول والسيد الخميني في إقامة الدولة، وضع شهيدنا الثاني أسس وملامح القوانين التي يمكن من خلالها تنفيذ مشروع التغيير هذا.

ومن هذه الأسس ما يلي:

١- الاقتحام وتحمل المسؤولية:

يقول المرجع الشهيد في هذا السياق (إن ما يرفع درجة الإخلاص في الأمة ويوجد شروط الظهور "ظهور الحجة عليه السلام" هو العمل ضد الظلم فعلاً.. وإن الفرد الذي يهرب بنفسه من ظروف الظلم.. أو أن المجتمع الذي يعيش في الرفاه النسبي بعيداً عن هذه الظروف. فإنه لن يعمل ولن يستطيع الوصول إلى حد الوعي والإخلاص

الانكليز للعراق خلال الحرب العالمية الأولى). مضيفاً:
(إن العمل الإسلامي في سبيل الله بمختلف مستوياته،
مما يقع في عصر الهرج والفتن والانحراف، له من الفضل
عند الله وعند رسوله كفضل اعتناق الإسلام نفسه).

ما هي الأهداف وراء صلاة الجمعة كآلية عبادية سياسية لإحياء النهضة والشجاعة في الأمة العراقية:

أقام السيد الشهيد صلاة الجمعة المباركة في الكوفة
العلوية حيث انه أحيأ شعيرة إسلامية ظلت مغيبة بل غيبها
الذهن الفقهي التقليدي قروناً عديدة تحت عنوان أنها
واجب تخيري فأعاد بها المولى المقدس الفكر الإسلامي
الحركي الثائر إلى الوجود الذي يفتح على الحياة ويتحرك
على أرض الواقع بلا تهيب أو تردد أو استئذان ففي هذه
الصلاة تنفس المجتمع مواعظ وإرشادات إسلامية أصيلة
واستعاد من خلال هذا المحفل الأسبوعي انتماؤه وهويته
الإسلامية مما أثار حفيظة السلطة الظالمة فوقفت بوجه
المصلين كي يتركوا الصلاة أو يتفرقوا عنها وقاموا بشتى
أنواع المضايقات ولكن دون جدوى فقد زرع مولانا
المقدس روح التضحية والفداء في نفوس الجماهير
الإسلامية، وخرج بها من ذل الخضوع والذل والعبودية

إلى عز التضحية والمقاومة ضد كل الطواغيت في الداخل
والخارج. ومن هذه التعبئة الميدانية الصدرية الثورية
المهدوية توجست السلطة الدكتاتورية وتوقعت شراً لأنها
تريد للإسلام أسير ورهين مجالس الذكر والدروشة وان
تبقى تعاليمه شعائر محنطة بعيدة عن الأمة والناس
والواقع، فراح يعتقل المؤمنين من أبناء هذا المشروع
الإسلامي، حتى صرخ الولي المقدس بوجه
الظالمين والدكتاتورية العبيثة بشعاره المعروف في مسجد
الكوفة، حين طالب بإطلاق صراح المعتقلين فوراً. مما
جعل النظام يفقد سيطرته على زمام الأمور، ويتهور في
كثير من تصرفاته الإجرامية.

وقد بدأ الولي المقدس مواجهة كبرى مع الدكتاتورية
الصدامية عند مطالبته الجماهير الإسلامية بالذهاب إلى
زيارة المرقد المقدس في كربلاء مشياً على الأقدام في
مسيرة صامته تعبر عن احتجاج واضح رغم الصمت، ولكنه
صمت يختزن الثورة والغضب، ويحرك كوامن السخط
والرفض، ويهز الرجولة للقيام بالثورة ضد الدكتاتورية
الصدامية وإجرائها التعسفية فكان وجهاً لوجه مع
الدكتاتورية في ذلك الحين والمطاردة والتعرض للجماهير
الإسلامية الملبية لنداء الحوزة الناطقة الشجاعة فقام أعلام
النظام بنصب الميترات والمفازز العقليّة للحد من الثورة

الصدرية حيث أن هذه المسيرات صامته بعيدة عن الهتافات التي تستفز السلطة ولكن الدكتاتورية لا تسمح بها وواجهتها مرات عديدة بالفدائف والرصاص والتصفيات والإبادة الجماعية وقد تصاعدت المواجهة بين مولانا المقدس وأبناء الخط المحمدي الأصيل وبين الدكتاتورية العنيفة ورفع المولى المقدس (نعم نعم للإسلام) و (نعم نعم للحرية) بعد أن كان المجتمع ذليلاً ويهتف به الطاغية الهدام فقد حطم ذلك القيد بتلك الصرخة المدوية ومن ثم (نعم نعم للمذهب) على الرغم من المحاصرة بالبنادق والحرب، بالوحشية التي كان يتبعها الدكتاتور البعثي وبارهابه المستبد وعلى الرغم من كل ذلك فأن مولانا المقدس تنثن عزيمته وذلك لأنه يرى أن كل هذه المواجهات مع الدكتاتورية إنما هي من بؤار الشجاعة والتحدي وبناء الشخصية الإسلامية. قام الولي المقدس بإرسال الوكلاء المبلغين إلى كافة أرجاء العراق ووصل بعضهم إلى مناطق نائية جداً معزولة لم يكن أهلها يوماً يصلون جماعة فضلاً عن صلاة الجمعة وبلغ عدد أئمة الجمع أكثر من سبعين إماماً كلهم من الشباب الرساليين الواعين العراقيين الذين تربوا في أحضان الشعب ويتعاشوا معه في مأساته وألمه وأوجاعه ممن كانت همهم عالية وكان اختيارهم على أساس الوعي والشجاعة لأنهم رسل الجمعة الذين سيخلدون المشروع التغييري بمواقفهم

وبطولاتهم بوجه أكبر دكتاتورية في العالم، فهل ننسى أبناء العراق (علي الكعبي أو حسين المالكي أو حسين السويدي)؟ والعشرات غيرهم ممن سجلوا موقف عز وشرف سيكتبها تاريخ الحوزة الناطقة بصورة خاصة ومذهب آل بيت الإسلام بصورة عامة وبحروف من ذهب ولم يترك المولى المقدس شيئاً للدكتاتورية في ساحة المواجهة حيث أن نصر الله أت على يده الشريفة فكان يمحى السلطة ويسحب البساط من تحت أرجلها شيئاً فشيئاً بالرغم من وحشيتها وإجرامها فخطا بعد ذلك خطوة أخرى وهي تأسيس المحكمة الشرعية مقابل محاكم الدولة الفاسدة القائمة على قوانين وضعية وحاول من خلال هذه المحكمة ألفت نضر الأمة إلى هويتها الإسلامية الدينية بعد أن تناسا المجتمع هويته الإسلامية من جهة وأشعار الجماهير الإسلامية بأن سلطة البعث بعيدة كل البعد عن أحكام الدين الإسلامي الحنيف من جهة أخرى، معرفاً المسافة الشاسعة بين السلطة الديكتاتورية وبين الجماهير الإسلامية وأحكام دينها بعد أن تهب رجال الدين من اضهار تلك الحقيقة وعرضها على الجماهير الإسلامية لأن هذا البعض اختزن الحقائق في السرايب والزوايا والحلقات الخاصة. ولكن كان شهيدنا المقدس شوكة في عيون كل الطواغيت حتى أنه نزل ميدانياً مع العشائر فقد اصدر رضوان الله عليه (فقه

العشائر) وأوضح فيه عدم انطباع بعض السنن العشائرية المعمول بها مع تعاليم الإسلام محاولاً من خلال هذا لتوجه الدقيق الدخول إلى عالم العشائر العراقية المغلق والسعي لحل المشاكل العشائرية العويصة في المجتمع العراقي وفق أحكام الإسلام وبهذا استطاع النزول إلى أبناء الأمة ومعايشتهم في كل تفاصيل الحياة وشدهم مع الحوزة وحبال دينهم التي قطعتها الدكتاتورية في مسيرتها ومهرجاناتها الفاسدة وانحرفها الواضح عن طريق الإسلام الحقيقي مما أثار غضب الدكتاتورية وزيادة نقيمتها على مولانا المقدس فقد عبأ رحمته الله الجماهير تعبئة دينية جهادية وكسر كل قيود الذل والعبودية وجعل موقف الدكتاتور هزيعاً ضعيفاً فكانت خطى المولى المقدس سريعة وثابتة ومؤيدة بتأييد الله سبحانه فكان يتعذر عليهم اللحاق بخطواته الحكيمة الجبارة المسرعة الموفقة بأذنه تعالى فكلما واجهوه من جهة فتح طريق مواجهة في عيون الدكتاتورية.

فاصدر المولى المقدس مجلة الهدى وهي تهتم بشؤون الحوزة والأمة الإسلامية وجعلها جسراً بين الشباب الرسالي الواعي والحوزة. لقد كانت مغامرة ثقافية مدروسة لاستقطاب الحس الرسالي عند الشباب المسلم المثقف من العراقيين المحرومين من كل أنواع الثقافة الإسلامية

وذلك لكون الدكتاتورية العنيفة قد فرضت حصاراً شديداً على الكتاب الإسلامي والطاقت الثقافية الإسلامية. وبعد أن وصلت المرحلة إلى هذا المستوى من التحدي والمواجهة، قال المولى المقدس في صلاة الجمعة في مسجد الكوفة: (بلغنا من الجهات العليا في الدولة بالمنع الشديد والأكيد عن المشي إلى كربلاء المقدسة في هذا الموسم، وكل موسم، ومن هنا وجب العمل بالتقية) وسار رضوان الله عليه بخطا سريعة نحو الله سبحانه دون أن يهتز أو يشعر بالوجل من كلاب البعث، ومواقفه الثابتة أمام الدكتاتورية ومن هذه المواقف:

١ - رفضه الدعاء لصدام في صلاة الجمعة وغيرها رفضاً مطلقاً رغم إصرار الأخير وأزلامه على ضرورة الدعاء له مستغلاً فترة العدوان الأمريكي البريطاني لتبرير هذا الدعاء مع الحاجة السياسية له.

٢ - التهجيم على أمريكا وبريطانيا وإسرائيل في الصلوات والمناسبات العديدة، ودعوة الناس إلى البراءة من هؤلاء المستكبرين والتنديد بعدوانيتهم على الشعب العراقي المظلوم، والإشارة إلى أن الظالم سيف الله ينتقم به وينتقم منه، في إشارة واضحة إلى التعريض بطاغية العراق وأسياده.

٣ - التعريض بالنظام وإجراءاته المعادية للجماهير،

بمنعه المسير إلى الأمام الحسين عليه السلام في خطبة كاملة.

٤ - فضح موقف السلطة من حيث تجاهلها للدين وتعاليمه من خلال التنديد بالخمير، ومحاربة السفور، وتحريمه مشاهدة محطة الشباب العائدة إلى عدي وهو ابن الطاغية.

٥ - المطالبة بتعريف منهج أهل البيت عليهم السلام في المناهج الدراسية.

٦ - دعوته رجال الدولة إلى التوبة، والعودة إلى الله تعالى، وعدم مواجه الدين مما يتضمن ذلك من إدانة واضحة وصريحة لكبار هؤلاء الموظفين ممن عاضدوا السلطة الدكتاتورية في التعدي على حدود الله وشريعته على امتداد حقبة من الزمن استوعبت حكمها البغيض، مما جعل الدكتاتور يشدد من موقفه ضد ذلك، وقد أغلقت بوجهه كل طرق المقاومة للحد من الإصلاح والنهضة التي قام بها المولى المقدس، ورأى البعض لا يمكن إسكاته إلا باغتياله وبعد ذلك تستطيع إن تقول: بأن النظام الدكتاتوري الذي يتبناه صدام كان مشينا من الناحية المادية بحيث يصعب على كل من لا تعجبه هذه السياسة الدكتاتورية أن يطال منه شيئا.. غير أن السيد محمد الصدر استطاع بفعل اختباره الدقيق لأسلوب وطبيعة المشروع الإصلاحي وذكائه الحاد في التعامل مع نقاط الضعف

الموجودة في النظام الدكتاتوري باختراقه لعقول الكوادر العاملة معه في السلطة مما سمح له بالتحرك بقوة ولو لفترة قصيرة ممكنة من اختراق الغلاف الخارجي لهذا النظام وفتح باب أمام الجماهير الملبية للنداء الإسلامي في التغيير والتعبير على هويتها فكان أن خلق الشخصية الشجاعة التي تتحلى باستمرارية الثبات على الموقف في سبيل تدمير هذا الغلاف وتمزيق الشرنقة التي تلف النظام الدكتاتوري حتى تنهيا للمؤمنين فرصة للإطاحة بالدكتاتورية من خلال حمل هذا المشروع الإصلاحي وتطبيقه حتى بعد موت محمد الصدر وبالفعل كان استشهاد بدياة حياة حقيقية للإسلام لأن استشهاد العظماء هو في الحقيقة بدياة حقيقية لحياتهم.

- مشروع التغيير:

استطاع الشهيد محمد محمد صادق الصدر أن ينجز كل ذلك عبر منظومة مفاهيمية مغايرة، وان يؤسس شبكة من المفاهيم حول الشؤون الثقافية والسياسية الأخرى شكلت بمجملها نسيجاً معروفاً متجانساً، ميزه عن سواه من الفقهاء وحدد ملامح مشروعة وتجربته، فلقد جاء هذا النسيج المعرفي بشيء من الفردية والخصوصية والابتكار، فهو تجاوز المشتركات والثوابت من خلال استيعابها، وبرز معالم قراءته الخاصة لتعاليم الإسلام التي تنتمي للاجتهاد

وجوبه توجهها نحو المجتمع وفي إبراز الوجه السياسي لحركة الإسلام.

وفيما قضى الصدر الأول معظم حياته في بحوث فكرية متطورة بغية إرساء جذور وأساس المدرسة الإسلامية بكل أبعادها الفلسفية والاقتصادية والاجتماعية وبدأ بدايات في تطوير المنهاج الحوزوي، وأعلن خطابا نظريا لا يخلو من النقد لواقع هذه الحوزة وتحرك سياسيا تحت ثقل الظروف الخارجية التي ربما تكون ساعدت على دفعه على تسريع الجانب السياسي العملي من مشروعه، جاء دور الصدر الثاني من شقين شكلا الإفرار العلوي الذي غيَّب في مشروع الصدر الأول، الشق المتعلق بدور الفقيه العملي الميداني الاجتماعي الإسلامي المندك في الأمة، والمرتبط معها بعد أن أكتشف آليات وأساليب تعبئتها، والشق الثاني الذي يواكب حركة التجديد الفقهي بما يتناسب مع المستجدات والتطورات.

وهكذا بدا المشروعين متغايرين في أدوارهما تبعا لاختلاف الظروف والقدرات الذاتية، وفي نفس الوقت كَمَلا بعضهما البعض، في صيرورة تصاعدية تكاملية، قائمة على تواصل معرفي في حياتهما قبل الاستشهاد، وعلى رابطة دم، شاء الله أن يجعلها هكذا، ولو أنها فسرت من البعض تفسيراً ثانياً من الصدر الثاني لدماء الصدر الأول.

البشري، أو الفهم البشري للدين والرسالة السماوية، ولذا فهو انتمى إلى تاريخ الفقهاء الثوريين المبدعين المطورين المجددين، وأضاف إلى تراكمهم المعرفي تجربة جديدة لها فرائدها في كثير من الأمور والمسائل.

إن المنظومة المفاهيمية للشهيد الصدر الثاني لم تكن منظومة عشوائية مبثرة وإنما هناك قصديه واضحة في انتقاء أي مفهوم وعلاقته بالآخرة، ومن ثم الخروج بمسميات ومصطلحات للتجربة وبالتالي فإنها منظومة مفاهيمية تشكل مشروعا تغييريا له محاوره ومعالمه ومرتكزاته الخاصة حتى وإن لم يسمَّ الصدر الثاني هذا المشروع ومحاوره ومرتكزاته ومعالمه.

وما بدا على هذا المشروع أنه جاء في جزئه العلمي والنظري الأكبر، إكمالا أو ترجمة لطموح الشهيد الصدر الأول (محمد باقر) الذي بقي حبيسا في صدره ولم تسمح له الظروف، لا ظروف الصراع مع السلطة، ولا ظروف المؤسسة الدينية الشيعية الداخلية، ولا ظروف الوعي المجتمعي، إن يتصدى له، إذ على رغم المغايرة الواضحة في أمور عديدة فكرية وغير فكرية بين الصديقين الأول والثاني، ورغم احتفاظ تجربة الصدر الثاني ببعض الخصوصيات الميدانية، إلا أن التجربة بشكل عام جاءت وكأنها صدى لأمني الصدر الأول في إصلاح الحوزة وفي

الثاني من خصوصية نابعة من الظروف والجغرافيا والإبداع الذاتي الفقهي الثوري، فأنها عكست من خلال الأداء العام لهذا المشروع وأدبياته، تواسلا مع الحركة الإسلامية العالمية بكل صورها ومظاهرها الأخرى.

إن هذا المنهج التوحيدي الذي اقتضاه المشروع التغييري الصدري الثاني، يمكن فهم الخطاب الذي تأسس عليه بتوصيف آخر غير توصيف الخطاب المتوتر وهو توصيف الخطاب النقدي للواقع القائم، إذ أن أي مشروع لا يمكن أن ينهض ويتأسس ما لم ينقد الوضع القائم، وي طرح بدائله، وأن الصدر الثاني مارس نقدا شموليا وجوهريا، فهو نقد شمل أكبر عدد من الظواهر الخاطئة بإثارها ومناقشتها متجاوزا مقولات الحساسية، لا سيما فيما يتعلق بالواقع الإسلامي في العراق، كظواهر (النذور) وإلى أين ستنتهي، وظاهرة (السدنة) وظاهرة (تقيل الأيدي) والظواهر المرتبطة بإخراج الدين عن مضمونه الحقيقي، فضلا عن الظواهر الاجتماعية السيئة، وحتى قضية إدارة العتبات المقدسة. ونقد هذه الإدارة بوضعها القائم.

حجم المعاناة والصبر والتحمل والإصرار للشهيد محمد محمد صادق الصدر من أجل انجاز هذا المشروع التغييري الإصلاح الجذري، الذي أسسه ورعاه، ورسم

إن الدور العملي الميداني والاجتماعي التجديدي للفقهاء الصدر الثاني الذي ميز مشروعه التغييري لم يأتي كما اشرفنا إلا وفق خطة تحرك عليها هذا المشروع، خطة لمرتكزات واليات وأوليات، بدأت بـ (تحييد) السلطة، ومن ثم مرتكز إيجاد قاعدة شعبية ومرتكز إصلاحي داخلي للواقع الإسلامي وواقع الحوزة ومرتكز تأسيس منظومة متجانسة ومتكاملة مثلت خصوصية التجربة الصدرية الثانية، وكل تلك المرتكزات كانت ممزوجة بواقع سياسي يشكل إفرارا علويا لهذا المشروع التغييري إلا إن الطاغية الهدام قطع الطريق على تجسيد هذا الإفرار العلوي (المشروع السياسي)، مثلما قطع الطريق على تجسيد الإفرار العلوي الذي مثله فيما بعد مشروع الصدر الثاني على الصدر الأول.

إن قانون الموت والقتل والاعتقال الذي عمل به النظام الهدام لعرقلة حركة المشروع الإسلامي العام في العراق، لم يحول رغم بشاعته دون تنامي هذا المشروع وتراكم صيرورته المتصاعدة.

إن التجربة الصدرية الثانية في العراق مثلت صورة تصاعدية من صور حركة الإسلام السياسي في المسيرة الإسلامية العامة في العالم الإسلامي وفي العالم اجمع، وبقدر ما عكست هذه الصورة، وهذا المشروع الصدري

فضلاء الحوزة والمؤمنين فوراً مع الصلاة على محمد واله الطيبين الطاهرين) ولأجل إطلاق سراحهم دعا حشود المصلين للصلاة على محمد وال محمد بأعلى أصواتهم... فهتف الجميع ثم هاجوا وماجوا وراح ﷺ يقول:

(أنا قلت واكرر إن اعتقال أي واحد من هؤلاء المؤمنين كأنه اعتقال لي لا ن المؤمنين كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى، وإذا بقي اعتقالهم إلى الجمعة الآتية فيجب على كل خطباء الجمعة في العراق التبليغ عنهم والمطالبة بإطلاق سراحهم بالحكمة والموعظة الحسنة جزأهم الله خير جزاء المحسنين...) ثم أضاف: (الآن قولوا معي ثلاث مرات (نريد نريد نريد) (فورا فورا فورا) (يا الله يا الله يا الله) ورددت معه حناجر الألوف هذا النداء بلا تهيب أو تردد أو تحفظ (وهذا يعني ما يعنيه لمن يعرف دموية النظام واستهتار أزماله).

أ. أمور اجتماعية حساسة:

وفي إطار هذه الخطبة أشار المرجع الشهيد إلى بعض الأمور الاجتماعية الهامة الشديدة الحساسية التي تحولت إلى أعراف خاطئة يجب إلغاؤها منها الصرف الكثير للأموال والطعام عند الوفيات وكيف صار المعزى بوفاة

ملاحمه من خلال خطوط عامة ومحاور ومرتكزات وضحتها هذا البحث، مشروع ختمه باستشهاد (مرجعي) لا ينتمي إلى تاريخ الاستشهاد المتعارف، إنما يأتي حصيلة لثقافة حسينية ونبض عرفاني ينتمي إلى عرفان (الواقع) وليس إلى عرفان الانعزال والخرافة.

وقرار استشهادي واضح واع، أكدته الروايات المنقولة عنه، وأكدته السلوك الذي مارسه، وأكدته الكفن الذي لفه واقفا في صلاة الجمعة، قبل أن يلفه في قبره الذي وضع فيه، بلا تشييع وبطريقة سرية، تحت جناح الظلام، حاضنا ولديه (مصطفى ومؤمل)، كما دفن الشهيد الصدر الأول، قرار استشهادي أكدته السيد محمد محمد صادق الصدر، بالسلوك والأكفان والروايات الخاصة والخطاب العلني أمام الأئمة عندما تحدث أكثر من مرة عن احتمال قتله.

ر. رفض وتوجيه وتجديد وإصلاح:

وقف المرجع المظلوم في آخر خطبة له ناعيا نفسه ملتجما مع أبناء أمتة نائرا متمردا غاضبا على اعتقال أعداد كبيرة من خطباء الجمعة والمؤمنين الصالحين في العراق. وقف في كفنه المعروف وقفة تاريخية خالدة ليسجل أول جملة له بعد الحمد والثناء بنص واضح وصريح يقول: (نطالب من هنا بإطلاق سراح جميع المعتقلين من

الخوض فيها إلا همسا أو رمزا في أحسن الأحوال والأوضاع والضر وف.

هكذا كانت إذا خطب المرجع الشهيد وهكذا كان يستخدم اللغة البسيطة بلا تكلف أو تمحل أو تنطع... صريحا واضحا مباشرا، يستصرخ الضمائر بأشد ما يكون الاستصراخ، ويستنجد أو يستغيث بالله تعالى بأبسط ما تكون الاستغاثة والاستنجد وبدعاء حار حاد، صارخ الكلمات، محسوب العبارات كمن يقول (إياك اعني واسمعي يا جارة) أو كما استخدم الإمام زين العابدين عليه السلام دعائه ودموعه لدك عروش الظالمين واجتثاث وجودهم.

وحين أدرك أن أيامه اقتربت وان السلطة بدأت مقطعا جديدا في حملات الاعتقال والتصفيات، وأنه مقتولا لا محالة لم يأل جهدا أن يصرخ بملء فمه بهذا الشكل السافر الصارخ وليقول لمحبيه ومريديه ومن عشقه والتف حوله (لقد ولى عهد الالتفاف حول المرجعية وبدأ عصر المواجهة والدم) فليذهب كل منكم إلى ما يستطيع قوله أو فعله أو عمله أو (ليتخذن هذا الليل جملا) كما قال أبو عبد الله عليه السلام.

- كم هو مترابط دور الصدرين الشهيدين بالامة:

بما لم يدع مجالا للشك يجد الباحث والمتابع والمحلل

قريب يجد نفسه مجبرا أن يقدم الكثير للمعزين بلا داع ولا ضرورة وكيف أن بعضهم صار يرمي بالزيادات في المزابل فيبقى هو نفسه فقيرا متسكعا في وقت يجب أن يستخدم هذا الصنف لسد حرمان المعوزين، والأفضل تفقدتهم وقضاء حوائجهم والإحسان لهم... وكذلك الأشعار والمدح التي تلقى بحق المتوفى الذي قد لا يستحق المديح أحيانا.. أو الشعر الذي يظهر فيه أو يحس منه اعتراض على قضاء الله وقدره وكذلك تبجيل المتوفى الذي قد لا يستحق التبجيل وربما اللعن، وكذلك المرأة التي ترى نفسها مجبرة على البكاء وشق الثياب وترف الشعر لأنها كما يزعم تصبح عرضة للانتقاد إذا لم تفعل ذلك، وكذلك تشييد القبور ورفعها فوق الحدود، وما في ذلك من إسراف مذموم قد يوجب الحرمة أو العقوبة.. وما إلى ذلك من أمور حساسة ودقيقة ولم يكن مألوفا أن يتطرق إليها مرجع من قبل أو يفتحها بهذا الشكل الصارم المسئول..

كل هذا وغيره وجدناه أو نجده في خطبة واحدة وفي صلاة جمعة واحدة... عبادة وسياسة ومجتمع، إصلاح ودعوة وتاريخ، محاكمة أعراف خاطئة وترسيخ قيم نبيلة وتحدي صارخ للظلم ومقارعة مكشوفة واضحة ضد الظالمين.. أمور لم تكن تطرق.. وممنوعات لم تكن تقتحم.. ودوائر حمراء لم يكن مألوفا بل معروفا مناقشتها أو

للشأن المرجعي في حوزة النجف الاشرف إن هناك أكثر من قاسم مشترك بين الصدر الأول والصدر الثاني، لعل في مقدماتها العمل والإيمان والأخلاق ورجاحة الفكر والعق ولكن أقواها (العمل) واجلي مظاهرها (التصدي) واصلق تعابيرها (الشجاعة) التي امتزجت بالفعل لا بالقول، وبالواقع لا بالدعاء وبالاستعداد للموت والتصميم على الشهادة وليس على دراسة مطالب الفقه والأصول فقط التي (قد تما العقل ولكنها قد تترك الضمير والوجدان فارغين) - حسب تعبير الصدر الأول عليه السلام.

فقد قال الشهيد الأول السيد محمد باقر الصدر قولته المشهورة مخاطبا بعض محبيه وتلامذته: (لقد صممت على الشهادة، ولعل هذا آخر ما تسمعونه مني). ولبس الشهيد الثاني كفته في رمزية صارخة التعبير مرعبة الأداء للخصوم والأصدقاء وهو يكرر قولته (إنها رصاصة واحدة) وينتهي الأمر.

ونقول التصدي الصدري الشجاع لان الكل يعلم شراسة العصابة الحاكمة في بغداد، والكل يدرك إن العمل مع الأمة دون استئذان هذه العصابة يعني شيئا واحدا اسمه الموت في فقه هذه السلطة الظالمة المجرمة وسجلها الأسود الدامي الملي بكل ألوان الجنايات والجرائم وليس ضد أشخاص وعظماء فقط وإنما ضد

العراق وأهله وجيرانه والمنطقة والعالم فمن يشك في العراق وخارجه إن أية الله العظمى السيد محمد محمد صادق الصدر يوم أقام الجمعة أو قرر إقامتها في كل مناطق العراق كان لا يحسب حسابه ليوم آت لا محالة ستضيق به الفئة الباغية فلا تجد سبيلا لإيقافها أو تعطيلها إلا بسفك دمه ومن يشك أن السلطة ستتحمل يوما يصبح فيه أبناء العراق يقولون: قال الصدر وقال صدام، كما حدث فعلا في الأيام الأخيرة أو كما قال صدام يوما: من الحاكم؟ انا محمد الصدر؟ ومن يشك أن الطاغوت الذي قتل الصدر الأول والذي لم يتسن له إلا قيادة نخبة، ونخبة واعية فقط من طلائع أبناء الحركة الإسلامية. بحكم الضر وف الحاكمة آنذاك سيتردد في قتل الصدر الثاني الذي نزل إلى الأمة كل الأمة وبكل ثقله وكفنه وجمعته وخطبه وشعاراته.

هل نسي الصدر الثاني أن الطاغوت الذي يقتل الصدر الأول نفسه الذي لازال يحكم العرق ولم يتغير، إن لم نقل زاد شراسة وعنجهية وبأسا من إمكانية احتواء أبنا هذا البلد الصابر المكافح؟ هذه وغيرها من الأسئلة كلها كانت تدور في ذهن الصدر الثاني الذي ادر كان بصلاته وخطبه سيحارب الطاغوت. أو هكذا يتوهم الآن فعلا. لأنه لا ولم يمدحه أو يدعو له أو يثني عليه في هذه الخطب. وبالتالي

فأنه سيحاربه أو يجهز عليه إن عاجلاً أو آجلاً... إن المرجع الشهيد كان يدرك تماماً إن صلاة (الجماعة) وحدها كانت تخيف الطاغوت. لان المساجد التي أراد إفراغها امتلات فكيف بصلاة (جمعة) يتقاطر الناس إليها من كل حذب وصوب بما يشبه انتفاضة جماهيرية أسبوعية ترعب السلطان وترهب أزمها؟ أدرك المرجع الشهيد وغيره. والطاغوت الذي يواجهه. كلهم. أن الأمة في العراق حية معطاة رغم كل المقاتل والمجازر التي شهدتها طيلة علاقتها مع النظام المجرم. وأنها تعشق عقيدتها ودينها رغم محاولات التشويه المدروسة التي مارسها هذه السلطة ضد جماهيرها وأدرك المرجع الثائر أن هذه الجماهير مستعدة لمواصلة مشوار العطاء والبذل وإتمام الشوط إلى آخره رغم كل الصدمات والنكبات وحملات التصفية والإبادة خاصة وهي تجد رمزا دينيا شجاعا غيورا استبدل عباءته السوداء بكفن ابيض يرتديه في وضح النهار متحديا مقتحما عارفا قراره وقدره ومصيره ماشيا نحو الشهادة غير هيب ولا وجل ولا متردي وهو يهتف (نعم نعم للإسلام) (نعم نعم للمذهب): (كلا كلا للظالم) كما ورد في بعض خطب الجمعة المعروفة وكما سنقرأ بعد قليل.

نعم حين توفر هذا الرمز بصدقه وإخلاصه وشجاعته

كان طبيعيا جدا أن يلتف الجيل الصدري الجديد حول رمزيته متطلعا غالى طلعت أخرى يستحضر من خلالها الهامة الصدر الأول

وثورته وتصميمه على الشهادة فوجد في الصدر الثاني مبتغاه ورائده وملهمه وغضبه وقائده إلى فجر خلاصه الذي طال انتظاره.

إذن تطلعت الجماهير إلى رمز صدري المنبع علوي الهمة خميني المنهج حسيني التربية محمدي المنشأ الهني المنطلق رباني الفقه ووجدت فيه مزايا الأنبياء وهدى الأئمة من ورع وتقوى وزهد وتربية وشهامة وفوق كل ذلك (قيادية) و (مرجعية) و (علمائية) تتحمل مسؤوليتها في اشد الظروف قسوة وصعوبة وتعقيد...

كان لها أملا أو جاء لها أمل أو توقعته أملا وتطلعت إليه أملا فبادلته حبا بحب وصدقا بصدق وولاء بولاء فكان الراية التي رنا إليها الثوار والنجباء والشرفاء في عراق المصائب والرزايا، وكان الرمز الذي كان يحمل كفن موته على كتفه، وكان المحور الذي استقطب كل صيحات الغضب المقدس ومخزون الغيرة والعنفوان في امة عظيمة ما انفكت تنجب الثوار والأحرار رغم المحن والآلام.

إن الخبرة التي أكتسبها الشهيد الصدر من خلال تجربته مع الشهيد الأول، والانتفاضة الشعبانية، وان لم

يكن الشهيد الصدر موجودا بوصفه القائد الوحيد فيها، إلا أن تلك التجربة قدمت للشهيد درسا كبيرا في أن خوض المعركة من أجل التغيير ممكن، وأن النجاح فيها ممكن، وبالتالي فإن الرؤية الجديدة لعلاقة المرجع بالناس، وقنوات التواصل مع الجمهور، والعلاقة بين الدين والمجتمع، وغيرها من التصورات الجديدة، يمكن أن تنتصر على الرؤى القديمة حتى لو كانت تلك الرؤى راسخة الجذور في العقلية الجماعية منذ مئات السنين، ولكنها لن تنتصر إلا بعد تفكيك العقلية القديمة، واقتلاعها من الجذور، عندئذ يمكن أن نلحق الأذى بكل التصورات القديمة والرؤى المختلفة.

دعونا نستمع إلى الشهيد محمد باقر الصدر - هذا الإنسان الذي جمع في شخصية (المرجع الناطق والمثقف الواعي) والذي بذل كل وجوده وكل كيانه وكل حياته وفكره ودمه في سبيل رصد المؤامرات التي تكتنف الأمة والرسالة وهو يرسم لنا مسؤوليتنا وموقفنا تجاه تلك الواعية، ولننعمش مع كلماته ونتفاعل معها بروحية صادقة، لأننا معنيون بها، يقول رضوان الله عليه:

(إن واعية الحسين عليه السلام لم تنقطع يوم عاشوراء، إن واعية الحسين حيث أنها واعية رسالية وليست واعية شيخ عشيرة أو قبيلة، فواعية الرسالة لا تنقطع ما دامت الأخطار

تكتنف هذه الرسالة، وقد قال هذا المجاهد الشهيد الصادق: انه ما سمع واعيتنا شخص ولم ينصرنا إلا أكبه الله على وجهه يوم القيامة. نحن يجب علينا أن نعرف أن هذه الواعية نواجهها اليوم كما واجهها عبيد الله بن الحر الجعفي إن لم نواجهها من فم الحسين عليه السلام فنواجهها من دم الحسين ومن تاريخ الحسين ومن بطولة الحسين يوم عاشوراء والمواقف المتعددة نواجه هذه الواعية من كل الأخطار التي تكتنف الرسالة وتكتنف الإسلام وتكتنف الأمة الإسلامية من كل صوب وحذب، كل هذا الضياع في القيم والأخلاق في المبادئ والمثل، كل هذا التميع، كل هذا هو واعية الإسلام، نحن نواجه هذه الواعية في كل مكان وفي كل زمان من كل صوب وحذب، إن الإمام الحسين عليه السلام حينما ثار، حينما بدأ يبذل دمه في سبيل الإسلام نواجه بداية خط الانحراف، هذا الخط نحن نعيش قمته، نعيش أزمته، نعيش تصورات كل أبعاده).

(إذن فواعية الإسلام اليوم أوسع وأكبر، ونحن وأي فرد من المسلمين ما يزال اليوم مدعوا كما كان عبيد الله ابن الحر الجعفي مدعوا أن يغض النظر عن مصالحه، عن وجوده، عن كيانه، عن شهواته عن رغباته الشخصية في سبيل أن يساهم في إنقاذ الإسلام، في إنقاذ المسلمين، في إعادة الإسلام إلى الحياة، في رفع هذا الوهن -

تضحيتيه بأخر قطرة من دمه، بأخر شخص من ذريته، بأخر كرامة من كرامته بحسب مقاييس الإنسان الدنيوي؟! لا بد أن نعيش دائما هذه التضحية ونعيش دائما مدلول هذا الدم الطاهر لكي يكون ثمن دم الإمام الحسين حيا على مر التاريخ. والحمد لله رب العالمين).

— خطاب الشهيد الصدر الثاني عن أمريكا وتحذيراته ورؤيته:

إن للسيد الشهيد عليه السلام دور كبير في توضيح الحقائق المهمة عن قوى الشر أمريكا وإسرائيل وبريطانيا وقد فضحهم وبين للعالم حقيقتهم وفتح عقول المؤمنين وأثار قلوبهم خلال كلماته حيث جاء في الخطبة قبل الأخيرة في أيام شهر رمضان المبارك، وفي خضم القصف الأمريكي على العراق ومن هنا وقبل أي شيء، افتتح السيد الشهيد خطبته بترديد بعض الشعارات مطالبا مئات الألوف من المصلين بترديدها معه، قائلا: لأجل رفض الباطل وأهل الباطل نقول (كلا كلا للباطل... كلا كلا أمريكا... كلا كلا إسرائيل... كلا كلا استعمار... كلا كلا استكبار... كلا كلا ياشيطان) وبعد قراءة الدعاء وآية الكرسي قال (من جملة المشاكل التي مر بها المجتمع العراقي هو القصف الأمريكي ولا ينبغي للحوزة الناطقة المجاهدة أن تبقى ساكنة عن إبداء رأيها فيه) ملمحا بهذه

الاحتلال في مثالنا اليوم - عن وجود المسلمين، وعن كرامة المسلمين. إن كل مسلم قادر أن يساهم في هذه العملية بقليل أو كثير في حدود إمكانياته وقابلياته، المساهمة ليس شكلها حمل السيف، وحمل السيف لا يمكن أن يكون إلا بعد مساهمات طويلة الأمد، إذن فهناك نوع من المساهمة قبل حمل السيف ولو أن كل واحد منا يقول بأنني لا أستطيع أن أحمل السيف، إذن فأنا لا تكليف علي، ولا مسؤولية علي، فمن هذا انه سوف لن يمكن حمل السيف في يوم من الأيام. إن حمل السيف هو شكل من أشكال المساهمة، وهو شكل أعلى من أشكال المساهمة، ولا يمكن أن يوجد هذا الشكل فجأة، لا بد لكل مسلم أو مسلمة أن يساهم بقدر إمكانه وضر وفه الفكرية والعملية والاجتماعية في جواب هذه الواعية، في الرد على هذه الواعية، في إنقاذ الجرح الذي يضرب في كل يوم ويستهدأ به في كل يوم، ويتحدى أحكامه في كل يوم وتضرب تشريعاته عرض الحائط في كل يوم).

ويضيف رضوان الله عليه (إن الإسلام اليوم يتطلب من قدر من التضحية بوقتك، براحتك، بمصالحك الشخصية برغباتك بشهواتك في سبيل تعبئة كل طاقاتك وإمكانياتك وأوقاتك لأجل الرسالة. أين هذه التضحية من تلك التضحية العظيمة التي قام بها الإمام الحسين عليه السلام؟ من

الجملة الضغوط التي يتعرض لها لكي يقول كلمته حول ذلك القصف اللئيم الذي تروح بسببه حتما أرواح أبرياء لا ناقة لهم في الصراع الدائر بين أمريكا والنظام العراقي ولا جمل.

راح (رضوان الله عليه) بعد ذلك يتحدث عن النظام العالمي الجديد بزعامة أمريكا، وراح يصفه بأنه (نظام استعماري مشئوم) - حسب تعبيره- وأن أمريكا أرادت أو تريد من خلاله فرض هيمنتها على العالم وفرض أرادتها وأنها لا تتردد أن تكيل لمن يخالفها الصاع صاعين.. في إشارة إلى المعركة غير المتكافئة الذي افتعلها نظام صدام بطيشه وعنجهيته وصبيانته مع هذا (الشیطان الأكبر) حسب تعبيره أيضا. هذا الشيطان الذي يتسم (بالظلم والطغيان والعدوان).

نعم... والكلام للسيد الصدر (إن أمريكا وأن زعمت إحكام سيطرتها على كل العالم حتى أصبح العالم أمامها كالقرية الصغيرة، أنها لن تستطيع إزالة إيمان المؤمنين) وأضاف (أنها إن استطاعت السيطرة على أجسادنا فأنها لن تستطيع السيطرة على عقولنا وقلوبنا ونفوسنا، ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا... بعدها راح يشد من عزم المؤمنين ويوصي بعدم الانهيار أمام الطغيان الاستكباري وجبروته قائلا: أن أمريكا حتى لو تضرعت

بالسلاح الديوي ولكن الله ناصر المؤمنين الذين لم يخلقوا لهذه الدنيا الفانية بل للآخرة الباقية واصفا الدنيا والآخرة ضرطان لا يجتمعان) كما أن الحوزة والاستعمار ضرطان لا تجتمعان.

وبعد هذا الشد الروحي لقلوب المؤمنين سخر ﷺ من قدر بريطانيا التي كانت تسمى نفسها يوميا (بريطانيا العظمى) ولكنها اليوم مستعمرة بيد أمريكا تستخدمها لإنجاز مصالحها الخاصة حسب تعبيره، مضيفا إن هذا النظام الظالم (أي النظام العالمي الجديد) غير دائم وأنه إلى زوال، لأن الظلم لا يدوم أولا، وثانيا: لأن الله تعالى يهلك ملوكا ويستخلف آخرين، ثالثا: لأن أمريكا اليوم موكلة إلى نفسها والى جبروتها وسوف تكون لا محالة مصداقا لقوله تعالى: «حتى إذا أخذت الأرض زخرفها وازينت ورض أهلها أنهم قادرون عليها، أتاهم أمرنا نهارا أو بيناتا فجعلناها حصيدا كأن لم تغن بالأمس». مؤملا أبناء العاق المظلومين بأن (مستقبل البشرية إلى خير وعدالة وصلاح حينما يظهر القائد المنتظر (عج) فيملا الأرض قسطا وعدلا بعد ما ملئت ظلما وجورا) مبشرا إياهم بأن الظلم لا يدوم وأن أمريكا لا تدوم وأن إسرائيل لا تدوم، أن اليهود سيعانون ما يعانون على أيدي المؤمنين الصادقين.. حتى ليقول الحجر - كما تقول الروايات - هنا يهودي تعال

فأقتله.

وأثار السيد الصدر مسألة غاية في الحساسية عند أزالام النظام العراقي وغاية في الإثارة والدقة لديهم لأنهم يحسبون لكل كلمة من كلماته ألف حساب ويقلبون عبارته على ألف تأويل وحال...

قال السيد ما نصه: «أن أمريكا تريد بهذه الأعمال أي بالقصف أن تجعل عدوها كبش فداء بحيث يكون عبرة للعالم كله، وأنها ستصنع بغيره كما صنعت به، فتضرب هدفين بحجر واحد...» أي تضرب كبشها ومن على شاكلتها أو من يريد أن يكون على شاكلتها: وهذا يعني ما يعنيه طبعاً في تلك المعركة غير المتكافئة، وأن أمريكا أرادت أن تؤدب من تريد تأديبه عبر تأديب كبش الفداء المذكور، وهو النظام العراقي بالتأكيد كما يفهم من سياق العبارة...

وأكثر من ذلك وفي مجلس حساس نابض آخر، نكأ السيد الصدر جرحاً غير مندمل بإشارة أخرى، بعد هذه الإشارة المباشرة، إذ قال: «لقد زعموا أن القصف حقق أهدافه، وقد كذبوا». ولكنه ارتدف قائلاً: «نعم، لقد حقق أهدافه في إطار الحكمة الإلهية (لاحظ) من باب ما نعرفه من الحديث الشريف: الظالم سيفي أو يدي أنتقم به وأنتقم منه....» ولم يترك هذه العبارة مموهة أو غائمة لعل أحداً لم

يفهمها، أو لم يفهم قصده منها، فراح يقول: «أنه (أي القصف) كان انتقاماً للذنوب والعيوب المتفشية في المجتمع (لاحظ) وأنا نعتقد - والكلام للسيد طبعاً - أننا قصرنا تجاه الأمام الحسين عليه السلام (ويقصد منع الحكومة للزيارة التي دعا إليها في ١٥ شعبان أي قبل أسبوعين أو ثلاثة وكيف وقف مرتزقة السلطة وأزلامها لتنفيذ هذا المنع اللئيم فجاء الرد - والكلام هنا للسيد - رد الفعل بالحكمة الإلهية سريعاً وقويًا...»

ولم يكتف بذلك، بل راح يوضح نص الحديث القدسي المذكور ويشرحه بعد كشف هذا المصداق المثير الحساس، قائلاً:

«أنا ننتظر رحمة الله تعالى أن يطبق الفقرة الثانية من هذه الحكمة (أي انتقم منه)».

وهذا يعني بكل وضوح أن سيف الله أنتقم من أعداء الدين، وهم أولئك الذين ارتكبوا الذنوب والعيوب وأنه سينتقم منه هو أيضاً (أي من أمريكا وحلفائها) في مرحلة لاحقة.

جدير ذكره أن السيد في هذه الخطبة المثيرة، والأشارات الواضحة والتحدي الصارخ، بل (الشماتة) المعبرة، كان شعر بالإعياء والتعب فقال لمن حوله (أنا أشعر بتعب) فجاء له بكرسي ليواصل خطبته تلك أو

يكملها جالساً كما رأيناه في شريط الفيديو... وكأنه طلب من ربه أن يريحه من هم الدنيا وغمها ويترك الآخرين لهمها وغمها...

بعدها عرّض - رضوان الله عليه - بالرئيس الأمريكي كlintون وذكره بالاسم وناشد العالم أن يقولوا كلمتهم في هذا النظام العالمي الخبيث لأنهم (لو استطاعوا أن يقولوا كلمتهم الحقيقية ضد هذا النظام لأوقفوه عند حده) ودعا الله تعالى أن يجعل من تلك الفتن والمحن سبباً لفتح العيون على الحقائق حسب تعبيره والتي يمكن أن تكون أو كانت مجهولة في ما سبق وإن تكون سبباً لعزة الحوزة والمذهب وشجاعتها وحرمة أهدافها وإن خسا الخاسئون، إضافة إلى توصيات أخلاقية مهمة جعل المرجع المظلوم في مقدمتها (حسن الخلق في هذا الشهر الفضيل) واثراً الأخلاق الفاضلة في تحصين الأمة والمجتمع وحفظها من الانهيار والاندثار.

وهكذا يبدو أن المتابع الدقيق لكلمات السيد واثاراته في هذه الخطبة واستفزاز الصارخ لكل من أمريكا وشخص رئيسها والنظام العراقي الظالم وتجاوزاته وتقصيرات أزماله وذنوبه وغيوبهم وانتقام الله تعالى من الجميع في منع زيارة الإمام الحسين (عليه السلام) كلها عجلت وربما ساهمت لأن تضع السيد المظلوم على أول خطوة

عملية في طريق الشهادة التي كانت تنتظره لتلحقه بالشهداء والصديقين وحسن أولئك رفيقا.

- وقائع الاغتيال :

قبيل الجريمة الكبرى التي أودت بحياة المرجع الكبير ونجليه الخالدين وقعت حوادث ومواجهات ساخنة وحادة بين المرجع المظلوم وعدد من رموزا لسلطة في مقدمتهم الطاغية صدام، فيما يلي قرائه سريعة لبعضها:

١ - كانت هناك اتصالات سبقت اغتيال السيد الصدر (عليه السلام) طلبت منه التراجع عن مطالبته السلطة الحاكمة في بغداد بالإفراج عن عشرات العلماء الذين اعتقلوا خلال الأيام الماضية، وقيل أن صدام شخصياً اتصل بالسيد الشهيد الذي رفض طلبه، الأمر الذي أدى إلى إثارة غضب الطاغية فأغلق الهاتف.

الجدير بالذكر أن السيد الشهيد كان قد طالب في صلاة الجمعة قبل اغتياله بالإفراج عن المعتقلين باسم آلاف المصلين ورفع شعاراً رددته جميعهم معه يقول: (نريد نريد نريد) (فوراً فوراً فوراً) أي نريد إطلاق سراح المعتقلين فوراً وذلك بعد أن أكد في خطبته المذكورة أن اعتقال هؤلاء هو بمثابة اعتقاله شخصياً، ملوحاً أن السلطة إذا لم تستجب إلى طلبه هذا فإنه سوف يوعز إلى وكلائه باتخاذ

إجراءات أكثر تصعيداً لتحقيق هذا الهدف.

٢ - ذكر أن الطاغية أرسل ابنه الأصغر قصي لإبلاغ السيد الصدر بعدم الخروج إلى صلاة الجمعة والكف عن نقده للنظام وإجراءاته. وعلى اثر رفض السيد لهذه المطالب نشبت مشادة كلامية بين مبعوث الطاغية والسيد المرجع عليه السلام. ثم قال السيد انه سمع النصيحة إن كانت نصيحة، ولكن لا احد يفض عليه أمراً كائناً من كان ما دام ينفذ أمر الله، الأمر الذي اغضب المبعوث فخرج وهو يهدد السيد ويتوعد.

٣ - كان الطاغية قد الرسل المجرم محافظ النجف بصحبة المدعو محمد حمزة الزبيري إلى السيد الصدر وقال له بالحرف الواحد (أبلغك بأمر السيد الرئيس يأمر فيه بعدم أداء صلاة الجمعة هذا الأسبوع، فأجاب السيد عليه السلام (أصلي، أصلي، أصلي) فقال المحافظ سيحصل إذا ما لا يحمّد عقباه. وفي يوم الجمعة الحمراء وعند مجيء السيد إلى مسجد الكوفة جاء احد المسؤولين وأبلغه بضرورة عدم إقامة الصلاة ولكن السيد لم يكثرث وكان الناس يهتفون منددين بأوامر السلطة، فنقل شاهد عيان قائلاً: لقد لاحظت احد الضباط وهو برتبة عقيد يهز رأسه وكأنه ينعى السيد بأسف!!

٤ - كان للخطب النارية التي يلقيها بعض وكلاء السيد

ضد الإجراءات المتعسفة لأزام السلطة ومرتزقتها بسبب استهتارهم بالدين والقيم الدينية الأثر الواضح في تصعيد المواجهة وإيصالها إلى درجة الغليان.

هذا وذكرت التقارير أن السلطة كانت اتخذت عدة إجراءات قبيل ارتكاب الجريمة النكراء، منها تضليلية مموهة تقول أن حياة السيد في خطر، فعرضوا عليه الحراسة ولكنه رفض. بعدها أقيمت عدة نقاط سيطرة من قوات الطوارئ كان بين كل نقطة وأخرى مساحة تتراوح بين ١٥٠ - ٢٠٠ متر. وقبل يومين تم تبديل هذه الوحدات إذ جيء بقوات خاصة ممن يسمون بـ (فدائيي صدام) لتحل في المواقع السابقة. وبعد تنفيذ الجريمة بنصف ساعة أعيدت القوات السابقة إلى نقاطها إذ كانت تخشى أن يشخص احد الناس وجوه المنفذين ويسرب الخبر وفسر محلل هذا الخبر وهو احد الضباط الذين تم سحبهم إن تعدد نقاط الحراسة الممتدة على طول الطريق الذي يسلكه السيد المرجع ذهاباً وإياباً وهو عملية احترازية لكي تتولى النقطة الثانية التنفيذ إذا فشلت الأولى.

وقبلها كانت السلطة قد أنزلت قوات مكثفة في مدينة الثورة آنذاك والحرية والبياع ببغداد وفي مدن النجف والكوفة والناصرية واتخذت إجراءات أمنية وقائية في عدة مدن أخرى في الوسط والجنوب تحسباً لردود الفعل

المتوقعة كما قامت بإغلاق العديد من المساجد، فسرب وكلاء السيد خبراً أفاد أن صلاة الجمعة ستقام في جامع العكيلات في الكاظمية وجامع العباس في الثورة بعد أن أغلق جامع المحسن في هذه المدينة الثائرة كل هذا وغيره جاء مقدمات لنية مبيتة كانت السلطة المجرمة تعزم على تنفيذها.

الجريمة الكبرى:

وفي مساء الجمعة ١٩ شباط وفيما كان السيد المرجع يستقل سيارته مع نجليه متوجهاً إلى منزله في حي الحنانة بمدينة النجف وعندما وصل الساحة الكبيرة التي تمثل

ملتقى الطرق الرئيسية للمدينة وهي ساحة ثورة العشرين أتت سيارة أخرى في موازاتها وعندما أصبحت قريبة جداً أمطر جلاوزتها ببنادقهم الرشاشة الخفيفة سيارة السيد برشقات كثيفة من الرصاص فأستشهد نجله السيد مصطفى وهو النجل الأكبر والسيد مؤمل النجل الثاني في تسلسل أولاده الذكور الأربعة وجرح السيد جروحاً بليغة بعد أن رما ولداه بجسديهما عليه لحمايته، تم بعدها نقل الجميع إلى المستشفى وفي المستشفى تعمد المجرمون عدم السماح لأحد بالاطلاع على حيثيات القتل لتمام تصفية المرجع الثائر داخل المستشفى.

المُعَايَنَاتُ الْإِجْتِمَاعِيَّةُ فِي خُطَبِ الْجُمُعَةِ
لِلسَّيِّدِ مُحَمَّدٍ مُحَمَّدٍ صَادِقِ الصَّدْرِ عليه السلام أَمُودَجَا

❖ م. د. مرتضى عبد النبي الشاوي (*)

(*) باحث وأكاديمي، جامعة البصرة، العراق.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿إِنَّا نَحْنُ نَحْيِي الْمَوْتَى وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ﴾ يس / ١٢

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الخلق محمد الصادق الأمين ﷺ وعلى آله الطيبين الطاهرين وصحبه المنتجبين.

تمهيد

لقد شخّص السيد الشهيد الصدر الثاني ﷺ الأمراض الاجتماعية من خلال إلقائه خطب الجمعة المباركة التي كانت تقام في مسجد الكوفة، وقد حثّ المؤمنين على معالجتها بالوسائل الإصلاحية التي تنسجم مع مبادئ الدين الإسلامي الحنيف، انطلاقاً من أحكام القرآن الكريم والسنة النبوية ومن فكر أهل البيت عليهم السلام، فكان له الدور الرئيس في التوعية في تلك الفترة العصيبة التي مرّ بها

الشعب العراقي.

وأصبحت هذه الأمراض الاجتماعية ظاهرة عامة على مستوى المجتمع العراقي، في حين برزت الأخرى على مستوى خاص، إذ شكلت ظاهرة عامة عند فئة معينة في طبقات المجتمع.

كان تشخيص الأمراض الاجتماعية بوصفها ظواهر سيئة، هو الصحيح في سلم التشخيص والمعالجة، وقد جاء في معطيات خطب الجمعة، إذ كان مشروعه الإصلاحي الاجتماعي هو مشروع تغيير عام، لكنّه جاء بدرجات متفاوتة.

فالمجال السياسي عنده لم يكن بالأنموذج العلني الواضح، إذ استعمل السيد وسائل غير مباشرة في بيان الحالة، وإيداء الرأي من أجل التغيير؛ لأنّ النظام البعثي كان يترصد السيد الصدر الثاني ﷺ في كلّ حركاته

وسكناته وكلماته التي كانت تمثل صوت المرجعية الموجهة إلى عامة الناس.

بل كان يتحين النظام السابق الفرص لوقوعه في مأزق، ربما يؤدي بحياته إلى الموت، على الرغم من أنه كان يعلم أنه مراقب إلا أنه تحدى كل المراقبة والرصد، فلم يخف في الله لومة أيّ لائم، وهو مقبل في مشروعه الإصلاحية.

كان السيد الصدر رحمه الله يعلم بالنتيجة الآن أن ممارسة دوره كمنهج اجتماعي هو الدور الرئيس الذي ينطلق من مفهوم ولاية الفقيه العامة، وهذا ما أكدته حتماً معلنا رأيه في ذلك، ليس خائفاً ولا وجلاً، ولا ينتابه شعور بالانتكاسة إذ كان يطمح؛ لكي ينال الشهادة مثل أجداده الأئمة عليهم السلام.

كان همّه المجتمع لا غير، وكان همّه الإصلاح لا غير، وكان همّه التغيير في المجتمع العراقي بل حتى على المستوى الإقليمي؛ لأن العمل الاجتماعي الإسلامي في نظره يمثل بقسميه الرئيسين: الجهاد والأمر بالمعروف ^(١).

كانت هناك جملة من الأسباب الرئيسة التي دعت السيد رحمه الله إلى إعلان مشروعه الاجتماعي الإصلاحية التغييرية:

١ - تثقيف المجتمع تثقيفاً دينياً وروحياً؛ لكي ينهض

شيئاً فشيئاً، وكان خير وسيلة للنهوض العلمي والأبعاد الدينية والاتصال بالله، والعمل في ضوء مبادئ الإسلام بعيداً عن الانحراف.

٢ - التأكيد على المجتمع وتنبيه أفراده بالانحراف الذي أوصله إلى نهايات مزللة، وتخبطه في دوامات جرت عليه النكبات بسبب رعونة، وتسلب النظام الحاكم عبر سنوات التخلف الثقافي والاجتماعي والسياسي والديني؛ لأن غالبية المجتمع كان لا يميز الصحيح من الخطأ؛ ولأنه لا يميز بين الظالم والمظلوم له؛ لهذا السبب دخل في حروب لا يفهم لماذا كان هو المقصود من ذلك؟ فقد زرعت القومية العربية الضالة مفاهيم لا أخلاقية في نفسية الفرد العراقي جعلته يصدق كل شيء حتى، ولو كان نهوضه، وتقدمه يؤدي به إلى الهلاك والمعصية وعدم رضا الله.

٣ - توحيد الكلمة التي من أجلها توحيد المسلمين والمؤمنين ورص الصفوف؛ لأن الهجمة البربرية قادمة، وقد شخص الاستكبار في خطبه مراراً وتكراراً.

٤ - حشد النفوس وزرع الثقة، وبث روح التفاؤل بالحياة الإسلامية الصحيحة، بعد خروج العراق من حربين ضروسين أقدم عليها النظام، مما سبب إرباكاً في التوعية وفي المنظومة العراقية، وأثر على الجانب الاجتماعي والاقتصادي والنفسي، مما ابتعد الناس بمذاهبهم عن

١- ظواهر اجتماعية عامة:

هي الحالات السيئة التي ظهرت في سلوك المجتمع العراقي إذ برزت في ساحة العراق عبر تراكمات مختلفة، منها توجد التيارات العلمانية التي كانت تدعو إلى الفاحشة بكل أنواعها إرضاء للاستعمار بكل مصنفاته واستلام البعث الدولة في انقلاب ١٩٦٨م العسكري كحزب إجرامي حاكماً للشعب وتمزيقه المجتمع بعد ما كان متماسكاً إلى فئات مختلفة دينياً واجتماعياً وتحول المجتمع إلى طبقات عليا ودنيا، وقد استغل ذلك؛ لأجل بقائه أكثر في دقة الحكم.

٢- ظواهر اجتماعية خاصة:

وهي الحالات الخاصة التي ظهرت بعد الحروب والفتن وقد ساعد النظام على إفشائها في المجتمع مثل السلب والنهب والسرقة وكثير من العادات السيئة. أو ربما تقسم تلك الظواهر إلى ظواهر شاذة وغير شاذة أو تقسم إلى أساسية وغير أساسية.

المحاور الإصلاحية الاجتماعية:

تقف كل المحاور الإصلاحية الاجتماعية عند باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وربما (قد تكون فكرة الإصلاح محبة للكثيرين، فيحاولون أن يكونوا مصلحين

الإسلام الحقيقي، وهروبهم حتى من أداء الفرائض، وهو النفور من الصلاة والصوم؛ بسبب الحرب والحصار القاهر والضيق المادي، فكثرت الفاحشة وارتكاب المعاصي وكثرت السرقة والنهب والسلب في مفاصل الحياة وبالخصوص بعد انتكاسة الجيش العراقي في الكويت وبزوغ الانتفاضة الشعبانية في عام ١٩٩١م، وانقضاء النظام البعثي عليها بكل الوسائل الجنونية من تخريب وقتل وإعدام ووحشية عارمة وتهجير قسري.

تتصف ثقافة السيد الصدر الثاني رحمته الله بالسعة والشمول واستيعاب الإحتمالات والموسوعية، إذ إنه يخوض في كل علم بما فيها العلوم العصرية، ناهيك عن العمق في التفكير والحداثة والتجديد، وإن الصدر قد وقف ثقافته لخدمة الدين الإسلامي الحنيف والمذهب الامامي ونذر نفسه للدفاع عنه من أجل رفع راية الإسلام والذود عن عقائد المسلمين ومبادئهم .

حقيقة الظواهر الاجتماعية في خطب الجمعة

لدى فكر السيد الصدر الثاني رحمته الله:

قد تصنف الظواهر الاجتماعية التي أشار إليها السيد والمتضمنة في خطب الجمعة إلى صنفين:

لكن ذلك لا يتحقق إلا لقلة محدودة، فمن المستبعد أن العالم والمفكر الذي يسير في سياقات صحيحة أن يرفض الفكرة الإصلاحية، أو يجمد طاقاته عن القيام بها، فهو يسعى لا يساهم في الحركة الإصلاحية، إن لم يحاول أن يختط منها منهجاً إصلاحياً ويؤسس لحركة إصلاحية، غير أن المشكلة تكمن في التنفيذ، حيث يقف الكثيرون في حدود الرغبة والأمل، ويكرر الآخرون خطوات سابقة فتفقد حركتهم طابع الإصلاح، فيما يحقق القلة عملاً إصلاحياً في الساحة التي يتحركون فيها^(٣)

إن الثقل الأساس الذي اعتمده السيد محمد الصدر رحمه الله وأثره في الواقع العراقي آنذاك هو الثقل الاجتماعي، إذ شكل الجانب الاجتماعي جزءاً هاماً من أساليبه وعمله التوعوي، وتميّز عن غيرها من تجارب العمل والتحرك المرجعي في حين دعاءه المسبق لضرورة رصد الحركة الاجتماعية وعلاقاتها بصورة عامة سواء في علاقاتها الداخلية مع المؤسسة الدينية أو علاقتها مع السلطة وعلاقتها مع المجتمع فضلاً عن رصد البنية السلوكية والقيمية للمجتمع وبنية الأعراف والتقاليد التي تراكت عبر سنين طويلة، وامتزجت فيها مجموعة من العوامل والأسس الدخيلة التي ظهرت بواقع يخالف أو يناقض السلوك الديني في العراق^(٤).

لقد عاش الشعب العراقي بعد ضربتين طاحتين: الحرب العراقية الإيرانية عام ١٩٨٠م، وحرب العراق بعد اجتياح الكويت عام ١٩٩٠م، وتأمّر النظام الحاكم في العراق وبعض حكام الدول العربية؛ من أجل القضاء على تاريخ ومبادئ الشعب العراقي حيث كانت حياته صعبة من جميع النواحي فقد فيها الأخ والأب والصديق، وقد فقد فيها استقلاله الحقيقي خاصة بعد حرب الخليج.

وقد عاش الشعب العراقي أثناء فرض الحصار على العراق ما بين عامي ١٩٩١م - ٢٠٠٣م من مشاكل داخلية كثيرة زادت من نسبة الفقر والجوع وافتقار الناس لفرص العمل؛ مما سبب بطالة كبيرة وواضحة عجزت السلطة الحاكمة عن استيعابها، ومن هنا ونتيجة طبيعية، ظهرت العوامل السلبية في المجتمع، لقد كثرت السرقة وارتفعت معدلات الجريمة بشكل سريع وملحوظ والأغلب كان يطمح في الثراء السريع والذي كان لا يحتاج إلى مقدمات فان المطلوب هو ممارسة الغش والخداع في بيع السلع والتحايل على الناس^(٥)

وهكذا أبتعد كثير من الناس عن روح الدين والتدين وعن العلاقات الاجتماعية الرصينة والمتينة.

وبطبيعة الحال رصد السيد الشهيد الصدر هذه الحالة المزرية التي كان يعبر بها المجتمع العراقي بكل تفاصيلها،

التغيير^(٧) :

المحور الأول: مجابهته لطاغوت بغداد بمنتهى البراعة تحقيقاً للمصلحة الإسلامية الكبرى.

المحور الثاني: منهجه التربوي الصريح لإصلاح الحوزة العلمية وتقويمها.

المحور الثالث: أسلوبه التربوي يخلق أوسع قاعدة شعبية إسلامية مؤمنة في تاريخ العراق المعاصر مرتبطة بالحوزة ومضحية بالنفس من أجلها.

أهمّ المعالجات الاجتماعية للقضايا الاجتماعية المطروحة في خطب الجمعة:

. قضية ارتكاب أعمال منافية للدين والمذهب :

١. التلبية في حرم الحسين عليه السلام:

من بين الذي يطرح في الشارع والواجب معالجته من قبل الحوزة الواجب هو الأخذ بمشاكل المجتمع، ولا سيما بعض الأعمال المنافية للدين وقد أشار إليها بقوله: (إن جملة من الجهّال (وإن كان هي كلمة قد لا تكون لطيفة) ولكن هكذا هو الواقع، أنهم جعلوا من حرم الحسين عليه السلام كعبة وجعلوا من الشارع الذي بين الحرمين الشريفين مطافاً، وأنا رأيتهم ربما أكثر من مرة، يلبنون ويركضون)^(٨).

وقد اخذ إعداد الدواء المناسب والناجح لتخليص المجتمع من هذه الحالات السلبية والسيئة.

وقد انطلق السيد محمد الصدر الثاني رحمته الله حاملاً على أكتافه الهموم كلّ المعاناة وحمل المسؤولية وعاش في ذاك البحر الهائج على عدة أسس لتحسين المجتمع من الخطأ، والزّل على قدر المستطاع.

لقد عمل السيد الصدر على تربية الأمة وقيادتها متخذاً من الطابع التربوي والاجتماعي الثقافي الأساس لتمكين المجتمع لاحقاً من مواجهة الطغيان والاستبداد.

إذ استخدم عدة أساليب مختلفة لجذب الطبقات المختلفة من الشعب على اختلاف المستوى الثقافي وطريقة الاستيعاب، من أبرزها إقامة صلاة الجمعة وكانت خطب الجمعة تركز على مشاكل المجتمع التي تحتاج إلى حلّ ومعالجة وبناء شخصية الإنسان وإعداد المجتمع لظهور القائد الحقيقي الإمام الحجة (عجل الله تعالى فرجه الشريف)، فخاطب السيد جميع شرائح المجتمع عبر منبر الجمعة المبارك وقدم الإرشاد والنصح^(٩).

ولأجل تسليط الضوء على معالجاته للقضايا الاجتماعية، لا بد من إعطاء فكرة موجزة على الأطر العامة للمشروع الصدري التغيير؛ لأنّ منهج الصدر قائم على ثلاث محاور تعدّ الملامح العامة لمشروع الصدر

ومن باب المعالجة لهذه الأعمال فقد أكد على حرمتها؛ لأن التلبية هي ذكر الله سبحانه وتعالى في مكة بين الصفا والمروة، وليست حول أضرحة الأئمة؛ لأنها حرام، وتدخل في باب البدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار حتى صرح محذراً بقوله (أحذركم أن تعملوا شيئاً من هذا القبيل إطلاقاً، فليبلغ الحاضر منكم الغائب، إن هذا أمر لا يجوز)^(٩)

٢ - اللغط والإزعاج أثناء المسير لزيارة الحسين عليه السلام:

فقد أوصى الزوار تجنب الإزعاج بقوله (ونأمل من جميع المتدينين والمستشرقين اللذين يحملون دينهم وشريعتهم أن يكونوا هادئين، إذا ذهبوا أن يكونوا هادئين)^(١٠) وطالبهم بالتقية؛ لأنها درع المؤمن الحصينة في ظرف كان النظام السابق يترصص بالزوار أثناء المسير (المشي).

٣ - قضية الاختلاط بين الجنسين في المراقدة والأضرحة المقدسة:

لم يلاحق الظواهر الأساسية فقط في حركة المجتمع، إنما كان يلاحق كل الظواهر فهو يقول إزاء ظاهرة الاختلاط بين الجنسين في الأضرحة (وهو الاختلاط بين

الجنسين في المراقدة المقدسة وفي المساجد هذا لا يراد منكم وهو غير جائز... فإذا أردنا النجاة في الدنيا والآخرة ينبغي أن نعدل من سلوكنا من جميع الجهات... نحن نعمل المستحبات ونعمل المحرمات في نفس الوقت أيجوز ذلك؟ طبعاً لا يجوز، فهل ننال شفاعة المعصومين بالتجارة على المعصومين وهتك حرمانها؟...، فالذي يفعل ذلك هو ملعون ولن ينال شفاعة المعصومين سلام الله عليهم)^(١١).

- قضية العمل الرياضي في العالم وانعكاساتها على المجتمع الإسلامي:

وقف السيد عند هذه القضية^(١٢) وأشار كذلك في حواراته إلى هذه المسألة^(١٣) وإلى المبررات الدينية والاجتماعية والاقتصادية ورؤية الفقه والشريعة إليها:

١ - من باب اللهو باعتبار أنها العاب غير منتجة اجتماعياً، ولا تعتبر من التجارة والإنتاج والاسترباح المشروع ولا ينتج منها طعام ولا شراب ولا تكافل اجتماعي، وإنما هو مجرد اللهو وقتل الوقت ليس أكثر من ذلك، وبذل المال في سبيل ذلك حرام وسحت، كما لو كان يعطي المال لمقرص الأفاعي.

٢ - إباحية اللعبة بنفسها؛ لأن الرياضة بنفسها مباحة إذا

كانت مجانية والتدريب عليها بالمجان أيضاً جائز؛ لأجل تربية البدن وقرته، ولكنها مع ذلك مرجوحة أخلاقياً؛ لأنّ فيها طلباً للدنيا وصدّاً عن ذكر الله سبحانه وتعالى حتى المجانية فضلاً عن التي يكسب بها المال.

لقد ناقش السيد أسباب تمسك الغرب الكافر بها وأرجعها إلى عدة أسباب منها:

السبب الأول: الفراغ من الوازع الأخلاقي والديني ولا يعتقدون بالآخرة.

السبب الثاني: مطالبة الربح بكل سبب والرياضة سبب عظيم للربح في ضوء استرباحه من أجور المسافرين (المشاهدين) والمشجعين وريح البلدة من وجود الزائرين فيها.

السبب الثالث: احتواء الحضارة الغربية على مصالح ومصاعب ونقائص، وأفضل طريقة في نظر السياسة الغربية إلهاء شعوبهم عن مشاكلهم ومطالبهم لتتلافى التظاهرات والاحتجاجات وصيغ العنف، لهذا السبب أنّهم يكثرون من الملاهي والحانات والسينمات وأنواع الرياضة وأنواع اللعب.

وقد وضّح النتائج المترتبة في دخولها إلى البلدان العربية والشعوب المستضعفة ولخصها في نقاط:

أولاً: إلهاء المسلمين عن واقعهم المعاش ومشاكلهم

وترك الاحتجاج والمناقشة والعنف.

ثانياً: صد المسلمين عن دينهم وما يترتب عليها من أنّها ضد الدين أمور مثل (ترك الصلاة والصيام، واجتماع الجنسين بشكل غير مشروع، وإبراز الأعضاء الداخلية للرجل والمرأة).

ثالثاً: إسقاط أهمية الدين والهدف الديني إلى التفكير بهدف كرة القدم خزياً وعاراً.

رابعاً: منع التكامل لأفراد المجتمع في المجتمع المسلم لانشغالهم في لعبة الرياضة، والتفرج عليها وسماع أخبارها والذهب والسفر إليها، ولا يبقى له وقت في تكامله العلمي والعقلي والديني والروحي.

أما عن معالجة هذه القضية فقهياً واجتماعياً فقد نصح بالآتي:

أولاً: وضع موقف الفقه والشريعة منها باعتبار أنّها العاب غير منتجة اجتماعياً لا تعتبر من التجارة والإنتاج والإسترباح المشروع، ولا ينتج منها طعام ولا شراب ولا لباس ولا بناء ولا علم ولا تكافل أخلاقي ولا تكافل اجتماعي، وإنما هو مجرد اللهو وقتل الوقت ليس أكثر من ذلك، وبذل المال في سبيل ذلك حرام وسحت.

ثانياً: قدّم نصيحة أكيدة للشباب الناهض الواعي

يمكن تلخيصها:

١ - على الشباب الناهض الواعي أن يلتفت إلى مصالح نفسه ومجتمعه ويسقط أهمية الرياضة والرياضيين عن نظر الاعتبار، ويخاف الله سبحانه وتعالى فقط.

٢ - تحذيره الشباب من هذه الدعابات والعنايات، إنما هي مصيدة لإدخاله في فخ الشيطان، ويكون حب الرياضة هو حب للمخططات الاستعمارية.

٣ - حب الرياضة هو حب للمخططات الاستعمارية وهي أعانة الظالم الغاشم على أنفسنا وتمكينه من البلاد.

٤ - الالتزام بطاعة الله والأحكام بالأهداف الحقيقية للمجتمع وتربية النفس والآخرين تربية صالحة، وترك كل ما يرتبط بالشيطان والكفر والكافرين والابتعاد عنه ابتعادنا عن الأجرب.

- قضية مفاسد سدنة الأضرحة والمراقدة وخداعهم الزائرين بأنواع الخداع:

ناقش السيد عليه السلام معالجة هذه القضية^(١٤) في ضوء الإشارة إلى تاريخ تواجد السدنة والكلidarية فيها، وإنما كانت بإشراف المراجع والعلماء، ثم توقف الإشراف إلى مرجعية صاحب الجواهر (محمد حسن الجواهري

النجفي)، ثم خرجت الكلidarية في كل مرقد عن يد الحوزة الشريفة وانفصلت عن الحوزة وعن المرجعية وسيطرت عليها وزارة الأوقاف.

وأصبح السدنة والخدم مجرد موظفين لا يهتمون وزناً لأمر ديني أو دنيوي وارتباطاتهم مع الحكومة ووزارة الأوقاف، وقد شبههم أنهم متحركون كتحرك زار اللعبة.

لقد كشف السيد عليه السلام حقيقةهم، وهم الغالبية من أجل تنبيه العامة إليهم بالنقاط الآتية:

١ - وصفهم بأنهم فسقة، وفجرة، وشاربي الخمر، وزناة، وأهل لواط، ويأكلون المال الحرام، ويخدعون الزوار بمختلف أنواع الخداع؛ للحصول على المال مثل بيع قطع القماش والخيوط التي يلفونها على الضريح ويلمسون النساء بعنوان التبرك ويعملون أموراً لم ترد الكتاب والسنة إطلاقاً.

٢ - تركهم الفرائض، فأغلبهم لا يصلون ولا يصومون ولا يخمسون ولا يزكون.

٣ - يسرقون الموقوفات وأموال الحرم وما يوقفه الزوار بكثافة شديدة وخاصة السدنة والخدم المهملون.

٤ - امتلاء بيوتهم ومنازلهم بالتحف والمعلقات والصور والفرش والذهب كله من السرقة من المعصومين عليهم السلام.

٥ - امتلاكهم البيوت الفارهة والسيارات الثمينة والذهب الكثير.

٦ - حصولهم على النذور من الذبائح والغنم وغيرها مما يسحبه الخدم من الزائرين في كل يوم.

٧ - كان بعض الخدم يقوم بقراءة الزيارة لعدد من الزائرين، ويأخذ على ذلك مالا وهذا جيد إلا أن الأمر تقلص وأصبح يأخذ المال بدون مقابل قهراً على الزائرين وبخدعة الزائرين.

أما كيفية المعالجة فقد نظر إليها من خلال تقديم النصح والإرشاد كما جاء في خطبه:

أولاً: تبصيرهم بأن هذه الأعمال حرام.

ثانياً: تنبيه الزائر بأنه لم تبرأ ذمته؛ لأنها وصلت نذورهم من الذبائح إلى إنسان شارب الخمر وتارك الصلاة وغير متورع بل هو من أعداء الله بكل تأكيد.

ثالثاً: كشف فسادهم أمام الحشود من المصلين والزائرين باعتبار أنهم ظاهريهم الفساد وليس الإصلاح ذلك بمجرد أن تنظر إلى وجوههم وعيونهم والتفاتاتهم تجد فيها الضلال والطمع بالدنيا والبعد عن الآخرة.

رابعا: تحذير الناس في مقاطعتهم هؤلاء الفئة بشكل علني بقوله (فالمهم هو الحذر كل الحذر من هذا الوضع

الفاقد المخوف فان إعطائهم المال باطل وغير مبرراً للذمة وليس عليه ثواب بل عليه عقاب لأنه تأييد للظلم وإثم ولأعداء الله سبحانه وتعالى) ^(١٥).

خامساً: دعوتهم للتوبة أو للتفكير بالتوبة وهيئات أن يعودوا؛ لأنهم غير مستحقين للتوبة.

وقد أشار إلى تعنتهم وعدم توبتهم؛ لأنهم مرتبطون بالدولة مهنيًا وأمنياً كما يبدو إذ قال (وأما الخدمة والسدنة فلم اعرف توبة أي واحد منهم ولم أر رجوع أي شخص فيهم مع شديد الأسف) ^(١٦).

- قضية السلوكيين المنحرفين:

أشار إلى هذه القضية في حواريته ^(١٧) وكشف عقائدهم الفاسدة أمام الناس والمصلين في خطبه ^(١٨)

وأشار إلى أعمالهم المنحرفة فيما يأتي:

أولاً: تركوا تعاليم الشريعة للصلاة والصيام وغيرها باعتبار أنهم يتمتعون باليقين بزعمهم فلا موجب للعبادة.

ثانياً: التباهي والتكبر إذ يرون أنفسهم أعظم من النبي والقرآن، فلا موجب لطاعة النبي وطاعة القرآن وأعلى من النبي والمعصومين (صلوات الله عليهم)؛ لمجرد الدعاية لأنفسهم وجلب قلوب العامة (البسطاء).

ثالثاً: إنكارهم يوم القيامة والثواب والعقاب في الجنة والنار وعندهم الثواب والعقاب نظرهم الفاسد نفسي وباطني.

رابعاً: يأمرهم الناس بالتخلي عن عقولهم وعزل تفكيرهم والطاعة العمياء لهم أي لهم بصفتهم شيوخ سلوك وطريقة.

خامساً: يؤمنون بالحلول (التناسخ) بأن روح (علي) حلت بفلان وهكذا، وروح (الزهراء) حلت بفلانة وهكذا، ويقسمون الوظائف فيما بينهم، وهذا مرفوض من الشريعة الإسلامية بصراحة.

سادساً: لقد وصفهم بأنهم أسوة بمشركي قريش.

أما كيفية العلاج فقد أشار السيد بالتوجيه المباشر والإرشاد ودعوتهم للتوبة كما في النقاط الآتية:

أولاً: تحذير المجتمع منهم، ولا سيما المؤمنين والمسلمين والابتعاد عنهم وعن كلامهم الشاذ المتعلق بغير الله؛ لأنهم سائرون في طريق غير طريق الله.

ثانياً: كشف أعمالهم بأنهم أولها بديعة وآخرها شنيعة، وإنما خارجة عن الكتاب الكريم والسنة الشريفة.

ثالثاً: مطالبتهم أفراد المجتمع بإتباع الحوزة وإتباع علمائها وإتباع القرآن وكلام المعصومين.

رابعاً: مخاطبة المجتمع ذوي العقول الصافية والنفوس البريئة بمقاطعة هؤلاء والتبرؤ منهم والابتعاد عنهم (بعد السليم من الأجرب).

خامساً: طلب منهم ودعاهم للتوبة، وإن لم يتب هؤلاء، ولن يفعلوا؛ لأنهم غير مستحقين للتوبة.

سادساً: دعوتهم للتوبة والتزامهم بالشريعة بالدقة والموضوعية وليس الخديعة والمكر ولا يريد بالتوبة بالعلاقة مع السيد نفسها بل بإطاعة الله.

ولم يقبل بالإرشاد والنصح والتوبة كعلاج لهم فقط بل طالبهم باتخاذهم منهجاً جديداً يتفق مع مصلحة المجتمع الدينية الحقيقية^(١٩) منها:

١ - ترك تسليك الآخرين تسليكاً كاملاً.

٢ - ترك التعرض للأمور الباطنية والعرفانية في كل أحاديثهم وكتبهم باطنهم كتماً (كتماناً) تاماً إلا عن الله سبحانه وتعالى.

٣ - تمحيص عقائدهم وإعادة النظر فيها، فما كان حقاً أخذوا به، وما كان باطلاً نبذوه.

٤ - الإعلان عن ترك هذا الطريق الشائك الباطل وقيموا الحجة الشرعية الإطمئنانية على تركه.

أما معالجتها فقد نظر إليها وفقاً للمصلحة العامة فيما يأتي:

- ١ - تجنب هذه الأمور والابتعاد عنها ابتعاداً كاملاً.
- ٢ - للمصلحة العامة أو الضرورة الاجتماعية أن تشارك وتتكلم وتتصرف بصفة المتورعين وتصرف المؤمنين والابتعاد عن الشكوك.

٣ - التصرف بحكمة للمصلحة الدينية، فليس كل حق يقال وليس كل باطل ينتقد ظاهراً حسب المصلحة، وحتى ولو كان بالقلب في تشخيص الأمور السلبية وإنكارها أو ما يسمى بأقل الإيمان وهو الاستنكار القلبي وفي هذا يكون محكوماً بحكم التقية^(٢٢).

- ٤ - يوصي بالاحتياط في العمل، وهو أن تتأكد في قولك قبل أن تلفظه ومن فعلك قبل العمل به وانجازه.
- ٥ - القناعة الكاملة بانسيابك إلى الدين الحق لتفوز برضا رب العالمين ورضا السادة المعصومين عليهم السلام.

- قضية تقبيل الأيدي للمجاملة:

- لقد ناقش السيد هذه القضية^(٢٣) وفقاً للمنظور الفقهي ورأى انعكاساتها السلبية على المجتمع في النقاط الآتية:
- ١ - لأن فيها حصول المتقبل يده نحواً من التكبر

وقد أشار في خطبه اللاحقة إلى توبتهم بقوله (فقد تاب إلى الآن اغلب السالكين فقد كانوا من حيث يعلمون أو لا يعلمون سالكون إلى الشيطان وأصبحوا بالتوبة والإنابة سالكون إلى الله سبحانه ومطيعون له من حيث ما يريد منهم الإطاعة)^(٢٠).

- قضية التنافر والتناحر السائدة في المجتمع والحوزة:

أشار السيد عليه السلام إلى هذه الإشاعات المختلفة ونظر إلى حقيقتها في أمور منها^(٢١):

أولاً: الابتعاد عن الإشاعات؛ لأنها تسبب أموراً كثيرة؛ ولأن التنافر والتناحر يورث قلة الأعمال الصالحة وقلة المصلحة العامة، وقلة رضا الله (عز وجل).

ثانياً: يحصل من التنافر والتناحر من أمور مزعجة ومضاعفات مخزية.

ثالثاً: المناقشة بالاحتمالات والإشاعات تكون بعيدة عن الحق، وهذه يدل على الطعن بالحق بدلاً من الطعن بالباطل.

رابعاً: تؤدي هذه الأشياء إلى استغلال الأعداء لكي يصيدوا بالماء العكر؛ لوجود ضعف النفوس.

والأنانية والشعور بالأهمية وبالنفس الأمارة بالسوء، وهي شكل من أشكال الاستعلاء وعلى غير الحق وطلباً للدنيا أو للشهرة أو للمال أو للتعارف الاجتماعي، وهي طلب من أساليب طلب الدنيا لا أكثر ولا أقل؛ خوفاً منه حتى تكفي شره وتنال خيره.

٢ - إنها من أفعال العجم بل حمقة من حمقات الأعاجم، ربما تكون في قصور الأكاسرة والقيصرة.

٣ - ليس في تقبيل الأيدي استحباب من السنة النبوية والأخبار، ولا يوجد تأكيد عليها.

٤ - يعدّ تقبيل اليد أسلوباً من أساليب المجاملة والتقرب إلى السلاطين والمسيطرين؛ لكسب المنفعة الدنيوية منهم لا أكثر.

٥ - إن هذا العمل لا يكون إلا لنبي أوصي؛ لأنّ نفوسهم ليست إمارة بالسوء؛ لأنّهم معصومون، وليس للناس كثير من الذنوب، فلن يقبلها السيد ﷺ حتى على نفسه لا للعلماء؛ لأننا من ذوي النفوس الضعيفة والقلوب المخلوطة فهي مؤثرة لا محالة.

٦ - تقبيل اليد من الأنانية والتكبر والعظمة، وهي شكل من أشكال الاستعلاء.

٧ - تقبيل اليد من أجل قضاء الحوائج لأصحاب

السطوة والنفوذ في المجتمع ورؤساء العشائر والمتقدمين في السن وغيرهم حتى رب الأسرة؛ لأنّها من أعمال الشيطان، ومن تسويلات الشيطان.

أما معالجتها في التوصية والنصيحة الإسلامية فقد أكد النصح والإرشاد فيما يأتي:

١ - التوصية بالابتعاد عن هذه الظاهرة، والكف عنها حتى لو كان من ذرية رسول الله ﷺ؛ لأنها طلباً لدنياه وإعانة على الإثم، وهو خارج من رحمة الله عنه، وداخل في غضب الله.

٢ - يوصي بالمصافحة؛ لأنّها من الأدب الرفيع، وهو أدب رئيس من آداب الله وآداب الإسلام عند لقاء المؤمنين، وقد أكدت عليها الأحاديث المروية المعتبرة؛ لأنّ فيها رضا الله ورضا رسوله والمعصومين عليه السلام.

٣ - الابتعاد عن هذه الظاهرة؛ لأنّها فيها ذلة للمؤمن وشرك خفي.

- قضية الأخطاء المرتكبة في النظام العشائري الذي يسمى بالسنيّة العشائرية:

لقد ناقش السيد هذه القضية^(٢٤) مناقشة علمية فقهية واجتماعية، ووصف هذا النظام ورؤساء العشائر وأفعالهم

بالأمور الآتية:

أكثر.

١ - أنه نظام باطل غير شرعي وغير مرضي.

٣ - همهم الحصول على الشهرة والمال قبل أن يهتم بالتفقه والهداية.

٢ - لم يجدوا حلاً كافياً لمشاكلهم ومظالمهم الحاصلة باستمرار بين أفراد العشيرة أو أفراد عشيرتين من قتل وسرقة وزنا ولواط.

أما المعالجة فكانت للسيد ﷺ نصائح وإرشادات كثيرة في هذا المجال منها:

٣ - أنهم غير متفقهين ولا فاهمين لأحكام الله (سبحانه وتعالى).

١ - النصيحة للعشائر ورؤسائهم بقبول خط الشريعة المقدسة، ويكونوا على مستوى المسؤولية الدينية الإلهية.

٤ - بعدهم عن الحوزة وتناسيهم لها ومنهم من يسيء الظن بها.

٢ - أن يتجنبوا غضب الله ونار جهنم بالابتعاد عن قانونهم إلى يرتكب عليه ظلم وضمانات وحقوق للآخرين تهدر شرعاً بدون سبب، وكذلك زيجات (زواجات) باطلة.

٥ - المقاطعة والانفصال النفسي والاجتماعي بين الحوزة والمرجعية من ناحية والعشائر من ناحية أخرى؛ لأنّ أجيال المرجعية كانت تتناساهم وتتغافل عن وجودهم ولا تهتم بأمورهم.

٣ - إعلان التوبة من هذه الأعمال والإخلاص في عملهم؛ لأنّ الفرصة مفتوحة ومؤاتية جداً.

٦ - اتفاقهم على الباطل في شدّ راية العباس ﷺ.

٤ - لم يكتفِ بذلك فقد وضع منهجاً في تطبيق الشريعة في حلّ المشاكل العشائرية، وقد اقترح طريقتين لذلك:

٧ - ضعف المبلغين في حلّ المشاكل العشائرية المستعصية لأسباب منها:

الطريقة الأولى: أن يقرروا قانوناً جديداً موافقاً للشريعة الإسلامية، ليس فيه انحراف وعصيان، مثلما قرروا سابقاً والابتعاد عن شدّ راية العباس ﷺ على الباطل؛ لأنّ العباس ﷺ قتل على الحق وفي سبيل الله بل يجب أن تشدّ راية العباس على ما هو حكم أو نظام إسلامي وعادل

١ - إنّ المبلغين قليلو التفقه في الدين.

٢ - كونهم مجرد خطباء في المناسبات الدينية ووظيفتهم التذكير بقضية الحسين ﷺ بطريقة النعي لا

وصحيح وليس غيره.

الطريقة الثانية: الرجوع إلى الحوزة العلمية في حلّ مشاكلهم عن طريق الاستفتاءات أو الأشخاص المتفقهين والثقات أو عن طريق القضاء الشرعي الحوزوي.

وقد أشار في خطب لاحقة عن توبتهم بقوله (وكذلك حين ناديت بلسان الشريعة وليس بلساني القاصر المقصر رؤساء القبائل وقانون العشائر اقبل عدد منهم إلى طاعة الله جزاهم الله خيراً وشعروا بالمسؤولية الدينية والإسلامية)^(٢٥).

. قضية سفور المرأة والتجاهر بالفسق:

الأول: السفور خارج البيت:

إنّ منهجه العام الإصلاح الجذري، لقد انعكس بشكل واضح على المنظومة المفاهيمية، ولذلك فهو حتى عندما يعالجك ظاهرة اجتماعية كظاهرة السفور مثلاً يحاول أن يعود إلى أسسها وأسبابها الجذرية، ولا يكتفي بالأسلوب الوعظي، إنما يضيف إلى الوعظ البعد التحليلي لواقع الظاهرة ومنشئها^(٢٦).

لقد ناقش قضية سفور المرأة خارج المنزل في خطبه^(٢٧) أثناء عملها خارج البيت أو سفرها وعلى مستوى عالمي يتعلق بمفهوم حرية المرأة في الإسلام والعالم^(٢٨).

ونجد ذلك واضحاً في ضوء الأسباب التي أدت إلى شيوع هذه الظاهرة في سائر المجتمع:

١ - دعوة العصريين للمطالبة بحرية المرأة في ضوء حالات خاصة، قد وقعت عليها في ظلم الرجل أو الزوج وظلم المجتمع وظلم القانون والمساواة مع الرجل في مجالات الحياة.

٢ - عدم تفقهها بالدين، وتركها الحجاب والحثّ على الاختلاط بين الجنسين.

٣ - تسلط الاستعمار الغاشم الظالم على الشعوب، ومن أهدافه منها استلاب ديننا لكي يفرغ المجتمع من تعاليم الشريعة؛ لأنّها العدل الحقيقي بالرغم من نهب خيراته وإفقار شعوبه والهيمنة عليه.

٤ - وجود الفراغ العقائدي والديني والجهل المطبق، فوجود حب الدنيا بشكل مكثف ما تسمى بالغيرة إلى الاحتكاك بالآخرين بالنظر إلى الثياب والأثاث والتجميل.

٥ - الاحتكاك مما بين المحجبات والسافرة حتى لا يراها ولا تنهى عن المكر.

٦ - وقد تحدّث عن نتائج السفور، أو ما يؤدي إليه من أمور منها:

١ - إنّ التجاهر بالفسق في ضوء السفور يكون بصفته

مصيدة يتبعها الشيطان؛ لإغواء الملايين من الرجال والنساء وتوجيههم نحو طريق الرذيلة والفساد.

٢ - كذلك يساعد الاختلاط على الإغواء الجنسي الحاد في مجتمع الشبان والشابات في المعاهد والكلليات والأسواق.

أما كيفية معالجة هذه الأمور التي تدعو إلى الفجور عن طريق السفور، فقد أشار إلى حرمة هذا العمل في جوانب مختلفة ما يأتي:

١ - على مستوى الأديان السماوية فالإسلام بكل مذهب والمسيحية بكل مذاهبها واليهودية كلها تحرم السفور وتردعه عنه، كما تحرم الزنا واللواط وشرب الخمر، وعلامة ذلك وجود النساء المتدينات في دينهم والراهبات منهن يلبسن الحجاب.

٢ - إن هذا العمل هو عصيان لتعاليم الأديان وشرائع الأنبياء جميعاً؛ لأنّ تجاهر بالفسق والمتجاهر بالفسق لا ذمة له في الإسلام فيجب نهيه ويجب ردعه ويجب مقاطعته.

٣ - على المرأة المحجبة مقاطعة المرأة السافرة والابتعاد عنها؛ لأنّها تجرّها إلى ذلك العمل شيئاً فشيئاً.

٤ - هذه الأفعال محرّمة فيجب مقاطعتها بتاتاً وتاماً،

وكُلّ من يفكر في ذلك فهو ملعون، وقد لعن أصحابها والمشارك لهم في ذلك.

٥ - تفهم حرية المرأة في ضوء الحرية الحقيقية، فحرية المرأة هي الحرية من المآثم والمظالم؛ لأنها الحرية من النفس الأمارة بالسوء، ومن الشهوات والمظالم والتمحض لطاعة الله سبحانه على عكس الذين لا يفهمها إلا في حدود أن يكون الإنسان حراً من طاعة الله والعياذ بالله وعبداً لنفسه وشهواته وهواه؛ لأنّ الإسلام كفل حرية المرأة أخروياً ولم يكفلها من الناحية الدنيوية.

٦ - التشجيع على لبس الحجاب الشرعي وأسلوب الحجاب ونوعيته كالعباءة في المجتمع الإسلامي.

٧ - الابتعاد عن التبرج والاختلاط والتبسط في الكلام مع الرجال الأجانب.

٨ - عدم التجميل الزائد للرجل فهو حرام وهو ممنوع اجتماعياً؛ لأنّه مثير للفتنة النوعية وللغريزة الجنسية^(٢٩).

الثاني: السفور داخل البيت:

وهذا النوع يحدث داخل البيت في الأسرة الواحدة أو في العائلة الواحدة فالسيد ﷺ يهيب ويرجو عدم السفور في البيت - لا سيما - زوجات الأخوة داخل الأسرة الواحدة، ولو أن الدين لا يتوصل بالتوصل أو بالرجاء كما يرى وهي

كما يقول بعضهم (طبق ثم ناقش) لا، وإنما يقول الدين (طبق ولا تناقش) لأن كلمة الدين واحدة لا تكون اثنتين، وكلمة الحوزة واحدة لا تكون اثنتين، ولا مجال لتحليل ما حرّمه الله^(٣٠).

- قضية الخلاعة والإزعاج في مناسبات الأعراس:

تعدّ هذه الظاهرة من الظواهر الاجتماعية الشاذة، وهي من الظواهر المحددة والشائعة في مجتمعنا المعاصر، وقد عالجها بإعلان اللعن عليهم جميعاً حتى يتوبوا، يقول في سياق معالجته هذه الظاهرة (من ذلك ما يتخذة الكثير من الناس من أساليب الخلاعة والإزعاج في مناسبات الأعراس من سفور النساء - وحتى المحجبات يسفرن - وخاصة العروس المتجملة، اللابسة أبهى ثيابها، والسير في الشوارع، مع الأغاني والتصفيق، وقطع الطريق على السابلة، ومن قطع طريق المسلمين ومن قطع طريقهم فليس بمسلم، وعليه لعنة الله، مضافاً إلى إحياء الحفلات الغنائية ودعوة الفسقة إليها والسافرات إليها وتوزيع الخمر فيها وغير ذلك، وكلّ ذلك محرم بضرورة الدين، وهو أشدّ حرمة وأسفاً إذا صدرت من الأسر التي تدعي بالدين أو في أماكن ومدن متدينة ومقدسة كالنجف وكربلاء والكاظمية وغيرها.

توصية إرشادية في تجنب هذه الأمور داخل البيت، لأنها حرام، ويعالجها بالتوصية والإرشاد الديني في بيان حرمتها يقول «ومن ذلك ما هو موجود في كثير من الأسر من السفور في داخل العائلة الواحدة، مع أنها قد تكون محرمة عليه، لا يجوز له أن يراها، ولا يجوز لها الانكشاف أمامه، مع أنهم متفقون على هذا المسلك، فإذا أصبح فرد منهم، أو عدة أفراد يشكون إلي، ويشكون إلى العلماء الآخرين، فإذا أصبح فرد منهم، أو عدة أفراد متدينين، وشاعرين بمسؤولية طاعة الله سبحانه، فسوف يقعون في حرج كبير في داخل أسرهم، وبلاء عظيم من حيث لا يستطيعون مقاطعة العائلة والخروج عنها.

وأوضح إشكال ذلك... زوجة الأخ، حيث يعيش الإخوة مع زوجاتهم السافرات في أسرة واحدة، وسفرة واحدة، وكذلك أخت الزوجة، فإن الاعتقاد العامي أنها حلال، مع إنها حرام لا تختلف عن أي أجنبية أخرى، وهذا فضلاً عن بنات العم أو بنات الخال أو بنات العمّة أو بنات الخالة، والعكس أيضاً صحيح، يعني بالنسبة إلى النساء أولاد العم والعمّة، وأولاد الخال والخالة، فإن ذلك كله بضرورة الدين، ولا يوجد من يفتي بجوازه من المجتهدين.

فمن هنا نقول إننا نهيب ونرجو، لأنّ الدين لا يتوصل إليه بالتوسل والتوصيل أو بالرجاء والاستحياء، لا، لا، أو

وفي المجتمعات الغربية من الانحلال الخلقي؛ مما أدى بها المطاف بالعبور إلى المجتمع الشرقي بشكل خاص، ووصل الأمر إلى المحجبات أيضاً في الاختلاط والتبرج الزائد عن حدّه والخلاعة المفسدة.

- قضية فساد موظفي الدولة والعاملين فيها وإصلاحهم:

كانت له التفاتة من لدن السيد ﷺ في مطالبة هذه الشريحة التي انغمست في حضن الدولة، وهم الوزراء والمدراء والعسكريون والمدرسون والمعلمون والمصلحون والأطباء حتى عامل البلدية، وقد أشار إلى أعمالهم الفاسدة منها:

١ - ارتكابهم أعمال الرذيلة؛ لأنّهم يتعمدون التماهل والعصيان والتجاهل وديدنهم مثل السالكين والسدنة وخدمة المساجد.

٢ - شبه أعمالهم في التزامهم بالحرام وعليه حياتهم وأرزاقهم والعياذ بالله كالمغنين والممثلين وبائعي الخمر والمرابين والسافرات وآخرون.

٣ - جرمهم لا يقتصر على أنفسهم، بل تمتد غوايتهم وظلالهم إلى الناس فهم كالشجرة المثمرة بالحنظل.

فمن هنا نحن نعلن عن وجوب قطع كلّ ذلك بتاتاً وتاماً، وكلّ من يفكر في ذلك ملعون، وكلّ من يجيب دعوتهم، أو يشاركهم في عملهم، فهو ملعون، بل كلّ من يعاون معهم في أي شيء، حتى من داخل أسرّتهم فهو ملعون، ولا تنفك عنه اللعنة حتى يتوب، ولن يتوب حتى يتضح منه أمام الله سبحانه مقاطعة الحرام، ومقاطعة فاعلي الحرام كائناً من كانوا، لا تأخذه في الله لومة لائم^(٣١).

- قضية الفساد أو الإفساد الأخلاقي في وقتنا المعاصر:

في سياق معالجته هذه الظاهرة تاركاً الغضب الإلهي في معالجتها؛ لأنّها عامة وأصبحت مستشرية في العالم يقول السيد ﷺ (وأما ما يفعله النساء في هذا العصر، سواء المحجبات نسبياً منهن، أو غير المحجبات، مع الاختلاط، والتبرج، والخلاعة، والغناء، والرقص، والتبسط بالكلام مع الرجال الأجانب، وكذلك الرضا والتجاوب مع الفرق الغنائية الواردة إلينا من خارج الحدود، فكلّه فساد وإفساد، وجناية على الفرد والمجتمع، ولا يؤدي إلا إلى غضب الله، المنتج لبلاء الدنيا، وباء الآخرة، وإنا لله وإنا إليه راجعون)^(٣٢).

وفي هذه الإشارة إلى القضية العامة السائدة في العالم،

أما معالجتهم فقد طالبهم بالتوبة:

١ - بأن يكونوا طيبين متورعين بالدين وعدم اليأس من التوبة.

٢ - الابتعاد عن الكبائر من شرب الخمر والسرقة والغش والظلم والاعتداء وتميرير المصالح الدنيوية وتفضيل الأنانية.

- قضية الفساد الإداري والمهني في الحقل الطبي:

ويقصد عند الأطباء والعاملين من صيادلة ومضمدين في الحقل الطبي، لقد ناقش هذه القضية^(٣٣) بأسلوب علمي وأكاديمي مبيناً الجانب الإنساني لهذه المهنة الإنسانية بنقاط:

١ - إنَّ الحقل الطبي حقل أنساني جليل جدا في نظر الدين والمتشعة.

٢ - سيطرة جانب الرحمة والعطف على الطب، فالمرريض يشعر بالحاجة إلى التعاون والإخلاص والإنسانية.

٣ - يعدّ الطب من أنجح العلوم التطبيقية أو العملية في الفكر الإنساني.

٤ - مسؤولية الطبيب والصيدلاني وإضراهم تجاه

المرريض وتعاونهم على كل المستويات.

وقد أشار إلى قضايا في الحقل الطبي تعدّ جرماً وحرماً ومن هذه السلبيات في المجتمع الطبي منها:

١- على المستوى الديني:

أ - وقوعهم في المحرمات الشرعية؛ لتناسيهم الشريعة وإهمال الدين؛ لأنّ تعليمهم الأساسي قائم على إهمال الدين.

ب - جواز تصرف الطبيب في زيادة الكشف بالنظر إلى ما لا يحل لغيره، والإباحية له بذلك مثل التعري الكامل؛ مما يؤدي إلى الشعور الجنسي.

٢- على المستوى الإنساني:

وما يترتب عليه من غش المريض والخداع في الأمور التي يجهلها؛ لأنها من اختصاص الطبيب.

٣ - الاختلاط في المجتمع الطبي بين الجنسين فالطبيبات والممرضات سافرات بوضوح، وكأنّه لا يمكن لهن الحجاب.

٤ - التجمّل الزائد عن حدّه عند الطبيبات والممرضات.

٥ - جواز الكشف أمام الطبيب أكثر من المقدار

الضروري أو بمقدار ما رغب به، ولا سيما في عيادات الأطباء على الرغم بعض النساء محجبات في المجتمع.

٦ - استيلاء العاملين في مجال الطب (الصيدلة) من المذاخر على الأدوية وبيعها بأعلى الأثمان، وهي ظاهرة متحققة ومتكررة في المجتمع، وما يترتب عليها من أنها أموال مجهولة المالك، فلا يجوز التصرف بها أو بيعها في الأسواق السوداء، فلها سلبية وانعكاس على الطبقات الوسطى والفقيرة، ويرافق ذلك الثراء الفاحش على حساب مصالح الآخرين.

٧ - اجتماع عدة أطباء على امرأة واحدة أو عدة ممرضات على مريض واحد، أكثر من الضروري، كأنه لو جاز الكشف لواحد جاز الكشف أمام الجميع.

٨ - شيوع الفحش الطبي في سبيل الربح المادي لا أكثر ولا أقل، فهو يعتمد تغيير تشخيص المرض أو يعتمد تغيير الدواء أو يعتمد انجاز عمليات جراحية غير ضرورية أو يعتمد أتعاب مرضية للطب، فيأتي عدة مرات ليكون المريض هو الضحية.

٩ - تشريح الجثث وما يرافقها من النظر إلى أدق الأعضاء في الإنسان، وخاصة العورات، ويرافقها اجتماع الطلبة لكل الجنسين لرؤية تلك الأعضاء الخاصة.

أما المعالجة فقد ركّز على أمور يجب الأخذ بها:

١ - ضرورة الالتزام الديني والاجتناب عن المحرمات الشرعية ولا نطالبهم أكثر من ذلك؛ لأنّ فيه براءة للذمة أمام الله تعالى بكل تأكيد.

٢ - عدم إطاعة الطبيب بالتعري ولا يحجب إطاعته بل يجب تحمّل المرض مع الإمكان والصبر عليه.

٣ - على الطبيب مراعاة الجانب الإنساني والشعور بالرحمة والشفقة على المريض حتى لو وصل الأمر إلى تضحية الطبيب ببعض مصالحه في سبيل مصلحة المريض.

٤ - التقليل من النشاطات المحرمة إلى أقل مستوى ممكن، وخاصة في النظر إلى تشريح الجثث في الدراسة الأكاديمية.

٥ - تشجيع الطلاب على دراسة الطب والاستمرار في الدراسة من أجل إنقاذ المجتمع من الفئات المنحرفة التي تربعت على هذه الحقل.

- الإسراف في الصرف والنياحة في المآتم:

لقد أشار إلى ما يحصل في مناسبات الوفاة عند موت الوجيه أو غيره^(٣٤) من إسراف غير مبرر له لصاحب

المناسبة، فبدلاً من أن تكون مناسبة للموت لنا هي سبب للثواب كانت سبباً للشقاء والعقاب، وما يحدث عند الوفاة عدة أمور ينبغي الالتفات إليها وتغييرها من الباطل إلى الحق وهذه سلبيات في المجتمع:

الأمر الأول: الإلزام الاجتماعي لزيادة الصرف والطبخ والإطعام أكثر من طاقته المادية مما يسبب ضرراً مادياً على صاحب المناسبة من تكليف عظيم في الجهد والمال.

الأمر الثاني: لا يستهلك هذا الطعام في الأكل من المدعوين والحاضرين، فغالباً ما يلقي في المزابل للوحوش والطيور أو تترك الفضلات للتعفن، وهذا إسراف وتبذير محرم، وقد يحرم منه المعوزين والمحتاجين وهم بحاجة إليه.

الأمر الثالث: احتواء (العراضات) لتأبين المتوفاة على المحرمات جداً من جهات سيئة وسلبية منها:

١ - مدح المتوفي بما ليس فيه فيكون كذباً محرماً.

٢ - مدح المتوفي وقد يكون ظالماً أو فاسقاً، وهذا المدح إعانة على الإثم.

٣ - احتواء كلماتهم وأشعارهم على الاعتراض على القدر الإلهي في موته وهو حرام.

٤ - احترام وتبجيل للمتوفي أكثر مما يستحقه وهو أمر

مذموم.

الأمر الرابع: المآثم النسائية تحتوي على أمور غير صحيحة شرعاً منها:

١ - تكون المرأة مجبورة على كثرة البكاء، وضرب الوجه، وشف الشعر، وشق الثياب، بحيث لو لم تفعل ذلك لكانت معرضة للانتقاد.

٢ - ظلم اجتماعي حقيقي في الاعتراض على القدر الإلهي من الأضرار بالنفس بالاعتداء أو الكذب في مدح المتوفي أو انكشاف النساء للرجال.

الأمر الخامس: بناء القبر من قبل ذوي المتوفي إلى أعلى ارتفاعات شاهقة، يصل إلى عشر أمتار مع الألوان الزاهية والزجاج، وفي هذا تبذير، قد تكون هذه الأموال تصرف في قضاء حاجة المحتاجين من أجل الثواب.

أمّا المعالجة فقد اكتفى بالمناداة للمجتمع بلسان الشريعة ولسان الحوزة:

١ - أن يعي المجتمع واقعه الحقيقي، وخطورة الإسراف والتبذير وزيادة العقوبة على المتوفي، بأنّها حرام.

٢ - ترك هذه الأمور وخاصة المحرم منها لتعم الفائدة وإطاعة الله وزيادة الثواب والطاعات الواصلة إلى المتوفي.

- الانحلال الخلقي لدى فئة من فئات المجتمع العراقي تعرف بالغجرية:

لقد وصفهم السيد ﷺ بأنهم أغرب أمة في العالم من حيث مجموع صفاتهم وغموض انتسابهم إلى عشرات الآلاف أو مئات الآلاف من السنين^(٣٥).

لقد ناقش قضيتهم من نواحي مختلفة وقد تحدث في خطبته إلى أوصافهم التي تشكل جانباً مهماً من حالهم الفعلي:

أولاً: ولادتهم ونسبهم وصفتهم الغجرية أو صفة الغجري ثابتة عليهم، فابن الغجري غجري، وليس غيره، فلهم أجد واحد وإن كان المشهور أن أصلهم من الهند كاحتمال ولم يثبت ذلك بوضوح كافٍ، أما الذي يفعل فعلهم فلا يمكن الالتحاق بهم بطبيعة الحال.

ثانياً: وجودهم في مختلف بقاع العالم بلغات مختلفة، وكونهم طوائف مستقلة بذاتها تعمل حسب تقاليدها الخاصة، لا تتعايش مع المجتمعات، لا اجتماعياً ولا لغوياً ولا دينياً فهي غير مقيدة والمنبع الأصلي للغجر هو النسل الأبيض الموجود في القارة الثنائية من آسيا وأوروبا فقط.

ثالثاً: إن جنسيتهم واحدة، وعاداتهم مشتركة يتعاطفون فيما بينهم فقط، ولا يتعاطفون مع المجتمع الذي يعيشون

فيه.

رابعا: الانحلال الأخلاقي العام ويمكن حصره بالنقاط حسب إشارات السيد ﷺ:

١ - لهم عادات مشتركة شاذة عن طريق الإنسانية المتفق عليها أو المتفق عليه بين عقلاء البشر.

٢ - الغجري لا يحس أنه متديناً أصلاً، وليس مهماً عنده ويعتبره شيئاً ثانوياً في حياته.

٣ - كونه غجرياً ملتزماً بصفات وعادات الغجر، لا أكثر ولا أقل.

٤ - يغلب على عاداتهم التسيب الأخلاقي والرفض للقيود الإنسانية والدينية.

٥ - تجد عندهم الموبقات كلها من الزنا واللواط والسرقة والكذب والخيانة والغناء والرقص.

٦ - إن الغناء والرقص هو الصفة الغالبة على نسائهم.

وقد تحدث السيد ﷺ عن النتائج المتوقعة من هذه الفئة وعن انعكاس أفعالهم على المجتمع، وقد حصرها في أمرين:

الأمر الأول: أصبحوا طائفة مذمومة من كل البشر ومنبوذة، وهم خطر على المجتمع، فلا يشعر المجتمع

بالارتياح إليهم أو التعاطف معهم، فلا يشاركون المجتمع في الأعم الأغلب، لا في دين ولا دنيا، لا يوجد لهم أعمال إنسانية مثل التجارة أو الرياضة أو التمثيل أو حملة شهادات عالية، ولا يشاركون رجال الدين ولا المتشركة، فليس لهم ارتباط بالإسلام رغم كونهم يعيشون فيه، فلا يحضرون مناسبات المجتمع من وفاة وولادة أو زواج إلا نادراً، فلا يهتمهم الإصلاح الاجتماعي، ولا يتدخلون بالسياسة، فلا تجد لهم احتجاجاً ولا تمرد على الواقع رغم الأم والمصاعب.

الأمر الثاني: يشعرون بالانعزال عن المجتمع؛ لأنهم يشعرون بأهمية عاداتهم وصفاتهم ويشعرون بضعف الوازع الديني وقلة أهمية الدين في أنفسهم وعقولهم. وعدم اهتمامهم بالدين له نتائج أيضاً منها:

١ - من الصعوبة الذهاب إليهم لأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر؛ لأنه غريب عنهم ويخالف عاداتهم المهمة جداً في نظرهم.

٢ - من الصعوبة أن تجد غجرباً متفقهاً ومهتدياً ودارساً للعلوم الدينية؛ لأنهم متعصبون لتقاليدهم الشاذة وأساليبهم القديمة.

٣ - من الصعوبة تقبلهم الأمر بالمعروف والنهي عن

المنكر، لا من داخلهم ولا من خارجهم.

أما عن المعالجة فقد أشار إلى ضعف الاتجاه التقليدي للحوزة العلمية في تحمل من هذا القبيل لأسباب منها:

١ - لا أمر لمن لا يطاع، فالعجز من الفئات المتعصبة للتقاليد الشاذة، فلا يتقبلون الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

٢ - لقد وصف الاتجاه التقليدي للمشهور عند الحوزة القديمة وإلى فلسفتهم الاجتماعية بأنه لا يجب التبليغ الشرعي إلا عند السؤال، وأما بدون سؤال فهو غير واجب بل مستحب، ولا يجب القيام بما هو ليس واجباً ولا يجب دق باب الناس الآخرين، لا أفراداً ولا جماعات لأجل هديتهم.

ولم يكتف بذلك بل كان تصريحه عام وشامل للعجز من أجل هدايتهم لقد خاطبهم مباشرة بقوله (إلا إن الحوزة الناطقة المجاهدة لا ينبغي أن تكف عن النشاط في مختلف الاتجاهات وبمختلف الأساليب، فيها نحن ندق باب العجز، ونمد إليهم يد الهداية والصفاء لعلهم يهتدون لعلهم يتفكرون لعلهم يتذكرون كما يقول القرآن الكريم^(٣٦)).

وأيضاً قوله وهو يناديهم بصراحة (فيا أيها العجريون،

لستم أول من خاطبه الإسلام ولا أول من خاطبه القرآن، ولا أول من خاطبته الحوزة الشريفة، ولا أول من خاطبه السيد محمد الصدر، كما لستم آخر من يخاطبه السيد محمد الصدر إذا بقيت الحياة.

عسى أن مجتمعتكم وأفرادكم في مصالحهم الواقعية ويعيدون النظر في عاداتهم الموروثة وتعصباتهم التقليدية.

فانتبهوا إلى الحق، وافتحوا عيونكم للنور، واهتدوا بهدي الله وأهل البيت عليه السلام، فأنكم لستم أقل عقلاً ولا رشداً ولا فهماً من الآخرين من سائر البشر، ولا يجوز أن يحملكم الضغط الأسري والاجتماعي أو النسبي على أتباع الشهوات والقيام بالمحرمات ^(٣٧).

الجوانب الفكرية والفنية في الخطاب الصدري في مشروعه الإصلاحية التغييرية في الشأن الاجتماعي:

الجوانب الفكرية لمعالجة الظواهر الاجتماعية:

إنّ الفهم التغييرية الاجتماعي للسيد محمد الصدر عليه السلام ارتكز على مجموعة من الركائز والمقومات والرؤى التي تعدّ أهمّ الجوانب الفكرية في الخطاب الصدري وهي:

١ - انطلق في خطابه الاجتماعي من واقع الشعب

العراقي، ظروفه النفسية وأزماته المعيشية وتركيبته العشائرية، وكلّ شؤون وشجون طموحه والظواهر الإيجابية والسلبية السائدة فيه ^(٣٨).

٢ - اهتمام السيد عليه السلام بالوسط الاجتماعي العام، وبالتواجد الميداني المباشر من أجل تبلور ملامح المشروع الاجتماعي الذي عمل عليه، وتأتي من كونه يعالج ظواهر اجتماعية قائمة، وهو علاج لا يقتصر مثلاً على فرد واحد يتفتت في قضية معينة وإنما هو لمجموع اجتماعي يخترق أذنانهم؛ ليوصل الكثير من المعاني إلى أذهانهم ^(٣٩) حيث استخدم السيد أساليب مختلفة لجذب الطبقات المختلفة من الشعب العراقي على اختلاف المستوى الثقافي وطريقة الاستيعاب لأنه خاطب جميع شرائح المجتمع عبر منبر الجمعة المبارك وقدم الإرشاد والنصح ^(٤٠) وأن هذا الفهم الاجتماعي للصدر الثاني لا مس أوجاع الناس ومعاناتهم والاندكاك بها ميدانياً ^(٤١).

٣ - كان الصدر الثاني عليه السلام يحيط بالأزمة الاجتماعية بمجمل أبعادها، وكيف يلاقيها من كل جوانبها؟ وكيف يعيها بكل مؤثراتها؟ وكيف يقترح لها الحلول بعد أن يوصفها توصيفاً دقيقاً؟ ^(٤٢).

٤ - لم تقتصر رؤيته المجتمعية على بعد محدد أو وسط معين أو شريحة معينة، بل كانت رؤيته شمولية إلى حد

المجتمعي في المناسبات الدينية^(٤٨) وهو فهم تضمّن جهداً في اكتشاف آليات التواصل المجتمعي من خلال التركيز هلى الاهتمام بالمناسبات الدينية^(٤٩).

٧ - الجرأة التي كان يتمتع بها الصدر الثاني كانت شرطاً لمشروعه الاجتماعي، ومع هذه الجرأة تواضعه لأقل مجهود لكل الناس من العوام والطلبة، فكان الخطاب الصدري يحاول أن ينتزع مبررات التقاعس من خلال إلقاء مسؤولية الفشل على الناس^(٥٠).

٨ - إنّ نظرية الصدر الثاني في العمل الاجتماعي كانت نظرية متكاملة، وتقوم على الأساس النقدي^(٥١)، فعندما يكون المشروع الإصلاحي متكاملأ في مقدماته متوازناً في حركته، فإنه يعطي نتائج مثمرة على الساحة تمتلك عناصر القوة والبقاء والثبات، وهذه هي السمة الأساسية في المشروع الإصلاحي^(٥٢)، كما إنّ العمل الصدري الثاني الاجتماعي اتخذ طابعاً نقدياً للواقع، في محاولة لإرساء قيم اجتماعية جديدة^(٥٣)، ونقصد بالاتجاه النقدي «ذلك التوجه الذي يتناول المفكر من خلاله مجموعة قضايا تشكّل إطاراً نظرياً لنقد النظام الاجتماعي القائم أو الكشف عن تناقضاته بحثاً عن نظام اجتماعي تنتفي فيه هذه التناقضات»^(٥٤).

٩ - ضخ الوعي المجتمعي بمفاهيم جديدة محاولة

الاستغراب إلى الحد الذي لك يكن أحد يتوقعه، وربما تجاوز فيها كلّ حدود الرؤى بما فيها الرؤى الحركية لواقع المجتمع التي لم تتطرق في يوم ما إلى شريحة، لا تأخذ ربما أهميتها من عنصر العدد بقدر ما تأخذه من جانب الدور الخطير لها^(٤٣)، وإنّه اعتمد منهجاً شمولياً في نشاطه على كل شرائح وأوساط الأمة، كالوسط العشائري والوسط الديني وشريحة الموظفين والوسط السني في العراق حتى وصل إلى الوسط (الغجري) الذي لم يفكر أحد به إطلاقاً^(٤٤).

٥ - إنّ رؤية الصدر الثاني الشمولية رؤية تفاؤلية تحاول أن تقتحم كل الأوساط، وتحفر في كامل النسيج المجتمعي وتعيد حراثة الأرضية المجتمعية بصورة شمولية، وبالإضافة إلى صفة الشمولية فإنّها من ناحية أخرى، كانت ترصد الظواهر الاجتماعية وتدخل في تحليل أبعادها ومضامينها^(٤٥)، لأنّه كان ينظر إلى العمل الاجتماعي الإسلامي بقسميه الرئيسيين: الجهاد والأمر بالمعروف من باب المشاركة الفعالة في التخطيط والتمحيص الإلهيين^(٤٦) وقد لاحق الظواهر الاجتماعية السيئة والسببية وأخضعها إلى الطرح والمعالجة^(٤٧).

٦ - لم يكتف بشمولية الخطاب، وملاحقة الظواهر الاجتماعية، إنّما كان يحاول أن يضع آليات التحشيد

وقد ميّز الباحثون نوعين أو شكلين من الإصلاح في المجتمع الحوزوي في العراق^(٥٨) :

الأول: الإصلاح الآني: وهو الإصلاح الذي يعيش لفترة محدودة، ويساهم في علاج وضع معين، لكنه لا يمتد في المستقبل، حيث يتوقف بعد فترة زمنية، وهذا ما نلاحظه على الكثير من المشاريع الإصلاحية، رغم أنها قدمت خدمات مشكورة للإسلام وأهله.

الثاني: الإصلاح الحتمي: وهو الذي يزرع جذوره عميقاً في الواقع، ويفرض نتائجه مهما كانت الظروف، في فترة المصلح وبعد وفاته، وتبقى آثاره تتفاعل في المجتمع لفترة طويلة لتفتح آفاق رحبة متجددة أمام السائرين على نهج المصلح، وهذا ما نلاحظه في تجارب الأئمة من أهل البيت عليهم السلام وفي تجارب تلامذتهم وبعض أتباع مدرستهم.

ولقد أشار بعض الباحثين والدارسين الى المشروع الاجتماعي عند السيد عليه السلام امثال الكاتب العراقي عادل رؤوف في كتابه الموسوم بـ (مرجعية الميدان)^(٥٩) وكذلك الباحث هاني جواد كاظم النجار في رسالته الموسومة بـ (المشروع السياسي والاجتماعي للسيد محمد محمد صادق الصدر في العراق (١٩٩١-١٩٩٩))^(٦٠).

إلا أنّ هذه الدراسات لم تستوف ما طرحه السيد بشكل مفصل ولم يشر إلى أغلب القضايا الرئيسية وغير الرئيسية

لإصلاح ومعالجة الخلل في الوعي السائد باعتبار صلاة الجمعة فريضة عبادية سياسية اجتماعية، فقد ركز على الجانب التوعوي والتربوي^(٥٥)؛ لأنّه يحاول الوصول بالإصلاح إلى الحالة الجماهيرية وذلك من خلال التأكيد على دور الشخصية الرسالية وعلى دور المبلغ الإسلامي المرتبط بالمرجعية.

١٠ - الاستفادة من التجارب السابقة مثل تجربة السيد محمد باقر الصدر عليه السلام في بث الوعي الإسلامي في إصلاح المجتمع، بوصفه أستاذه الرئيسي، وقد تلقى بعض المعارف وقد أشار إليه إلى ذلك بقوله (وأنا تلقيت نوعين المعارف عنه كمقدمة توضيحية أستطيع أن أقول المعارف الرئيسية التي نستطيع أن نقول يهتم بها الدين أما هي ثلاثة بالعناوين العاملة بالاصطلاح الأصولي، الشريعة بما فيها الفقه والأصول، وكذلك ما يسمى بالوعي الإسلامي الذي هو إصلاح المجتمع)^(٥٦)، وقد استعار أو استفاد السيد محمد صادق الصدر في منهجه وأسلوبه في معادلة الانطلاقة وتحديث المشهد الثقافي التي شخصها محمد باقر الصدر في تغيير أساليب العمل نحو الأفضل والأصلح مع الانسجام مع الأوضاع والبيئات المختلفة^(٥٧).

١١ - يمكن أن نميّز تجربة السيد محمد صادق الصدر عليه السلام الإصلاحية بأنها تميزت بالحمية الإصلاحية،

وقد كانت خالية من عناوينها المهمة فالنقص في عرض القضية وبيان رأي السيد فيه بشكل موضوعي علمي وأكاديمي ينتفع منه الدارس والقارئ لكي يتضح له أن هذه الأمراض وهذه حلولها ومعالجاتها.

١٢ - امتازت تجربته الحوزوية باعتباره مرجعاً له قيادة ملهمة إذ يعد عامل القيادة الملهمة من عوامل التغيير الاجتماعي عند اغلب علماء الاجتماع لأنه من أهم العوامل الأساسية للتغيير الاجتماعي وكان السيد عليه السلام خير ما يمثل دوره بوصفه قائداً ملهماً في ميدان الحياة الاجتماعية المختلفة الذي يؤثر بشكل مكمل في حركة المجتمع لن القيادة ظاهرة اجتماعية عامة لا يخلو منها أي مجتمع ^(٦١) وهذا العامل يضاف إلى العوامل الأخرى المعروفة عند علماء الاجتماع منها (العامل البيئي، والكثافة السكانية، والتقدم التقني، والعامل الاقتصادي، والعامل الديني، والانتشار الثقافي، و القيادة الملهمة) ^(٦٢).

الجوانب الفنية لمعالجة الظواهر الاجتماعية:

١ - إن أسلوبه الخطابي في خطب الجمعة يتميز بالجماهيري والوضوح، فلم يكن مألوفاً من قبل يردد الشعارات، ويطرح قضايا الأمة بهذه الطريقة المباشرة، ويشد الناس إلى الحوزة والعلماء والصلاة، ويقرأ عليهم

الإعلان والدعاء ويعالج أمور الناس الحياتية مثل الكهرباء والحصار حتى أنهم خطابه في وقتها بالسطحية وعدم العمق ^(٦٣) وقد أكد الصدر الثاني بقوله «الشيء الآخر الأمر الذي وددت أن أشير إليه، إن بعض الناس سمعت منهم، أن السيد محمد الصدر غير عميق في خطبته، وكأنهم يتوقعون أن أقول هنا درساً حوزياً كاملاً في الفقه أو في الأصول أو في التفسير أو في أي شيء أنا لست مغفلاً إلى هذه الدرجة (لكل مقام مقال) وكما أيضاً في المثال الآخر (إن البلاغة تطبيق المقال على مستوى الحال)، كذلك (كلموا الناس على قدر عقولهم)» ^(٦٤).

٢ - في معالجة الظواهر الاجتماعية بحسب منهج الإصلاح الجذري لا يكتفي بالأسلوب الوعظي، وإنما يضيف إلى الوعظ البعد التحليلي لواقع الظاهرة ومنشئها ^(٦٥).

٣ - يستعين بأسلوب الترهيب والترغيب في تذكير الناس وتنبيههم، وهو تركيز على جانب الوعظ والإرشاد والنصح وإبداء الرأي السديد في التعامل مع القضايا الاجتماعية المنحرفة والسيئة والعمل حسب مبدأ الثواب والعقاب في النظر الإسلامي في الابتعاد عن هذه الظواهر.

٤ - امتازت خطبه أحياناً بأساليب النقد الجريء لا سيما في حديثه عن السدنة، وقد استعمل أسلوب الترهيب في

(٦٦)

تحذريهم وتخويفهم .

الاجتماعية.

والخدمة الاجتماعية: غايتها هي خدمة الفرد وخدمة الجماعة وتنظيم المجتمع، علماً بأن كل الفروع في علم الاجتماع تهتم بدراسة المشكلات الفردية والاجتماعية والتنظيمية في المجتمع ومعالجتها معالجة علمية.

إنّ الهدف من هذا البحث يكمن في نقاط ثلاثة:

الأولى: هو تسليط الضوء على أهم القضايا الاجتماعية بوصفها أنها آفات اجتماعية قد نخرت في عظام المجتمع العراقي.

إذ أشار السيد محمد الصدر رحمته الله إليها في خطابه المسموع بشكل علني وعلى الملأ من حضور المصلين والزوار المترددين من دون تردد ولا خوف من احد.

وكانت هذه القضايا تعرض بشكل علني وفي مستوى الإرشاد الديني والنصح الاجتماعي وتحث المصلين والمستمعين والزائرين الحاضرين إلى مسجد الكوفة.

وإبرازها إلى الناس جميعاً لكي ينتبهوا ويحذروا منها أو يجتنبوها أو يبلغوا الآخرين بالابتعاد عنها والتقليل منها ومعرفة حرمتها وانعكاساتها على المجتمع.

الثانية: لم يترك السيد القضية من دون حل بل يعالجها

٥ - تمتاز أغلب خطبه بما يعرف بالنقد الإسلامي البناء ^(٦٧) ، وهذا ما أكده في كتبه ودراساته عندما يتناول العقد الاجتماعية، وغيرها، وإنّ خطابه الذي تأسس عليه المشروع التغييري للسيد الصدر رحمته الله ليس الخطاب المتوتر، بل هو الخطاب النقدي للواقع القائم ^(٦٨) .

٦ - اعتمد السيد الصدر رحمته الله في بعض خطبه أسلوب الأطروحات فمكّنه من تحقيق الكثير من الفوائد في تفهيم الناس في معالجة الأمراض الاجتماعية، فضلاً عن استعمال أسلوب افتراض الأسئلة والإجابة عليها كما يفعل في كتبه ومباحثه ودراساته ^(٦٩) .

٧ - في نقده التحليلي يستعمل السؤال والجواب وهي أسئلة مختلفة متضمنة بالأطاريح والاحتمالات ثم يفاضل بين الآراء ليميز الأحسن في العمل من وجهة التطبيق.

خلاصة البحث

إنّ علم الاجتماع يدرس المعالجات (العمليات) الاجتماعية في المجتمع، والتركيز على المعالجات الاجتماعية التي ترتبط بحياة الناس الاجتماعية، وعلماء الاجتماع يركزون على التفاعل والتكوين الاجتماعي باعتباره الأساس كما إنّه يقوم على دراسة الظاهرة

برحابة صدر دون خوف أو تردد في مهابة جليلة فيناقشها مناقشة موضوعية وأكاديمية بطريقة أسلوب المحاجة لأننا نعلم أن الخطابة هي خير وسيلة من وسائل المحاجة المباشرة في إقناع الآخرين في مجال النثر الفني على مستوى الخطابة العربية.

الثالثة: لقد ارتكز في مناقشاته ومعالجاته للقضايا الاجتماعية والأمراض المتجذرة في المجتمع حسب فهمه وإدراكه اثر القضية في المجتمع وانعكاساتها عليه ينطلق في ضوء علم الاجتماع من منظور إسلامي وليس من منظور غربي.

مستفيداً من تجاربه العلمية وحياته الاجتماعية بوصفه صاحب قيادة مهمة مستندا إلى أحكام الآيات القرآنية والسنة النبوية والأحاديث المعتبرة والمنقولة عن الأئمة المعصومين عليهم السلام.

ويمكن أن نلخص أهداف السيد في مشروعه الإصلاح الاجتماعي التغيير:

١ - صيانة شخصية الفرد المسلم صياغة كاملة حتى يكون مجسدا لمفاهيم وقيم وتعاليم الإسلام.

٢ - تحقيق الوحدة العقائدية والفكرية بين أفراد المجتمع في المجال الاجتماعي.

٣ - بناء مؤسسات ونظم اجتماعية على أسس إسلامية وفي مجالات الحياة العامة.

٤ - قيام مجتمع إسلامي نموذجي.

٥ - بناء مجتمع صحيح سليم قائم على أركان الإسلام الصحيحة.

وكان للسيد عليه السلام منهج للتغيير الاجتماعي يتمثل بالتصور الإسلامي يتجلى بالنقاط الآتية:

١ - التأكيد على الروح العبادية لتقوية العلاقة بين الإنسان وخالقه.

٢ - تربية الأفراد وتعليمهم بالنصح والإرشاد والاستفتاء.

٣ - تمييز أفراد المجتمع على مبدأ درجة التقوى.

٤ - إشاعة قيم اجتماعية جديدة والحث عليها.

٥ - نبذ قيم اجتماعية سائدة لا جدوى منها.

٦ - تنظيم الحياة الانفعالية الانعطافية وطلب منهم الصبر والتصبر والتأسي وعدم الإسراع في اتخاذ القرارات والتمهل.

٧ - تنظيم الحياة الاجتماعية بتعزيز العلاقات الاجتماعية وتقويتها.

المراجع والبحوث

- إبداع المرجع، كريم المنفي، ط ٢، قم، إيران، ٢٠٠٥ م.
- البحث الدلالي عند السيد محمد محمد صادق الصدر (ت ١٩٩٩ م = ١٤١٩ هـ)، د. رحيم كريم علي حمزة الشريفي، نشر مؤسسة النخب الإسلامية، مطبعة دار الضياء للطباعة والتصميم، النجف، ط ١، ١٤٢٩ هـ = ٢٠٠٨ م.
- البحث القرآني عند السيد محمد محمد صادق الصدر ﷺ، سالم شبيب بدوي، مؤسسة العهد الصادق الثقافية، قسم الدراسات والبحوث، العراق (د. ت).
- بصمات السيد الشهيد الصدر الثاني في تطوير الشخصية العراقية ومحاربة الشعوذة أو في بناء المجتمع، بقلم رائد نعيم ونعيم حداد: [www. / www. alsader. org/vb/showthread. php?t=٤٥٨٥](http://www.alsader.org/vb/showthread.php?t=٤٥٨٥)
[baghdadtimes. net/Arabic/?sid=٨١١٥٠](http://baghdadtimes.net/Arabic/?sid=٨١١٥٠)
- دراسات في فكر الشهيد الصدر، نعمة الله الوالي، المطبعة، ستارة، ط ١، ١٤٢٥ هـ.
- السمات الثلاثة للسيد الشهيد محمد الصدر، بقلم الشيخ حسن الصفار: [www. alhoreya. com/showthread. php?p=٤٦١٦](http://www.alhoreya.com/showthread.php?p=٤٦١٦)
- السيد الشهيد محمد محمد صادق الصدر... العلاقة بين الفقيه والمجتمع بقلم سالم الصدري: [www. yahosein. com](http://www.yahosein.com) >... <الحوار الإسلامي > منتدى الفقه.
- الظاهرة الصدرية بين المفهوم والتطبيق، بقلم علي حسين فرج >... <[alfdhela. com](http://alfdhela.com) منتدى المرجعية الدينية > منتدى شهيد الجمعة.
- فارس من وراء الغمام، (الراحل العظيم محمد باقر الصدر، حياته العلمية والسياسية، رشقات من رفيف الشراع إلى مرمى القدر)، إعداد السيد احمد الحسيني، نشر مؤسسة الكوثر الثقافي - منتدى الكوثر الثقافي، مؤسسة النهرين، البصرة، ١٤٣١ هـ =
- ٢٠١٠ م.
- الفكر الاجتماعي في الإسلام، شلال حميد سلمان، رسالة دكتوراه، كلية الآداب، جامعة بغداد، ١٤٢٦ هـ = ٢٠٠٥ م.
- فلسفات تربوية معاصرة، د. سعيد إسماعيل علي، سلسلة عالم المعرفة ١٩٨.
- مرجعية الميدان، عادل رؤوف، المركز العراقي للإعلام والدراسات، سورية دمشق ط ٨، ١٤٢٦ هـ = ٢٠٠٥ م.
- المشروع السياسي والاجتماعي للسيد محمد محمد صادق الصدر في العراق من سنة ١٩٩١ - ١٩٩٩ م، هاني جواد كاظم النجار (رسالة ماجستير)، كلية الآداب - جامعة البصرة، ١٤٣١ هـ = ٢٠١٠ م، وأيضاً المشروع السياسي والاجتماعي للسيد الشهيد محمد الصدر ﷺ، هاني جواد كاظم النجار، دار المتقين، لبنان، ط ١، ١٤٣١ هـ = ٢٠١٠ م
- منبر الصدر (خطب الجمعة التي كان يلقيها الإمام الشهيد السيد محمد الصدر في مسجد الكوفة المعظم، تقرير وتحقيق: السيد محسن النوري الموسوي، دار المتقين، بيروت / لبنان، (د. ت).
- منة المنان في الدفاع عن القرآن، الشهيد السيد محمد الصدر، مطبعة: كوثر، نشر: ذوي القربى، قم / إيران، ط ١، ١٤٢٦ هـ.
- منهج الصدر (مجموع الحوارات والمواظع الأخلاقية للشهيد الصدر المقدس)، تقرير: إسماعيل الوائلي، دار الهدى للطباعة والنشر، ط ١، ١٤٢٣ هـ = ٢٠٠٣ م.
- نظرات إسلامية في إعلان حقوق الإنسان، السيد الشهيد محمد الصدر ﷺ، هيئة تراث السيد الشهيد الصدر - النجف الأشرف، دار مكتبة البصائر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلام، بيروت / لبنان، ١٤٣١ هـ = ٢٠١٠ م.

الهوامش:

- ١ - ينظر: منهج الصدر، إسماعيل الوائلي: ١٠.
- ٢ - ينظر: البحث الدلالي عند السيد محمد محمد صادق الصدر، د. رحيم كريم علي حمزة الشريفي: ١٦-١٧، و السمات الثلاثة للسيد الشهيد محمد الصدر، حسن الصفار، مدونة الكترونية.
- ٣ - ينظر: دراسات في فكر الشهيد الصدر، نعمة الله الموالي: ٣٥٧-٣٥٨.
- ٤ - العمل الإسلامي في العراق بين المرجعية الحزبية، عادل رؤوف: ٤٨٢، المشروع السياسي والاجتماعي للسيد الشهيد محمد الصدر (كتاب مطبوع)، هاني جواد كاظم النجّار: ٢١٣-٢١٤، و السيد الشهيد محمد محمد صادق الصدر... العلاقة بين الفقيه والمجتمع، سالم الصديري، مدونة الكترونية.
- ٥ - ينظر: أبداع المرجع، كريم المنفي: ٧٢.
- ٦ - ينظر: بصمات السيد الشهيد الصدر الثاني في تطوير الشخصية ومحاربة الشعوذة، مدونة الكترونية.
- ٧ - ينظر: الظاهرة الصدرية بين المفهوم والتطبيق، علي حسين فرج، مدونة الكترونية.
- ٨ - منبر الصدر، محسن النوري الموسوي، ج ٦، ص ٧٠.
- ٩ - المصدر السابق: ج ٦، ص ٧١.
- ١٠ - المصدر السابق: ج ٦، ص ٧١.
- ١١ - المصدر السابق: ج ٦، ص ٧٢-٧٣.
- ١٢ - ينظر: المصدر السابق: ج ١٣، ١٦٠-١٦٣، والمشروع السياسي والاجتماعي: ٢٨٠-٢٨٢.
- ١٣ - ينظر: منهج الصدر: ١٤٣-١٤٧.
- ١٤ - ينظر: منبر الصدر: ج ١٦، ص ١٨٥-١٩٠، والمشروع السياسي والاجتماعي ٢٨٤-٢٨٧.
- ١٥ - المصدر السابق: ج ١٦، ص ١٩٠.
- ١٦ - المصدر السابق: ج ٣١، ص ٤١٣.
- ١٧ - ينظر: منهج الصدر: ١٧٦-١٧٩.
- ١٨ - منبر الصدر: ج ١٦، ص ١٩١-١٩٦، المشروع السياسي والاجتماعي: ٢٨٢-٢٨٤.
- ١٩ - ينظر: منبر الصدر: ج ١٧، ص ٢٠٦.
- ٢٠ - المصدر السابق: ج ٣١، ص ٤١٣.
- ٢١ - ينظر: المصدر السابق: ج ١٨، ص ٢٠٩-٢١٠.
- ٢٢ - ينظر: المصدر السابق: ج ١٨، ص ٢١٥.
- ٢٣ - ينظر: المصدر السابق: ج ١٩، ص ٢١٩-٢٣٠، ج ٢٠، ص ٢٣١-٢٤٣.
- ٢٤ - ينظر: المصدر السابق: ج ٢١، ص ٢٥٠-٢٥٤.
- ٢٥ - المصدر السابق: ج ٣١، ص ٤١٣.
- ٢٦ - ينظر: مرجعية الميدان، ص ٢٠٣-٢٠٤، و منبر الصدر، ج ٢٢، ص ٢٦٣.
- ٢٧ - ينظر: منهج الصدر: ١٦٦-١٧٠.
- ٢٨ - ينظر: منبر الصدر: ج ٢٢، ص ٢٦٣-٢٧٠، ج ٢٥، ص ٣٠٠-٣٠٨، ٣٠٩-٣١٦، ج ٢٦، ٣١٧-٣٢٤.
- ٢٩ - ينظر: المشروع السياسي والاجتماعي: ٢٧٥-٢٨٠.
- ٣٠ - ينظر: منبر الصدر: ج ٢٦، ص ٣٢٠.
- ٣١ - منبر الصدر، ج ٢٢، ص ٢٦٩.
- ٣٢ - المصدر السابق: منبر الصدر، خ ٢٢، ص ٢٦٨-٢٦٩.
- ٣٣ - المصدر السابق: ج ٢٥، ص ٣١٢.

- ٣٤ - ينظر: المصدر السابق: ج ٣١، ص ٤١٠ - ٤١٦.
- ٣٥ - ينظر: المصدر السابق: ج ٤٢، ٥٧٣ - ٥٧٨، والمشروع السياسي والاجتماعي: ٢٨٧ - ٢٩٠.
- ٣٦ - ينظر: المصدر السابق: ج ٤٤، ص ٦١٠ - ٦١٧.
- ٣٧ - ينظر: المصدر السابق: ج ٤٥، ص ٦٢٠ - ٦٣١، والمشروع السياسي والاجتماعي: ٢٩٠ - ٢٩١.
- ٣٨ - المصدر السابق: ج ٤٥، ص ٦٢٢.
- ٣٩ - المصدر السابق: ج ٤٥، ص ٦٢٥.
- ٤٠ - ينظر: مرجعية الميدان: ١١٢.
- ٤١ - ينظر: مرجعية الميدان: ١٢٢ - ١٢٣.
- ٤٢ - ينظر: بصمات السيد الشهيد الصدر الثاني في تطوير الشخصية العراقية، مدونة الكترونية.
- ٤٣ - ينظر: مرجعية الميدان: ١٣٦.
- ٤٤ - ينظر: المصدر السابق: ١٢٨.
- ٤٥ - ينظر: المصدر السابق: ١٢٩.
- ٤٦ - ينظر: المصدر السابق: ١٣٦.
- ٤٧ - ينظر: المصدر السابق: ١٣٠.
- ٤٨ - ينظر: منهج الصدر: ١٠.
- ٤٩ - ينظر: مرجعية الميدان: ١٣٧.
- ٥٠ - ينظر: مرجعية الميدان: ١٣٢.
- ٥١ - ينظر: مرجعية الميدان: ١٣٨.
- ٥٢ - ينظر: مرجعية الميدان: ١٢٤.
- ٥٣ - ينظر: مرجعية الميدان: ١٣٥.
- ٥٤ - ينظر: دراسات في فكر الشهيد الصدر: ٣٦٢.
- ٥٥ - ينظر: مرجعية الميدان: ١٣٧.
- ٥٦ - ينظر: فلسفات تربوية معاصرة، د. سعيد إسماعيل علي: ١٤٢.
- ٥٧ - ينظر: مرجعية الميدان: ١٣٨، و ١٤٤.
- ٥٨ - ينظر: منهج الصدر: ٦٣.
- ٥٩ - ينظر: فارس من وراء الغمام، السيد احمد الحسيني: ١٠٠ - ١٠١.
- ٦٠ - ينظر: دراسات في فكر الشهيد الصدر: ٣٦٢ - ٣٦٣.
- ٦١ - ينظر: مرجعية الميدان: ١١٢ - ٢٠٦.
- ٦٢ - ينظر: المشروع السياسي والاجتماعي (رسالة): ١٤٣ - ١٥٩، و ١٨٧ - ٢٠٢، والمطبوع، ٢١٣ - ٢٤٨، و ٢٧٢ - ٢٩٢.
- ٦٣ - ينظر الفكر الاجتماعي في الإسلام، شلال حميد سلمان: ١٦٠ - ١٦١.
- ٦٤ - ينظر: المصدر السابق: ١٥٤ - ١٦١.
- ٦٥ - ينظر: مرجعية الميدان: ٢٠٠.
- ٦٦ - منبر الصدر: ج ٦، ص ٧٤.
- ٦٧ - ينظر: مرجعية الميدان: ٢٠٣ - ٢٠٤.
- ٦٨ - ينظر: المصدر السابق، هامش رقم ٢: ١٣٧.
- ٦٩ - ينظر: نظرات إسلامية في إعلان حقوق الإنسان، السيد الصدر الثاني: ٧.
- ٧٠ - ينظر: البحث القرآني: ٣٣.
- ٧١ - ينظر: منة المنان، السيد الصدر الثاني: ١: ١٠ - ١٢، ومنهج الصدر: ٤٦، والبحث القرآني: ٣٩ - ٤٠.

الْمَنْهَجُ الْمَعْرِفِيُّ

لِلسَّيِّدِ الشَّهِيدِ مُحَمَّدٍ مُحَمَّدٍ صَادِقِ الصِّدْرِ عَلَيْهِ السَّلَامُ

فِي ضَوْءِ الْمَنَاجِمِ الْمَعْرِفِيَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ

❖ أ. حسين محمد (*)

.....
(*) باحث وأكاديمي، العراق.

تمهيد

قبل الدخول في بيان مفردات البحث الذي يهتم ببيان المنهج المعرفي للسيد محمد محمد صادق الصدر - قد - في ضوء المناهج المعرفية الإسلامية، نظرا لما لهذا النوع من البحوث من أهمية بالغة خاصة خلال هذه الفترة من حياة الفكر الإسلامي المعاصر، ذلك إن هذا الفكر بقي ولفترات طويلة منذ عصر النهضة الإسلامية المعاصرة وإلى اليوم متأثرا بالفلسفات الغربية التي تحاول بعض الأوساط التي تحسب نفسها حارسا عليه أن تجعل منه تابعا لتلك الرؤى والنظريات التي تنتقل بين النسبية والبراغماتية والفردانية لتشكّل حلقة غريبة وشاذة في سلسلة تطور الفكر الإسلامي بشكل عام.

ومن هنا يمكن أن نتقدم خطوة أخرى نحو فهم المناهج المعرفية التي إبتنيت عليها المنظومات التشريعية والأخلاقية والاقتصادية الإسلامية، ومقارنتها ولو بصورة

مجتزئة مع الواقع الذي تعيشه أوروبا بفعل فلسفاتها الحياتية، ليتضح بعد ذلك:

أولاً: المنهج المتبع في جعل تلك المنظومات المعرفية الإسلامية فاعلة في الوسط الاجتماعي.

ثانياً: والتي يمكن من خلالها تسمية المناهج المعاصرة على ضوء هذه الثوابت الإسلامية.

ثالثاً: وكذلك فرز مايمكن أن نسميه بـ (المناهج المعرفية الدخيلة) التي تحاول أن تنتمي بصورة أو بأخرى إلى المنظومة الفكرية الإسلامية بدعوى الحداثة والمعاصرة.

ولأن السيد الشهيد محمد محمد صادق الصدر - قد - كان من المفكرين القلائل في النصف الثاني من القرن الثالث عشر، والنصف الأول من القرن الرابع عشر الهجري الذين تميزت نتاجهم الفلسفي والفقهية والأخلاقية

والفكري بصورة عامة بأنها تنتمي إلى منهج معرفي بعينه، يتمثل فيها الفكر الإسلامي المعاصر بصيغ حضارية متطورة عما سبقها بصورة تجعل من هذا الفكر قابلاً للتمييز في خضم الأفكار والنظريات الحداثية التي تسعى للنيل من الفكر الإسلامي ووسمه بالتخلف والجمود، فما كان من هذه الثلة من علماء الأمة إلا أن تُظهر مكنونات المناهج المعرفية الإسلامية بتراتبية ومنهجية عجزت معها الفلسفة الغربية الحديثة من الصمود أمام مبتنياتها.

ولأجل الدخول في مبدأ البحث لابد من مقدمات تتضح معها الفكرة الأساسية للبحث وكذلك تعتبر كمقدمات ضرورية للوقوف على غاية البحث ومداركه، وكذلك هي تعبير عن جانب مهم من تاريخ المعرفة الإسلامية وتطورها، فلا يعود لبعض المتشككين بمسميات الفلسفة الغربية أي اعتبار بعد انكشاف أسس النظريات والفلسفات الإسلامية، فنبدأ بـ

المقدمة الاولى: أهمية الدليل العقلي.

اتفق علماء المسلمين - إلا من شذ منهم - على حجية الدليل العقلي في إثبات الحقائق الوجودية، سواء ماتعلق منها بعالم المادة والطبيعة، أو ماتعلق وارتبط بعالم ماوراء الطبيعة والمادة، لأن (الاحكام ليست كلها معلومة لكل

احد بالعلم الضروري بل يحتاج اكثرها لإثباتها الى اعمال النظر واقامة الدليل)^(١) ، وقد كسب علماء المسلمين قدم سبق في مضمار استخدام الأدلة العقلية في إثبات تلك الحقائق الوجودية والأصول الدينية قبل أن يلتفت إليها فلاسفة الحضارة المادية بقرون عديدة بالرغم من اختلافهم الواضح مع علماء وفلاسفة المسلمين في المنهج المعرفي المتبع لديهم والذي أدى في نهاية المطاف إلى تباين النتائج التي توصل إليها فلاسفة المدرستين إزاء نفس المواضيع الوجودية التي تناولوها في بحوثهم الفلسفية خاصة فيما يتعلق بالجوانب غير المادية في هذا الوجود لان (جملة من الأوامر التي تؤمن بوجودها أكيداً، إنما تحدث في غير هذا العالم)^(٢) .

وفي هذا السياق تعددت المدارس الفلسفية في كلا الاتجاهين (المادي التجريبي أو المادي التاريخي) من جهة، و (فلاسفة الإلهيين) من جهة اخرى، مما أدى إلى اختلاف العلماء كل هذا الاختلاف الذي يرجع بالأساس إلى اختلافهم في نوعية المنهج المعرفي المتبع لإكتشاف تلك الحقائق أو اثباتها، وهو ما عبر عنه بعض الفلاسفة المعاصرين بـ (اختلافهم في الطريق الذي سلكوه في حجية الدليل العقلي) لإثبات الحقائق الوجودية، ومن هنا كان الاتفاق على أهمية وحجية الدليل العقلي في مقام

من خلال مايعتقده انه كمال، أن يرسم لنفسه الأهداف والغايات التي يريد الوصول إليها، يقول السيد الخميني رحمته الله: (وبالجملة الإنسان بفطرته عاشق للكمال المطلق ويتبع هذه الفطرة فطرة أخرى هي فطرة الانزجار عن النقص أي نقص كان) ^(٤).

ولكن ماهو الطريق للوصول الى هذه الغاية أي (الكمال المطلق والابتعاد عن النقص) هل هو في معرفة الوجود ام في معرفة الانسان ام في معرفة السبيل؟ ولكل من هذه المعارف والطرق المتبعة فيها نتائج تتمثل في الاجابة عن تساؤلات مؤداها معرفة الواجب سبحانه وتعالى او تساؤلات تقودنا الى معرفة المعاد او تساؤلات توضح اجاباتها العلاقة او الوسيلة بين الواجب تعالى وبين الانسان من مبداءه الى معاده، والسبيل المضمون لمعرفة المنهج الصحيح للحياة (سواء على مستوى الفرد او المجتمع) والذي يمثله الوحي ^(٥)، ومن هنا كان للدليل العقلي اصالة كبيرة في استنباط او اكتشاف الاحكام الواقعية (الاولية) او حتى لاحكام الظاهرية (الثانوية) لمختلف القضايا والاوامر الحياتية ومنها الاحكام الشرعية باعتبارها حقيقة من حقائق عالم الامكان (لأجل الإبقى - الفقيه - في مقام العمل متحيرا لابد له من وجود حكم آخر ولو كان عقليا) ^(٦).

إثبات الحقائق الوجودية ومنها أكيدا الحقائق والأصول الدينية، وان اختلفوا في طرق الكشف عن تلك الحقائق، هذا فضلا عن تفاوت قدرات الفلاسفة وانعكاس ذلك على إمكانياتهم في مقامي الكشف والإثبات.

ومن خلال هذا البيان يتضح دور المنهج المعرفي أو (نظرية المعرفة) في مقام الكشف عن حقيقة الرؤية الكونية للحقائق الوجودية، والتي تحاول جميع المدارس الفلسفية إعطاء إجابات علمية متقنة عنها، تتمايز عن غيرها أولا، وتؤدي إلى بناء عقائدي وأيدلوجي جديد ثانيا، ومن المتفق عليه بين جميع هؤلاء في أهمية ودور الدليل العقلي في مقام الكشف عن الحقائق الوجودية، حتى أصبح مدار التمايز بين هذا المنهج المعرفي وغيره في قابليته على استخدام المدركات العقلية في تشخيص الحقائق ^(٣) والأصول.

المقدمة الثانية: أهمية الفلسفة.

أجهد الإنسان نفسه في بحثه عن المبدأ والمنتهى والطريق، للوصول إلى الغاية التي لخصها بعض الفلاسفة المسلمين بإرادة الإنسان الحصول على الكمال المطلق بل وجعله ذلك من مميزات الفطرة الإنسانية التي يختلف فيها عن غيره من الحيوانات في عالم الإمكان، فحاول

وقد تبين مدى اهمية السبيل او الوحي في معرفة الواجب تعالى، والممكن كذلك فمعرفة تعالى تجيب عن سؤال التيه الرئيسي "من أين" ومعرفة معاد الانسان وأخرته تؤدي الى الاجابة عن "الى أين" ومعرفة الوحي السبيل "تجيب عن سؤال "في أين" وهي التي سميت عند علماء المسلمين بـ "اصول الدين"، يقول السيد كمال الحيدري (فليس اعتباطا ولا عبثا ان يطلق علماء الاسلام اسم "اصول الدين" على هذه المسائل الثلاث)^(٧)، وقد كانت هذه الاصول مثار اختلاف الآراء بين الماديين والالهييين من الفلاسفة بل بين الفلاسفة الالهييين انفسهم، اذن الايدلوجيات (الافكار والقواعد القانونية والاخلاقية) وحتى العرفية مادامت تتعلق بسلوك الانسان أي بالبعد العملي من وجوده فهي حتما متعلقة بالرؤى أي بالجانب او بالبعد النظري من وجود الانسان ومالم يثبت الحكم النظري فانه لا مجال لتطبيق الحكم العملي.

ومن هنا اتضحت العلاقة الوطيدة التي تربط الايدلوجيا (الافكار والقواعد القانونية والاخلاقية) من جهة مع الرؤية الكونية للوجود والانسان والوسيلة من جهة اخرى، فاذا كانت الرؤية الكونية قائمة على اساس الايمان بالواجب والمعاد والوحي فان السلوك العملي (الايدلوجيا) سوف تختلف مع من لم تقم رؤيته الكونية عن الوجود

والمعاد والوحي على الايمان، أي ان الحكمة النظرية لدى هؤلاء تعاني من التيه حسب تعبير الفلاسفة الالهييين تلك المشكلة التي عبر عنها السيد محمد باقر الصدر - قد - بانها (تعيق حركة الانسان في تطوره عن الاستمرار الخلاق المبدع الصالح، فالتحرك الضائع بدون مطلق تحرك عشوائي كريشة في مهب الريح تنفعل بالعوامل من حولها ولا تؤثر فيها)^(٨)، وللرؤية الكونية الوان متعددة، تعددت تبعاً لها المناهج المعرفية المتبعة في الوصول الى الحقائق الوجودية.

المقدمة الثالثة: الوان الرؤية الكونية او مدارس مناهج المعرفة.

قبل تعداد المدارس الفلسفية والفكرية وبيان نظريتها الكونية (للوجود والانسان والوسيلة) لابد من معرفة ضابطة مهمة في هذا المجال وهي تباين المنهج والطريق الكاشف عن حقائق الاشياء والموجودات عن الاسلوب المتبع لاثبات تلك الحقائق للآخرين، وبالنسبة للمناهج المعرفية فانها تتفق غالبا في طرق اثبات الحقائق الوجودية للآخرين، وتتباين في طرق الكشف عن تلك الحقائق، كما في الادلة العقلية وهي اسلوب لاثبات الحقائق الكونية بما في ذلك الاحكام الشرعية، فان المتكلم يقول بحجتيته في مقام الاثبات اذا طابق الشريعة، والمشائي يقول به كذلك

وارسطو حيث امتاز منهج هؤلاء الفلسفي بالخصائص التالية:

١ - اتباع المنهج والاسلوب العقلي في استنباط المسائل الفلسفية من المبادئ العقلية عبر الطرق المنطقية حتى فيما يتعلق بالاخلاق والسياسة.

٢ - الروح العامة التي تحكم هذه الفلسفة هي الاهتمام بالالهيات وبحوث الميتافيزيقيا عموما، ولعل هذا الاهتمام هو الذي اوجد لدى الفلاسفة الالهيين كل هذا الاحترام والتقدير لأفكار سقراط وافلاطون وارسطو يقول السيد محمد الصدر - قد - (ان في اليونان قبل الفين سنة او نحو ذلك فلسفة معتد بها موجودة، افلاطون وارسطو وسقراط عشرات الفلاسفة، (ويتسائل - قد -) هل كلهم على حق؟ (ويجيب) انا اقول لك ان خمسة وتسعين بالمائة منهم على باطل، ربما سقراط وارسطو وافلاطون على حق انا لا اريد ان اطعن بهم، لكن يوجد الكثيرين منهم سفسطائين ويوجد ماديين^(١٠) .

٣ - ربط الابحاث الفلسفية بالقضايا الحياتية وجعلت ذلك من صميم افكارها وهو ما فعله سقراط ومن بعده افلاطون، إلا ان ملامح هذه المدرسة لم تؤسس اركانها فلسفية عميقة إلا على يد ارسطو الذي استطاع وضع الاسس المنطقية في قالب علمي دقيق، وعندما ترجمت

فهو يكتفي بالنظر والبيان والدليل والبرهان، والاشراقي كذلك يقول به لجمعهم بين المجاهدة والتصفية وحركة العقل بين المطلب والمبادئ.

يقول الحكيم السبزواري في كتابه شرح الاسماء الحسنی (ان المتصدين لمعرفة حقائق الاشياء اما ان يبحثوا بحيث يطابق الظاهر من الشريعة في الاغلب فيقال لهم المتكلمون، واما ان لايراعوا المطابقة او المخالفة، فاما ان يقتصروا على المجاهدة والتصفية فيقال لهم الصوفية، واما ان يكتفوا بمجرد النظر والبيان والدليل والبرهان فيقال لهم مشائون... واما ان يجمعوا بين الامرین فيقال لهم الاشراقيون^(٩) ومن هنا يتضح ان المدارس الفكرية للمعرفة هي.

١ - المدرسة المشائية.

٢ - المدرسة الكلامية.

٣ - المدرسة العرفانية.

٤ - المدرسة التوفيقية. وهي تنقسم الى آ - المدرسة الاشراقية. ب - مدرسة الحكمة المتعالية.

اولاً. المدرسة المشائية.

تمتد جذور هذه المدرسة الى سقراط وافلاطون

كالاتناع العقلي) يقول - قد :- ولكنه لا يخفى رجوع الشرعية (يعني المقدمات) الى العقلية، ضرورة انه لا يكاد يكون مستحيلا ذلك شرعا إلا اذا اخذ فيه شرطا وقيدا، واستحالة المشروط والمقيد بدون شرطه وقيده يكون عقليا^(١١).

إلا ان التوفيق لم يحالف هذه المدرسة في بناء صرح فلسفي قادر على اثبات المعطيات الدينية الرئيسية من خلال القواعد العقلية والموازن المنطقية خاصة فيما يتعلق بالمعاد والنشآت الوجودية التي سبقت عالمنا المشهود، اما لماذا لم تستطع ذلك فالسبب يكمن كما يرى السيد الحيدري (بالمقولات الفلسفية والعقلية التي اسسوها وافترضوا ان معطياتها نصوص سماوية معصومة عن الخطأ..... على عكس معطيات الشريعة فانها قابلة لكل تفسير وتاويل وتطبيق) فكان هذا منشأ ابتعادهم عن ظواهر الشريعة بنحو او بآخر، ومن ابرز اتباعهم الفارابي وابن سينا والطوسي شارح الاشارات والمحقق الداماد استاذ ملا صدرا وفي المغرب ابن رشد وابن باجة وابن الصائغ.

ثانيا: المدرسة الكلامية.

والسبب في تسمية اصحاب هذا المنهج بالكلاميين

اصول هذه الفلسفة الى اللغة العربية، حاول يعقوب بن اسحاق الكندي فهم وهضم هذه الفلسفة إلا ان دوره لم يتجاوز الشرح والتفسير بالنحو الذي يجعلها مطابقة مع الافكار الاساسية للدين الاسلامي، إلا ان نضج هذه المدرسة الفلسفية كان على يد ابو نصر الفارابي، والشيخ الرئيس ابن سينا، حيث اتضحت حاكمية المنهج العقلي عند ابن سينا خصوصا، بل واتخاذة موقفا سلبيا تجاه اصول المكاشفة والشهود، لانها وحسب رايه لا يجوز بناء المسائل العلمية عليها - أي اثبات حقائق الوجود وان كان قد آمن بان تلك الاصول يمكن من خلالها الكشف عن الحقائق الوجودية.

ووفقا لهذه المعطيات يمكن لاول وهلة الحكم بان الفلسفة المشائية لاتعنى كثيرا بمطابقة مقولاتها الفلسفية التي انتهت اليها من خلال اصولها العقلية وقواعدها المنطقية لظواهر الشريعة، إلا انه لا يمكن الاذعان لهذه الدعوى بعد ان نسمع كلام الفارابي الذي يرى (ان الشريعة الحققة صادرة عن مبدا العقل، اذ يستحيل مناقضتها لقضايا العقل الضرورية او القربية من الضرورة، كما يستحيل مخالفة العقل لقضايا الشريعة الحققة بصفته صادرة عن مبدا العقل وقيومه)، وهو قريب من كلام السيد محمد الصدر - قد - في شرحه لعبارة الآخوند (الاتناع الشرعي

هي:

١ - ان متصدي هذا اللون المعرفي الفوا التعبير في مسائلهم بالقول (الكلام في كذا).

٢ - ان الحديث في هذه المعارف (حقائق الوجود) او (الاصول الدينية) مسكوت عنه، وهو لا تكلموا في المسكوت عنه.

٣ - ان علم الكلام بدا مع قضية (كلام الله هو مخلوق ام لا) وهو الوجه المشهور.

وعلم الكلام: هو العلم الذي يبحث في اصول الدين الاسلامي، ومن خلال هذا التعريف يتضح الرابط او المشترك العلمي بين علم الكلام من جهة والاتجاهات الفلسفية من جهة اخرى، فكلا المنهجين المعرفيين يبحثان في اصول الدين، إلا ان ثمة افتراق بينهما يتمثل في الوسائل التي اتبعها كلا المنهجين في اثبات تلك الاصول، ووفقا لهذا التعريف كذلك فان علم الكلام يختص ببيان المسائل والامور التي يجب على الفرد المسلم ان يؤمن بها والتي ترتبط بالرؤية الكونية، ومن خلال هذه العلاقة يرد بحث المنهج المعرفي للكلاميين في سياق بحث الاتجاهات الفلسفية الاسلامية.

ويمكن تلخيص وظائف علم الكلام بالنقاط التالية:

١ - تبين اصول الدين وتمييزها عن غيرها.

٢ - اثباتها بالادلة العقلية.

٣ - الدفاع عن تلك الاصول ومواجهة ما يحوم حولها.

هذه الوظائف تكشف عن طبيعة المنهج الذي يتبعه المتكلم لكشف الحقائق الوجودية، وهو منهج نقلي كما هو الظاهر من طريقتهم في استخدام الكتاب والسنة في هذا المجال، اما في مجال اثبات تلك الحقائق والاصول فانهم يطبقون المقولات والقواعد العقلية على الافكار الدينية وبعبارة اخرى يثبتون الدين والشرعية من خلال تطبيقات الادلة العقلية، ويرد السؤال الاتي: هل استطاع علماء المدرسة الكلامية ان يؤسسوا لمنظومة عقلية كاملة ومنسجمة ومتقنة تكون قادرة على توفير الغطاء الفعلي لكل الظواهر الدينية المتعلقة باصول الدين؟

وللاجابة عن هذا السؤال قالوا: ان المدرسة الكلامية لم توفق في ذلك لانهم تعاملوا مع الظواهر العقلية (النصوص) بنحو يرفض أي تفسير او شرح او نقد لها، على الرغم من انها في كثير من الاحيان لا تنقذ إلا الظن، والظن ليس بحجة في مقام الكشف عن الحقائق والاصول الدينية، وكنتيجة لذلك لجأ هذا الاتجاه لاثبات مدعياته بجملة من القواعد الجدلية وهو ما أخذ على هذه المدرسة من انها تثبت مدعياتها بالجدل لا بالبرهان وهو

مآثر حقيقي بينها وبين المدارس الاخرى، اذ كانت الغاية افحام الخصم لا الوصول الى الحقيقة.

ولو اجرينا مقارنة بين الاتجاه المشائي والكلامي لوجدنا انهما يختلفان في المنطق والوسيلة والهدف، اما مايتعلق بالمنطق فالمشائي يؤمن ان لاطريق للوصول الى الحقائق إلا بالمنهج والاسلوب العقلي، اما الكلامي فيرى ان لاطريق للوصول الى الاصول إلا من خلال الكتاب والسنة، وفيما يتعلق بالوسيلة فالمشائي يستخدم المقدمات البرهانية للكشف عن الحقائق والكلامي يستخدم المقدمات الجدلية لنفس الغرض، اما مايتعلق بالهدف، فالمشائي يرى ان الاصل هي المقولات الفلسفية ويبحث في ظواهر الشريعة لتطبيقها على تلك المقولات، فيما يرى الكلامي ان الاصل ظواهر الشريعة ويجب على العقل ان يطبق نفسه على تلك المدعيات.

وكما انه لايمكن الادعان في مطابقة القواعد العقلية والفلسفية للواقع لان تلك القواعد جهد بشري غير معصوم كذلك لايمكن الادعان الى اعتماد الكلاميين على جهدهم او فهمهم البشري غير المعصوم، لظاهر النص القرآني والسنتي، وهذا ما أدى بالمفكر لسيد محمد باقر الصدر - قد - الى التمييز بين الظهور الذاتي والظهور النوعي للنص الديني يقول: الظهور الذاتي هو الظهور

الشخصي الذي ينسب الى ذهن كل شخص، والظهور الموضوعي هو الظهور النوعي الذي يشتركي فهمه ابناء العرف... وهما قد يختلفان.... والظهوران قد يتطابقان^(١٢).

ثالثا: المدرسة العرفانية

ينقسم العرفان الى قسمين بحسب تقييم الدارسين لهذا الفكر هما:

١ - العرفان العملي: وهذا القسم من العرفان يتعهد بتفسير وبيان مقامات العارفين ودرجات السالكين الى القرب الالهي بقدّم المجاهدة والتصفية والتزكية، والغاية هي الوصول الى مقام من لايرى في الوجود غيره تعالى وهذا القسم هو المعني بقوله ﷺ (المعرفة بالله سبحانه بالمقدار الذي تطيقه النفس البشرية)^(١٣)

٢ - العرفان النظري: هو الطريق المؤدي الى رسم رؤية كونية عن " الله " و " الانسان " و " العالم " ويستند العارف في تاسيسه لهذه الرؤية الى المكاشفة والشهود لتناول الطريق الموصل لمعرفة الحقائق الوجودية، والذي لا يتم إلا من خلال تصفية القلب وتزكيته بواسطة الرياضات المعنوية التي اقرها الشارع المقدس ومن مزايا هذه المدارس.

١ - عدم الايمان بقدرة المنهج العقلي على اكتشاف

مايدل على اختلافهم في مقام الاثبات يقول الطباطبائي (الذين يحاولون بيان المعاني الشهودية من خلال القوالب اللفظية والعبارات اللغوية فهم كالذين يريدون بيان الالوان المختلفة للذي ولد من بطن امه اعمى، فيحاول ان يدرك المعاني المرتبطة بالباصرة من خلال القوة السامعة)^(١٥).

رابعاً: المدرسة التوافقية

يمكن تمييز اتجاهين في هذه المدرسة، حسب رؤيتيهما لدور الادلة العقلية في مقام الكشف عن الحقائق والاصول وهما:

أ- المدرسة الاشراقية:

وسميت بذلك لان العلم كما يرون نور يشرق في قلب العارف، واصول هذه المدرسة تباعد كثيراً عن اصول المدارس الفلسفية الاخرى، فهي تعتمد على الشهود والمكاشفة بدلا عن النظر والاستدلال ففي الكشف عن حقائق الوجود ومنها الاصول الدينية، والتي كان لها الدور الاساسي في الجذور الفلسفية التي قامت عليها مدرسة الحكمة المتعالية لصدر المتألهين الشيرازي.

العناصر الاساسية للفلسفة الاشراقية: يمكن تمييز هذه المدرسة عن بقية المدارس الفلسفية من خلال الاسس

حقائق الوجود او مقدرة فهم الانسان للنص من كشف تلك الاصول الدينية كما هو مذهب المتكلمين، او تكوين رؤية كونية عنها يقول ابن عربي (للعقول حد تقف عنده من حيث قوتها في التصرف الفكري، فاذن ينبغي للعقل ان يتعرض لنفحات الجود ولا يبقى ماسورا في قيد نظره وكسبه).

٢ - انتقادهم للعلم الحاصل بالفهم والعقل والادراك للمفاهيم والصور، وصيرورة الانسان عالما عقليا عن طريق الكسب والفكر وقولهم بان ذلك يؤدي فقط الى تحصيل صور الحقائق الوجودية، وذلك عندهم غير كافي في الكشف عنها، وعلى ذلك فالعارف من يسعى الى مشاهدة جمال الحق وشهود الحقائق ومن الواضح ان الفرق كبير بين ادراك او ارتسام الحقائق والصور وبين شهودها.

بل انهم ذموا جملة من العلوم العقلية حتى وصل الحال بعبد الرزاق الكاشاني الى القول (الحمد لله الذي نجانا من مباحث العلوم الرسمية باليمن والافضال واغنانا بروح المعاينة عن مكابدة العقل والاستدلال)^(١٤)، وهذا في مقام الكشف عن الحقائق والاصول، اما في مقام اثباتها للآخرين، فانهم أي العرفاء يستعينون بالادلة العقلية في ذلك، فلا يبقى فرق بين الفيلسوف والعارف في هذا المقام، إلا ان هذا الاسلوب غير تام عند بعضهم وهو

والقواعد التي تعتمدها في الكشف عن الحقائق وطريقتها لتأسيس رؤية كونية عن " الله " و " الانسان " و " العالم " ، ولا تفارق هذه المدرسة باقي المناهج في تبني الاستدلال العقلي لاثبات تلك الموجودات للآخرين، ومن خلال هذه القراءة يتضح ان السهروردي مؤسس هذه الفلسفة، وخاصة في كتابه (حكمة الاشراق) واثناء تأسيسه لمنهج الاشراق المعرفي قد زواج بين الكشف (البارقة النورانية) التي ترتقي بصاحبها الى (السكينة الالهية الثابتة) وبين النظر والاستدلال العقلي، فاستعان بهما معا للوصول الى الكمال المطلوب.

فالحكمة الاشراقية اذن لم تخالف مذهب المشائين في استعمالها للمنهج العقلي الاستدلالي، فالعقل حجة قاطعة في مجال الكشف عن الحقائق والاصول، وانما المرفوض عندهم المغالطات التي جاءت في كلمات المشائين ويؤيد ذلك كتاب السهروردي الثاني الي يرد فيه على مغالطات المشائين والمسمى (كشف المغالطات) ويتضح من خلال ذلك ان هناك ثمة اختلاف بين مدرسة الاراق ومدرسة العرفان، فبالرغم من اشتراك المدرستين في ضرورات تصفية القلب وصقله وتهذيب النفس والمجاهدة العملية، إلا ان ثمة تمايز بينهما يتلخص في.

١ - ان المنهج العرفاني يرفض الاستدلال العقلي في

مقام الكشف عن حقائق الوجود، بينما نجد المنهج الاشراقي يقبل الاستدلال العقلي المبني على مقدمات برهانية يقينية مع الاستعانة بالكشف والمشاهدة.

٢ - هدف العارف مشاهدة الحقائق بينما هدف الاشراقي ادراك الحقيقة وفهمها وهو ما عبر عنه الملا صدرا (الفرق بين علوم النظر وعلوم ذوي الابصار) كما وحثت المدرسة الاشراقية على التمسك بالكتاب والسنة وعدم تخطيها وتجاوزهما يقول السهروردي (اوصيكم اخواني بحفظ اوامر الله ونواهيه والتوجه الى الله مولانا نور الانوار بالكلية وترك ما لا يعينكم من قول او فعل وقطع كل خاطر شيطاني)^(١٦) ، كما دعى الى التمسك بالدعاء والتأمل في القرآن^(١٧) .

يتضح مما تقدم ان العناصر الاساسية للمنهج الاشراقي هي المشاهدة والمكاشفة والعقل والاستدلال وظواهر الكتاب والسنة، فاذا كان هذا المنهج يعتمد على النظر والاستدلال (البرهان) في مقام الكشف، هو مدار اختلاف المناهج المعرفية، فليس بمستغرب منه ان يعتمد على (البرهان) في مقام اثبات تلك الحقائق والضرورات والاصول والاحكام الشرعية، ولم يبق إلا ان نسأل هل وفقت هذه المدرسة في التطبيق بين معطيات الشريعة وبين ما أئته تاليه من قواعد عقلية او مشاهدات ذوقية او ظواهر دينية ام لا؟ والجواب هو: فيما يتعلق بالكشف عن

اعتبرت منهجا معرفيا جديدا ابتدعه صدر المتألهين ابتداء.

ولابد لنا ان نبين معنى التوفيق كي نفهم الانجاز الذي اسس له الملا صدرا في الميدان الفلسفي الاسلامي، على الرغم من اتهام بعض دارسي الحكمة المتعالية الملا صدرا بالتلفيق في مقولات المدارس الكلامية والعرفانية والمشائية لالتوفيق بين مقولاتها، إلا ان المنصف من دارسي هذه الفلسفة يلاحظ انها مدرسة مركبة وموحدة ومبتكرة، لملفقة من شتات، حيث وحد صدر المتألهين فيها بين الفلسفة والآراء الدينية من جهة وبين الفلسفة والعرفان من جهة أخرى ودمج عناصر الفلسفات المشائية والعرفانية والكلامية والاشراقية ووحدها في فلسفة متعالية، اعتبرت الحضارة الجديدة في التفكير الفلسفي.

ان الطريقة الجديدة التي ابتكرها الملا صدرا لكشف حقائق الوجود لم يكن من خلال الاستدلال العقلي المحض كما في الحكمة المشائية ولا من خلال المشاهدة والمكاشفة كما في الحكمة العرفانية ولا من خلال الانطلاق من ظواهر النصوص الشرعية كما في طريقة المتكلمين، بل جمع بين البرهان والعرفان والقرآن فكشف عن الحقائق والاحكام الواقعية عن طريق

الحقائق والاصول والاحكام فقد استطاعت ان تنطلق من هذه المنابع في اكتشاف رؤيتها للكون والحياة، وفي مقام الاثبات، فانه يرى بعض متأخري الامامية من الفلاسفة ان الاشراقي لم يستطع اجمالا ان يحقق النججاح الذي حققه في المقام الاول^(١٨).

ب. مدرسة الحكمة المتعالية:

مدرسة صدر المتألهين الفلسفية، التي توصي بجمع الاصول والقواعد ضمن منظومة فلسفية واحدة توفق بين مكاشفات العارف والقواعد والاصول التي يقولها الفيلسوف من جهة وبين ظواهر الشريعة التي يتكلى عليها المتكلم والمحدث من جهة أخرى، وقد ارجع بعض الفلاسفة اساس هذه المدرسة الى الفارابي الذي حاول ان يوفق بين الاستدلال والكشف والشريعة^(١٩)، واستمر تآثر الفلاسفة بهذه المنظومة التوفيقية، وصولا الى الشيخ الرئيس ودلالات التوفيق في مقامات العارفين من (الاشارات) ونضجت بصورة اكبر على يد السهروردي، ثم المحقق الطوسي شارح الاشارات، إلا ان هذه المحاولات لم تستطع ان تقعد لمنظومة فلسفية متكاملة، فاكثفت بمجرد الدلالة على مواضيعها، والاشارة الى منهجها من دون تاصيل وتبويب منهجي دقيق، حتى جاء الملا صدرا الذي استطاع بناء تلك المنظومة الفلسفية التوفيقية، بحيث

المقدمات البرهانية والمشاهدات العرفانية والمواد الدينية القطعية.

كان ذلك سردا مجملا لمجموعة المناهج المعرفية التي اسست للفكر الاسلامي المعاصر، والتي كانت نتاجا للرؤى والمفاهيم والمناهج والفلسفات والافكار وحتى الاحكام والتشريعات الاصيلية والفرعية والاجتهادات، والتي اثرت بمجموعها على صياغة هذه المناهج حتى وضعت بهذا قالب المعرفي وفي ذلك بالتأكيد تطورا هاما وموضوعيا في بنية النظرة العقلية لواقع الفكر الاسلامي، من جهة ان مجالات المعرفة الحديثة لا يمكن لها ان تكتمل من غير منهج تستند عليه في تاسيسها حيث ان المعرفة اليوم: معرفة المنهج والتأسيس الواعي للمنظومات الحاكمة في المجتمع.

الحديث عن المنهج المعرفي للسيد الشهيد الصدر - قد - يتميز عن سواه من المناهج العلمية المعاصرة باعتبار خصوصية المبادئ والاسس الحاكمة في منظومة القيم التي انطلق منها لاعادة الحياة في مؤسسة دينية واجتماعية وسياسية وثقافية وتراثية بثقل الحوزة العلمية الشريفة، تلك المؤسسة التي نالت سهمها وافرا من الخمول اللامبرر، والذي افقدها دورها الريادي في صدارة الافكار والعقول طيلة ثلاث عقود متتالية.

لهذه الشخصية إبداعات وابتكارات ووجهات نظر ورؤى في علم الفقه واصول الفقه والفلسفة وتفسير القرآن الكريم وحتى العرفان، والآن لا يسمح الوقت في الدخول بكل هذه التفاصيل ولكن أتحدث باختصار، فاقول: للسيد محمد الصدر - قد - إبداعات وابتكارات حتى في الفلسفة، بحيث يعز المثل لتلك الابتكارات والإبداعات على ما اعرف وعلى ما وصلت إلينا من معلومات، على الرغم من امكانية الرد نظريا بالقول: ان أي ابتكار لم يحدث في مجال الفلسفة الاسلامية منذ مايقرب على اربعمائة عام، أي منذ ظهور فلسفة الحكمة المتعالية على يد الملا صدرا، وأنا لا أبالغ في القول ان ادعيت ان السيد الشهيد - قد - انتقل بهذه الفلسفة من حالة التنظير المعرفي والسجال الفلسفي، الى مظهر آخر وتجلي اوضح للحقائق الوجودية، فانكشفت له رموز لم تكن منكشفة بهذا القدر لغيره، ولعل ذلك ما أشار اليه - قد - بالقول (ان الفرد المفكر اذا استطاع ان يمشي خطوة موفقة امام اساتذته وجهابذة عصره ويناقش استدلالاتهم برصانة وعمق، كفى ذلك في السيطرة على زمام العلم: لوضوح ان ما لدى المتقدم موجود لدى المتأخر مع زيادة)^(٢٠).

وانا اتحدث هنا عن تلك الزيادة التي اشار اليها - قد - وحتى في مجال إبداعات السيد الصدر في الفلسفة فأنا لا

الحقيقة، مثل هذه الامثلة فقد ثبتت الحكمة الالهية والتدبير الالهي^(٢١).

الدور الثاني: دور التلمذة والتعلم التخصصي -

اشتغل في هذه الفترة بتحصيل العلوم العقلية والنقلية من طبقة اعلى من الفلاسفة والفقهاء ووقف على تفاصيل المذاهب الفلسفية والعرفانية والكلامية ومسالك اصحابها واثباتاتهم ومن ابرز اساتذته في هذه الفترة والذي اعتمد كثيرا في عرضه ومناقشته للاراء الاصولية على مطالبهما والذي عبر عنهما بـ (الاهم في طريق التربية العلمية وهما المحققان الجليلان الخوئي والصدر)^(٢٢)، بالاضافة الى تلمذه على يد السيد الخميني لفترة ليست بالقصيرة، تلك الفترة التي يصف فيها نوعية المعارف التي تلقاها منه بـ (دروس في الوعي الاسلامي).

ولعل تلك المعارف ونوعيتها اثرت في المنظومة السياسية له - قد - فيما بعد خاصة وان استاذة الخميني قد اسس بعد ذلك جمهورية ايران الاسلامية بعد ثورة الشعب الايراني المعروفة عام ١٩٧٩ م، ومن المؤكد اليوم اننا ندرك سبب اتخاذه من الخميني استاذا (رئيسيا) كما يعبر هو - قد - حيث صنف اساتذته الرئيسيين وحصرهم بـ (الخوئي والصدر والخميني) والملفت للنظر ان هؤلاء الافذاذ

أستطيع أن ادخل إلى الفلسفة ككل ولكن أود أن اختار جزءاً بسيطاً فقط، على أن ندخل أكثر في مناسبة أخرى - ولعلي تطرقت الى بعض تلك التفاصيل في كتابي "مدخل الى فلسفة السيد الشهيد الصدر" وقبل أن أشير إلى إنجازاته - قد - في ساحة الفلسفة، احتاج إلى بيان الادوار الاساسية التي اثرت وأثرت المنهج المعرفي له - قد - وهي:

الدور الاول: دور التلمذة والتعلم الاولي.

وهي الفترة التي اشتغل فيها بتحصيل العلوم النقلية، فدرس الحديث والفقه والتفسير وغيرها من العلوم، ولم يكتف بذلك فدرس العلوم العقلية جنبا الى جنب مع دراسته للفقه، فتنبع آراء الفلاسفة ومناقشاتهم ووقف على المذاهب الكلامية والطرق العرفانية، وبلغ اليه قسطه من السعي واقتفى آثار الحكماء السابقين والفضلاء اللاحقين مقتبسا من نتائج خواتمهم وانظارهم ومستفيدا من ابدكار ضمائهم واسرارهم، وقد صرف وقته منذ اول حداثته وريعانه لتعلم الحكمة الالهية التي يعتقد ان المادية تحاول تاسيس منهج يتجاهل دورها في حركة الانسان والوجود بصورة عامة، وهو في ذلك يقول - قد - (انني اعتقد ان هناك عدد معتد به من الظواهر الكونية والطبيعية يعجز عن تفسيرها العلم الطبيعي، العلم الاوربي التي بشرت به ودعت اليه المادية الاوربية، فاذا استطعنا ان نعطي في

جميعاً، كانوا من انصار مدرسة الحكمة المتعالية الفلسفية، ولعل تقسيم هذه الفترة من حياته المعرفية الى مراحل سيسهل علينا استيضاح المنهج الفلسفي الذي اتبعه في فترة نضوجه الفكري والمعرفي والمراحل هي.

المرحلة الاولى: درس فيها الفقه والاصول والفلسفات والاراء الدينية والعرفانية درساً متعمقاً متجنباً عن الانحياز الى رأي خاص او فلسفة خاصة، وفي هذه المرحلة اكتشف اصول المذاهب الفقهية والاراء الكلامية والفلسفات وطرقها اثباتية، وفهم صلاتها ومميزاتها، وعلم جهات كمالها ونقصها، واطلع على الاراء والمعارف في تطورها المرحلي الاغريقي - الفارسي - الاسلامي، وتعد هذه الفترة بحق الاساس المعرفي الذي استند اليه فيما بعد لتأسيس منهجه المعرفي المتميز.

المرحلة الثانية: في فترة مبكرة من هذه المرحلة ظهرت على منهجه المعرفي ميول اصولية، ولعل ذلك يرجع الى ان اساتذته (الرئيسيين) من اجل علماء الامامية المتأخرين في علم اصول الفقه، كما انه عرض وناقش الاراء الاصولية للملا محمد كاظم الخراساني ووفقاً لترتيب كفاية الاصول^(٢٣) في منهجه الاصولي، وذلك بحد ذاته كان كافياً لجعله اماماً في الاصول، الامر الذي مكنه من حذف ما وجد من ادلة جدلية في المذاهب الكلامية

والطرق السلوكية الغير منساقاة مع الطرق المنطقية واخذ منها ماتلاامت مع الاصول المنطقية.

والذي يظهر من خلال كلماته التي وقفنا عليها ان مسلكه العرفاني لم ينضج في هذه المرحلة من حياته، على الرغم من وضوح المنهج الاستدلالي في بحوثه الفقهية والفلسفية، خاصة فيما يتعلق بالبحوث التاريخية والاجتماعية.

وهنا لا بأس بالإشارة الى اعتقاد البعض ان السيد محمد الصدر - قد - اظهر مناهضة وذم الفلسفة والعلوم العقلية ويستشهد بما ذكره في بعض خطبه (ان الفلسفة اليونانية دخلت المجتمع المسلم وترجمت الكتب من اليونانية الى العربية حتى يقرأها المسلمون: من الذي جلب هذه الكتب؟ ولماذا نشرت بين الناس؟ ومن الذي ترجمها وبأي خط ترجمت؟... هم بعثوا هذه الكتب الى الشرق الادنى وترجموها ورغبوا الناس بها لعل عقائدهم ترتج ولو بمقدار واحد بالمائة او ينتج اكثر من ذلك، فيدخل الالحاد اليها، كابن ابي العوجاء وابن المقفع والجاحظ والآخرين الذين انما كانوا في الحقيقة عملاء الفلسفة للدولة البيزنطية، وحصلت انحرافات وانشقاقات كثيرة في زمن الائمة وبعد زمن الائمة سلام الله عليهم، انما ذلك من هذه الفلسفات التي دخلت شراً الى البلاد

الاسلامية^(٢٤) .

الا ان هذا الكلام غير دقيق لان هذا النص لا يكشف ذم العلوم العقلية والاراء الفلسفية بنحو الاطلاق، وانما يقتصر على ذم " اراء المتفلسفة والمجادلين من اصحاب المذاهب المنحرفة من اهل الكلام " ومن الطريف ان جملته تلك حملت اسماء تساند الراي الذي اتخذناه، فلم يكن ابن المقفع (١٤٨ هـ) فيلسوف حقيقيا بالمعنى الدقيق، وانما كان فيلسوفا مزيف كما يسميه ارسطو (سوفسطائي) ولا ادل من (رسالة الصحابة) التي اهداها الى هارون العباسي ليوطد له مناهج ادارة الملك وفق الرؤى والافكار الكسرويه، التي لا تنتمي الى الفكر السياسي الاسلامي فقط بل انها، لا ترمي الى اكثر من الاضطلاع بمهمة تقديم البرنامج الايدلوجي للسلطة، التي فتحت الباب على مصراعيه للزنادقة والملحدين في التهوين من علوم الاسلام وعلماءه، بحجة حرية التعبير عن الراي، والفسحة الفكرية التي اوجدتها السلطة السياسية لكل من يريد النيل من شرائع الاسلام وعقائده^(٢٥) .

ولعل مايدل على هذا البعد التنظيري لتلك المحاولات عند ابن المقفع وابن عبد ربه انها استهلا كتابيهما بطرح القضية المحورية التي سُخرا لها من قبل (رجل السلطة)

الا وهي مشكلة الطاعة ففي حين ينظر ابن المقفع لوجوب الطاعة المطلقة للخليفة بالقول (لو امر الجبال ان تسير سارت، ولو امر ان تستدبر القبلة بالصلاة فُعل ذلك)^(٢٦) .

واشارة ابن المقفع الى هذا الموقف دليل على انتشاره الفعلي بين المتلبسين بالسلطة وهو دليل على شيوع الادبيات السلطانية في دولة الخلافة، كل ذلك اوجد عند الائمة عليه السلام نوعا من الاقتصار في غالب نشاطاتهم (على الدوائر الخاصة من أصحابهم، وفي حدود ارتفاع الضغط، أو قلته أو المخاتلة معه، وكانت تنسع هذه الدائرة، أو تضرع أو بحسب الظروف التي يمر بها الإمام عليه السلام وتتناسب كثرتها تناسباً عكسياً مع ضعف الجهاز الحاكم)^(٢٧) ، فليس من الصحيح نسبة نبذ الفلسفة بالكلية اليه - قد - وانما انتقد السوفسطائية واصحاب المذاهب الكلامية الضالة الذين تلبسوا بلباس الفلاسفة المسلمين.

الدور الثالث: دور العزلة والانقطاع

بعد نهاية الدوين الاوليين من حياته العلمية والتي صار في نهاية الدور الثاني منها استاذاً كاملاً في العلوم الكسبية والرسمية، استجذت في حياته - قد - مرحلة اخرى مغايرة تماماً لما سبقها ففي ظل الاضطهاد والقهر الذي مارسه سلطة البعث، والمضايقات التي مورست على تلاميذ

الخميني ومحمد باقر الصدر - قد - اعتزل السيد الصدر - قد - في بيته في منطقة الحنانة في النجف الاشرف واستمرت عزلته قرابة خمسة عشر عاماً، اشتغل خلالها بالمجاهدات والرياضات المعنوية التي تحصل عليها خلال مدة اعتكافه واتخاذ منهج التقية المكثفة والاعتزال عن المجتمع، حتى ان تلك الصفة اصطبغت بها معظم ابحاثه التي كتبها في تلك الفترة.

وبقي على هذا الحال متوجها نحو مسبب الاسباب ومسهل الامور الصعاب مفضلاً الاستتار والانزواء والخمول منقطع الامال، منكسر البال، مما يسر له انتاج كم هائل من الابحاث والكتب المهمة التي اوجدت فيما بعد نظرية الحكمة العملية التي سارت بالفكر الاسلامي خطوات يصفها - قد - بالمتكاملة يقول (يكفي لهذا العبد الخاطيء فيما اذا وفقه الله ان يكون قد سار بالفكر الاسلامي الامامي خطوات كاملة او متكاملة)^(٢٨)

المميز الرئيسي لفلسفة الصدر - قد - هو عدم انتمائها الى الفلسفات العالمية القديمة او الحديثة التي لاتجعل للبعد الميتافيزيقي او الغيبي اعتباراً في عملية الكشف عن الحقائق الوجودية او تكوين رؤية كونية عن تلك الحقائق والتي تعتبر (الاصول الدينية) والاحكام الشرعية جزاً رئيسياً منها، ومن هنا كانت العلاقة وثيقة بين الدليل العقلي

والكشف الباطني المتأتي من التصفية والتزكية القلبية في انتاج نوعية فلسفية تتقدم خطوة اخرى مهمة في الحكمة المتعالية ومنهجها الفلسفي، بحيث كون التوفيق بينهما نوعاً جديداً في الفلسفة المعاصرة عرفت بفلسفة (البرهان والعرفان) ولكن بصيغة عملية تطويرية مبتكرة.

السيد الصدر والأسفار:

إن شخصاً استطاع أن يعطي الفلسفة والعرفان مالم يتمكن غيره من اعطاءه، وينقله من ساحة الشخص إلى ساحة المجتمع و أن للمجتمع روح وشخصية، في ظل هذه المعرفة استطاع وادرك الصدر انه يجب أن يعطي المجتمع هذا السير والسلوك وينقله من الحالة الشخصية إليه وإلى الساحة، فبدأ بالسفر الفلسفي - حسب تطبيقات الملا صدرا - سافر من الخلق إلى الحق، وهنا اتساءل هل تعرفون أحداً من العرفاء تمكن من نفخ روح العرفان العملي في الجماهير؟ وبدل أن يسافر شخصياً سافراً روحياً جعل الشعب - ان صح التعبير - يسافر من الخلق إلى الحق ومن الحق إلى آخر الأسفار الأربعة؟.

انعكاسات الحكمة المتعالية على المنهج الفلسفي
في تفسير منة المنان:

لم يتعرض الصدر في تفسيره - منة المنان - لما عرض للفلاسفة من المفسرين او ممن تاثروا بالمنهج الفلسفي منهم، ولعل مرد ذلك هو كون هذا التفسير جاء دفاعا عن بعض الشبهات التي اثيرت على التفاسير التي سبقته والتي وسمت بنقطة الضعف تلك، ومن هنا يمكن ان نفهم قوله - قد - (أني لم أكتب هذا الكتاب لكل المستويات، ولا يستطيع الفرد المتمدني الاستفادة الحقيقة منه، وإنما أخذت بنظر الاعتبار مستوى معيناً من الثقافة والتفكير لدى القارئ) (٢٩).

وعلى الرغم من وضوح الجنبۃ الفلسفية في تفسيره،
الا انه لم يقع في ورطة التطبيق وتاويل الايات المخالفة
بظاهرها للمسلمات في فنون الفلسفة بالمعنى الاعم،
واعني الرياضيات والطبيعيات والالهيات والحكمة العملية،
فلم يتأول الايات الواردة في حقائق ماوراء الطبيعة وآيات
الخلقة وحدوث السموات والارض وآيات البرزخ وآيات
المعاد، ونظير ذلك تفسيره لما ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام:
ان علوم الكون كلها في القرآن وعلوم القرآن في السبع
المثاني وعلوم السبع المثاني في البسملة وعلوم البسملة
في الباء وعلوم الباء في النقطة وأنا تلك النقطة.

يقول - قد - ان المراد: ان علوم القرآن في الفاتحة مع زيادة في الفاتحة وعلوم الفاتحة في البسملة مع زيادة في البسملة وعلوم البسملة في الباء مع زيادة في الباء وعلوم الباء في النقطة مع زيادة في النقطة واما ما هي تلك الزيادة فذلك لا يعلمه إلا علام الغيوب لأنها فوق إدراك عقولنا القاصرة وربما يكون علمها عند قائلها سلام الله عليه، على الرغم من تفسيره لمعنى المركب والبسيط فلسفيا في ثنايا بحثه هذا فيقول: أن روحه وحقيقته العليا بسيطة حيث يقول: وأنا النقطة، وان النقطة بسيطة هندسيا من حيث إنها ليست جسما ولا سطحاً ولا خطا فهي بسيطة من جميع الجهات فهي مجرد فرض عقلي وليست مادة وهذه البساطة المشار اليها في الرواية بساطة فلسفية والنقطة ذات بساطة هندسية والبساطة الفلسفية مستقاة مجازا من البساطة الهندسية^(٣٠).

استند السيد الصدر - قد - الى البراهين العقلية التي اقامها الالهيون من الحكماء وبصورة خاصة فيما يتعلق باثبات عموم العلية والتي بنوا فيها على وجوب انتهاء العلل الممكنة الى علة واجبة الوجود، في اثبات المقامات الوجودية العالية للمعصومين، وهو استخدام اقرب الى ذوق المشتغلين بالسير في باطن الخلقة دون عالم الظاهر، وهو مذهب بعيد نسبيا عن ميدان اشتغال المتأثرين بالمنهج

الخلاصة:

من خلال تتبع مضامين الأفكار التي طرحت في ثنايا البحث اتضح المنهج المعرفي الذي اتبعه السيد محمد محمد صادق الصدر - قد -، والتي تعبر عن المصدر المعرفي المتبع الذي يحكم الفكر الإسلامي المعاصر، وهو منهج جديد يختلف عن المناهج المعرفية لأساتذته - قدست أسرارهم - ويمكن تلخيص بعض النقاط التي تعتبر نتاجا لهذا البحث وهي:

١ - اتضحت وبصورة تدريجية المناهج المعرفية الإسلامية، عبر تاريخ طويل من الحوار بين مختلف أطياف النسيج الفكري الإسلامي، ولتتبلور رؤية كونية، للمسائل الثلاث الرئيسية، التي كانت محورا للنقاشات الفكرية وهي (الله والوجود والإنسان).

٢ - تعتبر المناهج المعرفية اليوم نتاجا لسلسلة متصلة من النظريات والأفكار والتجارب - إن صح التعبير - والتي تمخضت خلال القرن العاشر الهجري عن فلسفة إسلامية متعالية، أخرجها إلى حيز الوجود الملا صدرا، تتضمن رؤية للمسائل الفلسفية بقالب برهاني وعرفاني.

٣ - سارت معظم الفلسفات والمناهج الإسلامية الحديثة والمعاصرة على خطى مدرسة صدر الدين

المعرفي لمدرسة الحكمة المتعالية، الا اننا نجد التوفيق واضحا بين الفلسفة والعرفان في تفسير الايات التي تتناول هذا الجانب فيقول - قد - في اشارة الى مقام امام الموحدين (عليه السلام) موضحا ومستخدما قاعدة الصدور الفلسفية استخداما فريدا في اثبات تلك المقامات الوجودية.

فيقول: انه (عليه السلام) أعلى مراتب الوجود فقد قال الفلاسفة بقاعدة صدور الواحد عن الواحد فبالضرورة يخلق الله تعالى واحدا في المرتبة الأولى التي تنزل عن ذاته سبحانه ثم هذا المخلوق الواحد يخلق الكثرة أي يوجد المتعدد وهو بسيط ولكنه بالتحليل يكون أمرين: محمد وعلي لأنهما نفس واحدة بدليل قوله تعالى (إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ) ^(٣١)، فهو (عليه السلام) نفسه ولكنه غيره والكثرة عين الوحدة كما قيل في الحكمة المتعالية وليس هذا غريبا فنفس الإنسان واحدة ولكنها في - نفس الوقت - كثيرة ففيها القوة العصبية والشهوة والرغبات والحاجات ولكنها مع ذلك نفس واحدة والكثرة عين الوحدة ونستنتج من ذلك ان هذه الحقيقة النورية العليا هي أول الموجودات وأشرفها وأقدرها وأعلاها واعلمها وهي مسيطرة على جميع الموجودات بأقدار من الله سبحانه. ^(٣٢)

تنتمي في مفاصل كثيرة منها إلى مناهج الملا صدرا في الفلسفة والحكمة، وهو بكل تأكيد ناتج عن التأثير الذي أوجدته تلك المدرسة في المناهج المعرفية الإسلامية الحديثة.

٧ - لم تتني الصدر - قد - المضايقات التي مارستها عليه السلطة البعثية الغاشمة، فبالرغم من انزاله وانقطاعه سنين عديدة، إلا إن تلك العزلة لم تجعله منقطعاً عن المجتمع كما كان من الملا صدرا مثلاً أو غيره من الفلاسفة، بل على العكس فقد أعطى المجتمع هذا السير والسلوك ونقله من الحالة الشخصية إليه وإلى الساحة، فبدأ بالسفر الفلسفي - حسب تطبيقات الملا صدرا عندما سافر السفر الأول (من الخلق إلى الحق) وهو مالم يتحقق إلا على يديه وفي ظل ولايته.....

والحمد لله رب العالمين

والمعنوية الموجودة في عالم الامكان ووفقاً لهذا الاعتبار تكون " الاحكام الشرعية " من ضمن تلك الممكنات، ومن هنا يمكن ان نفهم قول المظفر - قد - في اصوله ج ١ - ص ١٨١ (العلم بالحكم الشرعي لا بد له من علة لاستحالة وجود ممكن بلا عله).

الشيرازي، مع الأخذ بنظر الاعتبار، الإضافات التي أحدثت على مبانيها بفعل المستحدثات الفكرية التي تفرضها طبيعة ونمط التفكير الإنساني وإمكانية تعاطي النصوص الأصلية مع تلك المرتسمات الفكرية.

٤ - تأثر السيد محمد محمد صادق الصدر - قد - في منهجه المعرفي بالملا صدرا تأثيراً كبيراً، انطبع ذلك الأثر في نتاجه الفكري بالدرجة الأساس وخاصة في دوره الاجتماعي، فهو - قد - مفجر أكبر ثورة اجتماعية في تاريخ العراق المعاصر والحديث.

٥ - والذي يظهر من خلال متابعة التحصيل العلمي للسيد محمد الصدر - قد - إن معظم أساتذته كالسيد محمد باقر الصدر والسيد الخميني والسيد الخوئي - قدست اسراهم - كانوا كذلك من أتباع مدرسة الحكمة المتعالية.

٦ - انطبع ذلك التأثير في مجمل النتاج الفكري للسيد الصدر - قد - الذي يلاحظ عليه وبوضوح جنبه فلسفية

الهوامش:

[١] المظفر، محمد رضا، اصول الفقه، ط ٦، دار التفسير، ١٤١٩ هـ، قم، ج ١ - ص ١٠.

[٢] الصدر، محمد محمد صادق، فقه الاخلاق، ج ٢ - كتاب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر.

[٣] يشمل مصطلح (الحقائق الوجودية) كل الموجودات المادية

- [٤] روح الله الخميني و رسالة الطلب والارادة، ص ١٥٢.
- [٥] بتصرف من محاضرات في الايدلوجية المقارنة، محمد تقي مصباح اليزدي، ص ١٤.
- [٦] المظفر - مصدر تقدم ذكره، ج ١ - ص ١٠.
- [٧] مناهج المعرفة، كمال الحيدري، دار فراق، ط ١، ١٤٢٤ هـ، ص ٢٥.
- [٨] الصدر، محمد باقر، الفتاوي الواضحة وفقاً لمذهب اهل البيت، دار التعارف، ص ٧٠٧.
- [٩] شرح الاسماء الحسنی، وشرح دعاء الجوشن الكبير، للحكيم المتاله مولى هادي السبزواري، تحقيق د: نجف قلي حبيبي، ص ٢٣٤.
- [١٠] الصدر، محمد محمد صادق، الجمعة الخامسة، ١٨ - محرم ١٤١٩ هـ، خ ١.
- [١١] الصدر، محمد محمد صادق، منهج الاصول، دار الاضواء، ط ١، ٢٠٠٢، بيروت، ج ٥ - ص ٢٣٧.
- [١٢] محمود الهاشمي، بحث في علم الاصول، ج ١ - ص ٢٩١.
- [١٣] الصدر، محمد محمد صادق، الجمعة الثلاثون، ١٦ رجب ١٤١٩ هـ، خ ٢.
- [١٤] حيدر الاملي، جامع الاسرار، ص ٤٩٨.
- [١٥] مجموعة مقالات الطباطبائي، سيد هادي خسرو، ط ١، ج ١ - ص ٣٩.
- [١٦] فلسفة السهروردي، ص ١٧.
- [١٧] انظر الحيدري، مناهج المعرفة، ص ٩٨ - ٩٩.
- [١٨] انظر الحيدري، مناهج المعرفة، ص ١٠١.
- [١٩] الطباطبائي، مجموعة مقالات، ج ٢ - ص ٦.
- [٢٠] الصدر، محمد محمد صادق الصدر، منهج الاصول، دار الاضواء، ط ١، ج ١، ٢٠٠٢، ص ٦.
- [٢١] الصدر، محمد محمد صادق، الجمعة ١٤ - ٢ ربيع الاول - خ ٢.
- [٢٢] الصدر، محمد محمد صادق الصدر، منهج الاصول، دار الاضواء، ط ١، ج ١، ٢٠٠٢، ص ٦.
- [٢٣] المصدر السابق.
- [٢٤] الصدر، محمد محمد صادق، الجمعة الخامسة، ١٨ - محرم ١٤١٩ هـ، خ ١.
- [٢٥] من ذلك مناظرات ابن ابي العوجاء وابي شاعر الديصاني وابن المقفع وعبد الملك البصري مع الامام الصادق عليه السلام راجع الاحتجاج للطبرسي ج ٢ - ص ٧١.
- [٢٦] رسالة الصحابة، عبد الله ابن المقفع، ضمن اعمال كاملة، بيروت، دار التوفيق، ١٩٧٨ م.
- [٢٧] تاريخ الغيبة الصغرى، مصدر سبق ذكره، ص ٢١.
- [٢٨] الصدر، محمد محمد صادق الصدر، منهج الاصول، دار الاضواء، ط ١، ج ١، ٢٠٠٢، ص ٦.
- [٢٩] محمد الصدر، منة المنان، المقدمة.
- [٣٠] محمد الصدر، مصدر سابق، بحث البسمة.
- [٣١] الأعراف / ٥٦
- [٣٢] محمد الصدر، مصدر سابق، مبحث البسمة.

سُبُلُ بِنَاءِ الْقَاعِدَةِ الْجَمَاهِيرِيَّةِ

فِي الْمَنْظُومَةِ الْفِكْرِيَّةِ

لِلسَّيِّدِ مُحَمَّدٍ مُحَمَّدٍ صَادِقِ الصَّدْرِ رَحِمَهُ اللهُ

❖ أ.م.د. حيدر عبد الزهرة التميمي (*)

.....
(*) باحث وأكاديمي، كلية التربية (ابن رشد)، جامعة بغداد، العراق.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين حبيب إله العالمين أبي القاسم محمد المصطفى (صلى الله عليه وآله الطيبين الطاهرين).

أمّا بعد:

إنّ النظر بعين الباحث المنصف المتجرد عن الأهواء والميول إلى شخصية السيد محمد صادق الصدر عليه السلام يفضي إلى أنّ السيد الصدر شخصية خالفت المألوف في عصره من جوانب عدّة يمكن تلمسها لمن يتطلع إلى حياته، ومسيرته الجهادية العلمية في مجتمع له خصوصيته التي تميّزه عن غيره، وله طبيعته الاجتماعية الخاصة.

تلك الظروف التي عاشها مجتمعا، والضغوطات التي حاولت تغييب ملامحه الحقيقة و مسخ الصبغة الدينية

التي تمثل حقيقة الواقع العراقي، والمحاولات التي رامت طمس الهوية الإسلامية للمجتمع. وتطبيع أبنائه على واقع الخنوع والذلة، والرضوخ إلى أوامر الطغاة، فضلاً عن نشر ثقافات وأفكار منحرفة أدت إلى خلق واقع لا يفرح له كلّ من يغار على دينه ومعتقداته.

تلك الهموم عاشها السيد الصدر وفكر فيها جلياً وأدرك أهمية التغيير في المجتمع وهو يعيش أوضاع العراق السياسية، والاجتماعية، والاقتصادية، فكان ينبغي أن يرسم سبيلاً يستطيع به أن ينهض بالواقع الذي كان لا يفرح من يعنيهم أوضاعه. فقد «رأى السيّد الصدر ومن تجربة الانتفاضة الشعبانية أنها تعيش في علاقة جدلية تحتاج إلى دراسة وبناء فكري استراتيجي يقرأ الواقع ويضع ^(١)الحلول»

وهذا الذي دفع بالسيد الصدر أن يمارس قراءة ثالثة للواقع الاجتماعي... قراءة تتعلق بوعيه الديني ووعيه

المتنوعة ومظاهره المختلفة التي تتحدد على أساس حاجة الواقع الاجتماعي، فقد يفرض الواقع في بعض الفترات أن يكون مجال الإصلاح في البناء الفكري، وقد يفرض في فترات أخرى الحركة السياسية أو الموقف الثوري. وهنا يأتي دور الرمز المصلح المجدد وقدرته في تحديد الخيار المناسب^(٥) إذ إنَّ السبل والأساليب التي يعتمدها المراجع تختلف من بلد إلى آخر ومن عصر إلى آخر

وكان المجتمع وبناءه الهم الأكبر الذي عاش في نفس السيد الشهيد عليه السلام فقرأه مسيرته تفصح عن «التركيز الواضح من لدن السيد الصدر الثاني على المجتمع بعده الأرضية الخصبة لأي تحرُّك مهما كان سياسياً أو غيره»^(٦)

لهذا تأمل السيد الصدر في هذا الواقع المرير، وشخص العلل التي أصابته، وحاول أن يتلمس سبلاً ناجعة تأخذ بيد هذا المجتمع نحو الصلاح، وتبرئته من علله.

والمتتبع لمسيرة السيد الصدر النهضوية يقرأ بوضوح اهتمامه ببناء القاعدة الجماهيرية التي تكون أدوات المهمة لتحقيق مشروعه الإصلاحي. فقد كان هدفه الأول سحب الجماهير فاقدة القيادة إلى ساحته، ودفعهم للالتفات حول مرجعيته. وبذلك يكون قد امتلك أهم الأسلحة التي تمكنه من تحقيق أهدافه على وفق خطوات متسلسلة، ومنظمة.^(٧) و«يمكن القول إنَّ الثقل الأساسي الذي

السياسي من جهة... وتعلق بواقعه السلوكي والقيمي، والظواهر المعبرة عنه والتي راكمتها في جزء منها القطيعة التاريخية مع خطاب الفقيه المباشر للأمة من جهة أخرى^(٨) وهذه الدراسة المتأنية للواقع الاجتماعي في العراق أدت به إلى أن يلتقط كثيراً «من الإشارات على أهمية وخطورة إهمال المجال المجتمعي، والتنقظ إشارات أخرى ربّما ضخمة فيما يمكن أن يؤديه المرجع الديني في هذا المجال. إلا أن هذه الإشارات والدلالات والمضامين تدخل في حيز التحفيز الذي يتحول إلى قناة بضرورة التحرك على الأمة»^(٩)

وتلت مرحلة الدراسة الدقيقة للواقع المجتمعي مرحلة أخرى تُعنى بخلق السبل وبدء المشروع التغييري فقد «بذل جهداً جباراً لاكتشاف الاجرائيات التي تعطي مشروعه جانبه العملي - التطبيقي، والتي تحقق الجانب الميداني من المشروع الذي أخذ خصوصيته منه»^(١٠)

ولعلَّ الذي ينظر جلياً في المشروع الإصلاحي للسيد الصدر يكتشف أنه أدرك أنَّ البقاء على منهج واحد لاجراء التغيير المراد مع اختلاف العصور، وتنوع الأوضاع المجتمعية، وتباين الأجناس التي يتعامل معها المصلحون لا يحقق الغاية المنشودة «وإذا كان الإصلاح والتجديد فعلاً حظارياً محركاً في الحياة الاجتماعية وله مجالاته

اتخذته تجربة الشهيد محمد محمد صادق الصدر في الواقع العراقي، هو الثقل الاجتماعي، فلقد طغى هذا الجانب الاجتماعي على الكثير من مضامينها وآليات وأساليب عملها وحتى على ما يميزها - أي هذه التجربة - عن غيرها من تجارب العمل والتحرك المرجعي. وكذلك في وعيها المسبق لضرورة رصد الحركة الاجتماعية وعلاقتها بصورة عامة أي: علاقتها مع المؤسسة الدينية، علاقتها مع السلطة»^(٨).

ولا يستطيع منكر أن ينكر النجاح الساحق الذي حققه السيد الصدر عليه السلام ببناء قاعدته الجماهيرية إذ «إن أعظم إنجاز حققه فضلاً عن نشر الكثير من المفاهيم التربوية هو التفاعل مع الجماهير الذين أحسوا بصدق احساسه وعمقها في التعامل معهم، كان يتناول الكثير من قضاياهم اليومية ومشاكلهم ومعاناتهم، كان له منهج خاص في التربية بشكل مؤثر وفعال وتدرجي»^(٩).

فالحقبة التي عاشها السيد الصدر عليه السلام، شهدت خمولاً في علاقة المجتمع مع الحوزة الدينية في الأعم الأغلب لأسباب كثيرة. لكنه استطاع بفكره وقراءته للواقع، ورسمه الملامح العامة لمنهجه الإصلاحية الذي حدد فيه أهم السبل الناجعة لانتشال المجتمع من واقعه «أحياء الناس مرة أخرى، عرفهم بالإسلام... كشف لهم الحقائق

وعرفهم بالكثير من المفاهيم... ربطهم بالحوزة وشدهم إليها... أحياء فيهم الأمل ووجدوا فيهم قائداً بمستوى طموحاتهم وآمالهم... خلق جيلاً رسالياً في سنوات محدودة لا تتجاوز أصابع اليد الواحدة»^(١٠).

وكان هذا النجاح ناتجاً عن الأسلوب الذي اعتمده فقد «مارس السيد الشهيد الصدر أسلوباً رسالياً راقياً في مشروعه الإصلاحي، وهو أسلوب محاكاة الجماهير فكان خطابه الجماهيري هو أبرز عناصر النجاح التي رافقت مشروعه التغييري»^(١١).

ويمكن القول: «إن الصدر الثاني لم يكتف بشمولية الخطاب، وملاحقة الظواهر الاجتماعية إنما كان يحاول أن يضع آليات التحشيد المجتمعي»^(١٢) فحدد سلسلة من الخطوات المنظمة يتلمسها من يتتبع مسيرته الجهادية، ومحاولته التغييرية. وهذه الخطوات هي المحور الذي يقوم عليه هذا البحث، إذ حاول أن يقف على أهم السبل التي اتبعها السيد الصدر لبناء قاعدته الجماهيرية، وقد جعلنا كل واحدة من هذه السبل محوراً من محاور هذا البحث، بيناه ووضحنا أهميته؛ لتتضح ملامح المنظومة الفكرية لدى السيد الصدر، وأيدولوجيته الإصلاحية التي تبناها لتغيير واقع المجتمع العراقي، ومن ثم الوقوف على ثمار تجربته، وإمكانية الاستفادة من هذه التجربة لتحقيق

الإصلاح، وبناء المجتمعات على وفق الأسس الإسلامية الحقيقية.

وأهم هذه الخطوات هي:

- تحديد القائد:

إنَّ الظروف التي مرَّ بها بلدنا الحبيب، أفقدت مجتمعنا القائد الذي يلتجئ إليه في محنه، وقد رأى السيد الصدر عليه السلام أنَّ هذا الأمر أهم المرتكزات التي يجب أن تُبنى عليها القاعدة الاجتماعية، وهذا ما دفع به إلى أن يطرح نفسه قائداً لها. فقد «نموذجاً للقيادة الإسلامية قاربت في سلوكها وتصديها النماذج الناصعة في التاريخ الإسلامي العريق، وكان يهتدي ويحتذي بذلك بالرسول الأكرم والأئمة الأطهار من حيث الزهد والتواضع ونكران الذات والبساطة والاندفاع في خدمة الإسلام، وبذلك فإنه وضع مقياساً عملياً للقيادة الإسلامية الحقيقية التي ينبغي أن تستلهم الصدر نموذجاً حياً متحركاً»^(١٣)

وكان هذا التصدي بدافع الشعور بالمسؤولية، وإيماناً منه بأنَّ هذا الأمر جزء من المهام التي يجب أن تضطلع بها المرجعية ف «من أهم معالم النظرية السياسية للسيد محمد الصدر هو إيمانه بدور المرجعية في قيادة الأمة، وإيمانه بنظرية ولاية الفقيه في وقت مبكر قياساً مع غيره

من العلماء في الساحة العراقية»^(١٤)

يقول السيد عليه السلام: «الأساس العام الذي تقوم عليه هذه البيانات، هو: إن لمسلمين الممثلين لخط الأئمة عليهم السلام وقواعدهم الشعبية الكبرى يجب أن لا تبقى - في زمن الغيبة وانقطاع القيادة المعصومة ومصدر التشريع - خالية عن المرشد والموجه والفكر المدبر... يعطيهم تعاليم دينهم ويرتفع بمستوى إيمانهم وعقيدتهم، ويشرح لهم إسلامهم، ويوجههم في سلوكهم إلى العدل والصلاح ورضا الله عز وجل»^(١٥)

وقد باشر عملياً ولي على مستوى التنظير فحسب بممارسة دوره القيادي فإننا «نجد العديد من الشواهد التي يظهر منها سعة حركة السيد محمد الصدر وهو يمارس دوره بصفته (ولي أمر المسلمين) وضمن دائرة الممكن، وهي دائرة واسعة انطلاقاً من قاعدة (لا يترك الميسور بالمعسور) بل إنَّ السيد بتبنيه لهذه النظرية التي عبّرت عنها فتواه كان يؤسس أرضية صلبة للدخول المستقبلي إلى الدوائر المغلقة أنياً بلحاظ الظروف القاسية، وهو ما حصل فعلاً لاحقاً عندما انتقل من مرحلة الهدنة إلى مرحلة المواجهة»^(١٦)

وكان إيمانه بمبدأ ولاية الفقيه الذي تعامل معه بموضوعية وواقعية يحتم عليه التحرك نحو المجتمع

لتطبيق آلياته. فإنه ﷺ «ينفتح على موضوع ولاية الفقيه إلى أبعد حد يمكن أن يمنحه هذا المفهوم من قوة للفقيه جامع الشرائط... وحاول تطبيقها بشكل واضح على المستويات الجماهيرية، إذ أصدر فتاوى تجسد تطبيقه لهذا المفهوم محاولاً إبراز شخصية الولي الفقيه كقيادة ربانية على الساحة العراقية»^(١٧)

وهذا الذي جعله يتحرك إلى الجماهير، لا أن ينتظر مجيئهم إليه «فالشهيد الصدر يرى إنَّ من واجب الفقيه أن يبادر باتجاه المجتمع خطاباً وفقهاً وفكراً، لا أن ينتظر فقط المبادرة من الآخرين»^(١٨)

وقد حقق وجود القائد في المجتمع العراقي آنذاك ثماراً كثيرة أهمها:

- التفاف الجماهير حول شخصية إسلامية، تنصاع إليها، وتأتمر بأوامرها، عوضاً عن القيادة غير الشرعية التي مارست الظلم والطغيان ضد الشعب آنذاك.

- شكّلت شخصية القائد مصدراً مهماً من مصادر التعبئة الجماهيرية، وتثقيف الشارع العراقي بالفكر الديني، والأخلاق والقيم الإسلامية.

- ولّد وجود القائد راحة واطمئناناً في نفوس المجتمع، إذ كان الشارع العراقي يشعر بالأمان بوجود قائدهم

المصلح، يهرعون إليه في الشدائد، ويستلهمون منه العزيمة للمضي قدماً بأجراء مراحل التغيير، واستكمال المشروع الإصلاحي.

- حققت بشكل ما ضعف القيادة الحاكمة آنذاك، لأنَّ وجود القائد الشرعي أبان عدم شرعية تلك الحكومة، وهذا ما دفع الحكومة إلى اتخاذ التدابير التي تنهي حركة السيد الشهيد الإصلاحيّة.

فعرض السيد الشهيد الصدر ﷺ نفسه قائداً لمجتمعه بكل ألوانه سمة تميّز به المشروع النهضوي الذي تبناه، وبان للقصي والداني، أهمية تلك السمة في النسيج المجتمعي الذي التف حول السيّد الصدر في حياته، والحزن البالغ الذي عاشه الشارع العراقي بعد استشهاده. والولاء المطلق للخط الصدري، فكل ذلك نجم عن التأثير الذي خلفه قائد الجماهير في نفوس محبيه، ومن آمنوا بمشروعه النهضوي الإصلاحي.

-مخالفة المؤلف-

إنَّ الواقع الذي عاشه السيّد الصدر ﷺ، وتأمّل فيه كشف له أنَّ المعتاد من في طبيعة النهج الحوزوي، لا يجدي نفعاً في تحقيق التغيير الجذري الذي كان يبتغيه، فضلاً عن أنَّ كان يدرك أنَّ عامل الوقت مهمٌّ جداً؛ لأنَّه لا

يدري كم سيمهله القدر، وكم سيتاح له من الوقت لتحقيق برنامج الإصلاح، فأراد أن يحقق أكبر قدر من المنجزات المتوخاة في أقل وقت ممكن. وسلك لأجل هذا سبيل المخالفة، وكسر المؤلف. ف«القراءة في المشروع الإصلاحي للسيد الشهيد تجعلنا نرى الأدوار تتعدى ما هو مألوف؛ لأنه كان مدركاً لصعوبة المهمة مما حدا به أن يكسب قاعدة شعبية؛ لأنّها هدفه وغايته وهي الوسط الذي يعمل داخله»^(١٩).

وقد آمن السيد الصدر عليه السلام أنّ هذا الأسلوب سيحقق له ما يبتغيه فقد (اعتمد الشهيد (رض) بعقريّة فائقة على مبدأ مخالفة المؤلف لاستفزاز مواطن الوعي في ذهن القاعدة التي كان يقصدها وكذلك لتحريك المناطق الراكدة في تفكيرها بواسطة الفتاوى التي أصدرها التي تميّزت بالجرأة والغرابة ليُجعل من شخصه محلاً للتساؤل والبحث لتحفيز الجماهير على الاقتراب منه ومن ثم التعرف على أفكاره ورؤاه»^(٢٠).

وهذا السبيل يُعد قفزة على الواقع المعهود و«منهجاً متميزاً وجديداً في الواقع العراقي عامة وفي الواقع الحوزوي والمرجعي بشكل خاص، بالمقارنة مع مناهج التحرك التي اعتمدها فقهاء ومراجع دين آخرون»^(٢١).

وقد بدا موضوع مخالفة المؤلف في أكثر من مفصل

من مفاصل شخصية السيد الصدر عليه السلام، وحياته ومنهجه. وله أكثر من صورة، منها:

مخالفته لعادة المفسرين في تفسير القرآن «فلقد خرق سيدنا عليه السلام عادة المفسرين في تفسير القرآن الكريم من سورة الفاتحة مبتدئاً بالعكس من سورة الناس وهو منهج في البحث لم يسبقه إليه - فيما أظن - سابق»^(٢٢).

ومن صور مخالفته المؤلف تناول له للظواهر الاجتماعية التي يعيشها مجتمعنا آنذاك، وتشخيصه لما يعانيه من أمراض مجتمعية، ومحاولة إيجاد الحلول لها فقد «تناول الظواهر الاجتماعية، وهذا ما لم يعهده الناس لدى رجال الدين سابقاً ومن ضمن الإصلاحات الاجتماعية: عمل اتصالات مباشرة ودورية مع الوكلاء للاطلاع على أمورهم وأمور الناس من خلالهم، وإرسال الوكلاء عنه لحضور المناسبات الدينية والاجتماعية... وغير ذلك»^(٢٣).

وقد كان منبر الجمعة المباركة وسيلة مهمة من الوسائل التي اعتمدها لمعالجة ما يعانيه الشارع العراقي إذ «كان يطرح الخطب لمعالجة الكثير من الظواهر الاجتماعية التي كانت تعتبر بالميزان الإسلامي ظواهر سلبية تؤدي إلى الانحراف عن شرع الله... إنّ بعض هذه الظواهر لم يتطرق إليها أحد قبله أو بالأحرى لم يكونوا يعطونها هذه الأهمية»^(٢٤).

درس قدمه للأمة» (٢٧).

علاوة على ذلك أنّ الشهيد الصدر رحمته الله أدرك أنّ أبناء المجتمع آنذاك قد تكاسلوا عن الوصول إلى فكر المراجع آنذاك، أو خافوا من ذلك، لسطوة الحكم آنذاك. فحاول أن يصل إليهم هو بنفسه، ويدخل إلى بيوت المجتمع، ونفوسهم، ليحقق الغاية المنشودة وهي بنا القاعدة الشعبية التي كان طالباً إياها. فقد «تطلب بناء القاعدة الشعبية تجاوز خطاب (الفقيه) المكتوب إلى خطاب الفقيه المسموع، وإلى تنشيط الاتصالات مع الناس وإلى مواكبة همومهم وشؤونهم والعمل بفقه الواقع أو فقه الحياة بكل ما تلد من جديد مع مرور الزمن. فضلاً عن التواجد الميداني معهم» (٢٨).

واستطاع بتلك الخطوات، وذلك الأسلوب أن يبني قاعدة رصينة، إذ أصبح الشارع العراقي والبيت العراقي، وكل الأوساط في ذلك الوقت تتحاور، ووتجادل، وتناقض كل صغيرة وكبيرة تتعلق بالسيد الصدر رحمته الله من آرائه، وفتاويه، وأبحاثه وكتبه.

وقد ساعد على تحقيق هذا الموضوع الوكلاء الذين اعتمدتهم السيد الصدر رحمته الله الذين كان لهم منهج يختلف أيضاً، ومشروع رسالي جديد، وهو جزء من المنظومة الإصلاحية التي تبناها السيد الصدر رحمته الله.

ومن تلك القضايا التي تحدث عنها السيد الصدر رحمته الله، وتناولها في خطبه الأمور التي يرتضيها الإسلام مما يحدث في المناسبات كالأعراس وغيرها فيقول: «ما يتخذه الناس من أساليب الخلاعة والازعاج في مناسبات الأعراس، وحتى المحجبات يسفرن في هذه المناسبة والسير في الشوارع وقطع طرق المسلمين، ومن قطع طريقهم فليس بمسلم. إضافة إلى إحياء الحفلات الغنائية ودعوة الفسقة إليها وتوزيع الخمر فيها وكل تلك الأمور محرمة» (٢٥).

وحديثه عن الرياضة وحرمة الإسراف في الانشغال بها صورة أخرى من صور اهتمامه بقضايا المجتمع فيقول عنها: «وأفضل طريقة في الغرب هي إلهاؤهم عن الخوض في مشكلات مجتمعاتهم» (٢٦).

وكأنه ينبه المجتمع آنذاك بأن الوضع يتطلب منا اليقظة والحذر، والتنبه للواقع لا الانشغال عمّا يلهينا عن متابعة الأمور، وهذا غاية ما تروم تحقيقه السلطة آنذاك، وهذا التنبيه فضلاً عن كونه ينطوي تحت باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر التي عمل بها السيد الصدر آنذاك، كان لوناً من ألوان التحدي للسلطة الحاكمة آنذاك فقد «كان يخاطب الجماهير متحدياً سلطة الطاغوت بكل جرأة غير أبه بقوة صدام ولا جبروته ولا طغيانه... وكان هذا أعظم

١٠. إقامة صلاة الجمعة

كانت صلاحة الجمعة صرخة كبيرة أطلقها السيّد الصدر عليه السلام، وخطوة محفوفة بالمخاطر، على أكثر من صعيد من أصعدة الفكر الاجتماعي والديني، وهي أهم مرتكز من مرتكزات المشروع النهضوي للسيّد الصدر عليه السلام فقد «كانت صلاة الجمعة واحدة من تجلياته، أو ربّما أهم تجلياته، ومحورها الأساسي، إذ تحت كل ظروف العراق المعروفة استطاع الصدر أن يستنفر كل الممكّنات لاتنزاع أرضية إزاحة النمط القديم بين المرجع والأمة وتأسيس نمط آخر لتحقيق التواصل والتفاعل والاندكاك في شؤون الأمة، ومعرفة مشكلاتها وطموحاتها وتعقيدات أوضاعها الاجتماعية والفكرية والسياسية» ^(٢٩)

أمر السيد وكلائه في جميع محافظات العراق بإقامة صلاة الجمعة، وبعد فترة من إقامة صلاة الجمعة من قبل وكلائه في أغلب مدن العراق قام هو بإقامتها في الكوفة. وكان الحضور يعد بعشرات الآلاف إن لم يكن بمئات الآلاف في الكثير من المناسبات.

وقد رام من تلك الصلاة تحقيق مجموعة من الأهداف التي خطط لها إذ إنّ الهدف الأساسي لصلاة الجمعة بعد رضا الله تعالى هو أن تكون صلاة الجمعة حجر عثرة ضد الطغيان الإسرائيلي والصدامي. يقول السيد الشهيد الصدر:

«فيامكاننا مجابهة إسرائيل بنفسها بما يحصل فينا من تكاتف وتضامن وعزّة وحسن توفيق وعزّة بالحق، وعزّة بأهل البيت، وإطاعة الله وأهل البيت» ^(٣٠).

فضلاً عن أنّ السيّد الصدر أراد من تلك الصلاة أن تكون «جسراً تواصلياً بين المرجع والأمة من خلال لقاء دوري شمولي عام وليس لقاءً خاصاً شخصياً مع المرجع، فقد لا يتسنّى للكثير من الناس الذين لم تتح لهم الظروف الالتقاء بالمرجع. أو أنّهم لا يعرفون آليات الوصول إليه وبالتالي فهم يتواصلون معه عبر أدبيات فتواه فقط من دون أن يعيشوا تصوراتهم وجهاً لوجه ومن دون أن يعيش تصوراتهم بصورة مباشرة» ^(٣١).

فإنّ صلاة الجمعة تعدّ استنفاراً أسبوعياً للشارع العراقي الذي لم يعتد من قبل اجتماعاً جماهيرياً يختزن التماسك الاجتماعي وشعور الفرد أنّه منتمي إلى شعب عريق وقوي يعبر عن مشاعره ويعزز ثقته بنفسه من خلال عملية تواصل وبناء فكري وتثقيف سياسي ^(٣٢)

والهدف الآخر الذي سعى إليه الشهيد الصدر عليه السلام من وراء صلاة الجمعة هو تعزيز حالة الانتماء الجماهيري للمرجع وتمسكاً به؛ لأنّهم يتفاعلون معه عبر المشهد البصري، والاستجابة السمعية لخطبه. «فهي وسيلة للوصول إلى المجتمع للارتقاء به إلى آفاق الإسلام الرحبة،

وسوقه إلى طاعة الباري وعبوديته، وتحريره من كل قيود المعصية والرذيلة وإطاعة حكام الجور والطغيان»^(٣٣).

ومن أهم أهداف صلاة الجمعة نشر الوعي الديني. إذ إنّ اللقاء الأسبوعي الذي ينعقد بوساطة تلك الصلاة يحقق آثاراً إيجابية على الجانب الديني للفرد. إذ إنّّه يزوده بالأفكار الإسلامية، ويطلعه على آخر المستجدات في واقعه الاجتماعي، ويبث في نفسه معالم الدين الإسلامي وأخلاقه، ويفقهه في دينه، فضلاً عن معرفة ما هو مكلف به من قبل مرجعه وقائده الحقيقي، ومرشده الروحي.

وهكذا فإنّ المداومة على صلاة الجمعة، وسماع خطبة المرجع تمثّل مرتكزاً أساسياً لقيام الدين، ونشره في المجتمع، فضلاً عن بث الأفكار التي يريد المرجع إيصالها إلى قاعدته الجماهيرية. وغرسها في نفوسهم.

ومما أراده السيد الشهيد الصدر رحمته الله من صلاة الجمعة هو تحقيق البعد الاجتماعي إذ إنّ التعاقب على الحضور لأداء هذه الصلاة يقوي الأواصر الاجتماعية ويجعل أبناء المجتمع وحدة واحدة يصعب على الأعداء كسر هذه العصبة التي اجتمعت من أجل عبادة الواحد الخالق. إذ إنّها تربط بعضهم مع بعض، وتحقق التلاحم بين المصلين، وهذا ما لم يحققه محفل آخر.

لقد أراد السيد الشهيد الصدر رحمته الله من صلاة الجمعة أن

تحقق بعداً تعبويّاً سياسياً، فابتغى أن يتولد بوساطة هذه الصلاة لدى الجماهير احساس ثوري ضد القمع والطغيان ومصادرة الحريات. إذ «إنّ صلاة الجمعة ليست مناسبة سنوية أو شهرية. إنّما هي تقام أسبوعياً وهذه الإقامة الدورية المتقاربة لها تعطيها بعداً أكبر من تراكم الوعي السياسي لدلالاتها، وبعبارة أخرى إنّها إجراء مفتوح ومتواصل إذا صحّ التعبير لضخّ وتراكم الدلالة السياسية في الوعي الجمعي للأمة. وهي إذن تفصيل متواصل، وإحضار دائم للخطاب الإسلامي والوعي الإسلامي في الساحة، ومن ثم ضخه لطاقة وزحم ما يتطلبه هذا الوعي العام من تفاصيل ومسار الصراع المحتدم، ولذا فإنّها بهذه الصفة التكرارية الزمنية لها ستشكل محور المواجهة، ومحور الإصرار على إقامتها دون غيرها من الأمور التي لا ترتقي لأهميتها ودورها»^(٣٤).

لقد أدرك السيد الشهيد الصدر رحمته الله إنّ العلاقة بين المرجع والأمة علاقة تكاد تكون منحسرة، أو مقتصرة على ناس محددين، فأتاحت صلاة الجمعة هذه الفرصة لكلّ الناس إذ إنّ العلاقة بالمرجع كانت ضعيفة. إذ لا يعلم أكثرهم كيف يستطيع الوصول إلى المرجع. أو أسباب أخرى قد تكون سياسية تحول دون الوصول إلى لقاء المرجع ف «إنّ ظروفّاً سياسية وغير سياسية قاهرة أدت إلى

نمط من العلاقة المحدودة بين المرجعية والأمة لقد أدى هذا النمط إلى انحسار في التفاعل أو إلى غموض حول دور المرجع ووظائفه ومهامه ولا سيما في ساحة مثل الساحة العراقية كانت أسباب انزوال المرجعية في ظل قمع السلطة ومحاصرتها وبحثها عن ذرائع لإيذاء المرجعية الأمر الذي انعكس سلباً على دور المسيرة الإسلامية في حجمها ونفوذها»^(٣٥).

وهكذا عُدَّت صلاة الجمعة منبر الأحرار، ومصنع الأبطال، ومحفل يلتقي فيه طلاب الحرية، ممن أرادوا الوقوف بوجه الطغاة، ومحاربتهم، وبناء أنفسهم بمستوى يجعلهم مؤهلين للنهوض بواقعهم، وتحقيق الأهداف المنشودة التي كان يروم تحقيقها قائدهم وإمامهم.

١. الانفتاح على طبقات المجتمع المتنوعة

إنَّ من أهم السمات التي ميَّزت المشروع الإصلاحي للسيد الشهيد الصدر رحمته الله انفتاحه على جميع أطراف المجتمع العراقي، وهذا مصداق لفكرة أنَّه قائد الجماهير لا قائد فئة محددة. وهذا نابع من فكره الذي بُني على أساس أنَّ تغيير الواقع الاجتماعي يتطلب تغيير المجتمع بأسره، لا انحصار التغيير بمجموعة دون أخرى. فضلاً عن شعوره بأهمية التلاحم بين أطراف المجتمع العراقي

ووحدتهم لتحقيق الهدف المنشود، وتغيير الواقع المرير الذي كان يعيشه الشعب العراقي آنذاك. فقد «انفتح الشهيد الصدر الثاني على الأمة وبأوسع نطاق من خلال نشر وكلائه في مختلف المناطق فضلاً عن المحاكم الشرعية التي أنشأها في أغلب مدن العراق كما ذكرنا ورسالته العملية ومجموعة من الكتيبات التي تناولت مواضيع مختلفة وبعد هذا التركيز قام بتحركه الكبير في إقامة صلاة الجمعة، وألزم بها الرجال جميعاً سواء كانوا مقلدين له أو غير مقلدين من مبدأ الولاية»^(٣٦).

وقد مثل هذا الانفتاح ركيزة أساسية من الركائز التي بني عليها مشروعه الإصلاحي و «كان هذا الانفتاح والخطاب يشكّل العمود في صياغة وتوجيه نظريته السياسية الوجه الصحيح»^(٣٧).

وكأنَّه أراد تعميم مشروعه إذ «اعتمد الشهيد الصدر الثاني منهجاً تغييرياً يشمل جميع الشرائح الاجتماعية في المجتمع العراقي، فلم يقتصر خطابه الجماهيري على أوساط الحوزيين أو المتدينين أو الحاضرين في صلاة الجمعة - رغم تنوع انتماءاتهم الاجتماعية - بل استطاع بفهم عميق بمكونات مختلف الطبقات الاجتماعية ومتابعة دقيقة لنمط تفكيرها أن يخاطبها بالأسلوب الذي تفهمه، بما يقربها من الاسلام وتعاليمه»^(٣٨).

فلم يكن خطاب السيّد الشهيد الصدر رحمته الله مقتصرًا على فئة معينة بل إنّه توجّه في تحركه لكافة قطاعات المجتمع وكان في كثير من الأحيان يوجه خطبتي الجمعة لشريحة معينة من شرائح المجتمع ^(٣٩)

فبدأ بمخاطبة الحوزة الشريفة بكل تمفصلاتها إذ «أراد السيّد إصلاح الوسط الحوزوي قدر الإمكان كي يتحمل هذا الوسط مسؤوليته العظيمة وتأثيره في المجتمع. ولكي يتمكن من أداء رسالته يجب أن يتخلص من بعض الأعراف والتقاليد التي تشكل حاجزاً بين الحوزة وجماهير الأمة» ^(٤٠)

وخاطب السدنة وعدّهم «مرجعاً دينياً لكن مرجعيته تختص في الصحن والحضرة، وليست عامة لكل المجتمع. وهذا يعني التحلي بالكثير من الصفات التي يفتقدها السدنة ومن أهمها التفقه في الدين وبالفضل وبالفهم. ويحرم أن يكون الجاهل سادناً لأنّ السدانة مع المعصومين مسؤوليتها مباشرة، وكذلك يتصرف بأموال المعصوميت وبسمعة المعصومين» ^(٤١)

وتوجه إلى رؤساء العشائر قائلاً: «الآن نوجه كلامنا إلى رؤساء العشائر ومشايخها خاصة وإلى أفراد العشائر عامة. لأنّ النظام الذي يمشي عليه هؤلاء هو نظام باطل وغير شرعي وغير مرضي لله عزّ وجلّ» ^(٤٢)

وتجاوز في هذا الموضع حد النصح والإرشاد وتوجيه

التعليمات إنّما «تحرك معهم ميدانياً... وحقق انجازات ضخمة... لقد اجتمع بزعمائهم واتفق معهم لإلغاء السنيّة العشائرية القائمة على أسس جاهلية، ثم أنشأ صيغة وقعها مع الكثير من زعماء العشائر مبنية على سنيّة عشائرية دينية طبقاً لأحكام الحوزة العلمية» ^(٤٣)

وشعر أنّ واجبه الشرعي يحتم عليه أن يلقي بالنصح والإرشاد إلى الموظفين على اختلاف مناصبهم الوظيفية ف«توجه إلى طبقة الموظفين والسياسيين فوجد منهم تجاوباً ليس على المستوى المطلوب، ولكنّه استدرك وقال انه يعتقد أن تجاوبهم معه لا بدّ أن يكون واسعاً ولكن الضغط الاجتماعي هو الذي يمنع عن بيانه وابرازه» ^(٤٤)

وكان من أولويات مشروعه الإصلاحية خلق الوحدة الإسلامية والتقريب بين المذاهب لذلك امتدت يده الطاهرة إلى أهل السنة، وتوجه إليهم «وبين في كلمته بأنهم قد تجاوبوا معه تجاوباً واضحاً ومسرّاً، والظاهر أنّه كان ينسق معهم ولم يكشف عن تفاصيل ذلك التنسيق ولكنّه قال أنّ العلاقة معهم (أنتجت أفضل النتائج» ^(٤٥)

وأثمر هذا التوجه في مسيرة السيّد الشهيد الصدر «فقد بنى علاقات مع أهل السنة، أفراداً وأئمة جماعات ومساجد. وأصدر توصياته بانفتاح الأوساط الشيعية عليهم والتعاون معهم وحضور مساجدهم والصلاة خلفهم. فقد

١. اعتماد الشباب في تصدير حركته الفكرية

تطلع السيّد الشهيد الصدر رحمته الله إلى الواقع المجتمعي العراقي، وقدّر الهم الذي يعيشه، وحدد سبلاً لإخراجه من واقعه، وكانت تلك السبل مبنية على وفق منظومة إصلاحية، رام تحقيق قسم منها في الوقت القريب، وآخر على المدى البعيد، وأدرك صعوبة المهمة الملقة على عاتق من يتكفل بالإسهام في تحقيق هذا المشروع الإصلاحي؛ لذلك توجهت أنظاره إلى طبقة الشباب من المجتمع، فقد عوّل عليهم وعقد عليهم الآمال. ليكونوا أداة لتصدير أفكاره، وممارسة الأسس التي تبناها في المجتمع.

فقد اهتم الصدر الثاني كثيراً ببناء جهاز مرجعي متطور قادر على مواكبة أفكاره ونشاطاته، وركز على تربيّة طلابه واختيار وكلائه بين الشباب الجامعي المثقف حيث إن الكثير من وكلائه من خريجي الجامعات... وكان أغلبهم من فئة الشباب الذين يشكّلون جزءاً حيويّاً من شروط ^(٥٠) التفاعل مع أجيال الأمة الجديدة لصناعة المستقبل

وكان السيّد الصدر يُعنى كثيراً بهذه الطبقة، وقد أولى هذه الشريحة الاجتماعية اهتماماً عبر نقد مصادر الثقافة المنحرفة التي تسوغ للشباب الانحراف والانحلال الأخلاقي ^(٥١) يقول السيد: «لولا وجود الشباب المؤمن الواعي الذين يتصدون للذهاب إلى مناطق العشائر

تمكن من بناء علاقات وثيقة مع أهل السنة بشكل جعلهم يأتون إلى مسجد الكوفة للمشاركة في صلاة الجمعة وكان يستقبلهم ويحييهم في خطبة الجمعة.» ^(٤٦)

وإيماناً منه بشمولية مشروعه الإصلاحي خاطب المسيئين والطبقات التي تسمع يوماً نداء أحد لها فقد «توجه على هذا المنوال في خطبتين أخرتين إلى الغجر (الكاولية) متناً تاريخهم وعلاقتهم بالغجر في باقي أنحاء العالم، ثمّ ذكراً تصرفاتهم وطرق كسبهم للمال الحرام، وأثر ذلك المال على واقعهم في الحياة الدنيا وآثاره ^(٤٧) في الآخرة»

ولم يكن من في داخل العراق همهم الوحيد فقد «سعى الشهيد الصدر الثاني إلى تقوية علاقته بالأمة خارج العراق رغم الحصار الدولي المفروض على العراق. وقد حيّا الجماهير العراقية في المهجر بقوله: «وحيا الله العراقيين النازحين من بلادهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله.» ^(٤٨)

وهذه الخطوات التي اختطها تشير إلى «أنّ تحرك الشهيد الصدر على هذا المنوال يعني أنّه كان سائراً في اتجاه قيادة كافة قطاعات الشعب العراقي وبالتالي تفريغ السلطة من قيادتها للشعب» ^(٤٩).

وهذا ما كان ينبغي تحقيقه، والوصول إليه، لإكمال مشروعه، وتحقيق أهدافه المنشودة.

عهدايتهم بين حين وآخر، جزاهم الله خير جزاء
المحسنين»^(٥٢).

وقد أحسن الاختيار حقاً، فقد كان انتقاؤه لهذه الطبقة
اجراءً بدت حسناته في حياة السيّد الصدر عليه السلام، بما حققه من
انجازات في وقت قياسي بدت ملامحه على الشارع العراقي
الذي تفاعل مع مشروع السيّد الصدر عليه السلام، وتأثر به. فضلاً عن
أنّ «الأحداث بعد استشهاد الصدر الثاني أثبتت أن البناء
الهيكل لمؤسسة المرجعية ومؤسسة الوكلاء بالخصوص
للسيّد الشهيد كان بناءً متماسكاً وواعياً لمسؤولياتها وتعكس
مدى اهتمام السيّد بهذه المؤسسة من خلال اختياره وتربيته
لوكلائه في مثل هذه الظروف القاسية»^(٥٣).

على الرغم من كلّ الضغوطات التي مُرست من قبل
السلطة على هذه الكوكبة من الشباب الرسالي بعد
استشهاد السيّد الصدر فهجر من هجر واستشهد من
استشهد إلا أنّهم لم يتهاونوا في نشر الأفكار التي آمنوا بها
ودافعوا عنها دفاعاً كبيراً وهذا دليل على دقة الاختيار
وسلامة الانتخاب لمن يحملون المنهج الرسالي للسيّد
الشهيد الصدر عليه السلام.

الخاتمة:

لقد كان مشروع السيّد الشهيد الصدر مشروعاً إصلاحياً

كبيراً ولد في ظروف مريرة فقد مثّل نقلة نوعية بحسب كلّ
المعطيات، وسيبقى رافداً لكلّ الأحرار الذين ينشدون
الحرية والكرامة. وأهمّ ما ميّزه أنّه نتج عن دراسة واعية
للواقع الاجتماعي العراقي فجاء ملائماً لذلك الواقع، ولذلك
الطرف، فقد شخص الواقع، ووضع يده على الجروح التي،
واختار سبلاً ناجعة من شأنها أن تُبرأ ذلك المجتمع من
أمراضه، وتنجيه من محنه، وتخرجه من الدهاليز التي كان
قابعاً به.

وقد أثمر هذا المشروع وجنى ثماره من عاش مع السيّد
الصدر عليه السلام، وتعلّم منه، واستفاد من فكره وتعاليمه، فضلاً
عن الذين اطلعوا على حياة السيّد الصدر عليه السلام وجعلوه نبراساً
يقتدون به في حياتهم.

وحري بنا وبقاتنا أن لا نغفل عن كل القيم التي
أشاعها السيّد الصدر عليه السلام وحاول غرسها في نفوس أبناء
المجتمع.

فسلام عليه، وعلى كلّ الشهداء الذين أسهمت
دمائهم بإعلاء كلمة الحق، والحفاظ على بيضة الإسلام.

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة
والسلام على محمد وآله الطيبين الطاهرين.

روافد البحث:

- أين نحن من الصدر وصلاة الجمعة: عبد الجليل الندوي، إصدارات مركز الدراسات التخصصية في فكر السيد الشهيد محمد الصدر رحمته، دار القارئ، الطبعة الأولى، بيروت - لبنان ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م.
- تاريخ الغيبة الصغرى: محمد الصدر، دار التعارف، الطبعة الأولى، (د. م)، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.
- خطب الجمعة: السيد الشهيد محمد الصدر رحمته.
- شذرات من الأفكار والممارسات الحديثة للمرجع الشهيد محمد الصدر رحمته: سعيد العذاري، مركز الشهيدين الصدرين للدراسات والبحوث، قم المقدسة، (د. ت).
- الشهيد الصدر الثاني رجل الانتفاضة الشعبانية: أثير نجاح حسن، مركز الشهيدين الصدرين للدراسات والبحوث، الطبعة الأولى، بغداد ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.
- الشهيد محمد الصدر القيادة الاستثنائية في تاريخ العراق المعاصر: الدكتور صلاح مهدي الفضلي، (د. ط)، بغداد ٢٠٠٨م.
- الصدر الثاني (دراسات في فكره وجهاده): نخبة من الباحثين، مؤسسة دار الإسلام، الطبعة الأولى، (د. م)، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.
- القيادة في نهج الأنبياء: الشيخ محمد الكعبي، الطبعة الأولى، (د. م)، ١٤٣٢هـ.
- محمد الصدر ثورة الكلمة في زمن الصمت: وقائع المؤتمر الفكري الثالث، مؤسسة وارث الأنبياء الثقافية، الطبعة الأولى، البصرة - العراق، ٢٠٠٩م.
- محمد محمد صادق الصدر مرجعية الميدان: عادل رؤوف، المركز العراقي لإعلام والدراسات، الطبعة الأولى، دمشق - سوريا، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.
- المرجعية الدينية من الذات إلى المؤسسة: حسين بركة الشامي، مؤسسة دار الإسلام، الطبعة الأولى، (د. م)، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م.

الهوامش:

- [١] الشهيد الصدر الثاني رجل الانتفاضة: ٥٤.
- [٢] ينظر: السيد الشهيد محمد محمد صادق الصدر (العلاقة بين فقيهه والمجتمع)، ضمن كتاب (الصدر الثاني دراسات في فكره وجهاده)، ٢٩٠.
- [٣] المصدر نفسه: ٢٧٥.
- [٤] المصدر نفسه: ٢٩٧.
- [٥] المرجعية الدينية من الذات إلى المؤسسة، ٢٩٩.
- [٦] الشهيد الصدر الثاني رجل الانتفاضة الشعبانية، ٤٦.
- [٧] ينظر: محمد الصدر (دراسة في خطابه الفقهي والاجتماعي) ضمن كتاب (محمد الصدر ثورة الكلمة في زمن الصمت)، ١٥١.
- [٨] السيد الشهيد محمد محمد صادق الصدر العلاقة بين الفقيه والمجتمع، ضمن كتاب (الصدر الثاني دراسات في فكره وجهاده)، ٢٧٣.
- [٩] مرجعية السيد الشهيد محمد الصدر هدم ركاز التقليد وإحياء سنن العصر، ضمن كتاب (الصدر الثاني دراسات في فكره وجهاده)،

١٦٠.

[١٠] مرجعية السيّد الشهيد محمد الصدر هدم ركام التقليد وإحياء سنن العصر، ضمن كتاب (الصدر الثاني دراسات في فكره وجهاده)، ١٦٢.

[١١] القيادة في نهج الأنبياء، ١٣٧.

[١٢] محمد محمد صادق الصدر مرجعية الميدان، ١٣٣.

[١٣] التوعية الجماهيرية عند السيد الشهيد الصدر الثاني، ضمن كتاب (الصدر الثاني.. دراسات في فكره وجهاده)، ٣٨١.

[١٤] نظرية العمل السياسي عند السيّد الشهيد محمد الصدر، ضمن كتاب (الصدر الثاني.. دراسات في فكره وجهاده)، ٢١٠.

[١٥] تاريخ الغيبة الصغرى، ٢١٨.

[١٦] نظرية العمل السياسي عند السيّد الشهيد محمد الصدر، ضمن كتاب (الصدر الثاني.. دراسات في فكره وجهاده)، ٢٥٢.

[١٧] الشهيد محمد الصدر القيادة الاستثنائية في تاريخ العراق المعاصر ٨٨ - ٨٩.

[١٨] السيّد الشهيد محمد محمد صادق الصدر (العلاقة بين الفقيه والمجتمع)، ضمن كتاب (الصدر الثاني دراسات في فكره وجهاده)، ٢٩٤.

[١٩] الإصلاح الاجتماعي في فكر السيد الشهيد محمد محمد صادق الصدر، ضمن كتاب (محمد الصدر ثورة الكلمة في زمن الصمت، ١٥٢).

[٢٠] المصدر نفسه، ١٥٢.

[٢١] إمام جمعة الكوفة ودجال بغداد، ضمن كتاب (الصدر الثاني دراسات في فكره وجهاده)، ١٧٣.

[٢٢] شذرات من الأفكار والممارسات الحديثة للمرجع الشهيد محمد

الصدر، ١٤.

[٢٣] الإصلاح الاجتماعي في فكر السيد الشهيد محمد محمد صادق الصدر، ضمن كتاب محمد الصدر ثورة الكلمة في زمن الصمت، ١٥٥.

[٢٤] مرجعية السيّد الشهيد محمد الصدر هدم ركام التقليد وإحياء سنن العصر، ضمن كتاب (الصدر الثاني دراسات في فكره وجهاده)، ١٦٥.

[٢٥] خطبة الجمعة رقم ٢٢.

[٢٦] خطبة الجمعة رقم ١٣.

[٢٧] مرجعية السيّد الشهيد محمد الصدر هدم ركام التقليد وإحياء سنن العصر، ضمن كتاب (الصدر الثاني دراسات في فكره وجهاده)، ١٦٦.

[٢٨] محمد محمد صادق الصدر مرجعية الميدان، ٣٠٠. (بتصرف).

[٢٩] محمد محمد صادق الصدر مرجعية الميدان، ١٤٩ - ١٥٠.

[٣٠] خطبة الجمعة رقم ٢٠.

[٣١] محمد محمد صادق الصدر مرجعية الميدان، ١٤٨.

[٣٢] ينظر: المصدر نفسه، ١٤٨.

[٣٣] أين نحن من الصدر وصلاة الجمعة، ١٩٧.

[٣٤] أين نحن من الصدر وصلاة الجمعة، ١٤٤ - ١٤٥.

[٣٥] المصدر نفسه، ١٤٨.

[٣٦] مرجعية السيّد الشهيد محمد الصدر هدم ركام التقليد وإحياء سنن العصر، ضمن كتاب (الصدر الثاني دراسات في فكره وجهاده)، ١٦٠.

[٣٧] الشهيد محمد الصدر القيادة الاستثنائية في تاريخ العراق المعاصر، ٤٨.

- [٣٨] آلية العلاقة بين المرجع والأمة، ضمن كتاب (الصدر الثاني دراسات في فكره وجهاده)، ٣٣٩.
- [٣٩] ينظر: مرجعية السيّد الشهيد محمد الصدر هدم ركّام التقليد وإحياء سنن العصر، ضمن كتاب (الصدر الثاني دراسات في فكره وجهاده)، ١٦٢.
- [٤٠] آلية العلاقة بين المرجع والأمة، ضمن كتاب (الصدر الثاني دراسات في فكره وجهاده)، ٣٣٩.
- [٤١] آلية العلاقة بين المرجع والأمة، ضمن كتاب (الصدر الثاني دراسات في فكره وجهاده)، ٣٤٢.
- [٤٢] خطبة الجمعة رقم (٢١).
- [٤٣] مرجعية السيّد الشهيد محمد الصدر هدم ركّام التقليد وإحياء سنن العصر، ضمن كتاب (الصدر الثاني دراسات في فكره وجهاده)، ١٦٣.
- [٤٤] مرجعية السيّد الشهيد محمد الصدر هدم ركّام التقليد وإحياء سنن العصر، ضمن كتاب (الصدر الثاني دراسات في فكره وجهاده)، ١٦٥، وينظر: خطبة الجمعة رقم (٤٥).
- [٤٥] مرجعية السيّد الشهيد محمد الصدر هدم ركّام التقليد وإحياء سنن العصر، ضمن كتاب (الصدر الثاني دراسات في فكره وجهاده)، ١٦٥.
- [٤٦] آلية العلاقة بين المرجع والأمة، ضمن كتاب (الصدر الثاني دراسات في فكره وجهاده)، ٣٥٦.
- [٤٧] مرجعية السيّد الشهيد محمد الصدر هدم ركّام التقليد وإحياء سنن العصر، ضمن كتاب (الصدر الثاني دراسات في فكره وجهاده)، ١٦٤.
- [٤٨] محمد محمد صادق الصدر مرجعية الميدان ٣٦٨.
- [٤٩] مرجعية السيّد الشهيد محمد الصدر هدم ركّام التقليد وإحياء سنن العصر، ضمن كتاب (الصدر الثاني دراسات في فكره وجهاده)، ١٦٤.
- [٥٠] ينظر: محمد محمد صادق الصدر مرجعية الميدان ١٦٠، وآلية العلاقة بين المرجع والأمة، ضمن كتاب (الصدر الثاني دراسات في فكره وجهاده)، ٣٢٨.
- [٥١] آلية العلاقة بين المرجع والأمة، ضمن كتاب (الصدر الثاني دراسات في فكره وجهاده)، ٣٤٣.
- [٥٢] خطبة الجمعة رقم ٢١.
- [٥٣] التوعية الجماهيرية عند السيد الشهيد الصدر الثاني عليه السلام، ضمن كتاب (الصدر الثاني.. دراسات في فكره وجهاده)، ٣٨٣.

صَلَاةُ الْجُمُعَةِ
فِي مَشْرِوعِ الشَّهَادَةِ
الْأَهْدَافُ وَالْثَّمَارُ

❖ د. بان صالح مهدي (*)

(*) باحث، كلية التربية للبنات، جامعة بغداد، العراق.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على
خير خلقه أجمعين، وآله الطيبين الطاهرين.

أما بعد:

فقد حمل السيد الشهيد الصدر عليه السلام رسالة دينية
 واجتماعية وأسس لمشروع رام منه تغيير الواقع
 الاجتماعي العراقي إذ كان يرى أن لا بُدَّ من تغييره.
 وقد اتخذ طائفة من السبل ليحقق هذا التغيير، وقد
 خطى خطوات متناسقة متسلسلة لاكمال مشروعه
 الرسالي. وكانت صلاة الجمعة واحدة من أهم هذه
 الوسائل التي اعتمدها لتحقيق ما يصبو إليه. على
 الرغم من خطورة الموقف آنذاك، فقد كانت تلك
 الصلاة صرخة دوت بعد سني الصمت في وجه أعتى
 حكم دكتاتوري متسلط، ولم يكن السيد الشهيد

الصدر عليه السلام يبالي أن يقدم قربان نجاح هذه الصلاة
 نفسه الزكية وقد قدمها فعلاً.

وما إقامة صلاة الجمعة إلا دليل على أن السيد
 الشهيد الصدر عليه السلام يحمل رسالة إلى أبناء المجتمع
 كافة، لا فئة خاصة فإن «إقامة صلوات الجماعة
 والعيد والجماعة إلا دليل على أن مشروعه لم يكن
 يستهدف شريحة أو طائفة بعينها وإنما لها أهداف
 ومضامين متعددة مثل إيجاد قنوات اتصال
 جماهيرية للتأثير والتأثر وتأكيد الوحدة الوطنية»^(١)

فصلاة الجمعة أهم ما ميّز الشهيد محمد محمد
 صادق الصدر عليه السلام، وكان لهذه الصلاة دوافع وأهداف
 كانت تكمن في نفس السيد الشهيد عليه السلام، فصلاة
 الجمعة هي العلامة الفارقة بين مرحلتين: مرحلة^(٢)
 الحذر والترقب، والأخرى مرحلة التطلع والإقدام

فما قاله الشهيد الصدر رحمته الله في خطبته التي سبقت اغتياله: «إننا عهدنا الاستعمار والمستعمرين منذ وجدوا يكرهون الإسلام الحنيف والمذهب الجليل ويكيدون ضده مختلف المكائد والدسائس، ويريدون إضعافه بكل وسيلة، ويكرهون شعائره وطقوسه ويحاولون تقلييلها إلى أقل قدر ممكن، بل إلغائها بالمرة بما في ذلك مرسوم الزيارة، وإصدار الكتب والنشرات، وإلقاء الخطب والصلوات. ومن هنا كانت صلاة الجمعة شوكة في عيون المستعمرين عامة وإسرائيل خاصة لما كان فيها وما زال من عزٍّ للمذهب والدين، وهداية الناس، والتسبب في لمّ الشمل وجمع الكلمة على الحق»^(٣)

وقد مهّد السيد الشهيد الصدر رحمته الله لهذه الصلاة، ودرس بتأنٍ كل حيثياتها وتفصيلاتها، لأنّها خطوة تنبني عليها خطوات آخر، ويتحقق بنجاحها بقية فصول المشروع الإصلاحية الذي تبناه، وجاهد لتحقيقه، فخطط لكل صغيرة وكبيرة في هذه الصلاة، وبنى لها أهدافاً خاصة، وانتظر منها ثماراً محددة. وبعد استكمال كلّ تلك التحضيرات أمر رحمته الله بإقامتها من قبل وكلائه في بغداد والمحافظات قبل

أن يقيمها هو. وقد انتقى مجموعة من الشباب الرساليين من طلبة الحوزة للقيام بمهمة إمامة الجمعة في أماكنها التي حددها.

وبعد هذه البداية جاءت مرحلة أخرى وهي شروع السيد الشهيد الصدر رحمته الله بإقامة صلاة الجمعة بنفسه لا بساً كفته الذي أعلن به أنّه ينتظر الموت ولا يخافه ولا يأبه بالظالمين وقد وقع اختياره على مسجد الكوفة ليكون محل إقامة هذه الصلاة، ولم يكن هذا الانتقاء بلا قصدية منه رحمته الله، إذ عبّر اختياره عن فلسفة خاصة، وكانت عوامل كثيرة هي الدافع وراء هذا الاختيار.

فلسفة اختيار مسجد الكوفة لإقامة صلاة الجمعة:

كانت هنالك مجموعة من الدلالات والأسباب وراء اختيار السيد الشهيد الصدر رحمته الله مسجد الكوفة لإقامة الصلاة فيه وتلك الدلالات انقسمت على: تاريخية وحاضرة ومستقبلية.

١. الدلالة التاريخية:

مسجد الكوفة له عمق تاريخي كبير، أضفت

عليه سمات لم تكن موجودة في مساجد أخرى فقد كان يسمى مسجد الكوفة بالمسجد الأعظم، وهو المسجد الجامع، يقع في الكوفة وهي من المدن التاريخية العريقة إذ «مصرّت الكوفة عام ١٧هـ - ٦٣٨م، ومصرّها سعد بن أبي وقاص بأمر من الخليفة عمر بن الخطاب في الجانب الغربي من الفرات على بضعة أميال إلى الجهة الشمالية الشرقية من مدينة الحيرة في السهل المحصور ما بين الفرات شرقاً، والبادية المطلة على شارق الشام وعمّان غرباً»^(٤)

وقد كانت عجلة التطور في هذه المدينة المقدّسة تتحرك بسرعة كبيرة وبصورة ملفتة للنظر ف «ما أن حطت القبائل رحالها في المصر الجديد، وبدأ العمران حتّى توافد عليها الناس من كلّ صوب، ثم نمت الكوفة بعد ذلك، وتحضّرت، وازدهر فيها العمران حتّى صارت قبلة أنظار العرب وزعمائهم»^(٥)

فمدينة الكوفة يتسع معناها الأوسع لمدينة النجف الأشرف، وضواحيها، وتعدّ من أهم مراكز التشيّع منذ تمصيرها.

وقد اتخذها الإمام علي عليه السلام مقراً لحكمه فضلاً عن استقراره فيها فهي تمثل «معدن الشيعة، ومحبي أهل البيت، اشتهرت بذلك قديماً وحديثاً،

وتكلم رجل عن الصادق جعفر بن محمد (عليهما السلام) فقال له: لو تكلمت بهذا في الكوفة لأخذتك النعال من كلّ جانب»^(٦) وما هذا القول عنه عليه السلام إلا دليل على كثرة الشيعة ومحبي أهل البيت في هذه المدينة.

فكان الامام علي عليه السلام يتخذ مسجد الكوفة مكاناً لصلاته، وفي هذا المسجد سقط أمير المؤمنين شهيداً على يد ابن ملجم (لعنه الله).

ويتضح من ذلك أنّ السمات التي دفعت السيد الشهيد الصدر عليه السلام لاختيار هذه المدينة: بعدها التاريخي، وكثرة الشيعة فيها على مرّ العصور، فضلاً عن اتخاذها من لدن الإمام علي عليه السلام مكاناً لصلاته، والأهم مما مرّ أنّ هذا المسجد الشريف شهد استشهاد الإمام علي عليه السلام. فإقامة الصلاة من قبل السيد الشهيد الصدر عليه السلام في هذا المسجد إعلان عن رغبته في الشهادة، وقد جسّد هذا الفكر حين كان يذهب إلى صلاة الجمعة في المسجد يرتدي الكفن وفي هذا دلالة إيحائية وإيحاء ضمني أنّه كان يسير في الطريق نفسه الذي سار فيه جده أمير المؤمنين علي عليه السلام ويصلي الصدر عليه السلام في المحراب الذي استششهد فيه جده عليه السلام.

ويشير إلى أن تجمع المؤمنين في هذا المسجد الشريف للصلاة يمثل بداية الحركة نحو بناء مجتمع جديد يتخلص من ظلم الحكام آنذاك وجبروتهم، ومنها ستكون الانطلاقة نحو عهد جديد يبرز فيه صورة المجتمع الإسلامي الذي لا يرضخ للطواغيت ف «صلاة الجمعة التي اتسعت ظاهرتها بدفع من السيد الشهيد الصدر عليه السلام كانت محاولة تتسم بالجرأة والحنكة لتوعية الأمة وتفكيرها بأمجادها وأعدائها لتحمل مهمات المستقبل المناطة بهذه الصلاة، وبهذه المدينة المبجلة، ومسجدها الأعظم. فهذه المدينة شهدت حكم العدل على يد الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، وستكون مركز القيادة المستقبلية.»^(٧)

٢. الدلالة الحاضرة

أما الدلالة الحاضرة التي كمنت في نفس السيد الشهيد الصدر عليه السلام هي أنه أراد أن يكون مسجد الكوفة «رابطاً قوياً بين محطتين: محطة الماضي العريق الزاخر بالعطاء ومحطة المستقبل المنير الذي ستكون فيه الكوفة عاصمة للعالم حيث دولة العدل»^(٨)

لقد كان اختيار الشهيد الصدر عليه السلام للكوفة، ومسجدها معبراً عن حاجة لربط الماضي بالمستقبل عبوراً بالحاضر. وهذا الربط لا يعني فقط وجود حاجة آنية لمسجد يسع حشداً من الجماهير يصل إلى عشرات الآلاف من الناس، إنما يعبر عن معرفة تاريخية نافذة وقدرة ذكية على تسخير الماضي في خدمة الحاضر. وإنه محاولة ستؤدي غرضها حينما يحاول عالم ومرجع أن يستخدم قدسية المكان لتحقيق عملية التغيير في الجمهور لا في عراق اليوم وحده وإنما ليكون من يمهّد لنشر العدل الإلهي على ربوع البسيطة.^(٩)

وقد «أفلح السيد الشهيد الصدر عليه السلام في إعادة الكوفة إلى الموقع المركزي في نفوس الشيعة، فكانت صلاة الجمعة في مسجدنا منها قوياً إلى هذا الموقع المقدس الذي سيكون منبره مركز حكم سيمتد في عدله على العالم، وستسعد البشرية في المستقبل بوساطة المخلصين دائبي العمل في مدينة الكوفة مدينة الأمل الخالد التي أعادت لمسات السيد الشهيد الصدر عليه السلام، وخطواته الجريئة بعضاً منه، ووضعت على الطريق الصائب الذي لا يمكن تجاوز أهميته، أو التغافل عن عطاءاته الروحية المقدسة.»^(١٠)

٣. الدلالة المستقبلية

أدرك الشهيد الصدر رحمته أهمية الكوفة، و قدسية مكانها منذ زمن طويل سبق تصديه للمواجهة... ومنذ ذلك الوقت كان السيد الصدر رحمته يرى في الكوفة رمزاً لا بدّ من الإفادة من عطائه بأقصى قدرة، ولا بدّ من إعادة الوعي الشيعي الصحيح الذي يربط حاضر الشيعة بمستقبل زاهر سيكون مركزه المؤكد هو الكوفة. ولم يختار السيد الصدر رحمته كمدينة فحسب بل اختار مسجدها الأعظم ليكون منطلقاً لتحركه الواسع ويكن المسلمون لهذا المسجد احتراماً كبيراً^(١١)

وأكد الشهيد الصدر رحمته أنّ المنطقة الرئيسة لوجود الإمام المهدي المنتظر عليه السلام بعد مكة المكرمة هي الكوفة وهي حسب تقديره تشمل النجف وضواحيها. واجتماع المؤمنين في الكوفة نصراً وتأييداً للإمام القائم عليه السلام. وإنّ الخطاب الأساسي الذي سيوجهه الإمام القائم سيكون من مسجد الكوفة، وسيصلي بالناس صلاة الجمعة^(١٢).

كلّ تلك الأسباب شكّلت لمسجد الكوفة رمزية خاصة دفعت السيد الشهيد الصدر رحمته إلى أن يقع اختياره عليه ليكون المنطلق الذي يشع منه نور الحرية الفكرية، وإنهاء زمن الخنوع والذلة، وارتفاع صوت الحق والمضي قدماً ببناء المجتمع الذي حدد ملامحه ديننا الإسلامي

الحنيف، وتهيئة أنصار الإمام المهدي المنتظر عليه السلام.

أهداف صلاة الجمعة

ثمة أهداف أراد لها السيد الشهيد الصدر رحمته أن تتحقق من صلاة الجمعة التي أقامها. إذ تمثل تلك الأهداف الخطوط العريضة التي تمثل المشروع الرسالي الذي تبناه، وأمن به، وأصر على تحقيقه.

إنّ الهدف الأساسي لصلاة الجمعة بعد رضا الله تعالى هو أن تكون صلاة الجمعة حجر عثرة ضد الطغيان الإسرائيلي والصدّامي. يقول السيد الشهيد الصدر: «فبإمكاننا مجابهة إسرائيل بنفسها بما يحصل فينا من تكاتف وتضامن وعزّة وحسن توفيق وعزّة بالحق، وعزّة بأهل البيت، وإطاعة الله وأهل البيت»^(١٣)

«فأراد السيد الشهيد الصدر رحمته أن تمثل الجمعة جسراً تواصلياً بين المرجع والأمة من خلال لقاء دوري شمولي عام وليس لقاء خاصاً شخصياً مع المرجع، فقد لا يتسنى للكثير من الناس الذين لم تتح لهم الظروف الالتقاء بالمرجع. أو أنّهم لا يعرفون آليات الوصول إليه وبالتالي فهم يتواصلون معه عبر أدبيات فتواه فقط من دون أن يعيشوا تصوراتهم وجهاً

لوجه وممن دون أن يعيش تصوراتهم بصورة مباشرة^(١٤).

فإن صلاة الجمعة تعدّ استنفاراً أسبوعياً للشارع العراقي الذي لم يعتد من قبل اجتماعاً جماهيرياً يختزن التماسك الاجتماعي وشعور الفرد أنّه منتمي إلى شعب عريق وقوي يعبر عن مشاعره ويعزز ثقته بنفسه من خلال عملية تواصل وبناء فكري وتنقيف سياسي^(١٥).

والهدف الآخر الذي سعى إليه الشهيد الصدر ﷺ من وراء صلاة الجمعة هو تعزيز حالة الانتماء الجماهيري للمرجع وتمسكاً به؛ لأنّهم يتفاعلون معه عبر المشهد البصري، والاستجابة السمعية لخطبه. «فهي وسيلة للوصول إلى المجتمع للارتقاء به إلى آفاق الإسلام الرحبة، وسوقه إلى طاعة الباري وعبوديته، وتحريره من كلّ قيود المعصية والرديلة وإطاعة حكام الجور والطغيان»^(١٦).

وأهم أهداف صلاة الجمعة هو نشر الوعي الديني. إنّ اللقاء الأسبوعي الذي ينعقد بوساطة صلاة الجمعة يحقق أثراً إيجابية على الجانب الديني للفرد. إذ إنّ الفرد الذي يتواصل مع المرجع ليسمع ويشاهد مرجعه عندما يتكلم، وماذا يتكلم بالنتيجة

سوف يكون له أثر على تكوين شخصيته الدينية في بنائها بناءً صحيحاً قوياً؛ لأنّ هذا اللقاء والمداومة عليه يروض نفس الانسان، ويغذيها بالمعارف الايمانية فهو أشبه بشرب ماء نقي يروي الانسان وينعشه. فضلاً عن أنّ ما يسمعه من كلام صالح يغذي روحه ونفسه فينعشها بالايمان.

وهكذا فإنّ المداومة على صلاة الجمعة، وسماع خطبة المرجع تمثّل مرتكزاً أساسياً لقيام الدين، ونشره في المجتمع، فضلاً عن بث الأفكار التي يريد المرجع إيصالها إلى قاعدته الجماهيرية. وواد كلّ ما يشوه الدين والمذهب والمرجع. «ومنهما عرف الناس إنّ عدداً كبيراً من الحوزويين غير ما كانوا يتصورون، وفهم الناس أنّ الأسلوب القديم عند بعض الحوزويين قائم على القصور والتعقيد»^(١٧).

ومما أرادّه السيد الشهيد الصدر ﷺ من صلاة الجمعة هو تحقيق البعد الاجتماعي إذ إنّ التعاقب على الحضور لأداء هذه الصلاة يقوي الأواصر الاجتماعية ويجعل أبناء المجتمع وحدة واحدة يصعب على الأعداء كسر هذه العصبة التي اجتمعت من أجل عبادة الواحد الخالق. إذ إنّها تربط بعضهم مع بعض، وتحقق التلاحم بين المصلين، وهذا ما لم

يحققه محفل آخر.

لقد أراد السيد الشهيد الصدر عليه السلام من صلاة الجمعة أن تحقق بعداً تعبويّاً سياسياً، فابتغى أن يتولد بواسطة هذه الصلاة لدى الجماهير احساس ثوري ضد القمع والطغيان ومصادرة الحريات. إذ «إنّ صلاة الجمعة ليست مناسبة سنوية أو شهرية. إنّما هي تقام أسبوعياً وهذه الإقامة الدورية المتقاربة لها تعطيها بعداً أكبر من تراكم الوعي السياسي لدلالاتها، وبعبارة أخرى إنّها إجراء مفتوح ومتواصل إذا صحّ التعبير لضخّ وتراكم الدلالة السياسية في الوعي الجمعي للأمة. وهي إذن تفصيل متواصل، وإحضر دائم للخطاب الإسلامي والوعي الإسلامي في الساحة، ومن ثم ضخه لطاقة وزحم ما يتطلبه هذا الوعي العام من تفاصيل ومسار الصراع المحتدم، ولذا فإنّها بهذه الصفة التكرارية الزمنية لها ستشكل محور المواجهة، ومحور الإصرار على إقامتها دون غيرها من الأمور التي لا ترتقي لأهميتها ودورها»^(١٨)

لقد أدرك السيد الشهيد الصدر عليه السلام إنّ العلاقة بين المرجع والأمة علاقة تكاد تكون منحسرة، أو مقتصرة على ناس محددين، فأتاحت صلاة الجمعة هذه الفرصة لكلّ الناس إذ إنّ العلاقة بالمرجع كانت

ضعيفة. إذ لا يعلم أكثرهم كيف يستطيع الوصول إلى المرجع. أو أسباب أخرى قد تكون سياسية تحول دون الوصول إلى لقاء المرجع ف «إنّ ظروفّاً سياسية وغير سياسية قاهرة أدت إلى نمط من العلاقة المحدودة بين المرجعية والأمة. لقد أدى هذا النمط إلى انحسار في التفاعل أو إلى غموض حول دور المرجع ووظائفه ومهامه ولاسيما في ساحة مثل الساحة العراقية كانت أسباب انعزال المرجعية في ظل قمع السلطة ومحاصرتها وبحثها عن ذرائع لإيذاء المرجعية الأمر الذي انعكس سلباً على دور المسيرة الإسلامية في حجمها ونفوذها»^(١٩)

قال السيد الشهيد الصدر عليه السلام: «لو اجتمعت الحوزة مع الأمة لهزمتنا اسرائيل ناهيك عن غيرها اللهم إنّني قد بلغت»^(٢٠)

ثمار صلاة الجمعة

أسفر عن صلاة الجمعة مجموعة من العبر يمكن إجمالها بالآتي:

١. العزة والرفعة

فالعزة والشرف والرفعة التي أحسّ بها المؤمن

-زيادة المواعظ والتثقيف الديني

لقد حققت صلاة الجمعة بعداً تربوياً لأبناء المجتمع إذ إنّ اللقاء الأسبوعي بالمرجع وسماع مواعظه وارتشاف القيم الأخلاقية والتعاليم الإسلامية يغذي النفس ويروي الروح، ويولد الشعور بالانتماء ويعزز الثقة بالنفس فضلاً عما تؤديه هذه الظاهرة من رسم ملامح واضحة لإطاعة القائد، وتلبية أوامره والرجوع إليه في كلّ صغيرة وكبيرة، إذ إنّ تربية الانسان على مثل هكذا نهج تجعل منه عنصراً فاعلاً وحركياً قادراً على النهوض بمسؤولياته، ومؤثراً فاعلاً في مجتمعه بالإمكان أن يكون أداة رائعة لتحقيق المشروع الإصلاحى المجتمعى وبناء المجتمع الذي أراده المصلح على وفق النسيج الإسلامى المتمثلة بتعاليم ومبادئ وسياسات الدين الإسلامى الحنيف.

وقد حققت صلاة الجمعة ما أرادته من نشر للوعي الدينى والاجتماعى الذى حصل للناس كافة فى داخل الحوزة الشريفة وخارجها، فخطبة الجمعة تحمل أفكاراً تربوية ودينية وأخلاقية إلى المصلين، ويقوم المصلى بدوره ببث هذه الأفكار والرؤى إلى محيطه العائلى وبالتالى زرعها فى أبنائه وأخوانه، وفي

نتيجة قيامه بهذه الصلاة المليونية التي أشعرته بأنه منتمٍ إلى شعب عريق يمارس ما يحب من دون أن يخضع إلى كلّ ما كان يريد النظام ومن دون أن يشعر بالذلة والهوان نتيجة تطبيق أوامر السلطة التي لا تنسجم مع مبادئه إذ إنّ بوقوفه للصلاة خلف المرجع وسماع خطبته رفعت عنه وعن كلّ المؤمنين في المذهب القنوط والخنوع. وفي هذا شرف للمذهب. وانتشال أبناء المجتمع آنذاك من وطأة الظلم والطغيان والعبودية التي مارسها السلطة السياسية آنذاك. فابناء السيد الشهيد الصدر (عليه السلام) آنذاك من أتباعه ومحبيه قد أحسوا أنّ الاستشهاد مع الحفاظ على هذه المكاسب التي تحققت أفضل بكثير من حياة الذل والهوان والسكوت على الأفعال التي يمارسها الظلمة، ولا ريب في ذلك فابناء السيد الشهيد الصدر (عليه السلام) هم شيعة الإمام الحسين (عليه السلام) وأنصاره، ومحبيه، ومنه تعلموا شعاره الذي طالما رددوه (هيهات منا الذلة) فأحبوا العيش بحرية، المتمثلة بممارسة الطقوس التي يحترمونها وعدم الانصياع إلى أوامر الطواغيت، وكانت تلك انتقالاً نوعية في مسير الحياة الاجتماعية في الشارع العراقي الذي التزم الصمت طويلاً، وتحمل ألواناً من الظلم والاضطهاد.

محيطه الذي يعيش فيه، فيكون ذلك مدعاة لترويج تلك الأفكار التي تشكل حاجزاً رصينا للانسان إذ منعه من الانشغال بأهوائه ورغباته. فهذه الأفكار بمثابة المانع الحصين الذي يعصمه من الوقوع في الخطأ.

شجاعة الحوزة والمجتمع

استطاع السيد الشهيد الصدر عليه السلام بوساطة صلاة الجمعة أن يثبت أن الحوزة شجاعة في مفاهيمها وطرحها. إذ إن الإصرار على قيام صلاة الجمعة على الرغم من محاربة السلطة لمثل هكذا مشروع فضلاً عما تؤذيه مثل هكذا مشاريع من إثارة مشاكل تصل إلى أن تكون حياة المرجع ثمناً لها إلا إنه أصرّ على أن تكون هذه الصلاة.

وأثبتت المرجعية الرشيدة نجاح ما ذهبت إليه إذ إن تزايد المصلين أسبوعاً بعد أسبوع حتى وصل عددهم إلى الملايين على الرغم من كل الاضطهاد الذي مارسه السلطة آنذاك من قطع الطرق للحيلولة دون وصول المصلين إلى المسجد، وقطع الكهرباء، وأنواع أخرى من ألوان الاضطهاد. إلا أنها اثنت أمام إرادة الجماهير من الانضمام خلف مرجعهم وقائدهم الحكيم الأمر الذي أعجزهم فلم يكن هناك من بُدّ إلا أن تكون حياة السيد

الشهيد الصدر عليه السلام ثمناً لذلك حتى يتم القضاء على هذا المنبر الرسالي الشجاع.

ولم يكن السيد الشهيد الصدر عليه السلام بمنأى عن هذا الفكر الإجرامي فكان حين يؤدي صلاة الجمعة يلبس الكفن، ويصلي في المحراب الذي صلى فيه أمير المؤمنين عليه السلام ليثبت أن في كل زمن يوجد ابن ملجم (لعنة الله عليه) وفي كل زمن يوجد من يقاوم الطغيان والطغاة. فدفع السيد الشهيد الصدر عليه السلام دمه ثمناً لهذه الشجاعة. ولا يخفى أن الشيعة على مرّ العصور يدفعون دمهم ثمناً لرفضهم الظلم والانتقيد وراء الطغاة والجبابرة وخير مثال على ذلك الإمام الحسين عليه السلام عندما قال: (لا) بوجه الظالمين.

فلا نستغرب للسيد الشهيد الصدر عليه السلام هذا الموقف؛ لأنّه من هذه السلالة الطاهرة.

-تواصل القاعدة الجماهيرية مع القائد الحقيقي

ومن أبرز الثمار التي جنيت من صلاة الجمعة التي أمر بها السيد لشهيد الصدر عليه السلام ما حققته من تواصل اجتماعي للقاعدة الجماهيرية مع قائدهم الحقيقي، واقتربهم من الحوزة الشريفة، وأخذ التعاليم منه مباشرة وهذا يحقق فضلاً عن التثقيف الديني الذي تحدثنا عنه سابقاً أموراً

أخرى كالاقترب من المجتهد أكثر في وقت ولدت ظروف قاهرة بوناً بين الحوزة وأبناء المجتمع، فانقطعت الأواصر، وقل التواصل. إلا أن هذا التواصل ازداد بعد قيام صلاة الجمعة، فبدأ الجمهور يأخذون الأوامر والنواهي من قائدهم مباشرة، فضلاً عما يحققه هذا الاجتماع من زاد معنوي يتزود به أبناء المجتمع نتيجة للقاءهم بقائدهم فهو يشكّل لهم دافعاً معنوياً يقويهم ويزيدهم إيماناً وصلابة، ويشعرهم بالأمان. علاوة على أن الحضور إلى صلاة الجمعة على الرغم من كل الضغوطات التي مارستها السلطة آنذاك تمثل لون من ألوان الجرأة على النظام، ومحاولة الخروج من بودقة الخنوع والذلة والانصياع للظالم، فهي وسائل من وسائل تربية المجتمع على الشجاعة والإباء، ومحفز لاستنهاض الهمم، واستخراج القيم الحقيقية لدى الشارع العراقي الذي عُرف بشجاعته ورفضه لكل أشكال الظلم والاستعباد. وهذا ما جعل النظام قلقاً في وقته وأحس بخطورة الموقف، وهو الشيء نفسه الذي جعل السيد الشهيد الصدر يدرك أن النظام لم يمهله طويلاً لذلك كان يؤكد مراراً وتكراراً على أن التعاليم الذي يبيثها في نفوس أنصاره لا تتعلق بشخصه، ولا يجب أن يؤديها المكلفون إرضاءً له وتواصلاً معه، بل يجب أن تكون لإرضاء الله عز وجل وتواصلاً مع الرسالة المحمدية الخالدة.

ولم يكن هذا التواصل الذي تحقق من صلاة الجمعة مقتصرًا على الحاضرين في صلاة الجمعة فحسب بل إن هذا التواصل تحقق مع البيوت والعوائل التي حضر أباؤها أو أبائهم إلى تلك الصلاة لأنهم حتماً سينقلون كل ما يصدر عن المولى المقدس ويحاولون العمل بإرشاداته ونصائحه وتوصياته. وهذا هو الهدف الذي كان يروم تحقيقه من مشروعه الإصلاحي المتمثل في الوصول إلى بيوتات المكلفين في وقت شعر أن المكلف قد لا يستطيع المجيء إلى المجتهد لأسباب كثيرة.

فكانت صلاة الجمعة حلقة وصل بين السيد الشهيد الصدر وبنائه مجتمعه ومن عاش تلك الحقبة تلمس كيف كانت المجالس، والشوارع والبيوت والمحلات لا تترك الحديث عنه رضوان الله تعالى عليه وعن تعاليمه، ونصائحه، وكلماته وكل ما يصدر عنه.

وهذا خير دليل على نجاح إحدى أهم خطواته التي مارسها لإكمال مشروعه الإصلاحي الذي حدد ملامحه وقرر المضي به قدماً لكن القدر لم يمهله طويلاً، ولم يفسح لنا المجال لننهل من علمه وننتزود أكثر من تعاليمه وأخلاقياته.

الخاتمة

بعد هذا العرض البسيط لحثيات صلاة الجمعة في المشروع الإصلاحي في فكر السيد الشهيد الصدر عليه السلام، تبين أن تلك الصلاة لم تكن ظاهرة تعبدية فحسب، بل كانت ثورة كبرى، ومشروع إصلاحي تبنى فكرة التغيير، والإصلاح بواسطة تعبئة المجتمع بالثقافة الدينية الحقيقية، وإرشادهم إلى الطريق القويم، وتعريفهم قائلهم الحقيقي الذي يجب أن يتبعوه، ويلتزموا بأوامره، ولا ينصتون إلى أوامر غيره.

وكانت وسيلة من وسائل انصهار المجتمع بالحوزة العلمية ليشكلوا أداة ضاربة لكل أنواع الكفر، بعد أن أدت ظروف عصبية إلى بناء حاجز يفصل بين الحوزة الشريفة التي تمثل مرتكز القيادة الحقيقية، وأبناء المجتمع. وأسهمت تلك الصلاة برص الصفوف بين أبناء

قائمة المصادر

١- الكتب:

- الإصلاح الاجتماعي في فكر السيد الشهيد محمد محمد صادق الصدر عليه السلام، الدكتور سامي هاتو عبد علي، (ضمن كتاب محمد الصدر ثورة الكلمة في زمن الصمت)، مؤسسة وارث الأنبياء الثقافية، الطبعة الأولى، البصرة، العراق، ٢٠٠٩م.
- أعيان الشيعة، السيد محسن الأمين، حققه وأخرجه واستدرك عليه

المجتمع الواحد، وتوحيدهم بعد أن فرقهم الرياح المغرصة، وباعدت بينهم.

وكانت صلاة الجمعة منطلقاً للانفتاح على طبقات المجتمع المختلفة، ومحاورتهم، ومحاولة إرجاعهم إلى الطريق القويم بوساطة كلمات النصح لهم، ودعوتهم إلى عدم مخالفة الباري عز وجل والامتثال لأوامره، والابتعاد عن معاصيه.

ولا نبالغ إذا قلنا أن صلاة الجمعة كانت مدرسة لتعليم الكبرياء، والكرامة، وعدم الخوف، والخنوع والذلة.

فسلام على من أقام صلاة الجمعة وأحيها يوم ولد، ويوم استشهد، ويوم يبعث حياً

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على محمد وآله الطيبين الطاهرين.

حسن الأمين، دار التعارف، بيروت، ١٩٨٦م.

- أين نحن من الصدر وصلاة الجمعة، عبد الجليل الندوي، إصدارات مركز الدراسات التخصصية في فكر السيد الشهيد محمد الصدر، الطبعة الأولى، ٢٠١٠م.

- دائرة المعارف الإسلامية الشيعية، حسن الأمين، الطبعة الثانية، دار التعارف، بيروت، ١٩٨١م.

العراقي، للإعلام والدراسات، الطبعة الأولى، دمشق سوريا،

١٩٩٩.

٢- الصحف والمجلات

- صحيفة الموقف، العدد ١٩١، ٣ آذار ١٩٩٩.

- رمزية الكوفة في جهاد السيد الشهيد محمد الصدر، الدكتور عبد

المنعم حسن، ضمن كتاب (الصدر الثاني دراسات في فكره

وجهاده)، الطبعة الأولى، مؤسسة دار الإسلام، ٢٠٠٢م.

- محمد محمد صادق الصدر - مرجعية الميدان - عادل رؤوف، المركز

الهوامش:

[١٤] محمد محمد صادق الصدر - مرجعية الميدان - عادل رؤوف،

ص ١٤٨.

[١٥] ينظر: المصدر نفسه، ص ١٤٨.

[١٦] أين نحن من الصدر وصلاة الجمعة، ص ١٩٧.

[١٧] محمد محمد صادق الصدر - مرجعية الميدان - ص ١٤٥.

[١٨] المصدر نفسه، ص ١٤٤ - ١٤٥.

[١٩] المصدر نفسه، ص ١٤٨.

[٢٠] صحيفة الموقف، العدد ١٩١، ٤ آذار ١٩٩٩.

[١] الإصلاح الاجتماعي في فكر السيد الشهيد محمد محمد الصدر،

الدكتور سامي هاتو عبد علي (ضمن كتاب محمد الصدر ثورة

الكلمة في زمن الصمت)، ص ١٥٨.

[٢] ينظر: رمزية الكوفة في جهاد السيد الشهيد محمد الصدر، (ضمن

كتاب الصدر الثاني دراسات في فكره وجهاده)، ص ١٠٣.

[٣] المصدر نفسه ص ١٠٤.

[٤] دائرة المعارف الإسلامية الشيعية، الأمين حسن، ٣ / ٣٦٤.

[٥] المصدر نفسه: ٣ / ٣٦٥.

[٦] أعيان الشيعة، السيد محسن الأمين، ١ / ٢٠٧.

[٧] رمزية الكوفة في جهاد السيد الشهيد محمد الصدر، (ضمن كتاب

الصدر الثاني دراسات في فكره وجهاده)، ص ١١١.

[٨] رمزية الكوفة في جهاد السيد الشهيد محمد الصدر (ضمن كتاب

الصدر لثاني - دراسات في فكره وجهاده)، ص ١٠٧.

[٩] ينظر: المصدر نفسه، ص ١١١.

[١٠] ينظر: المصدر نفسه.

[١١] رمزية الكوفة في جهاد السيد الشهيد محمد الصدر، (ضمن كتاب

الصدر الثاني دراسات في فكره وجهاده)، ص ١٠٨.

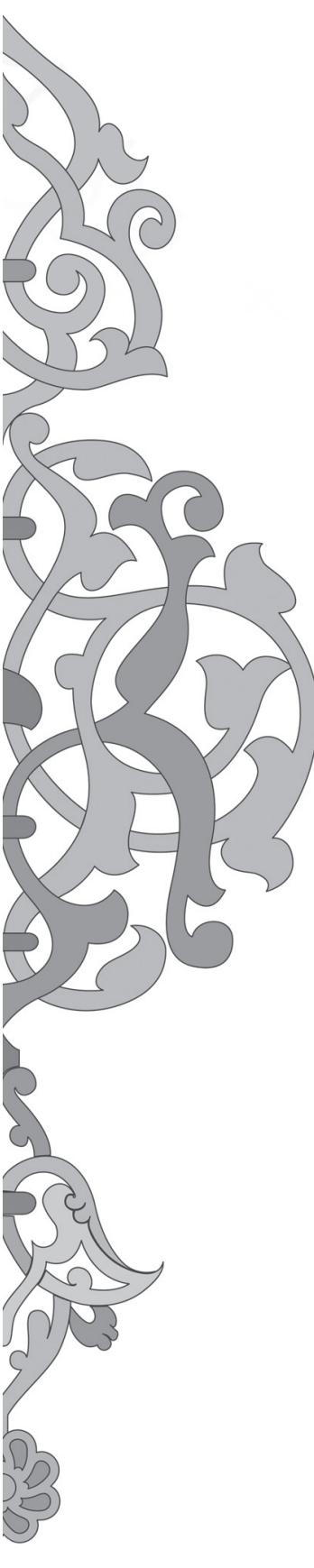
[١٢] ينظر: المصدر نفسه ص ١٠٧ - ١٠٨.

[١٣] الجمعة العشرون، نقلاً عن كتاب: أين نحن من الصدر، عبد

الجليل الندوي، ص ١٩٨.

الدِّراسَاتُ الْفِكْرِيَّةُ

❖ طَبِيعَةُ التَّقَاعُلِ بَيْنَ اللَّهِ وَالْإِنْسَانِ ، نَظَرُهُ عِلْمِيَّةٌ دِينِيَّةٌ تَحْلِيلِيَّةٌ
❖ فَخُّ التَّأْوِيلِ . . . مُمَاحِظَاتٌ عَلَى نَقْدِ الْخُطَابِ الدِّينِيِّ لِصِرْحَامِدِ أَبِي نَزِيدَ
❖ مَدْخَلٌ إِلَى عِلْمِ الْإِجْتِمَاعِ الدِّينِيِّ الشِّيْعِيِّ



طَبِيعَةُ التَّفَاعُلِ بَيْنَ اللَّهِ وَالْإِنْسَانِ

نَظَرُ عِلْمِيَّةٍ دِينِيَّةٍ تُحْلِلِيَّةٌ

❖ السيد صدر الدين القبانجي (*)

.....
(*) إمام جمعة النجف الأشرف..

تمهيد^(١)

التفاعل بين الله والانسان علاقة ذات طرفين، الله من طرف والانسان من طرف.

هنا إذ كنا ندرس (الله في التصور الإسلامي) فاننا سننظر إلى العلاقة من طرف الله، كيف يتعامل مع الإنسان؟ وما هي علاقته به من وجهة نظر إسلامية؟. أما مسؤولية الإنسان تجاه الله تعالى واستحقاقات العبودية، فهو بحثٌ واسع، لكنه خارج مهمتنا في هذا الكتاب.

في البداية أشرنا إلى أن الله في التصور الديني هو إله متفاعل، وليس هو الإله المعزول.

وينعكس هذا التفاعل بشكل تدخل مباشر أحياناً، وبشكل غير مباشر. اننا في التصور الديني نعتقد بالتدخل الإلهي في شؤون هذا الوجود عموماً، فالصلة بين الله ومخلوقاته لم تنقطع بمجرد ان خلقهم، كما أنها لم تنقطع

حين أعطي هذا الوجود قوانينه الطبيعية، ان اليد الإلهية تبقى متدخلة بعد كل ذلك أيضاً.

التدخل المباشر وغير المباشر

قلت إنَّ التدخل الإلهي قد يكون بشكل تدخل مباشر، وأحياناً بشكل تدخل غير مباشر.

الله يتدخل أحياناً من خلال القوانين الطبيعية التي وضعها لهذا الوجود، يوجد بعض تطبيقاتها، ثم يسيّرنا نحو الهدف المقصود.

مثلاً: يتدخل الله تعالى في شفاء مريض، الا انه تعالى يفعل ذلك من خلال القانون، فيهيئ له مثلاً طبيباً يكشف داءه، أو يوفر له ظروف العلاج والشفاء، أو يلهمه تناول طعام فيه شفاؤه، أو يضطره إلى ممارسة عمل يساعد على إستعادة صحته وهكذا.

كل هذا نفوذ من خلال القانون الطبيعي الذي سنّه الله تعالى.

ومثالاً: يتدخل الله في إنقاذ مجموعة من الناس، فيوفر لهم سبل الانقاذ الطبيعية، يوفر لهم الماء والمطر لينقذهم من الهلكة، أو يهيئ لهم من يدلهم على الطريق لينقذهم من الضياع والتهيه، وهكذا في قصة نجات يوسف مثال لهذا التدخل.

هذه نماذج للتدخل غير المباشر.

أما التدخل الإلهي المباشر، فهو يتجاوز قوانين الطبيعة، لأنها لا تحكم قدرته، ولا تحدّ قوّته، كما شرحنا في بحث قدرته تعالى.

إننا في التصور الديني نعرف بوجود قوانين طبيعية حاكمة، ووجود سنن وعلل في هذا الكون هي التي تسيّر دفة الحياة فيه، الا اننا من ناحية ثانية نعتقد بان الله فوق هذه القوانين والعلل، ﴿لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾^(٢) و ﴿وَبَسَّعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾^(٣) و ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾^(٤).

ان هذا الأساس الغيبي في التفكير هو خاصية التفكير الديني، وليس ذلك يعني اننا لا نؤمن بقوانين الطبيعة ولا نعتزف بفاعليتها، اننا نعتزف بكل ذلك ﴿سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ

خَلَتْ مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾^(٥) غير اننا نؤمن بأن القدرة التي خلقت هذه الطبيعة وسننها قادرة على التدخل فيها وتجاوزها إن شاءت.

القرآن الكريم يؤكد ظاهرة التدخل الإلهي سواء المباشر وغير المباشر.

كما أنه يعرض لنا نماذج وأمثلة وقصصاً كثيرة للتدخل المباشر بالذات:

قصة أصحاب الفيل، قصة أصحاب الكهف، قصة ولادة مريم ليعسى ﷺ، ونطقة في المهد، قصة القوم الذي مسخهم الله قردة وخنازير، قصة نار نمرود التي صارت برداً وسلاماً، قصة الرجل الذي أماته الله مئة عام ثم بعثه.

كل هذه نماذج للتدخل الإلهي، الذي يتجاوز قوانين الطبيعة.

وحتى ظاهرة الوحي والمعجزة، هي نموذج لهذا التدخل

إنّ التفاعل بين الله والانسان يعتمد على هذا الأساس، على أساس الإيمان بالتدخل الإلهي، والاشراف المباشر، والعلاقة المستمرة، بين الله وهذا الوجود.

وفيما يلي نحاول أن نعرض بعض نماذج التفاعل:

النموذج الأول: الهداية والضلال

الله تعالى يهدي من يشاء ويضل من يشاء.

إننا نذكر هذه الصفة على أساس أنها صورة من صور التفاعل، ثم إن قدراً كبيراً من الغموض أحاط هذا الموضوع بالذات.

فالقرآن الكريم يصوّر الله تبارك وتعالى بوصفه يهدي من يشاء ويضلّ من يشاء، وأنه لا يمكن أن يهتدي من أضله الله، وأنه لا يمكن لأحد أن يهتدي إلا إذا شاء الله.

وهنا قد تبدو هذه المفاهيم متناقضة تماماً مع حرية الانسان التي تؤمن بها النظرية الإسلامية، كما تبدو متناقضة مع تكليف الانسان من قبل الله، واعتباره مسؤولاً، ومحاسبته على أعماله.

لذا فإن العرض القرآني لمسألة الهداية والضلال يحتاج إلى وقفة فاحصة، نتناول فيها الايات المختلفة التي نتحدث عن الموضوع، لنخرج بالنظرية القرآنية واضحة ومتكاملة، وبدون أي تناقض.

الهداية التكوينية العامة

هناك هداية تكوينية عامة، شملت جميع هذا الوجود، وهي تعني في الكائنات الحيّة ان الله تعالى هداها لطريقة

عيشها، وضمان حياتها وأودع فيها ما يجعلها قادرة على الاستمرار في هذه الحياة.

قال تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى * وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى﴾^(٦).

﴿رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾^(٧).

ان خلقة هذه الكائنات الحيّة من الناحية النفسية والجسدية مهيئة ومصممة بالشكل الذي يضمن لها البقاء والاستمرار، ولولا هذا الاتقان في التركيب السيكلوجي والفسيولوجي، ولو لا ما ألهم به الكائن الحي من غرائز وانفعالات وطبائع نفسية، وتوجهات شعورية ولا شعورية، لم يكن قادراً على مواصلة الحياة.

إن العلم ليقف اليوم مبهوراً أمام النملة وهي تدأب في تعمير منزلها، والاعداد لعمرها الباقي.

بأي دافع تتحرك؟

من ألهمها طريقة الحياة؟

كيف نظمت مجتمعتها؟

وإن احداً لا يستطيع أن يفسّر لماذا تتجه صغار القطط وهي مكفوفة البصر للبحث عن ثدي أمها.

من الذي أودع فيها هذا الشعور؟

من علمها طريقة الرضاع؟

إننا لا نريد المضي في عرض روائع الكائن الحي، الا اننا نؤكد المدلول القرآني في هداية الله لخلقه حسب تكوينهم وفطرتهم.

نفس الشيء بالنسبة إلى الكائنات غير الحيّة، السماوات والأرض والنجوم والبحار والجبال...

ان الهداية التكوينية فيها تعني أنها أودعت قوانين هذا الوجود، ونظامه، ولذا فهي تسير بكل انتظام، وهي لن تحيد عن قانونها، ولولاه لاضطرب الوجود كله، ولم يسلم منه شيء.

ذلك قوله: ﴿رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾^(٨).

الهداية الدينية العامة

وهناك هداية دينية عامة، لا يختص بها واحد من الناس، فالله قد هدى الناس جميعاً إلى الحق، إليه تعالى، إلى طاعته، ولم تحجب هذه الهداية عن أحد ذلك قوله:

﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا * فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾^(٩).

﴿أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ * وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ * وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾^(١٠).

﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾^(١١).

وحتى الذين كفروا وعصوا، فان هذه الهداية قد شملتهم، وكانت أبوابها مفتوحة لهم، لكنهم أسرفوا على أنفسهم وأبوا، أن يهتدوا.

قال تعالى:

﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى﴾^(١٢).

هذه هي الهداية الدينية العامة.

أما كيف هدى الله الناس جميعاً؟ فذلك عن طريقين:

الأول: العقل

والثاني: الأنبياء

فعقل الإنسان قادر على معرفة الطريق، ولا يضيع عليه الحق، كما ان الأنبياء عامل مساعد في طريق الهداية.

وفي ذلك يقول القرآن الكريم:

﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَخْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَّاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾^(١٣)، ﴿كَذَلِكَ

يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٤﴾ .

﴿وَالْتَجَوُّمُ مُسَخَّرَاتُ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ (١٥) .

فالعقل قادر على اكتشاف الحقيقة من خلال التدبّر في آيات هذا الكون. ولكن الله تعالى من أجل الهداية الدينية للانسان بعث الأنبياء أيضاً.

﴿وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ (١٦) .

﴿وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ (١٧) .

الهداية وحرية الانسان

وتجدر الإشارة إلى أن حرية الانسان تبقى محفوظة، فالهداية بالمعنى الذي تقدم كانت تعني التعريف بالطريق، وايضاح الحق، ويبقى على الانسان نفسه ان يسلك ذاك الطريق أو لا؟، يتبع الحق أو لا؟، المهم ان الله هداه، وأرشده، وأوضح له الحق وطريق الحق.

﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ (١٨) ، بمعنى طريق الحق وطريق الضلال، وللإنسان حريته في أن يسلك طريق الحق فيكون شاكراً، أو طريق الضلال فيكون كافراً.

إن الله قادر على أن يجر الانسان الى طريق الحق شاء

أم أبى، الا انه تعالى يريد ان يعطي للانسان حرية الاختيار.

﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ (١٩) .

إن قيمة الانسان بحرية إختياره.

بل قيمة الاختيار في ان يكون حراً، وإلا فأية قيمة لأن اسلك طريق الحق مكرهاً ومفروضاً عليّ مهما تفاعلت معه بعدئذ.

إن تفاضل الناس يعتمد على أساس هذه الحرية نفسها، ولولا الحرية لاستوى الناس كلهم، وما كان هناك قيمة لهداهم إن اهتدوا جميعاً، أو ضلّالهم إن ضلوا جميعاً ما زالوا لا يملكون حرية الاختبار.

الهداية الخاصة

الهداية بمعنى التعريف بطريق الحق كانت عامة شاملة، وقد تأتي الهداية بمعنى آخر، بمعنى السلوك في طريق الحق واختياره، والهداية بهذا المعنى ليست عامة، فليس كل الناس يكتب لهم الله أن يسلكوا طريق الحق. وإنما يعرفهم بالطريق ويدلّهم عليه، إلا أن بعض الناس يكتب الله لهم التوفيق في إتباع الحق، أو إتخاذ طريقه، وهذه هي الهداية العملية الخاصة، قال الله تعالى:

﴿وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُضِلٍّ﴾^(٢٠) .

﴿بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَذَا كُمْ لِلإِيمَانِ﴾^(٢١) .

فالهداية هنا أكثر من مجرد التعريف والإيضاح، وإنما تحمل معنى الإهتداء والتزام سبيل الحق، أي ان الله إختار لهذا الإنسان الهدى، وقدره له.

لكن هذه الهداية ليست عفوية، وإختصاصها لبعض الناس ليس عبثاً واعتباطاً، والله يهدي من يشاء حقاً، لكنه لا يهدي الا من هو أهل لهذه الهداية.

قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾^(٢٢) .

أما كيف تكون هذه الهداية؟

نحن ذكرنا أن الهداية الدينية العامة كانت بالعقل، وبالأنبيا، أما هذه الهداية الخاصة فبأي صورة تكون؟

القرآن الكريم يذكر بعض أشكالها وصورها، كما في قوله:

﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلَامِ﴾^(٢٣) .

وفي آية أخرى:

﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾^(٢٤) .

فالهداية تكون بالهام الحقيقة، وشرح الصدر لها،

وإلفات الذهن لها، كما تكون بخلق الحب نحو اتباعها، وسلوك طريقها.

كما قد تكون الهداية بشكل ثالث، بتوفير ظروفها، ودفع كل ما يعرقل المسير في طريقها، كما يعرض لنا القرآن الكريم في قصة الغلام الذي قتله صاحب موسى، فلما سأله موسى عن السبب والح عليه قال له:

﴿وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا﴾^(٢٥) .

واحياناً تكون على شكل زيادة في الهدى، كما في قوله:

﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى﴾^(٢٦) .

﴿إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى﴾^(٢٧) .

هذه نماذج من الهداية الخاصة.

ويجب الالتفات الى انها ليست هداية دينية فقط، وإنما قد تكون هداية في شؤون الحياة ومشاكلها.

ومجموعة من الآيات القرآنية تشير إلى هذا النحو من الهداية، وإن الله يفعلها بمن يستحق من عباده، كما في قوله تعالى:

﴿وَقُلْ عَسَى أَنْ يَهْدِيَنِي رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَذَا﴾

رَشْدًا ﴿٢٨﴾ .

﴿قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾ (٢٩) .

﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ (٣٣) .

وقد أصبح مدلول هذه الآيات واضحاً من خلال الحديث السابق، فالهداية من الله حقاً، بما آتانا من قوة العقل، والإدراك، والشعور الفطري، وبما أرسل إلينا أنبياءه ورسله وكتبه، وبما شرح صدورنا للهدى وحَبَّبه إلينا، وأعاننا على إتباعه.

ومن ناحية ثانية فلو لم يأذن الله بهدانا لم نهتد، فكل شيء في هذا الوجود لا يكون من دون أن يأذن الله، ويسمح به، وتلك قضية نؤمن بها على العموم، كما دللت عليه مجموعة من الآيات والروايات، وقد تقدّم بعضها. ونحن بالرغم من حريتنا في إختيار طريق الهدى، إلا أننا لا نملك القرار القاطع الأخير، فلو شاء الله ان لا نهتدي لم نهتد.

٢- الهداية لبعض الناس

مجموعة من الآيات تفيد ان الله لا يكتب الهداية لكل الناس، بل إنه لا يهدي بعض الناس. قال تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَأْتِئِسَ الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَهَدَى النَّاسَ جَمِيعًا﴾ (٣٤) .

المقصود هنا كما هو واضح الهداية الخاصة، وإلا فإن

وهكذا في قصة الغلامين اللذين تتحدث عنهما الآية: ﴿وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي﴾ (٣٠) .

هذه خطوط عريضة من الهداية والضلال في المفهوم القرآني، والآن نستطيع أن نستعرض مختلف الآيات القرآنية في هذا الموضوع، والنظر في مداليلها.

١- الهداية من الله

مجموعة من الآيات تفيد ان الهداية من الله، ولا يمكن لأحد أن يهتدي الا إذا شاء الله، ومن أجل ذلك فالهداية نعمة ينبغي ان ترحى من الله وحده، كما ينبغي الشكر عليها.

﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْ لَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ﴾ (٣١) .

﴿قُلْ لَا تَمْنُوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ﴾ (٣٢) .

لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿٣٩﴾ .

٣ - يضل من يشاء

وهناك عدد كبير من الآيات تنسب الإضلال الى الله، وأنه تعالى يُضل من يشاء، وإنه لا هادي لمن اضله الله، وهذه الآيات هي التي تثير التساؤل، إذا كان الله قد أضلهم فكيف يعذبهم؟

لكننا حين نستعرض هذه الآيات ونتأمل فيها لا نجد لها تناقض مع حرية الإنسان، ولا تختلف مع حقيقة (ان الإنسان هو صاحب الاختيار) وهو الذي يضل - إن ضل - بسوء اختياره.

قال تعالى:

﴿مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضِلِّ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا﴾ (٤٠) .

﴿وَمَنْ يُضِلِّ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ (٤١) .

﴿إِنْ تَحْرِصْ عَلَى هُدَاهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ يُضِلُّ﴾ (٤٢) .

﴿فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ (٤٣) .

والآن نتساءل: من هم الذين يضلهم الله، ولماذا؟

الله قد أوضح للناس جميعاً طريق الهدى وقد هداهم جميعاً للإيمان، اما الهداية الخاصة التي تعني أن يقدر لعبده الهدى فتلك لا تشمل عدداً من الناس. لكن من هؤلاء الذين لا يهديهم الله؟ ولماذا؟

القرآن الكريم في عدد كبير من الآيات يضع لنا الإجابة، كما في قوله:

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ﴾ (٣٥) .

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ (٣٦) .

﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ (٣٧) .

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ﴾ (٣٨) .

الله تعالى لا يهدي هؤلاء لأنهم أغلقوا على أنفسهم باب الهدى الذي فتحه الله لهم.

الله لا يهديهم لأنهم لا يريدون أن يهتدوا.

الله تعالى يكتب الهداية لمن وجد عنده الصدق في طلب الحقيقة، وكان مستعداً للإلتزام بها حينما يفتح عليها.

وغير هؤلاء لا يهديهم، لأنه هداهم فاستحبوا العمى على الهدى، وآثروا الضلال.

﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اسْتَحَبُّوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَأَنَّ اللَّهَ

القرآن الكريم يجيب:

ان الضلال إنما هو إستحقاق استحققه بعض الناس، وفرضه على نفسه، والله تعالى لا يضل أحداً إلا إذا حَقَّت عليه الضلالة.

قال تعالى:

﴿فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ﴾^(٤٤).

﴿فَمِنْهُمْ مَّنْ هَدَىٰ اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ﴾^(٤٥).

وعلى ذلك فالذين يضلهم الله هم فئات معدودة من الناس.

﴿كَذَٰلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَن هُوَ مُسْرِفٌ مُّرْتَابٌ﴾^(٤٦).

﴿كَذَٰلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ الْكَافِرِينَ﴾^(٤٧).

﴿يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ﴾^(٤٨).

يبقى هذا السؤال:

إذا إختار الإنسان طريق الضلال، وأغلق على نفسه باب الهدى، فما معنى أن يضلّه الله حينئذ، وكيف ينسب الإضلال إليه تبارك وتعالى، أليس الإنسان هو الذي ضلّ بإختياره؟

طبعاً القرآن يؤكد أنّ الإنسان هو الذي يضلّ نفسه، ولذا فهو المسؤول عن ضلاله لا غير، أمّا نسبة هذا الإضلال إلى الله تعالى فله عدة معاني:

المعنى الأول: أنّ الإنسان حيث يتبع طريق الضلال، ويضيع في واديه، وتحيط به خطيئته، فإن الله تعالى سوف لا يهديه، ولا يفتح له طريق الهدى بعدما أغلقه على نفسه، وأعرض عنه.

وفي ذلك يقول القرآن الكريم:

﴿نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ﴾^(٤٩) بمعنى أنه أهملهم، وأعرض عن هدايتهم بعدما نسوا طريق الله وأعرضوا عنه.

المعنى الثاني: وحينما يمضي الإنسان في طريق الضلال، ولا يحاول تجديد النظر مع نفسه، رغم كل الدلائل والآيات والتنبيهات التي لا تنقطع عن الإنسان، وحينما يمضي في إجرامه، وغيّه وسعيه الفساد في الأرض، يصل إلى مرحلة يستحوذ على قلبه الشيطان، كما ورد في القرآن الكريم، وفي هذه المرحلة يملك الشيطان قلبه وسمعه وبصره، فلا يرى الحقيقة، ولا يبصر طريق الهدى، وحينئذ يكتب الله عليه هذا المصير التعيس كنتيجة طبيعية ينتهي إليها المضي في الضلال والفساد والسوء.

وفي ذلك قوله تعالى:

﴿فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾^(٥٠) .

﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةً﴾^(٥١) .

﴿ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِينَ أَسَاءُوا السُّوْأَى أَنْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ﴾^(٥٢) .

إلا أن الإنسان يبقى إلى الأخير هو المسؤول عن ضلاله، أما الله فيريد له الهدى، وقد أوضح له الهدى ودلّه عليه، وحذّره من الضلال، وكشفه له من أجل أن لا يتورط فيه.

﴿يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذَيِّبَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ﴾^(٥٣) .

﴿يُذَيِّبُ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾^(٥٤) .

تلك هي نظرية (الهدى والضلال) في القرآن الكريم، وفيها نجد صورة طيبة مشرقة لطريقة التفاعل بين الله والإنسان.

إنه تفاعل يبعث على التفاؤل والأمل.

وهو تفاعل محفوظة فيه كل الموازين الأخلاقية الحقة.

وهو تفاعل تطمئن إليه نفس الإنسان، ويرى في ربه وإلهه مصدر الهدى، والدال عليه، والمساعد فيه، ثم هو

الذي يشكر الإنسان بعد ذلك ويجزيه خيراً.

وفي ضوء هذه النظرية يضرع الإنسان الى الله، في أن يزيده هدىً، ويثبتته عليه، وأن يمنع عنه الضلال، ويعيده من مضلات الفتن كما ورد في الحديث الشريف.
ذلك هو الله في التصور الإسلامي.

٤. التوفيق والتسديد

وفي ختام هذا النموذج للتفاعل بين الله والإنسان، نشير إلى تأكيد الإسلام على أن الله هو الموفق، والمؤيد، والمسدّد.

إنه تعالى يهدينا إلى الحق والخير، ثم يزيده على هذه الهداية توفيقاً وتأييداً وتسديداً في خطواتنا وسلوكنا، وحلّ مشاكلنا.

﴿إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا﴾^(٥٥) .

﴿إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ﴾^(٥٦) .

﴿أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِنْهُ﴾^(٥٧) .

﴿وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصَرِهِ مَنْ يَشَاءُ﴾^(٥٨) .

﴿فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾^(٦٣).

وفي حديثنا عن الدعاء والاستجابة لا نقصد الحديث عن فلسفة الدعاء بقدر ما يهمننا التأكيد على إستجابة الدعاء بوصفها جزءاً من الصورة الإلهية، ونموذجاً للتفاعل بين الله وعباده.

قيمة الدعاء

قيمة الدعاء في الإسلام عظيمة، إلى درجة أنه أفضل العبادة، أو مخ العبادة، على ما ورد في بعض النصوص.

عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: «أحب الأعمال إلى الله عز وجل في الأرض الدعاء».

وعن الإمام الباقر عليه السلام: «أفضل العبادة الدعاء».

وعن الإمام الصادق عليه السلام: «ما من شيء أفضل عند الله عز وجل من أن يُسأل ويطلب مما عنده، وما أحد أبغض إلى الله عز وجل ممن يستكبر عن عبادته ولا يسأله ما عنده»^(٦٤).

وكما قلت فإنني لا أريد هنا الحديث عن الدعاء وفلسفته، إلا أنني أود أن أشير إلى أن الدعاء ليس مفهوماً يمليه علينا الإسلام، بل الدعاء هو تعلق ضروري بالغيب،

ومن هذا المنطلق فإننا ندعو الله دائماً بأن يفيض علينا التأييد والتوفيق، كما قال تعالى:

﴿رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا﴾^(٥٩).

﴿رَبَّنَا لَا تَزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا﴾^(٦٠).

﴿قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي * وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي * وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي﴾^(٦١).

وقد يكون الحديث عن ذلك طويلاً، نكتفي منه بعرض هذه الآيات الكريمة.

النموذج الثاني: إستجابة الدعاء

الدعاء من العبد، والاستجابة من الله، هما مظهر آخر للتفاعل بين الله والإنسان.

وحينما يعطي الإسلام للدعاء قيمة كبيرة فذاك تدليل على علاقة القرب بين الله والإنسان، فالله هو البصير بحالنا، والسميع لمقالنا، والعارف بحاجتنا، وهو أقرب إلينا من أنفسنا.

ذلك جانب مشرق من التصور الإسلامي عن الله تبارك وتعالى، إنه ليس جبروتاً عاتياً، ولا ملكاً طاغياً، ولا مُعرضاً عن هذا الإنسان، ومهماً لشؤونه.

﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾^(٦٢).

يتمثله حتى من لا إيمان له حينما تَلَمَّ به الأخطار. وربما مَرَّ الكثير مَنَّا - أو سمع على الأقل - تجارباً من هذا القبيل، فسواء شئنا أم أبينا، وسواء كنَّا نؤمن بالدعاء أو لا نؤمن، ففي ساعة يحيق بنا الخطر، لا نرانا الا متعلقين بالغيب أشدَّ التعلُّق، ضارعين إليه، راجين منه أن يكشف ما بنا من ضر.

هذه التجربة هي التي يحدث عنها القرآن الكريم كثيراً، كما في قوله:

﴿وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنْبِهِ أَوْ قَاعِداً أَوْ قَائِماً فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَا إِلَى ضُرِّ مَسَّهُ﴾ (٦٥).

والدعاء حسب التصور الإسلامي ليس مجرد تصعيد للأمل النفسي، ومحاربة اليأس والقنوط، بل الدعاء يتحوَّل إلى واقع عملي عند الإستجابة. وطبيعي ان هذا التصور لا يقبله المادويون. اما حيث يكون الإيمان بالغيب هو الأساس في عقيدتنا فإن ذلك مقبول جداً كما سنتحدث ان شاء الله تعالى.

الإستجابة

والقرآن الكريم يؤكد أن الإستجابة دائمية ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ (٦٦). وهنا نتساءل عن شكل هذه الإستجابة. فما أكثر الأدعية التي لا تستجاب، فما هو

الدعاء الذي يستجاب، والدعاء الذي لا يستجاب؟ القرآن الكريم يقول: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ وهو يفيد أن كل دعاء مقبول ومسموع ومستجاب فما معنى ذلك؟

الحقيقة ان هناك نحوان من الاستجابة (٦٧):
الإستجابة التقبيلية والإستجابة التنفيذية.

الإستجابة التقبيلية

تعني ان الله تعالى يسمع الدعاء، ويبارك للعبد الداعي، ويتقبل منه توجهه وتعلقه وأمله بالله، ويثيبه على حسن ظنه به، ويسجِّل له هذا الموقف الجميل الذي أبدى فيه خضوعه وإخلاصه وحسن اخلاقه مع الله تبارك وتعالى.

والإستجابة بهذا المعنى دائمية، فكل دعاء مسموع، وكل دعاء يتقبله الله، ويثيب عليه، ويسجِّل له حسنة من حسنات العبد.

في الحديث عن الإمام الصادق عليه السلام: «ما أبرز عبد يده إلى الله العزيز الجبار الا استجيا الله عزَّ وجلَّ أن يردّها صفرًا حتى يجعل فيها من فضل رحمته ما يشاء، فإذا دعا أحدكم فلا يرده يده حتى يمسح على وجهه ورأسه» (٦٨).

الإستجابة التنفيذية

وهي تعني أن يتحقق عملياً مضمون الدعاء، وأن يستجاب للإنسان طلبه، فإذا دعا أن يرزقه الله ولدًا رزقه، أو دعا أن يحل له مشكلة حلها، وهكذا، فالإستجابة هنا تنفيذ عملي للدعاء.

والإستجابة بهذا المعنى ليست دائمية، وإنما حسب شروط وظروف يمكن أن نجتمعها من خلال عرض النصوص الشريفة الواردة في ذلك.

شروط الإستجابة

١- الصدق في الدعاء

الدعاء في المفهوم الإسلامي هو رجاء من الله، وبمقدار ما يكون الإنسان صادقاً في هذا الرجاء يكون إلى الإجابة أقرب.

فيجب أن نكشف بالدعاء صدق تعلقنا بالله، ورجاءنا منه، وشدة حاجتنا لأجابته، كما نعيش في عملية الدعاء حالة الثقة بقدرته على كل شيء.

قال تعالى: ﴿وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾^(٦٩).

عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «إن الله لا يستجيب دعاء بظهر قلب ساه، فإذا دعوت فأقبل بقلبك ثم استيقن

بالإجابة»^(٧٠).

وفي رواية أخرى عنه:

«إذا دعوت فأقبل بقلبك، وظن حاجتك بالباب».

وأحياناً تتأخر الإجابة ليختبر الله مقدار صدقنا، ويعرف مدى ثقتنا به، وانتظارنا لأجابته.

عن الإمام الصادق عليه السلام:

«لا يزال المؤمن بخير ورجاء، رحمة من الله عز وجل ما لم يستعجل، فيقنط ويترك الدعاء.

قلت له: كيف يستعجل؟

قال: يقول قد دعوت منذ كذا وكذا وما أرى الإجابة»^(٧١).

٢- أخلاقية الدعاء

ثم الدعاء بوصفه ارتباطاً أخلاقياً مع الله تعالى، يجب أن نحفظ فيه أخلاقية الطلب والسؤال.

يجب أن نستشعر في حالة الدعاء الخضوع بين يدي الله والفقر إليه، ونمارس أخلاقية الخاضعين، والمحتاجين.

فمن ناحية يجب أن نجهد في تمثيل أكبر أدب ممكن

مع خالق السماوات والأرض، ونعبر له عن صغرنا أمام عظمته اللامتناهية.

يروى لنا محمد بن مسلم يقول: سألت أبا جعفر (الإمام الباقر عليه السلام) عن قوله عز وجل: ﴿فَمَا اسْتَكَاثُوا لِلرَّبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ﴾^(٧٢) قال: «الإستكانة هي الخضوع والتضرع ورفع اليدين والتضرع بهما».

ومن ناحية ثانية فإن علينا الإلحاح في الدعاء وعدم اليأس والقنوط المسرع، ففي الإلحاح نعبر لله عن صدقنا، ومدى حاجتنا وفقرنا.

عن الإمام الباقر عليه السلام: «والله لا يلجّ عبد مؤمن على الله عز وجل في حاجته إلا قضاها له»^(٧٣).

إستحقاق الإجابة

والله تعالى يستجيب لمن يستحق الإجابة. فالإنسان المعرض عن الله، السالك في غير طريقه، والمتثاقل في عبادته، لا يستحق من الله التقدير والإجابة، حينما تضطره الظروف لأن يلجأ الى الله.

ولذا فعلاقتنا بالله يجب أن تستوي أيام الشدة وأيام الرخاء، ويجب أن نكون ضارعين بالدعاء قبل أن نضطر إليه اضطراراً.

عن الإمام الصادق عليه السلام: «من تقدّم في الدعاء استجيب له اذا نزل به البلاء، وقالت الملائكة صوت معروف ولم يحجب عن السماء، ومن لم يتقدم في الدعاء لم يستجب له اذا نزل به البلاء، وقالت الملائكة إن ذا الصوت لا نعرفه».

وفي حديث عنه عليه السلام أيضاً: «من سرّه أن يستجاب له في الشدة فليكثر الدعاء في الرخاء».

ومن ناحية ثانية فإن علينا نبذ الروح الإتكالية، وروح التقاعس والإهمال اعتماداً على أن يفتح الله لنا بقدرته.

المطلوب من الدعاء في الإسلام أن يزيد فينا الأمل والروح الطموحة، المتطلعة والساعية نحو الأفضل، وان لا نبتلئ بمرض الإتكالية.

عن الإمام الصادق عليه السلام: «الثلاثة الذين لا تستجاب لهم دعوة:

رجل اعطاه الله مالاً فانفقته في غير حقه، ثم قال: اللهم ارزقني، فلا يستجاب له.

ورجل يدعوا على امرأته أن يريحه منها وقد جعل الله عز وجل أمرها إليه.

ورجل يدعو على جاره وقد جعل الله عز وجل له السبيل إلى ان يتحول عن جواره ويبيع داره»^(٧٤).

الصالح العام

إذا دعا احدكم فليعم، فإنه أوجب للدعاء».

وهكذا حينما يشترك في الدعاء مجموعة من الناس، فعن الإمام الصادق عليه السلام: «ما من رهط أربعين رجلاً اجتمعوا فدعوا الله عزّ وجلّ في أمر الا استجاب الله لهم».

ودائماً يكون تأخير الإجابة بصالحنا، حينما لا يكون دعاؤنا أهلاً للإجابة.

عن الإمام الرضا عليه السلام: «والله ما أحرّ الله عزّ وجلّ عن المؤمنين ما يطلبون من هذه الدنيا خير لهم مما عجلّ لهم فيها، وأي شيء الدنيا؟».

وقد يكون التأخير بدافع المودة من الله لعبده، رغبة في أن يستمر في الدعاء، ويشدد علاقته بالله، ويقرب اليه.

عن الإمام الصادق عليه السلام: «ان المؤمن ليدعو الله عزّ وجلّ في حاجته فيقول الله عزّ وجلّ أحرّوا إجابته شوقاً إلى صوته» ^(٧٣).

إستجابة أو عمل الطاقة

الإستجابة في التصور الإسلامي تعني أن يتدخل الله، ويحقق للعبد ما سأل.

فالدعاء من العبد، ومن الله الإستجابة، ودور الدعاء في المسألة استمداد الرحمة الإلهية، ورجاء

حينما تكون نظرتنا للقضايا جزئية، فقد نطلب شيئاً لا يوافق مصلحتنا، أو المصلحة الأهم لغيرنا، أو المصلحة العامة.

اننا ننظر الى القضايا من زاوية محدودة، وأفق ضيق، وحينئذ قد تبدو لنا على غير واقعها الحقيقي، نسأل الله فيها أمراً لا يكون فيه الخير لنا، كما قال تعالى: ﴿وَيَدْعُ الْإِنْسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ﴾ ^(٧٥).

مثل هذا الدعاء ليس علينا أن ننتظر إجابته، فالله يريد لنا الخير والصالح. ويريد لنا ما هو الأفضل مما طلبناه وتصورناه، وحينئذ يؤخر الإجابة.

عن اسحاق بن عمار يقول: قلت لأبي عبد الله الإمام جعفر الصادق عليه السلام:

يستجاب للرجل الدعاء ثم يؤخر؟

قال: «نعم، عشرين سنة».

ومن أجل هذا فإن الدعاء يكون أقرب للإجابة حينما نكون أوسع في نظرتنا، وأشمل في طلبنا، ونريد الصالح العام، لا المصالح الشخصية.

عن الإمام الصادق عليه السلام: «قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله:

تدخلها في جلب منفعة، أو دفع مكروه.

ورغم كل ما يعطيه الدعاء، أو يصحب الدعاء، من الثقة والعزيمة على تحقيق القضية المطلوبة، تجاوز الخطر، أو إنجاز مهمة ما، إلا أن اليد الغيبية هي التي تفعل وهي التي تدبر، والإنسان دوره دور الوسيط في العملية.

﴿قُلْ مَنْ يُنَجِّكُمْ مِنْ ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ تَدْعُونَهُ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لِّئِنْ أَنْجَانَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾^(٧٧)

﴿قُلْ اللَّهُ يُنَجِّكُمْ مِنْهَا وَمِنْ كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنْتُمْ تُشْرِكُونَ﴾^(٧٨)

بينما يذهب أحد الكتاب المعاصرين إلى تفسير الإجابة بوصفها من عمل الطاقة الإنسانية التي تتفجر حينما يغرق الإنسان في الدعاء، ويتصاعد في عزمته وإرادته وتصميمه على التغيير.

ونؤثر أن ننقل نص كلامه:

«وهكذا ينحل لغز الدعاء الذي حار البشر في تفسيره حتى الآن، ومتى يجاب ومتى لا يجاب وبأي قوة يجاب، وأن مرد الأمر كله للإنسان، وما أودعه الله فيه (أو الطبيعة إن شئت) من قوة خلاقية قادرة

على أن تبعث منه الطاقة اللازمة لتحقيق كل ما يريده لنفسه، أو يعتقده بوجوده، أو يدعو لتحقيقه».

وفي معرض الحديث عن شروط الإجابة يقول:

«إذا توفرت هذه الشروط الثلاثة انفجرت الطاقة الإنسانية التي تقول بها، وفعلت الذي تفعله في كل أمر آمن به الإنسان، أو عقد عليه عزمه وجعله محور حياته»^(٧٩).

بالتأكيد فإن الأستاذ (أحمد حسين) لا يريد أن ينكر الفعل الإلهي الغيبي في عملية استجابة الدعاء، إلا أنه يراه عبر قوانين الطبيعة ومن خلالها، أي أنه تدخل بطريق غير مباشر، وإن واحداً من قوانين الطبيعة هو قانون الطاقة الإنسانية الذي سجله الأستاذ بالشكل الآتي:

أي هدف إنساني × درجة ضرورة =
وضوح صورته في الذهن × شدة التركيز =

طاقة تحقق الهدف في الخارج عند غياب الظروف المعاكسة

وفي جانب آخر من نظريته لاحظ الأستاذ (أحمد حسين) أن الإستجابة لا تتحقق في الدعاء المتجه فيه إلى الله فقط، بل إن (الدعاء إلى هذه الالهة

إرادة الله تعالى ورحمته ولطفه بعبده هي التي تقف وراء تحقق مبتغاه.

ولم تكن طاقة زكريا عليه السلام هي التي وهبته غلاماً، وقد قال: ﴿قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا﴾ [سورة مريم: ٨]، ولم تكن إرادة موسى عليه السلام هي التي حولت العصا إلى ثعبان بينما كان هو الخائف منها، ﴿فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى﴾ [سورة طه: ٦٧].

ولم تكن طاقة عبد المطلب هي التي أرسلت طيراً أبابيل حين قال لأبرهة الحبشي: «أنا ربُّ الإبل، وللبيت ربُّ يحيمه».

ولم تكن طاقة أيوب عليه السلام هي التي منحته الشفاء حين نادى: ﴿أَنِّي مَسْنِي الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ [سورة الأنبياء: ٨٣]. ولم تكن طاقة المسلمين في بدر هي التي أنزلت ثلاثة آلاف من الملائكة منزلين.

إنَّ الفهم القرآني يؤكِّد أنَّ الإستجابة هي فعل الله تعالى، وفضل منه يستحقُّ عليه الشكر والثناء، وفي ذلك يقول القرآن الكريم: ﴿وَإِذَا مَرَضْتُ فَبُهِرَ يَشْفِين﴾ [سورة الشعراء: ٨٠]، فالشفاء هو فعل الله تعالى، وليس فعل الإنسان ولا طاقة الإنسان.

الزائفة: آمون وايزيس، وزيوس وجوبيتر، وأحياناً العجل أو البقرة أو التمساح، والقطعة، الى آخر هذه المعبودات التي ما أنزل الله بها من سلطان) يحقق درجة من الإستجابة (بنفس النسبة) ويستفيد من ذلك ان الدعاء (ظاهرة إنسانية مارسها الإنسان دائماً لتحقيق أغراضه، التي كانت تتحقق بالفعل في كثير من الأحيان، أياً كانت الجهة التي يتجه إليها بالدعاء) ^(٨٠).

هاتان نظريتان للأستاذ أحمد حسين:

الأولى: إنَّ استجابة الدَّعاء هو عبارة عن فعل الطَّاقة الإنسانية!!

الثانية: إنَّ الدَّعاء للآلهة المزيَّفة يحقق نفس الدَّرجة من الإستجابة التي يحققها الدَّعاء لله تعالى!!

يمكن مناقشة هاتين النظريتين من وجهة النَّظر القرآنية، فيرد على:

النظرية الأولى: أنَّها تستبطن التنكُّر ليد الغيب الإلهية في الاستجابة، وترى أنَّ الطَّاقة الإنسانية هي التي تفعل المستحيل حين تبلغ درجة عالية من التركيز!!، وفي الوقت الذي يحدثنا القرآن الكريم أنَّ

(أحمد حسين).

ومهما يكن رأي القرآن الكريم في المسألة، فهل صحيح - حسب التجربة الخارجية - إن الإستجابة تتحقق بدعاء الأوثان، والبقر والتمساح، والقطعة..؟! ذلك أمر لا نستطيع أن نقبله، لأننا لا نملك أي شاهد عليه.

نعم نحن نتفق مع الأستاذ في ان التوسل بأشخاص يتصور الداعي إنهم أولياء لله - وإن لم يكونوا كذلك في واقع الأمر - يحقق درجة من الإستجابة، الا ان ذلك لا يجعل المسألة مفصلة عن الله، فما دام الداعي يعتقد أن هؤلاء أولياء لله، ويتوسل إلى الله عن طريقهم، أو يتوسل بهم بوصفهم حجج الله وأمناء وأهل الكرامة عنده، كان من رحمة الله أن يجيبه، ويستجيب له إن شاء تعالى.

نحن نفهم من القرآن الكريم إن إستجابة الدعاء هي لله وحده، القادر على كل شيء، على الخروج عن قوانين الطبيعة، وعلى توفير تطبيقات مختلفة لها، والإنسان في عملية الدعاء دوره دور الوسيط، وليست الطاقة الإنسانية هي التي تتفجر في لحظة الدعاء.

ولذا فإن القرآن الكريم يعترض على المشركين،

أما النظرية الثانية: فهل صحيح أن الدعاء والتوسل بالإلهة المزيّفة يحقق نفس الإستجابة التي يحققها التوسل بالله تبارك وتعالى؟

ما هو رأي القرآن في المسألة؟

القرآن الكريم يؤكد:

﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ﴾^(٨١).

﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ نَصْرَكُمْ﴾^(٨٢).

﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِلَهُهُ﴾^(٨٣).

﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ﴾^(٨٤).

﴿قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ﴾^(٨٥).

﴿لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونَنِي إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ﴾^(٨٦).

إذا كنا نبحث عن التصور الإسلامي في ظاهرة الدعاء والإستجابة فهو يختلف تماماً مع فرضية

بأن من تدعوهم لا يسمعون دعائكم، ولو سمعوا ما إستجابوا لكم، وإنهم لا يستطيعون نصركم، ولا كشف الضر عنكم، وإنهم لا يملكون شيئاً من القدرة.

ترى ما معنى هذا الاعتراض اذا كانت الاستجابة تعني تفجير الطاقة الإنسانية، وسريان مفعولها، إنها حينئذ لا ترتبط إطلاقاً بقدرة من ندعوه أو عدم قدرته، وحتى بحياته أو موته، بسماعه أو عدم سماعه.

وعلى هذا الأساس فنحن نعتبر إستجابة الدعاء نموذجاً للتفاعل بين الله والإنسان، وصفة كمالية للصورة الإلهية.

النموذج الثالث: الرضا والغضب، الحب والكره

مهما تكون الصورة الإلهية متعالية، وفوق حدود التصور الإنساني.

ومهما كان (الله) لا متناهيّاً في العظمة والكمال والجبروت، الا انه تعالى حينما يتفاعل مع الإنسان لا ينسى فيه الجانب الأخلاقي والعاطفي.

والقرآن الكريم يعرض لنا الصورة الإلهية متعاطفة مع مشاعرنا، وقريبة إلى قضايانا النفسية

والأخلاقية.

العاطفة لها حصة في التأثير على سلوك هذا الإنسان، فمهما يكن الإنسان ملتزماً، ونظامياً، ومتعقلاً، الا انه لا يستطيع أن يمضي طويلاً في تعامله مع صديق له، أو شريك، أو استاذ، أو أب، إذا لم يتفاعل عاطفياً، وأخلاقياً، ونفسياً مع هذا الطرف.

قد يحكم عليّ عقلي أن أسمع وأطيع، وقد يكون حتى مصلحتي في ذلك، الا انني أجد صعوبة في الاتقياد حينما لا تجمع بيني وبين الطرف الآخر صلة مودة، وحب، وتعاطف أخلاقي.

والإنسان ليس عقلاً جامداً، بل هو عقل حيّ، وضمير متحرك، قابل للإثارة، وللإنجذاب، وللنفرة.

تلك ظاهرة في الإنسان.

الله تعالى يتعامل معنا على أساس هذه الظاهرة أيضاً، فهو تعالى يدرك قيمة مشاعرنا، واحاسيس ضميرنا، وحديث أنفسنا، ان علاقة (العبودية) من طرف و (الربوبية) من طرف هي التي تجمع بيننا وبينه تعالى، الا ان التصور الإسلامي عن الله تعالى لا يفترضها علاقة أمر ونهي، علاقة أمر ومأمور، علاقة محرّك ومتحرك، بل يسبغ عليها شيئاً كثيراً

من الجانب الأخلاقي.

هكذا الله تعالى في التصور الإسلامي.

إنه يرضى وبغضب.

انه يحب ويكره.

إنه يريد ولا يريد.

إنه ودود عطوف رحيم.

في الوقت الذي هو الخالق، القاهر، الباريء،
الفعال لما يريد.

إذن فعلاقة أخلاقية هي التي تربطنا بالله تبارك
وتعالى أكثر من كونها علاقة تكليفية والتزامية.

كما في قوله تعالى:

﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ
اللَّهُ﴾ (٨٧)

﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ (٨٨)

معنى الغضب والرضا

الغضب في الإنسان يحمل معنى التأثر والإنفعال
وهكذا الرضى أيضاً في الجانب المقابل.

ومن هنا فقد وقع العلماء في حيرة، كيف ننسب

إلى الله الرضا والغضب، كما هو في القرآن الكريم،
مع أنه تعالى فوق التأثيرات والإنفعالات، فتلك من
صفات الكائن الضعيف المحدود، كالإنسان مثلاً.

ولذا ففي حديث دار بين الإمام الباقر عليه السلام،
وعمر بن عبيد شيخ المعتزلة. قال له عمرو بن
عبيد: جُعِلَتْ فِدَاكَ قَوْلَ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ﴿وَمَنْ
يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَى﴾ (٨٩) ما ذلك الغضب؟

قال له الإمام عليه السلام: هو العقاب، يا عمرو أنه من
زعم أن الله قد زال من شيء إلى شيء فقد وصفه
صفة مخلوق، وأن الله تعالى لا يستغفزه شيء
فيغضه» (٩٠).

بعض العلماء حاول أن يفسر الرضى والغضب عند
الله، بمعنى أنه تعالى يريد، ولا يريد، فالرضى عند
الله بمعنى انه يريد، والغضب بمعنى انه لا يريد.

وبهذا يفقد الرضى والغضب عنصر الإنفعال
والتأثر المستحيل على الله كما يقولون:

هذا التفسير لا يمكن أن نقبله: ذلك أن تأكيد
القرآن الكريم على خاصية الرضى والغضب عند الله
من أجل أن تكون العلاقة بيننا وبينه تعالى أخلاقية،
ونجذب إليه تعالى عقلياً وعاطفياً أيضاً، اما اذا كان

الرضى يعني أنه تعالى يريد، ويشاء، ويأمر، والغضب بمعنى أنه لا يريد، ولا يشاء، وينهى، فالجانب الأخلاقي في العلاقة يصبح مفقوداً، بينما هو ضروري لتوطيدها وربط الإنسان بالله.

هذا من ناحية، ومن ناحية ثانية، ما معنى أن يرضى الله عن فلان، ويغضب على فلان؟ إذا فسرنا الرضى والغضب بمعنى الإرادة وعدم الإرادة؟ هل معناه انه تعالى يريد فلاناً ولا يريد فلاناً، وإذن دخل فيه مرة أخرى عنصر الحب والإرتياح، أو عدم الحب وعدم الإرتياح.

إننا نرى في تفسير الرضى والغضب رأياً آخر، ننزه الله فيه عن الإنفعال، والتأثر، في الوقت الذي تبقى أخلاقية العلاقة محفوظة.

الرضى بمعنى أن يقبل الله العبد، ويفتح له أبواب رحمته، ويدخله تحت عطفه وعطائه، والغضب أن يطرده ولا يقبله في ضيافته.

وهو البراءة من العبد، كما في قوله ﴿أَنَّ اللَّهَ بَرِيٌّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾^(٩١).

فالرضى إذن يعني أولاً: ان يرى الله العبد أهلاً للقبول والعطية والجزاء.

وثانياً: أن يعطيه الجزاء ويشيبهه.

والغضب يعني عكس الأمرين معاً، فهو أولاً: رؤية الله لعبده باعتباره غير مؤهل للعطاء والرحمة والحنان، وثانياً: العقاب والجزاء العسير.

«سَأَلَ رَجُلٌ الْإِمَامَ الصَّادِقُ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَنْ اللَّهِ لَهُ رِضًى وَسَخَطٌ؟ فَقَالَ لَهُ الْإِمَامُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: نَعَمْ، وَلَكِنْ لَيْسَ ذَلِكَ عَلَى مَا يُوجَدُ فِي الْمَخْلُوقِينَ ذَلِكَ أَنَّ الرَّضَى حَالٌ تَدْخُلُ عَلَيْهِ فَتَنْقُلُهُ مِنْ حَالٍ إِلَى حَالٍ لِأَنَّ الْمَخْلُوقَ أَجُوفٌ مَعْتَمِلٌ مَرْكَبٌ لِلْأَشْيَاءِ فِيهِ مَدْخَلٌ، وَخَالِقُنَا لَا مَدْخَلَ لِلْأَشْيَاءِ فِيهِ لِأَنَّهُ وَاحِدٌ أَحَدِي الذَّاتِ وَأَحَدِي الْمَعْنَى فَرَضَاهُ تَوَابُهُ وَسَخَطُهُ عِقَابُهُ مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ يَتَدَاخَلُهُ فَيُهِيجُهُ وَيَنْقُلُهُ مِنْ حَالٍ إِلَى حَالٍ، لِأَنَّ ذَلِكَ مِنْ صِفَةِ الْمَخْلُوقِينَ الْعَاجِزِينَ^(٩٢) الْمُحْتَاجِينَ» .

موازين العدالة

على ان موازين الحق والعدالة محفوظة في هذا التفاعل الأخلاقي بين الله وعباده.

فهو تعالى حين يغضب، وحين يرضى، وحين يحب، وحين يكره، لا يتجاوز موازين العدالة، وهو العادل المطلق تبارك وتعالى.

وعلى ذلك فاننا نستطيع ان نحصل رضاه حينما لا نتعدى حدوده ولا نظلم أنفسنا بالانحراف عن طريقه.

كما نستطيع أن نأمن سخطه وغضبه حينما نكون رهن أمره تعالى وإشارته. وأكثر من ذلك فانه تعالى يتعامل معنا على أساس لطفه ورحمته وعفوه، ومن هنا فقد ورد في الروايات أنه تعالى (سريع الرضى، بطيء الغضب) ومن هنا أيضاً فقد ورد في الدعاء «اللهم عاملنا بلطفك، ولا تعاملنا بعذلك».

النموذج الرابع: التدخل الإلهي في النصر

التدخل الإلهي له أكثر من مجال؛ فهو تعالى يتدخل في شفاء مريض، أو هداية شخص، أو حل مشكلة، أو إنقاذ من هلكة، أو رزق، أو معيشة حسنة، أو قضية شخصية، أو غير ذلك، وهو ﴿مَالِكِ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعْزِزُ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [سورة آل عمران: ٢٦]، وقد يتدخل تعالى في مصير أمة من الامم، هدايتهم أو هلاكهم، أو مستوى معيشتهم. وفي الحديث عن الهداية والضلال، وهكذا في الحديث عن استجابة الدعاء، قدمنا صورة من صور هذا التدخل.

اما الآن فتحدث عن (التدخل الالهي في النصر) أن قضية التدخل الالهي في النصر بما تكون بديهية وواضحة جداً في الفكر الإسلامي، ومجموعة كبيرة من الآيات القرآنية تؤكد ذلك، كما تعرض صوراً وأمثلة على هذا التدخل.

فالله تعالى يقول: ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ (٩٣).

﴿وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ (٩٤).

﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ﴾ (٩٥).

﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ﴾ (٩٦).

وفي آيات أخرى تصريح بالتدخل الالهي المباشر.

﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى﴾ (٩٧).

﴿وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ * تَزِمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ﴾ (٩٨).

﴿الَّذِينَ يَكْفِيكُمْ أَنْ يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ ءَالَفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُنَزَّلِينَ﴾ (٩٩).

﴿إِذْ جَاءَكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحاً وَجُنُوداً لَمْ تَرَوْهَا﴾ (١٠٠).

ما هو قانون هذا التدخل الالهي وشروطه؟

شروط النصر الإلهي

في القرآن الكريم نحاول أن نستخلص شروط التدخل الإلهي في النصر.

١- الإستحقاق

أول شرط تؤكد عليه مجموعة آيات هو الإستحقاق أي إستحقاق النصر الإلهي، وتدخّله تعالى في القضية.

فالله تعالى لا يتدخل حتى يجد أن الأمة صارت أهلاً لأن تُدعم وتؤيد، وتساعد، أن تكون قد تقدمت في طريق الجهاد، في طريق بناء نفسها، وأوضحت بالقول والعمل عن إخلاصها وجدّها في قضية التغيير.

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ (١٠٤).

إن الأمة (أية أمة كانت) مهما تذوق من الذل والهوان، ومهما تقضي سنين طوالاً وهي مسحوقة، فإنها لن تنتصر بل ولن تستحق النصر إذا لم تطمح نحو التغيير، وإذا لم تصدق مع نفسها، ومع مبادئها وتعبر عن جدّها في القضية.

هكذا قضية التدخل الإلهي، إنه يتطلب قبل كل شيء طموح الناس نحو التغيير، والتغلب على مشاكلهم، وخصوصهم، وصدقهم مع رسالتهم ومع أنفسهم ومع الله،

ثم ما هو دور الظروف والشروط الطبيعية في النصر؟

حسب التصور الاسلامي والديني عموماً فإن قوانين النصر والهزيمة، أي قوانين الحرب، ليست عديمة الأثر، بل هي أسباب طبيعية سنّها الله لتحكم حياة هذا الانسان، «سنة الله التي خلت في الأولين».

قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ بَشَاءَ اللَّهُ لَانتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَكِنْ لِيَبْلُوَ بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ﴾ (١٠١).

فالله قادر على أن يحقق النصر العفوي بدون قيد وشرط، إلا أنه تعالى شاء أن يكون النصر حسب أسبابه الطبيعية.

ومن هنا يرفض الإسلام الروح الاتكالية المهزومة التي تنتظر أن يأتيها النصر مجاناً.

ومن هنا شدّد الاسلام على ضرورة الاعداد للصراع، وحساب كل القوانين الطبيعية في النصر.

﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ﴾ (١٠٢).

﴿فَلَا تَوَلُّوهُمْ الْأَدْبَارَ﴾ (١٠٣).

في نفس الوقت فإن الجانب الغيبي يبقى محفوظاً، فالله تعالى بقدرته على كل شيء يتدخل لاعطاء النصر إلى فئة ما حسب الشروط التي وضعها لذلك.

حينئذ يكونون أهلاً لأن يمنحهم الله النصر، وينزل لهم العون.

في كلام للإمام أمير المؤمنين عليه السلام «فَلَمَّا رَأَى اللَّهُ صِدْقَنَا أَنْزَلَ بَعْدُونَا الْكَبْتَ وَأَنْزَلَ عَلَيْنَا النَّصْرَ... وَلِعُمْرِي لَوْ كُنَّا نَأْتِي مَا أَتَيْتُمْ مَا قَامَ لِلدِّينِ عَمُودٌ» (١٠٥). الصدق مع الله شرط أساسي في التدخل.

الثقة بقدرته، التضرع اليه، توطيد العلاقة به، طلب تأييده، كل ذلك في الوقت الذي يكون الصراع كله في سبيله أيضاً، وفي الوقت الذي نتحمل أعباء هذا الصراع ونصبر عليه.

﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَاءُ وَزُلُّوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصُرُ اللَّهُ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾ (١٠٦).

وتصرّح مجموعة من الآيات القرآنية بأن الله تعالى يريد أن يرى صدق الناس، وأنه تعالى إذ يتركهم في المحنة والبلاء فمن أجل أن يكشف الصادقون والمجاهدون عن صدقهم وجدهم وإخلاصهم.

﴿فَلْيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلْيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾ (١٠٧).
﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ﴾

﴿وَنَبْلُوا أَخْبَارَكُمْ﴾ (١٠٨).

﴿فَصَبِّرُوا عَلَى مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّى أَتَاهُمْ نَصْرُنَا﴾ (١٠٩).

من الخطأ أن نتربص التدخل الإلهي إذا لم نتقدم خطوة في طرق الجهاد، حينئذ يثبت الله الأقدام، ويفرغ علينا صبراً، وينصرنا، أما ونحن قابعون بعيداً عن ساحة الصراع - كل أشكال الصراع - فإن نصر الله عنا بعيد، وذلك قوله:

﴿وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ﴾ (١١٠).

﴿إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ (١١١).

الأمة تستحق النصر حينما تبدأ بتغيير نفسها، وتتقدم في طريق الجهاد، ثم تصبر على وعورة هذا الطريق.

٢- الضرورة

والشرط الثاني للتدخل الإلهي هو الضرورة.

الضرورة بمعنى أن تتقدم الأمة في طريق الجهاد، وتصبر ثم تصبر، حتى تنفذ كل طاقتها، وحتى لا تدّخر شيئاً إلا قدمته في طريق الله، حينذاك إذا عجزت عن تحقيق النصر فإن الله سيتدخل ويمن عليها بالنصر الظاهر.

إذن نستطيع أن نستخلص المعادلة التالية:

الإستحقاق + الضرورة = التدخل الإلهي

ويمكن ان نستفيد هذه المعادلة من قوله تعالى:

﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخِلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمْ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصُرُ اللَّهَ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾ (١١٢).

إن نصر الله قريب حيث يتقدم المؤمنون في طريق الجهاد، وطريق الرسول، ثم يصبرون على البأساء والضراء، ثم تنفذ كل طاقتهم، ويضربون إلى الله (متى نصر الله)، حينئذك فإن النصر على الأبواب.

والضرورة بمعنى أنها اذا لم تنتصر اليوم، فلا أمل في أن تنتصر غداً، إنها إذا سُحقت اليوم فانها سوف تسحق إلى الأبد، وسوف تموت كلمة الله حينذاك يأتي التدخل الإلهي.

في معركة بدر هكذا قال الرسول: «اللهم إن تهلك هذه العصابة لا تعبد»، وفي معركة بدر أعطى المسلمون كل ما لديهم، وبذلوا كل جهدهم، ثم كان العدو أكبر منهم، وأكثر عدداً وعدة، ولولا نصر الله لعجزوا عن النصر.

فنحصر الضرورة متوفر.

وهكذا حينما نصر الله موسى وإبراهيم عليهما السلام، حين شق البحر لموسى عليه السلام، وجعل النار برداً وسلاماً على إبراهيم عليه السلام، لقد كان عنصر الإستحقاق والضرورة متوفراً تماماً.

الهوامش:

[١] هذا البحث جزء من كتاب السيد القبانجي: (الرؤية الفلسفية للكون بين الإيمان والإلحاد). انتشارات مركز الهدى للدراسات الحوزوية.

[٢] سورة الزمر: ٦٣.

[٣] سورة البقرة: ٢٥٥.

[٤] سورة يس: ٨٢.

[٥] سورة الفتح: ٢٣.

[٦] سورة الأعلى: ٢ - ٣.

[٧] سورة طه: ٥٠.

[٨] سورة طه: ٥٠.

[٩] سورة الشمس: ٧ - ٨.

[١٠] سورة البلد: ٨ - ٩ - ١٠.

[١١] سورة الانسان: ٣.

[١٢] سورة فصلت: ١٧.

- | | |
|-------------------------|-------------------------|
| [٣٨] سورة الزمر: ٣. | [١٣] سورة البقرة: ١٦٤. |
| [٣٩] سورة النحل: ١٠٧. | [١٤] سورة البقرة: ٧٣. |
| [٤٠] سورة الكهف: ١٧. | [١٥] سورة النحل: ١٢. |
| [٤١] سورة الاعراف: ١٧٨. | [١٦] سورة فاطر: ٢٤. |
| [٤٢] سورة النحل: ٣٧. | [١٧] سورة الرعد: ٧. |
| [٤٣] سورة فاطر: ٨. | [١٨] سورة الانسان: ٣. |
| [٤٤] سورة الاعراف: ٣٠. | [١٩] سورة يونس: ٩٩. |
| [٤٥] سورة النحل: ٣٦. | [٢٠] سورة الزمر: ٣٧. |
| [٤٦] سورة غافر: ٣٤. | [٢١] سورة الحجرات: ١٧. |
| [٤٧] سورة غافر: ٧٤. | [٢٢] سورة العنكبوت: ٦٩. |
| [٤٨] سورة البقرة: ٢٦. | [٢٣] سورة الانعام: ١٢٥. |
| [٤٩] سورة التوبة: ٦٧. | [٢٤] سورة الحجرات: ٧. |
| [٥٠] سورة الصف: ٥. | [٢٥] سورة الكهف: ٨٠. |
| [٥١] سورة البقرة: ٧. | [٢٦] سورة محمد: ١٧. |
| [٥٢] سورة الروم: ١٠. | [٢٧] سورة الكهف: ١٣. |
| [٥٣] سورة النساء: ٢٦. | [٢٨] سورة الكهف: ٢٤. |
| [٥٤] سورة النساء: ١٧٦. | [٢٩] سورة الشعراء: ٦٢. |
| [٥٥] سورة النساء: ٣٥. | [٣٠] سورة الكهف: ٨٢. |
| [٥٦] سورة هود: ٨٨. | [٣١] سورة الاعراف: ٤٣. |
| [٥٧] سورة المجادلة: ٢٢. | [٣٢] سورة الحجرات: ١٧. |
| [٥٨] سورة آل عمران: ١٣. | [٣٣] سورة القصص: ٥٦. |
| [٥٩] سورة البقرة: ٢٥٠. | [٣٤] سورة الرعد: ٣١. |
| [٦٠] سورة آل عمران: ٨. | [٣٥] سورة غافر: ٢٨. |
| [٦١] سورة طه: ٢٥ - ٢٧. | [٣٦] سورة الانعام: ١٤٤. |
| [٦٢] سورة غافر: ٦٠. | [٣٧] سورة المائدة: ١٠٨. |

- [٦٣] سورة البقرة: ١٨٦.
- [٦٤] راجع في هذه الأحاديث أصول الكافي، ج ٢.
- [٦٥] سورة يونس: ١٢.
- [٦٦] سورة غافر: ٦٠.
- [٦٧] استفدنا هذه الاجابة من الإمام الشهيد الصدر (رحمة الله عليه).
- [٦٨] أصول الكافي، ج ٢، ٤٧١.
- [٦٩] سورة الأعراف: ٢٩.
- [٧٠] أصول الكافي، ج ٢، ٤٧٣.
- [٧١] راجع في هذه الأحاديث المصدر السابق.
- [٧٢] سورة المؤمنون: ٧٦.
- [٧٣] راجع أصول الكافي، الجزء الثاني.
- [٧٤] أصول الكافي، ج ٢، ٥١٠.
- [٧٥] سورة الإسراء: ١١.
- [٧٦] أصول الكافي، ج ٢.
- [٧٧] سورة الانعام: ٦٣.
- [٧٨] سورة الانعام: ٦٤.
- [٧٩] الطاقة الإنسانية، احمد حسين، ٣٦٠.
- [٨٠] الطاقة الإنسانية، ٣٥٢.
- [٨١] سورة الأعراف: ١٩٤.
- [٨٢] سورة الاعراف: ١٩٧.
- [٨٣] سورة الاسراء: ٦٧.
- [٨٤] سورة فاطر: ١٣.
- [٨٥] سورة الزمر: ٣٨.
- [٨٦] سورة غافر: ٤٣.
- [٨٧] سورة آل عمران: ٣١.
- [٨٨] سورة المائدة: ٥٤.
- [٨٩] سورة طه: ٨١.
- [٩٠] أصول الكافي، ج ١، ١١٠.
- [٩١] سورة التوبة: ٣.
- [٩٢] أصول الكافي، ج ١، ١١٠.
- [٩٣] سورة غافر: ٥١.
- [٩٤] سورة آل عمران: ١٢٦.
- [٩٥] سورة آل عمران: ١٢٣.
- [٩٦] سورة التوبة: ٢٥.
- [٩٧] سورة الانفال: ١٧.
- [٩٨] سورة الفيل: ٣-٤.
- [٩٩] سورة آل عمران: ١٢٤.
- [١٠٠] سورة الاحزاب: ٩.
- [١٠١] سورة محمد: ٤.
- [١٠٢] سورة الانفال: ٦٠.
- [١٠٣] سورة الانفال: ١٥.
- [١٠٤] سورة الرعد: ١١.
- [١٠٥] نهج البلاغة، الجزء الأول، الخطبة ٥٦.
- [١٠٦] سورة البقرة: ٢١٤.
- [١٠٧] سورة العنكبوت: ٣.
- [١٠٨] سورة محمد: ٣١.
- [١٠٩] سورة الانعام: ٣٤.
- [١١٠] سورة الحج: ٤٠.
- [١١١] سورة محمد: ٧.
- [١١٢] سورة البقرة: ٢١٤.

فَحُّ التَّأْوِيلِ

مُلاحَظَاتُ عَلَى نَقْدِ الْخَطَابِ الدِّيْنِيِّ لِصِرْحَامِدْ أَبِي نَزِيدْ

❖ د. محمد هاشم البطاط (*)

.....
(*) أكاديمي وباحث ، جامعة بغداد.

لقد كشفت تجربة نصر حامد أبي زيد الفكرية عن رغبة كبيرة في تبيئة النسق التأويلي القائم على إعادة قراءة الخطاب (بالفهم الواسع لكلمة "الخطاب")، قراءة تتعدى البحث عن الباطن الدلالي للكلام الذي هو أقرب من ظاهره، وإن كان الأخير أقرب ضمن سياقات التعبير، وبيان آخر، تجاوز ممارسة التأويل المعهودة لدى المنشغلين بتفسير النص الديني الإسلامي، والذي يقوم على إرجاع قصدية الكلام إلى مغزى باطني غير الدلالة الظاهرة من اللفظ، فأبو زيد يعتقد أن هذا التأويل يقوم على عملية كلاسيكية في بيان مضمون الكلام، لأن التحليل البنيوي لـ (فيردناند دي سوسير) تجاوز وسائل وممارسات كهذه، وراح يحطم كل أنطقه الدوغما السائدة - كما هم يعتقدون - التي تجعل النص يتعالى على زمكانياته ليكون عابراً للأزمنة والأماكن، فالتأويل الجديد لا يكتفي بالبحث

عن باطن الكلام، بل يعيد هيكلته من جديد وتقسيمه بنيوياً (بل حتى تفكيكه)، بغية استخلاص الحقيقة الكامنة في النص الخطابي.

وبعيداً عن مديات الجودة والاستحسان لدى النظرية الجديدة في التأويل، فإن أبا زيد قد اعتمدها كوسيلة ليس لإيجاد أبعاد أخرى يمكن أن يُنتجها الخطاب ربما غفل الأقدمون عنها أو أنها لم تفصح عن نفسها كفاية فحسب، بل راح إلى استخدامها في حربه ضد التيار الديني بشكل عام، إذ اعتمد على التأويل في إعادة قراءة الخطاب الديني الذي يعتقد أنه يقوم على دوغما قاتلة، تجعل من العقل الإنساني عقلاً سكونياً إستاتيكيّاً لا يعرف سوى الخنوع والاستقالة من خلال الاعتكاز على البعد الغيبي وإرجاع كل شيء إليه، لذا فإن واحداً من أهم كتبه التي أراد من خلالها تحقيق هذه الغاية، والذي أثار جدلاً كبيراً من

الزمن وفي أكثر من مكان، هو كتابه (نقد الخطاب الديني).

لقد سعى أبو زيد في هذا الكتاب إلى إعادة قراءة الخطاب الديني المعاصر ومحاكمته فكرياً، فقام بترتيب آليات هذا الخطاب ومنطقاته وتحليلها، ومن ثم عالج اليسار الإسلامي الذي اعتقد أن إبراز ممثليه هو (حسن حنفي) وسبر غور هذا الخطاب ومنهجيته الانتقائية - كما يرى أبو زيد - في العودة إلى التراث وإستلهامه لبناء الحاضر الفاعل تمهيداً للمستقبل المنشود، وبعد ذاك عمد إلى التأويل فأوضحه ومايزه عن التلوين وإيضاً تعرض إلى القراءة البريئة وغير البريئة والقراءة المغرضة وغيرها من المواضيع التي تضمنها الكتاب، وفي هذه العجالة سنقوم بتسجيل جملة من الملاحظات على منهجية أبي زيد في التأويل إبان نقده (بل إنتقاده) للخطاب الديني المعاصر، ومن خلال هذه الملاحظات سنتجلى الإجابة على السؤال الجوهرى، وهو هل أن التأويل المعاصر، كممارسة معرفية أريد منها كشف اللثام عن خبايا الخطاب الديني وطلاسمه، مثلت تعبيراً حقيقياً عن هاجس معرفي حمل صاحبه على خوض هذا الغمار الصعب أو كانت فحاً أراد أبو زيد أن يوقع قارئه فيه؟ وبعبارة أخرى، هل أن الارتكان إلى التأويل جاء من أجل التحليل الموضوعي للوصول إلى

الحقيقة وإيصالها إلى القارئ أو أن الإجابة القبلية - عكس بعدية - كانت حاضرة وبقوة ولم يكن الارتكان إلا سربال تجلبب به لايقاع القارئ في الفخ؟

الملاحظة الأولى: التأويل:

لقد جاءت منهجية التأويل المعاصر كإجابة فاعلة على السؤال الإشكالي المتمحور حول من يمثل مصداق أحقية التعامل مع النص الديني في أوربا المسيحية، والتي عانت الكثير جراء جثوم رجالات الدين على صدر الأمة الغربية من خلال إحتكار تفسير النص المقدس وتأويله بما يحلو لهم، من هنا إنطلقت المساعي الجادة في توسيع رقعة المسموح لهم بالتعاطي مع النص الإنجيلي وسبر أغواره وكشف دلالاته بعيداً عن سطوة الأكليروس، فتم إفساح المجال أمام الجميع في أن يدلوا دلوهم ببيان ما إنطوى عليه النص من أبعاد، فلم يعد رجل الدين، أو غيره من الذين تخصصوا بقريب من مجال اللاهوت - كما حدث لاحقاً - وحدهم الذين بإمكانهم كشف حقيقة النص وإيحاءاته، من هنا نشأت (الهرمونيطيقا) التي جاءت في تهيكلها الأساسي كمحاولة لتقديم أدوات مهمة وفعالة في تحقيق أنجع النتائج خلال التعامل مع النص الديني بغية إستشفاف مكنوّهاته، وقد إتسعت رقعة الهرمونيطيقا بعد مجيء (شلاير ماخر) الذي يعود له الفضل في جعلها لا

الوصال مع كل ما له علاقة بالسماء من لحاظ عدم السماح بإعطاء بعض الخصوصيات للنص الديني.

من هنا كان البعض ينطلق من هاجس فصم العرى بين الهرمونطيقيا وبين ما يمارسه من تأويل، لأنه يعي تماماً أن هذا الأمر سيرجعه إلى كيفية البداية التي إنطلقت منها، وكيف أن أربابها الأوائل - قبل توسيعها - كانوا مع خصخصة النص الديني وأنها أتت لتلبس النص الديني لباساً جديداً غير ما كان هو عليه، نعم هناك من اقرّ بهذا الوصال بين الهرمونطيقيا والتأويل المعاصر، لكن أكثر المقربين يقفزون على ما منحتهم الهرمونطيقيا للنص الديني ويعمدون إلى التعاطي معه على أنه كسائر النصوص، ولعل أبا زيد واحد من أولئك الذين إعتبروا التأويل المعاصر إمتداداً للهرمونطيقيا، بيد أنه تجاوز الأخيرة وإعتبر النص القرآني كسائر النصوص الأخرى لجملة من الذرائع التي سوّقها ضمن تظميناته لقرائه بأنه ليس ضد الدين!!

وربما يصح القول أن أبا زيد والكثير من أمثاله سعوا إلى أن يوقعوا القارئ بفخ التأويل الذي يتبنوه من لحاظ اقرارهم بكونه نتاجاً عن ممارسة تأويلية كانت تعطي خصوصية للنص الديني.

إذ أن تأويل النص ضمن سياقاته داخل المنظومة الغريبة لم ينتقل مباشرة إلى مرحلة التأويل المعهودة في

تقتصر على النص الديني، بل ذهب إلى أن من الممكن إستخدامها في مختلف المجالات ما دام هنالك نص يُراد تأويله، لكن الهرمونطيقيا لم تأخذ شكلها الناضج والناجع إلا من خلال (جورج هانس غادامير) الذي منهجها علمياً بصورة أكثر جدية، لكن على العموم بقي الشغل الشاغل للهرمونطيقيا هو سبر أغوار النص الديني، دون إنكار أن التأويل كان أيضاً التعبير السائد في إطار التعامل مع النص غير الديني، لا سيما بعد مرحلة شلاير ماخر، وقد تلاقت جهود الهرمونطيقيين مع البنيويين - وخصوصاً فيردناند دي سوسير - الذين وظفوا نتائج سابقيهم في تحصيل المنجز النهائي لتوليفة معرفية أسهمت في بيان حقائق النصوص، وعلى وفق هذا ينبغي الالتفات إلى حقيقة مهمة وهي أن هناك جهة من الارتباط بين الهرمونطيقيا التي هي في الأساس محاولة لتأويل النص الديني، وبين التأويل الذي سوسيري الذي هو منهج بنيوي / تأويلي يهدف إلى تقديم آليات جديدة في بحث خبايا النصوص وكشف مستوراتها، ولعل من الجائز، بل من الواجب، القول أن التأويل الذي يُمارس اليوم ما هو إلا تطور معرفي للهرمونطيقيا التي سبقتها منذ قرون، وبقدر ما أن هذا التوشح بين الاثنين واضح بجلاء، بقدر ما أن هناك من أراد أن يوسع الهوة بينهما ويقطع دابر كل وصال، مدفوعاً بأن الحداثة - وما بعدها - جتّتا عما سبقهما، وتحديداً ذاك

عالم اليوم، وإنما ابتدأ عبر الهرمونطيقيا التي كان أحد هواجسها الكبيرة هو التعاطي مع النص الديني تعاطياً يعطي الأخير ضرباً من ضروب الخصوصية التي تميزه عن غيره من النصوص، إذ بعد حين تم إدخال منهجيات التأويل المتطورة عن الهرمونطيقيا في بيان مكنهات عامة النصوص، ويبدو أن إغفال هذا الأمر أو تغافله هو الذي جعل الكثير من مفكري عالمنا الإسلامي يثبون على التطور الصيروري للبناء المعرفي بذريعة أخذ المنجز الكامل وترك التسلسل التدريجي له، فقاموا بتطبيق التأويل المعاصر على النص الديني ما أدى إلى نتائج خطيرة، لعل من أهمها ما توصل إليه أبو زيد من نتائج تشي بأن النص الديني يهدده خطر فادح إذا ما تم الاستمرار بهذا الدرب، وهذا ما سيتضح في قابل الصفحات، أي أنه تحت ذريعة الحصول على النتائج النهائي لممارسة معرفية، تم تسويق التأويل المعاصر وترك أسسه الجوهرية - المرتبط بالنص الديني - وهو الهرمونطيقيا، وهذا بدوره سيؤدي على تعرية النص عن كل قداصة وخصوصية...

من هذا السرد الذي نراه مهماً، يأتي السؤال الذي يتمحور حول إمكانية فهم ما أراده أبو زيد من مضامين فكرية تضمنها كتابه، فهل يمكن أن نفهم ما أراده؟ إن

المسألة الأساس في هذا الإطار لا ترتبط بموضوعة قراءة النص ومعرفة بعض الجوانب الواضحة التي يفصح عنها بغير جهد كبير، وإنما ترتبط في إمكانية أن يكون فهمنا للنص الزيدي - تبعاً لأبي زيد - قادراً على أن يقدم لنا رؤى كاتبه بعين الهدفية والغائية التي أرادها، والتي ادعى فيها أنها موضوعية ومعرفية بحتة، ويبدو أن التأويل المعاصر والذي يؤمن به أبو زيد غير قادر على تقديم إجابة ضامنة لتحديد كهذا، بل إنها لا تستطيع إعطاء تطمينات على الاقتراب من تينك المحورين (الهدفية والغائية)، ذلك (أن) لكل قراءة - بالمعنى التاريخي الاجتماعي - جوهرها الذي تكشفه في النص^(١)، بيد أن تأطير القضية بالمعنى التاريخي الاجتماعي غير كافٍ، لا سيما إذا ما تماشنا مع ما ذهب إليه (غادامير) من (إن إعادة بناء الشروط الأصلية ومحاولة إستعادة المعنى الأصلي محاولة فاشلة، فما نُعيدَه ليس الحياة الأصلية، والتأويل، بمعنى إستعادة المعنى الأصل، هو مجرد نقل لمعنى ميت)^(٢) وأيضاً الرأي القائل أن (النص بمجرد أن تتم كتابته يتحول إلى تراث)، فالقضية كما هو واضح تتعدى نطاق زمكانية النص - وفقاً لأصحاب التأويل المعاصر -، إذ أنها تحطم قيود كهذه، لتؤسر مضمون النص وأبعاده الدلالية بأسار المفردات التي يستمدّها كاتب النص من اللغة ليُنتج (الكلام)، وتعتقد القضية أكثر إذا إستلهمنا ما آمن به البعض من أن دلالات

للمعاش وتلعين السابق من جانب ونتاجات الآخر من جانب آخر، فقد تم تأليه العقل الإنساني إبان الحداثة ولُعنّت المنجزات الدينية والروحية بكل ما إنطوت عليه من عناصر القوة والقابلية للتطوير وهكذا....، فلا مشكلة مع التأويل المعاصر ما دام يهدف إلى تقديم ممكنات لقراءة جديدة للنص مع إحترام خصوصيات النص الديني (العقلاني) الذي له دلالات ومضامين لا تكشف عن نفسها لمجرد أن القارئ قرأ كتابين في منهجية التأويل!! وما دام لا يلعن القراءة الدينية للنص والتي أفنى فيها متخصصوها عمرهم في سبيل تحصيل الأدوات اللازمة والممكنة من تحليل النص لسبر دلالته والإبحار في لجج مجاهيله.

كما لا مشكلة مع التأويل فيما إذا أقر دُعائه للكاتب سلطةً معينة، وأن اللغة بمفرداتها قد تؤثر في إيصاله ما أرادته إلى القارئ ولكن شريطة أن لا تتمحي هذه السلطة لندخل في دوامة العبثية واللاعقلانية.

الملاحظة الثانية: عنوان الكتاب وهيكلته:

لقد إتخذ أبو زيد لكتابه عنوان (نقد الخطاب الديني)، وكما هو معلوم أن مفردة (نقد) تنطوي على محاولة لإبراز نقاط القوة والضعف في الموضوعة المُراد نقدها، بيد أن

النص ومعانيه تتعدد بتعدد قراءه، فالنص لن يبقى أسيراً لكتابه، فقد مات (المؤلف)، ولم يعد مستساغاً، ولا ممكناً، الإتكاء على أن الكاتب أراد شيئاً والقارئ لم يفهم مرامه، كل هذا إنتهى، ونتيجة لذلك سيكون أبو زيد حاله أمام نصه كحال الآخرين، لا فرق بينهم إلا في مقدار ما يمدنا به التأويل من ممكنات الولوج إلى عالم (الكبت النصي) - إذا جاز التعبير ولاق - فالنص يكبت مضامينه، ونحن جميعنا أسراء اللغة، بل الكلام، ولا شفيع آخر لنا إلا ممكنات التأويل التي لا تفصح هي الأخرى عن ذاتها إلا إذا كان القارئ مالكاً لاستراتيجيات معرفية تُمكنه من إخراج النص إلى عالم اللا شعور لينزاح ستار النص ويكشف العقل الباطن عما كُبت!!

لكن من المهم الإشارة إلى أن التأويل أجاد في تطوير القراءة للنص وإمكانيات إعادة منهجة التعاطي مع التراث، بغية إيجاد مجالات أو فسحات للخروج من الانسداد التاريخي الذي مرت وتمر به غير قليل من الأمم، كما أنه - للأمانة - أسهم في إثراء البناء المعرفي الإنساني وإغناءه لما أتاحه من سطوة للقارئ على النص لم تكن موجودة، أو لنقل معروفة، سابقاً، لكن المشكلة بالنسبة لنا تتعلق بالإشكالية الأساسية التي لطالما رزح ومازال يرزح تحت وطأتها العقل البشري بإطاره العام، ألا وهي إشكالية التأليه

القراءة العاجلة للكتاب نفي بالإقرار بأن النقد كان إنتقاداً حاداً فقط، ولم يتعرض فيه أبو زيد إلى أية نقاط قوة أو إيجابية في الخطاب الديني، وبغض النظر عن المصاديق التي إتخذها لمن يعبرون عن الخط الديني، فإن من إيجابيات الخطاب الديني - ونحن هنا لا نريد أن نذكرها كلها - هو انه خطاب يوشح علاقة متلقيه بالسماء، وهذا ما عجزت عنه غيره من الخطابات، وحتى هذه الإيجابية التي تشترك فيها الكثير من التيارات الدينية - بالحمل الأولي طبعاً - فإنه غفل عنها، بل تغافلها، وراح يسرد في المثالب والسلبيات ...

كما أن هناك لبساً واضحاً من حيث عدم التمييز بين (الخطاب) و (النص) من لحاظات المنهجية العلمية، فهو لم يعط لقرائه مائزاً موضحاً أو معياراً محدداً يتمكن من خلاله التفريق بين الاثنين، ما أدى إلى إدلهام صورة الاثنين لدى متطلع الكتاب، فهل أن (الخطاب = النص)؟ أو أن احدهما أكبر من الآخر؟ وهل أن علاقتهما علاقة (كلي وجزئي) أو ماذا؟ ربما يقول البعض أن الخطاب يعني المنطوق فحسب، لكن أبا زيد لا يؤمن بذلك بدليل انه تعامل مع الخطاب من خلال المقروء أيضاً، ولعل البعض الآخر يرى أن النص يعني المكتوب، بيد أن أبا زيد يؤكد أن النص يتعدى نطاق المكتوب

ليشمل غيره من منطوق وأحداث وغيرهما.

إن اللبس الناجم عن عدم التمييز والتفريق بين الخطاب والنص يكتنف الكثير من الكتابات التأويلية، وأنا أميل إلى أن الخطاب أعم من النص، فالأخير يرتبط بالمكتوب وبكل حادثة أو قول إذا ما إنتقل إلى عالم المقروء لتتم تبيئتها في مختبر التأويل وتشريحها بمباضعه، أما الخطاب فهو يشمل مختلف الدلالات الإيحائية والأبعاد النصية والأحداث والمجريات التي حصلت سابقاً أو خلال آنية الفعل أو إعمالاً في كشف مستقبلاته، فالنص جزء من الخطاب، والهرمونطيقيا عندما تريد أن تتعامل مع الخطاب فإنها تُصيِّره نصاً كيما يتحقق لها تأويله.

عموماً فعند تشخيص مصاديق الخطاب الديني الذي سعى أبو زيد إلى نقده، بل إنتقاده، نرى انه أخذ الجانب المصري فحسب، وكأن العالم الإسلامي قد خلا من أي خطاب ديني ولم يبق إلا المصري، بل أنه لم يشمل في ممارسته الفكرية جميع التيارات المشكلة للخطاب الديني في مصر، وإنما إقتصرت على تيار الحاكمية الذي يعتبر سيد قطب منظره وملهمه، مع بعض من (يوسف القرضاوي) الذي يعد رائداً لتيار الصحو، والقليل من (فهيمي هويدي) احد أبرز رواد التيار المعتدل.

١ - الحاكمية^(٥) .

٢ - النص^(٦) .

تُرى ما معيار التمييز بين الآلية والمنطلق؟ فإذا كان المنطلق يعني المبدأ الذي تبعاً له تحدد الآليات فمن الصعب الإقرار بهذا، للاختلاف الجوهرى بين مفردتي (المنطلق والمبدأ) هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإن هناك آليات ستكون منطلقات كالألية الثانية^(٧) .

يسعى أبو زيد لتقديم إجابة حول تقديمه الآليات على المنطلقات بالقول (إن المنطلقات تتأسس - من الوجهة المنطقية الصورية على الأقل - على الآليات)^(٨) ، حسناً، لا أريد أن أقف على إرتكانه إلى المنطق الصوري الذي يتعارض كلياً مع منهجه وطرائقه في التحليل، ولكن إذا كانت المنطلقات تتأسس على الآليات، والأخيرة - كما تكشف عن ذاتها - تحتاج إلى مبادئ لتكون وسيلة لبلوغها، فأين إذن هذه المبادئ؟؟

في إعتقادي إن في هذا التقسيم خلل واضح، ولست ادري كيف أقدم أستاذ جامعي يُعد في طليعة المفكرين العرب - كما يعتقد البعض - على أخطاء كهذه في ممارسة إدعى أنها معرفية لدرجة كبيرة!! كما أن هناك الكثير من المغالطات والأخطاء التي لا يسع المقام لإيرادها جميعاً لذا سنعرض عنها صفحاً.

كان من الأفضل للكاتب أن يعنون كتابه، كما يكون موثقاً لمضامينه، بالشكل الآتي: (إنتقاد الخطاب الديني المصري)^(٣) فعندئذ لن يُسجل عليه أي ردٍ لان العنوان سيحقق إنسجاماً تاماً مع ما إنطوت عليه المضامين.

وبالولوج إلى هيكلية الكتاب يُلاحظ انه عالج الخطاب الديني من خلال تقسيمه للآليات والمنطلقات وغيرها من المواضيع، أما الآليات فهي:

١ - التوحيد بين الفكر والدين وإلغاء المسافة بين الذات والموضوع.

٢ - تفسير الظواهر كلها بردها جميعاً إلى مبدأ أو علة أولى، تستوي في ذلك الظواهر الاجتماعية والطبيعية.

٣ - الإعتماد على سلطة (السلف) أو (التراث) وذلك بعد تحويل النصوص التراثية - وهي نصوص ثانوية - إلى نصوص أولية تتمتع بقدر هائل من القداسة لا تقل - في كثير من الأحوال - عن النصوص الأصلية.

٤ - اليقين الذهني والحسم الفكري (القطعي) ورفض أي خلاف فكري - من ثم - إلا إذا كان في الفروع والتفاصيل دون الأسس والأصول.

٥ - إهدار البعد التاريخي وتجاهله^(٤) .

في حين المنطلقات الفكرية للخطاب تتمثل في:

الملاحظة الثالثة: (التطرف / الاعتدال) - (التأويل - التلوين) - (القراءة غير البريئة - القراءة المغرضة):

يوضح أبو زيد جملة من التمايزات التي يرى أن من اللازم الالتفات إليها بغية الخروج بنتائج معرفية تسهم في إنضاج منجز عقلائي داخل العقل العربي المسلم مما سيؤول إلى عقلنة الطرح الفكري ضمن سياقات التكامل الواجب تحقيقه، ويذهب إلى أن من الأهمية بمكان التمييز بين (التطرف) و (الاعتدال) فهو يرى أن الخطاب الديني يُعد خطاباً متطرفاً يسعى جاهداً إلى إقصاء الآخر والتعاطي معه بنظرة إقصائية غير قائمة على مبدأ احتمالية صحة الآخر وخطأ الأنا.

إذ أن هذا التطرف هو واحد من أهم العناصر الأساسية المسهّمة في تعطيل الخطاب الديني عن التطور المعرفي والارتقاء نحو إنتاج فكر، ومن ثم سلوك، قابل للتعايش مع عالم اليوم المتسارع في وثباته التطورية، بيد أن أبو زيد ومع إقراره بوجود تيار (الاعتدال) داخل بنية الخطاب الديني فإنه مع ذلك يعتقد أن (الفرق بين المتطرف والمعتدل الديني هو فارق في الدرجة لا في النوع)^(٩)، فالتطرف لا يختلف عن الاعتدال إلا من حيث الدرجة، وليس الاختلاف في المبادئ الأساسية التي تسهم في إنتاج

المعرفة فالسلوك لدى التيارات التي ينطوي عليها الخطاب الديني، وبما أنها غير مختلفة فإن أبو زيد سعى إلى أن يركز على التيار المتطرف الذي يُعد أبرز منظّريه هو (سيد قطب)، ومن هنا عمد إلى مناقشة جملة من أفكار الأخير والسعي صوب تفنيدها، لكن السؤال هنا، إذا الاختلاف بين التطرف والاعتدال هو إختلاف درجة وليس نوعاً فلماذا ركّز على التيار المتطرف دون التيار المعتدل؟؟ يبدو أن السبب هو محاولة لجعل القارئ يريح تحت وطأة حالة من التشوش الذهني المقصودة والتي توقعه في الفخ المعرفي الذي خطط له أبو زيد، لان الخطاب، أي خطاب، إذا كان منطوياً على أكثر من مدرسة، أو على الأقل أكثر من رأي، فعند التركيز على جهة دون الأخرى فذلك يستلزم وجود مرجح موضوعي، ومع إنعدامه يكون قد رجح شيئاً بلا مرجح.

وبعد حين من الصفحات يُناقض أبو زيد نفسه إذ يقول حول (مسألة العلاقة بين المسلمين وغير المسلمين في الخطاب الديني المعاصر نجد المتشددين يتمسكون بحرفية (أخذ الجزية) و (الخضوع) بينما يحاول المعتدلون تأكيد مبدأ (المساواة) والإلحاح على المشاركة في الوطن أو التساوي من حيث المواطنة)^(١٠)، لا ادري كيف حصل مثل هذا الفارق الكبير بين المتشدد والمعتدل خلال

التعاطي مع غير المسلمين في الوقت الذي إختلافهم فيه هو إختلاف في الدرجة لا في النوع؟؟؟

إن الهاجس الذي يُحرك أبا زيد هو إثبات أن الخطاب الديني يعد خطاباً دوعمائياً - إقصائياً مهماً حاول هذا الخطاب من أن يتجلبب بلباس الاعتدال والتسامح، فهو يقصي الآخر ويسعى جاهداً إلى الغائه وعدم الاعتراف بوجوده، وإستجابةً لهذا الهاجس فإنه على إستعداد تام في تحريف كل الحقائق إبان تحليله، فالمعتدل لا يختلف عن المتطرف، لأن كلاهما آمن بأن من أهم أسباب الأزمات التي تعصف في المجتمع هو الابتعاد عن المنهج الإلهي، أما ما مصادر التشريع وكيف تتم عملية إستنتاج النص الديني وما آليات هذه العملية والأحكام المترتبة عليها.... فكل هذا لا يُغير من الأمر شيئاً!!!

أما الاعتدال الحقيقي الذي يؤمن به أبو زيد، فهو الاعتدال القائم على التأويل المعاصر للنص الديني بوصفه نصاً كغيره، لا شيء يميزه عن سائر النصوص، ومن ثم لا تحتاج عملية التأويل وإستكناه حقيقة ما أراد صاحبه سوى الاطلاع على كيفية التأويل وإستخراج دلالات الكلام، فالقضية لا تحتاج إلى وجود متخصصين في الشأن الديني (العلماء) لكونهم يعيشون حالة من الانتكاس والرجعية وقد فتكت بهم الدوغما إلى حد جعلتهم يسرون القهقري.

أما ثنائية (التأويل - التلوين) فهي تأتي في إطار التمييز بين الجهد التأويلي الذي يمارسه أبو زيد وغيره، وبين المشروع الفكري لـ (حسن الحنفي)، هذا الجهد الذي - سواء إتفقنا معه أم لم نتفق - يعد مشروعاً كبيراً يهدف، لمدى معين، إلى إستلهاام التراث في سبيل إنهاض الأمة العربية الإسلامية من حالة الخمول الفكري والجمود الحضاري، فمجرد إقرار حنفي بأهمية التراث وإيجابيات الرجوع إليه لحيائه في الحاضر جعلت نتاجه يتحول - على وفق أبي زيد - إلى قراءة تلوينية كونها نتاجاً ليسار الإسلامي كما يصنفها.

إذ من غير السليم (قراءة الحاضر في الماضي) تبعاً لمنهجية حنفي، لأنها ممارسة تلوينية تهدف إلى إضفاء جملة من الاصبغة (المُجمّلة) على قضايا تراثية بذريعة استلهاامها، لأن أبا زيد يرى أن التراث لا يمكن أن يعود للحياة في الحاضر المعاش، فضلاً عن المستقبل المنشود، نعم هو يقبل من التراث ما يتلائم مع توجهه التأويلي ومتبنياته، أما عدا ذلك فعلى التراث السلام.

وهو لا يألو جهداً في وصم مشروع حنفي بأنه (قراءة مغرضة)^(١١)، وهي فرصة لإيضاح توصيفاته لثنائية (القراءة غير البرئية - القراءة المغرضة)، فهو بعد أن يستبعد وجود قراءة بريئة، يوضح الفرق بين الآخرين (إن إنعدام البراءة

في النشاط المعرفي عموماً، وفي قراءة النصوص خصوصاً، أمر له تأويله الاستمولوجي ما دام فعل المعرفة لا يبدأ من فراغ مطلق شامل مطابق لحالة البراءة الأصلية الأولى على إفتراض وجودها، أما القراءة المغرضة فهي على عكس ذلك، لا تأويل لها إلا في إطار الايديولوجيا^(١٢).

فالقراءة غير البريئة، وإن كانت تتسم بعدم البراءة وبتوشجٍ بضرب من القصدية، يجد لها أبو زيد مبرراً معرفياً، في حين المغرضة تنحصر في التبرير الايديولوجي، وهذا يستلزم تماشياً مع طريقة أبي زيد في التحليل، إن كل القراءات التي تختلف معه تكون مغرضة كما هي الحال في قراءة حسن حنفي للتراث، وحتى نعرف هل أن قراءة أبو زيد للخطاب الديني قراءة غير بريئة أو مغرضة، فسأعرض جملة من الشواهد التي تثبت انه مارس القراءة المغرضة (الايديولوجية) وإن كان أراد إيقاع قارئه في فخ تأويله، فهو عندما يناقش شروط تطبيق حد قطع اليد للسارق، يذكر شرطين فقط ينقلهما عن سيد قطب، وهما شرط أن يكون المال أو العين في مكان محرز أو لنقل في مكان مغلق ومؤمن، والثاني أن لا يكون للسارق نصيب في المال المسروق، ثم يعمد إلى مناقشة هذين الشرطين بهدف تعرية مقاصديتهما ليتوصل إلى حقيقة أن الخطاب الديني يمثل خطاباً دوغمائياً وساذجاً^(١٣)!! هل نسي أبو

زيد أن شروط قطع يد السارق تتجاوز العشرين شرطاً؟ وتبعاً للسؤال السابق: هل غفل عن أن شروط القطع جاءت منسجمة مع وضع الرفاهية التي أرادها الإسلام للمجتمع، بحيث يصبح مع انعدامها توافر شروط القطع امراً مستحيلاً؟؟

كما انه يقرأ النتاج المعرفي للكتاب قراءة مغرقة في غرضيتها الايديولوجية، فيشير إلى احد كتب ابن تيمية التي عمد فيها كاتبها إلى المواءمة بين المعقول والمنقول ألا وهو (موافقة صريح المعقول لصحيح المنقول)^(١٤)، بيد انه يقول بعد صفحة واحدة (وهكذا ينتهي الخطاب السلفي إلى التعارض مع الإسلام حيث يتعارض مع أهم أساسياته (العقل) ويتصور انه بذلك يؤسس (النقل)، والواقع انه ينفية بنفي أساسه المعرفي)^(١٥)، هكذا تحول ابن تيمية وهو رائد التيار السلفي ضمن الخطاب الديني بمختلف أزمته، من دُعاة العقلانية وأرباب المواءمة بين المعقول والمنقول لكونه ألف كتاباً بذلك، ويسدل أبو زيد الستار على كل الممارسات التنظيرية والسلوكية الدوغمائية التي تجلت في ابن تيمية ومدرسته المتطرفة!! لا أدري كيف سمح لنفسه أن يخرج بتوصيفات غير منطقية كهذه، كما انه في قراءته غير البريئة (ولكنها ليست مغرضة!!) إبتسر الخطاب الديني في بعض النماذج المصرية، أما البنية

الشيعية داخل الخطاب الإسلامي فهي لا تستحق أن يقرأها أبو زيد، ربما لكونها لا تنتمي إلى الخطاب الإسلامي أصلاً؟؟؟

الملاحظة الرابعة: الحاكمية:

لقد برزت الحاكمية، بعدها وجهة نظر في التعاطي مع السلطة العليا - السياسية - داخل المجتمع من منطلق عدم الاعتراف بحق الحكم لغير الله تعالى، إبان حرب صفين التي جمعت بين جيشي الإمام علي عليه السلام ومعاوية بن أبي سفيان عام ٣٧ هـ، إذ حين لاح لجيش الإمام النصر على عدوه، إستنجد معاوية بإبن العاص الذي أشار عليه بأن يأمر جنوده برفع المصاحف على أسنة الرماح والنداء بأن (لا حكم إلا لله)، الأمر الذي أدى إلى خروج الخوارج على الإمام علي عليه السلام ورفعهم لشعار (لا حكم إلا لله)، وفي أكثر من موضع كان أبو زيد يُشير إلى أن جيش الشام (هو من طرح مفهوم الحاكمية وليس الخوارج على عكس ما يروج الخطاب الديني المعاصر) ^(١٦)، وتأتي تأكيدات أبي زيد هنا ليس في إطار الاستنتاج المعرفي، أو لنستخدم تعابير، ليس في إطار القراءة البريئة، بقدر ما الهدف منها هو ضرب الحاكمية المعاصرة التي يريد أن يقول لاتباعها - ضمناً - أن المرتكز الذي ترتكزون عليه لم ينطلق إلى الوجود كإستنتاج للنص الديني بقدر ما جاء كإستجابة

لرغبة النفعيين في الخلاص من القتل المحتم، وبعبارة أخرى، جاءت كنتاج لقراءة مغرضة وليس بريئة.

ثم يعمد إلى تحليل الحاكمية بالقول (إن النتائج الخطيرة التي تترتب على طرح مفهوم الحاكمية، بالإضافة إلى ما يؤدي إليه من إهدار لدور العقل ومصادرة الفكر على المستوى العلمي والثقافي، إن هذا المفهوم ينتهي إلى تكريس اشد الأنظمة الاجتماعية رجعيةً وتخلفاً) ^(١٧)، إن هذا القول ينطوي على مقدار ليس بالقليل من الصواب ما أخذنا بنظر الاعتبار دُعاة الحاكمية (السطحيين بالخصوص) الذين نشطوا في المجتمع المصري وبعض المجتمعات الإسلامية الأخرى، بيد أن من غير الصحيح تعميم هذا الحكم على الحاكمية بأشكالها كافة، ففي إيران - على سبيل المثال - هناك تطبيق، لمديات معينة، للحاكمية، وسواء إتفقنا مع الحاكمية في إيران والمتجسدة في نظرية (ولاية الفقيه) أم لم نتفق فإن من غير الصحيح القول أنها أسهمت في رجعية المجتمع الإيراني وتخلفه، بل على العكس، أسهمت ولدرجة كبيرة في تطويره - لا سيما إذا أخذنا بنظر الاعتبار حالته إبان العهد البهلوي - ولم تجعله رجعيًا ومتخلفاً.

إن المشكلة في منهجية أبي زيد التحليلية والتأويلية تكمن في أسلوبه التعميمي القصدي، الذي يقوم

بتشخيص بعض مكامن الخلل في جملة من المصاديق المصرية للخطاب الديني، ومن ثم يقوم بتعميمها على كل الحالات في مختلف الزمكانيات.

إن الحاكمية إذا أُريدَ بها توشيح العلاقة بين الأرض والسماء من خلال إتباع الأحكام الإلهية الثابتة والصحيحة لم ولن تعنِ النكوص ولا التقهقر بقدر ما ستعني الارتقاء بالمجتمع وتفعيل دور العقلانية فيه، لكون الرسالة الإسلامية لم تعارض العقل، بل دعت وشجعت - بل أوجبت - التفكير والتدبر والتعقل.....، إذ لا يكفي، لا سيما وإننا ندعي المعرفة، أن نبتسر الحقائق ونثب على إيجابيات الأمور لكونها تعارضت مع بعض مسلمتنا التي نرتكن إليها.

لنتأمل كلام أبي زيد الآتي (إن رد كل أزمة من أزمات الواقع في المجتمعات الإسلامية - بل وفي كل أزمات البشرية - إلى (البعد عن منهج الله) هو في الحقيقة عجز عن التعامل مع الحقائق التاريخية، وإلقاؤها في دائرة المطلق والغيبى، والنتيجة الحتمية لمثل هذا المنهج، تأييد الواقع وتعميق إغتراب الإنسان فيه والوقوف جنباً إلى جنب مع التخلف ضد كل قوى التقدم)^(١٨)، إن أبا زيد يعمم جملة من مصاديق دُعاة الحاكمية المصريين على مبدأ يهدف بالدرجة الأساس إلى الارتقاء بالمجتمع من

خلال ربطه بتعاليم السماء، فالحاكمية على وفق تصويره تنسجم، بل تتماهى، مع النظرة الكنسية التي رزحت تحت وطأتها شعوب أوروبا غير قليل من الزمن، وهي تتعارض جملة وتفصيلاً مع ما جاء به الإسلام وأراده، لذا فمن غير السليم الحكم على مبدأ ما أو نظرية من خلال بعض المصاديق.

الملاحظة الخامسة: العقل:

ينظر أبو زيد إلى الخطاب الديني على أنه (يختصر علاقة الإنسان بالله في بعد واحد فقط هو العبودية، التي تحصر - الأخيرة - فاعلية الإنسان في الطاعة والإذعان، وتحرم عليه السؤال أو المناقشة)^(١٩)، وإيضاً (إن اختزال دور الإسلام ومقصده الكلي في تحرير الإنسان من العبودية لغيره من البشر، لكي يردّه إلى عبودية من نمط آخر، هو التزييف بعينه، لأنه مقصد شكلي ما دام يسلمه إلى عبودية كهنة النصوص)^(٢٠)، وكلام أبي زيد هنا صحيح جداً، على وفق المصداق الذي لم يوضحه لقرائه بشكل صحيح، بل شخّص ليقفز على المشخّص فيعمم النتائج على الجميع، فالعبودية التي جاء الإسلام ليحرر الإنسان منها ولم يجعلها بمثل مضامينها عبودية لله تعالى، فعبادة العبد شيء، وعبادة الخالق سبحانه شيء آخر، في الأولى القيود والتسافل والابتعاد عن روح الأخلاق

والتسامي، وفي الثانية التحرر من قيود الدنيا والأشخاص والتمسك بمنهج الله تعالى والأخلاق الفاضلة، يكفي لإدراك ذلك أن نقارن بين شخص يعبد صنماً أو شخصاً أو لذة وبين شخص يعبد الله تعالى (بالمعنى الواقعي للعبادة).

عندما يعمد أبو زيد إلى تشخيص أولى محاولات إلغاء العقل لحساب النص فيقرر أنها لحظة رفع المصاحف على أسنة الرماح^(٢١)، لكن لماذا كل هذا التأخر لعام ٣٧ هـ وهو العام الذي نشبت فيه حرب صفين؟ لماذا ليس التأسيس للفكر الجبري القائم على إستقالة العقل من منطلق أن أفعال الإنسان من خلق الله تعالى فلا يصح الاعتراض عليها، وهو فكر أسس له معاوية في الشام ليلغي دور العقل ويؤمّن أتباعه تنويماً يجعلهم يتبعونه إتباعاً أعمى دون قيد أو شرط؟ وكذا لماذا ليس في زمن عثمان بن عفان الذي أراد أن يُغالط الذين ثاروا عليه لانحراف سيرته من خلال توظيف التأكيدات التي جاءت في القرآن الكريم والسنة الشريفة، بأنه (كيف أنزع قميصاً ألبسنيه الله)^{(٢٢)(٢٣)}؟، والغريب في الأمر أن أبا زيد ذكر هذه الحادثة في كتاب آخر له^(٢٤)؟ هكذا يقفز على الحقائق ليوقع قارئه في فخ تأويله الذي يدعي له المعرفية!!

يعتقد أبو زيد أن العقل يقف على الضد من الجاهلية التي جاء الإسلام لمحاربتها والقضاء عليها إذ يقول (وإذا

كان الإسلام يمثل الموقف النقيض [للجاهلية] فمعنى ذلك انه يمثل، جوهرياً، موقف الإحتكام إلى العقل والمنطق حتى في فهم نصوصه ذاتها)^(٢٥)، ولكن من الأهمية بمكان البحث عن مراده بالعقل، فالعقل الإنساني، لا سيما إذا تماهينا مع جملة من دُعاة المنطق الذاهب إلى أن من الصعب الإجماع على مرتكزات عقلية ثابتة في كل زمان ومكان، لا يمكن أن يُشكل مقياساً واضحاً لتصويب النتائج وتخطئها.

إن العقل الذي يجعله أبو زيد واحداً من ثالوث مقاصد الشريعة التي يدعو لإستبدالها بـ (العقل - العدل - الحرية) ليس عقلاً واحداً، فكثير من القرارات التي تُسمى عقلانية تكون قرارات متناقضة!! وربما يمكن القول أن العقل الذي يدعو إليه أبو زيد هو ذلك الذي يدعو إلى عدم محاربة الاستعمار لأسباب طائفية!!!

لقد أعلن أبو زيد، في احد لقاءاته مع جريدة الأهالي إبان العدوان على لبنان، إلزامية عدم إستنكار هذا العدوان لأنه سيعني الوقوف مع حزب الله^(٢٦)!!، اجل هذا هو العقل الذي يدعو إليه أبو زيد ويريد أن يجعله أحد مقاصد الشريعة، ولعمري لقد أجاد (هادي العلوي) عندما قال (وهكذا يصبح العدو الأُوحد بالنسبة لتسعين بالمئة من مثقفينا هو الإسلام (السياسي) وهذه الإلحاقة [يقصد

السياسي [للتمويه، فالعدو هو الإسلام نفسه) ^(٢٧) ، فالذريعة الابتدائية لشرعنة المواجهة وتبريرها هي الإسلام السياسي، بيد أن هؤلاء لا يكتفون بإبعاد الإسلام عن السلطة السياسية، وإنما يتجاوزون الأمر إلى إبعاده عن الحياة برمتها، ومن هنا لا يمكننا الوثوق بالتطمينات التي قدمها أبو زيد من أن (العلمانية ليست في جوهرها سوى التأويل الحقيقي والفهم العلمي للدين، وينبغي التفريق بين فصل الدين عن السياسة وبين فصل الدين عن المجتمع والحياة، فالأولى ممكنة أما الثانية فعبارة عن وهم...) ^(٢٨) ، فهذه التطمينات لم تعد قادرة على أن تجعل المجتمع يثق كفاية بالعلمانية، لا سيما على وفق مساراتها داخل بعض المجتمعات التي طبقتها، أليست العلمانية في تركيا سوقت من قبل أتاتورك على أنها الحل الأمثل لإبعاد الدين عن السياسة، بيد أنها اليوم تمنع الحجاب في الجامعات والمؤسسات التركية؟؟، أليست فرنسا وهي (رائدة الحرية كما يدعي البعض) صارت ترغب النساء على عدم ارتداء الحجاب وتفرض العقوبات لتحقيق ذلك؟؟

هذا إذن العقل الذي يتعامل وفقاً له أبو زيد مع النص الديني ويسعى إلى أن يأوله، بل يلوّنه!! والغريب في الأمر أن جملة من مثقفينا مهما إدّعوا أنهم علمانيون وأنهم لا يؤطرون حياتهم تناغماً مع الأفكار الدينية التي يقولون أنها

ضيقة، فإنهم في تخريجاتهم النظرية وسلوكهم العملي طائفيون من الطراز الرفيع!!

محاولة لإعطاء تبرير:

لأجل أن لا نقع في عين الأخطاء التي وقع فيها أبو زيد، فإننا سنحاول أن نتفهم المحيط الذي إحتك به أبو زيد، والذي جعله يتخذ مواقف مسبقة من الآخر فرتب نتائجها الفكرية عليها، فجملة من المؤمنين بالحاكمة من التيارات الدينية المصرية قد الغوا العقل في كثير من المواطن التي يجب أن يكون له فيها دور، فعلى سبيل المثال، ذهب بعضهم إلى تحريم تعلم القراءة والكتابة لكونها قد تكون سبباً في ضلال الإنسان في حال قام بالتعرف من خلالها على الأفكار التي إعتقدوا أنها تدعو إلى الضلال، وبعض سعى إلى التهوين من هذه الحدة، فدعا إلى جواز التعلم على أن تقتصر القراءة على القرآن الكريم وبعض الكتب الدينية، وبعض آخر حرّم الذهاب إلى الطبيب أو تناول الدواء، لان ذلك يجعل الإنسان راغباً في البقاء طويلاً في هذه الدنيا والجنوح عن لقاء الله تعالى عاجلاً، وآخرون نظروا إلى المجتمع الإسلامي على انه مجتمع كافر لكون الأحكام المطبقة فيه لا تتوافق كلياً مع الأحكام الإسلامية فراحوا يُطلقون النساء من الرجال ويبيحون الدماء و...، فأعادوا بذلك منهج الخوارج في

الديني...

بيد أن السؤال الجوهرى في هذا الإطار: هل أن كل هذا يعد مبرراً مقنعاً وكافياً لأن يقوم أبو زيد بإبتسار الخطاب الدينى هكذا إبتسار وتأويله بإسلوب كهذا؟؟ أعتقد أننا مهما حاولنا أن نبرر لأبى زيد ما فعل فإن محاولات التبرير ستبوء - بلا ريب - بفشل ذريع، لا سيما إذا ما إنطلقنا من كونه يعد واحداً من ابرز الذين يُعتبرون مفكرين كما يذهب البعض.

لكن ينبغي عدم إغفال الجهد المعرفى الذى بذله فى جملة من كتاباته ونتاجاته الفكرية، والتي أسهمت على الأقل فى زيادة الجراك داخل العقل الإسلامى وهو يسعى جاهداً فى الرد عليها، كما يمكن القول، أن ما قدمه أبو زيد من منجز كان يمكن أن يكون له دور كبير فى إحياء المشروع العقلانى داخل المنظومة الإسلامية - العربية لولا ما إكتنفه من طابع إيديولوجى متسريل باللباس المعرفى.

تشدهم وتسطيحهم للأحكام الإسلامية وعدم تفريقهم بين (الإسلام والإيمان).

فى خضم هذه الأجواء وضمن مناخاتها نظر أبو زيد إلى الخطاب الدينى، فلم يجد فيه غير السطحية والسذاجة وإعلان إستقالة العقل البشرى وتفويض الأمر كله لنصوص هى بحاجة أيضاً إلى العقل الذى إستقال!! ما أدى إلى إنتاج خطاب متيسب، خال من المحتوى والمضمون، بعيد كل البعد عن روح الإسلام وقيمه، وبهذا قد يكون أبو زيد معذوراً فى تحليله الذى قام به وفقاً لمنهجية التأويل وإستنتاجاته التى تمخضت عنه، وتزداد القضية إستيعاباً وتبريراً إذا ما علمنا أن أبا زيد قد تم تكفيره من قبل الجهات التى تُعد معتدلة وأكثر إنفتاحاً من أولئك الذين ذكرنا أمثلة عن بعض أفكارهم، كما ان المنطلقات والآليات التى حددها فى كتابه هى صحيحة ضمن طرائق إنتاج الأحكام والتوصيفات عند مصاديقه داخل الخطاب

الهوامش:

[١] نصر حامد أبو زيد (نقد الخطاب الدينى) الطبعة الثانية ١٩٩٤ م،

نشر دار سينما - القاهرة، ص ١١٨.

[٢] خيرة حمر العين (الشعرية وإنفتاح النصوص، تعددية الدلالة ولا نهائية التأويل) فى مجلة (الخطاب) دورية تصدر عن جامعة مولود معمري - تيزي وزو، العدد السادس ٢٠١٠، ص ١١.

[٣] وإذا ما أريد أن يكون العنوان أكثر دقة، فمن الأفضل أن يكون

كالآتي: (إنتقاد الخطاب الدينى المصرى، دراسة لنماذج)!!.

[٤] نصر حامد أبو زيد المصدر السابق، ص ٦٧ - ٦٨.

[٥] المصدر السابق، ص ١٠١.

[٦] المصدر السابق، ص ١١٧.

[٧] كان من الأفضل أن تُرتب الموارد على شكل (مبادئ) و (آليات).

[٨] المصدر السابق، ص ٧٧.

ط، د. ت، نشر مؤسسة الاعلمي - بيروت، ج ٣ ص ٤٠٧،
وأيضاً: عز الدين بن أبي الحديد (شرح نهج البلاغة) (٢٠)
جزء، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، د. ط، ١٣٧٨ هـ /
١٩٥٩ م، نشر دار الكتب العلمية - بيروت، ج ٢ ص ١٥٠،
وأيضاً: عبد الحسين الأميني (الغدير) (١٢) جزء، الطبعة الرابعة
١٣٩٧ هـ / ١٩٩٧ م، نشر دار الكتاب العربي - بيروت، ج ٩
ص ١٨٣.

[٢٣] النكتة اللطيفة هي أن عثمان، وبعد أن إستنفذ جميع وسائله لثني
الثوار عن عزمهم على خلعه، لجأ إلى موضوع (أن الخلافة
منصب إلهي) لأنه يدرك تماماً أن الشارع قد أوضح هذا الأمر
في الكثير من المواضع لذلك أراد أن يُذكر الثوار به، وهذا يُثبت
انهم كانوا مقربين بأن الخلافة تنصيب إلهي ولكن هي الدنيا!!!
[٢٤] نصر حامد أبو زيد (النص، السلطة، الحقيقة، الفكر الديني بين
إرادة المعرفة وإرادة الهيمنة) الطبعة الأولى ١٩٩٥ م، نشر
المركز الثقافي العربي - الدار البيضاء، ص ٥٥.

[٢٥] نصر حامد أبو زيد (نقد الخطاب الديني)، مصدر سابق، ص
٩٧.

[٢٦] هادي العلوي (المرئي واللا مرئي في الأدب والسياسة) الطبعة
الثانية ٢٠٠٣ م، نشر دار المدى - دمشق، ص ٤٥.

[٢٧] المصدر السابق، ص ٤٦.

[٢٨] نصر حامد أبو زيد (نقد الخطاب الديني) مصدر سابق، ص ٤٦.

[٩] المصدر السابق، ص ٦٧.

[١٠] المصدر السابق، ص ٢١١، أرجو من القارئ العزيز أن يلتفت
إلى الأفعال التي يستخدمها في بيانه، فهو حين تحدث عن
المتشددين إستخدم فعل (يتمسكون)، أما حين تحدث عن
المعتدلين إستخدم فعل (يحاول)، إنه يعرف تماماً كيف ينتقي
المفردات لايقاع القارئ في فخه، وهي طريقة معرفية تقوم على
ممارسة تلقينية للاشعور القارئ من خلال إستخدام مفردات
يُراد منها أن تلتصق في عقله الباطن حول الجهة المُراد بيان
مثالبها.

[١١] المصدر السابق، ص ١٦٢.

[١٢] المصدر السابق، ص ١٤٢.

[١٣] المصدر السابق، ص ٨٨.

[١٤] المصدر السابق، ص ١٠١.

[١٥] المصدر السابق، ص ١٠٣.

[١٦] ينظر على سبيل المثال: المصدر السابق، ص ٨٥.

[١٧] المصدر السابق، ص ١١٣.

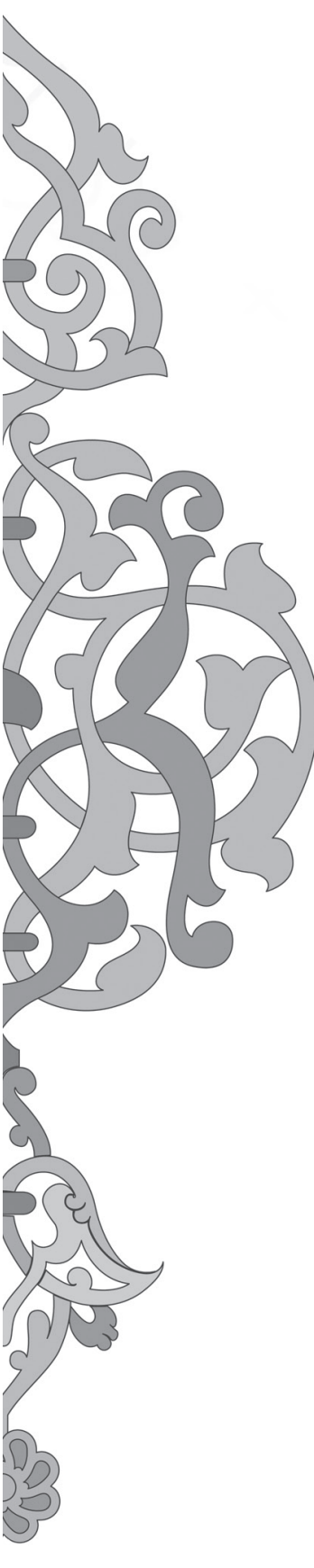
[١٨] المصدر السابق، ص ٩٥.

[١٩] المصدر السابق، ص ١١٦.

[٢٠] المصدر السابق، ص ١٣٤.

[٢١] المصدر السابق، ص ١٠٢.

[٢٢] محمد بن جرير الطبري (تأريخ الأمم والملوك) (٨) أجزاء، د.



مَدْخَلٌ إِلَى عِلْمِ الْجَمَاعَةِ الدِّينِيَّةِ الشَّيْعِيَّةِ

❖ د. علي المؤمن (*)

(*) مؤرخ وباحث أكاديمي، العراق.

النظام الديني الاجتماعي الشيعي ظاهرة مركبة، دينية اجتماعية تاريخية إنسانية، تستند الى قواعد تأسيسية نظرية، عقدية وفقهية وتاريخية، وتقف على بنى اجتماعية دينية واجتماعية سياسية واجتماعية ثقافية واجتماعية معرفية. وتمثل هذه القواعد النظرية الدينية والبنى الاجتماعية الناشئة عنها؛ المداخل العلمية الأساس الكاشفة عن معالم النظام الديني الاجتماعي الشيعي.

ومن أجل دراسة هذه الظاهرة الاجتماعية المركبة؛ لا بد من وجود أدوات منهجية معرفية تحتوي على قوالب ومعادلات، تعمل على توصيف الظاهرة وتحليلها واكتشاف معالمها. وهذه الأدوات المعرفية تتمثل في علم الاجتماع الديني بالدرجة الأساس، إضافة الى الاجتماع السياسي والاجتماع الثقافي واجتماع المعرفة واثروبولوجيا الدين وفلسفة الدين كمداخل علمية مكملة. ومن مجموع هذه المداخل يتشكل منهج علمي جديد خاص بدراسة

الاجتماع الشيعي؛ بوصفه وحدة سسيولوجية مذهبية بالدرجة الأساس؛ وإن تضمّنت أبعاداً اثروبولوجية.

وعلم الاجتماع الديني أداة معرفية لاكتشاف معالم الظاهرة الاجتماعية الدينية، وتوصيفها وتحليلها، وترسيم هيكلتها وأنساقها المعرفية والعملية، وعلاقاتها الداخلية والخارجية، ومقارنتها بالظواهر الأخرى المشابهة أو المتعارضة. و ليست مهمة علم الاجتماع الديني اختراع ظواهر الاجتماع الديني أو اختلاقها، و لا الاستدلال على صحتها وخطئها؛ لأنه ليس علماً تجريبياً و معيارياً، ولا علاقة له بالسجال الديني والمذهبي؛ بل هو أداة لدراسة ظاهرة قائمة.

و كغيره من العلوم الانسانية والاجتماعية المعنية بدراسة الدين؛ فإن علم الاجتماع الديني هو منهج معرفي نشأ في الغرب كرد فعل على احتكار الكنيسة للدراسات المعنية بالأديان وتطورها التاريخي وفلسفتها وعقائدها.

إنثروبولوجية لا علاقة لها بالغيب، بل ويقدم تفسيراً للإيمان الغيبي من خلال مناهج الميتافيزيقيا؛ باعتباره صناعة وعي الإنسان بالغيب، وهي صناعة لها أسبابها النفسية والاجتماعية والقومية والجغرافية، وأنه الواسطة بين المعقول واللامعقول، وأنه عبارة عن معتقدات وطقوس وأخلاق لا أكثر. بل أن التحليل الماركسي للظاهرة الدينية؛ إنما هو أحد مناهج علم الاجتماع الديني الغربي العلماني.

هذه التقييم المختصر لمناهج علم الاجتماع الديني الوضعي، تؤكد عدم قدرته على دراسة النظام الديني الاجتماعي الشيعي أو الظاهرة الدينية الاجتماعية الشيعية دراسة موضوعية تكشف بالفعل عن حقائق الظاهرة وبنائها المركبة؛ الأمر الذي يدعو إلى ضرورة التأسيس لفرع منهجي جديد لعلم الاجتماع الديني، منتزع من خصوصية الظاهرة الاجتماعية الدينية الشيعية، يمكن أن نطلق عليه "علم الاجتماع الديني الشيعي"؛ بالنظر لميزاتها المتفردة عن الظواهر الدينية الاجتماعية الأخرى، في خلفيات تأسيسها وتطورها وسياقات حركتها التاريخية وأنساقها الداخلية والخارجية و دقة هيكليتها وقوة أواصرها، فضلاً عن احتوائها على عوامل الديمومة والمناعة والتمدد.

ولم تأخذ أغلب الدراسات التي تناولت الظاهرة الدينية

فقد كانت العلوم الاجتماعية والإنسانية الكنسية هي جزء من الدراسات اللاهوتية المسيحية. ولكن بالتزامن مع ما عرف بعصر النهضة الأوروبية وصراع العلمانية والكنيسة؛ برزت المنهجيات العلمانية السسيولوجية والانثروبولوجية والاثنولوجية الدينية لتقدم تفسيرات علمانية لنشوء الأديان وتطورها، ولتعريف المقدس والمدنس. أي أن علم الاجتماع الديني التقليدي يمثل الفهم السسيولوجي العلماني للدين، وهو الفهم الذي ظهر رداً على الفهم الكنسي للدين أو الفهم الديني للدين. وإذا كانت العلوم الدينية تدرس الدين من داخله، من خلال علم العقيدة وعلم الفقه وعلوم النص المقدس وتاريخ الأنبياء والأديان؛ كونها علوم تستند إلى نصوص دينية وقواعد دينية أو مستنبطة من الفهم الديني؛ فإن العلوم الإنسانية والاجتماعية واللسانية الوضعية، ومنها علم الاجتماع الديني، تدرس الدين من خارجه، وبعيداً عن حضور المقدس والتقاليد الدينية.

وقد حاولت كثير من منهجيات علم الاجتماع الديني الغربي، والماركسي، وانثروبولوجيا الدين، والفينومينولوجيا، واثنولوجيا الدين، وعلم النفس الديني؛ أن يقدم تفسيراً إنسانياً يفصل الدين عن المثل العليا السماوية، ويعرفه بأنه مجرد ظاهرة اجتماعية اثنولوجية أو اجتماعية نفسية أو

الاجتماعية الشيعية بنظر الاعتبار فريدة هذه الظاهرة، ولم تراع خصوصياتها المركبة، حتى تلك التي كتبها باحثون مسلمون و عرب، وبينهم شيعة. بل أخضعتها لمناهج علم الاجتماع الديني التقليدي ومفاهيمه ومعادلاته ومصطلحاته، كأية ظاهرة أخرى؛ ما أدى الى وقوع هذه الدراسات في فخ التشويه و عدم الموضوعية.

و لا يعنى "علم الاجتماع الديني الشيعي" بدراسة التشيع كمذهب ديني عقدي فقهي؛ بل بدراسة الشيعة كظاهرة اجتماعية سياسية ثقافية مركبة، أو ما اصطلاحنا عليه "النظام الديني الاجتماعي الشيعي"؛ ما يعني عدم تناول السجال الديني المذهبي في أبعاده العقدية والفقهية أو السجال التاريخي؛ بل مقارنة تأثيرات هذه السجلات إنسانياً واجتماعياً وتنظيماً وثقافياً وسياسياً، أو ما يمكن أن نصفه بمخرجات علاقة المذهب والتاريخ والسياسة بالمجتمع الشيعي. كما يقارب علم الاجتماع الديني الشيعي موضوعات من قبيل: الهوية الشيعية وتوصيفاتها الدينية المذهبية الاجتماعية، ووعي المجتمع الشيعي بالمذهب وبنفسه، وسلوكه المذهبي أو المنسوب للمذهب، والسلطة الدينية الاجتماعية الضابطة للسلوك الفردي والاجتماعي المذهبي، والمؤسسات المتفرعة التي تنتمي الى الاجتماع المذهبي الشيعي، وعلاقة الشيعة - كظاهرة

مذهبية اجتماعية - بالسياسة والاقتصاد والتعليم والاعلام، وتأثير السلوك الاجتماعي المنتسب للمذهب الشيعي بالمحيط الخارجي المذهبي والديني والاجتماعي والسياسي والقانوني، وغيرها من الموضوعات ذات الصلة.

و علم الاجتماع الديني الشيعي الذي نعمل على تثبيت أسسه وقواعده المعرفية، يختص بالشيعة الإمامية الإثني عشرية الذين يبلغ عددهم حوالي (٤٠٠) مليون نسمة، وينتشرون في أغلب دول العالم، ويشكلون ما نسبته ٨٥ بالمائة تقريباً من مجموع الشيعة البالغ عددهم (٤٥٠) مليون نسمة. فيما يبلغ أتباع المذاهب الشيعية الأخرى، كالإسماعيلية والزيدية والعلوية، ما يقرب من (٥٠) مليون نسمة، وهم لا يشكلون وحدة سيولوجية مع شيعة المذهب الإثني عشري؛ بل وحدة تاريخية سياسية شبه عقدية. ويعني هذا أن الاجتماع الشيعي أو مجتمع المذهب يضم المنتمين الى المذهب الشيعي الإمامي الإثني عشري حصراً، سواء بالوراثة العائلية أو بالاكتساب العميق (الذوبان الاجتماعي وليس العقدي وحسب)، وسواء كان هؤلاء المنتمون متدينين ملتزمين بالجوانب الإيمانية والشعائرية أو غير متدينين. أي أن الاجتماع الديني الشيعي يستوعب شرائح المنتمين لمجتمع المذهب الشيعي، ويعيشون مساراته التاريخية وهمومه

وحركاته وسلوكياته؛ بصرف النظر عن حجم التزامهم الشعائري والطقسي، بل والعقدي أحياناً.

وهناك فرق بين الشعائر الدينية للمذهب من جهة وطقوس مجتمع المذهب من جهة أخرى، وإن كانت أغلب هذه الطقوس المجتمعية تحمل هوية مذهبية أيضاً، لكن الطقوس تمثل هوية المجتمع بالدرجة الأساس، وليس المذهب؛ بينما تمثل الشعائر هوية المذهب بالدرجة الأساس وليس المجتمع. والفرق الأساس هنا يتمثل بدرجة الإلزام والقدسية في الإيمان والممارسة. فعقيدة المذهب وشعائره تمثلان المذهب وبنيته الدينية، كأصول التوحيد والعدل والنبوة والإمامة والمعاد، وفروض الصلاة والصوم والحج وغيرها، ولا يجوز نكرانها وتركها؛ لأن ذلك يشكل معصية وإثماً دينياً؛ بل كفرأحياناً إذا إنكاراً بيتاً، وفيه جزاء أخروي. أما ممارسة الطقوس والعادات والتقاليد الشيعية المجتمعية المنسوبة إلى المذهب؛ فهي ممارسة مستحبة وليست واجبة، ولا يترتب على تركها جزاء أخروي، وأبرزها - كما ذكرنا - طقوس الإحتفاء بذكرات آل البيت، ولا سيما استشهاد الإمام الحسين وغيرها.

إن المذهب الشيعي ومجتمعه يشتملان على خمسة مكونات أساسية:

١ - الأصول العقدية: وهو موضوع علم الكلام

الاسلامي الشيعي

٢ - الفروض الفرعية: وهو موضوع الفقه الاسلامي

الشيعي

٣ - السلوك: وهو موضوع علم الأخلاق الاسلامي

الشيعي

٤ - الكينونة التاريخية: وهو موضوع تاريخ النظام

الديني الاجتماعي الشيعي

٥ - الطقوس والتقاليد: وهو موضوع الميثولوجيا

الاسلامية الشيعية

٦ - الانتماء المجتمعي: وهو موضوع علم الاجتماع

الديني الشيعي

هذه المكونات الستة تكمل بعضها، وهي قوام الشخصية المسلمة الشيعية المتكاملة في إيمانها العقدي النظري، والتزامها بالفروض، وتمسكها بالسلوك، وممارستها للطقوس، وانتمائها للتاريخ، وتفاعلها اجتماعياً. إلا أن ما يعني علم الاجتماع الديني الشيعي هو عنصر الانتماء المجتمعي دون غيره من المكونات الأخرى، وإن استند إلى تحليل المكونات الخمسة الأخرى في فهم المجتمع الشيعي وخلفيات تكوينه ووعيه وقنوات التعبير لديه.

و يقود هذا الحديث الى موضوع الخلاف السني الشيعي؛ فهل هو خلاف مذهبي عقدي فقهي، أو خلاف تاريخي سياسي، أو خلاف اجتماعي سياسي؟. الجواب: إنه خلاف تاريخي سياسي وخلاف اجتماعي سياسي بالدرجة الأساس، حاله حال أي خلاف بين مجتمعات المذاهب في الديانات الأخرى. وهذا لا يعني عدم وجود خلاف في العنصرين العقدي والفقهي بين التشيع والتسنن، ولكن الخلاف العقدي الفقهي هو الأقل تأثيراً في الواقع الاجتماعي، لأن كثيراً من المختلفين من الطرفين غير ملتزمين دينياً أساساً، ولأن هذا الخلاف العقدي الفقهي موجود أيضاً بين المذاهب والفرق السنية أنفسها أيضاً، ولعله أشد في بعض المجالات، كما كان ولا يزال - مثلاً - بين الفرقة التيمية الحنبلية وامتدادها الوهابي الحالي وبين مجتمعات المذاهب السنية الأخرى الراضية للعقيدة التيمية الوهابية. وفي الوقت نفسه نجد تطابقاً بنسبة ٧٠ بالمائة في الأصول والفروع بين التشيع والتسنن. وبالتالي؛ فإن الإسلام وإن كان واحداً؛ لكن المسلمين منقسمون مذهبياً اجتماعياً سياسياً، بناء على تباين الهوية المذهبية الاجتماعية التي خلقتها المسارات التاريخية التراكمية وتعارضات السلوكيات الاجتماعية السياسية، فضلاً عن الخلافات العقدية الفقهية.

إن من المميزات الأساسية للاجتماع الديني الشيعي، استناده الى قاعدة غيبية تتمثل في نيابة سلطة النظام الديني الاجتماعي الشيعي عن القائد الحقيقي الغائب، وهو الإمام المهدي المنتظر. صحيح أن المسلمين عموماً يعتقدون بعقيدة المهدي، وأن قائداً إسلامياً مصلحاً سيظهر في آخر الزمان لينشر العدل الإسلامي في كل الأرض، لكن الفرق الأساس بين الشيعة والسنة في هذا المضمار هو أن المعتقد المهدي ليس له مدخلة تشريعية أو عملية في وجود المؤسسة الدينية السنية وفي السلوك الشرعي لأتباع المذاهب السنية. فضلاً عن أن المذاهب السنية لا تعتقد بأن المهدي شخص محدد بعينه، أي أن المهدي لدى المذاهب الإسلامية الأخرى مجرد وجود ميتافيزيقي مفتوح على التعريفات والمصاديق، ولا يؤثر غيابه في وجودهم وسلوكهم المذهبي الاجتماعي.

أما عند الشيعة فإن المهدي المنتظر هو شخص محدد بعينه، له اسم ونسب وتاريخ معروف، ووجوده ليس مجرد عقيدة نظرية عامة لا تؤثر في الواقع الاجتماعي؛ بل هي عقيدة أساسية تستند اليها السلطة الدينية الاجتماعية المركزية في شرعية وجودها، وأن قسماً من الفقهاء الشيعة يعطون العمل ببعض الأحكام الشرعية الجماعية بانتظار عودة الغائب ليقوم بها بنفسه؛ لأنهم يقولون أنها من

الانثروبولوجي لكل وحدة محلية وقومية ولغوية ووطنية شيعية؛ لكن هذا التباين يضعف أمام الأواصر الأساسية التي تفرزها البنية العالمية المحكمة للنظام الاجتماعي الديني الشيعي.

وللتوصل الى معالم علم الاجتماع الديني الشيعي؛ نتوقف عند الظواهر المتفرعة عن الظاهرة الكلية التي اصطلحنا عليها "النظام الاجتماعي الديني الشيعي"، وهي ست ظواهر أساسية:

١. السلطة الدينية الاجتماعية:

وهي قمة هرم النظام الديني الاجتماعي الشيعي، وتتمثل في المرجعية الدينية أو ولاية الفقيه. ولا نقصد بالسلطة هنا المؤسسة الدينية؛ لأن المؤسسة الدينية هي الجهاز العلمي الديني لسلطة النظام الاجتماعي الديني الشيعي، وليس السلطة نفسها. كما أن هذه السلطة هي التي تعطي الشرعية للمؤسسة الدينية؛ لأن سلطة المرجعية الدينية أو ولاية الفقيه بالمعنى الفقهي هي الأصل التشريعي لوجود النظام الاجتماعي الديني الشيعي، وبدونها لا توجد مؤسسة دينية ولا نظام اجتماعي شيعي. وهذا هو الاختلاف الأساس بين المؤسسة الدينية الشيعية

اختصاصه فقط، كما أن الخلاص من الظلم الطائفي مرهون بعودته. وعليه؛ يجب الانتظار وعدم ممارسة الثورة والنهضة والسياسة والمواجهة وإقامة الدولة الإسلامية؛ لأنها من اختصاص الغائب المنتظر؛ برغم أن أحكام الدولة والنظام السياسي والثورة كلها موجودة في الفقه الشيعي. أما القسم الآخر من الفقهاء الشيعة الذين يدعون الى تطبيق هذه الأحكام ويمارسونها في زمن الغيبة؛ فإنما يقومون بها نيابة عن الغائب المنتظر وتمهيداً لظهوره. أي أن ركيزة وعي المجتمع الشيعي بالمستقبل وشكله ومضمونه هو المهدي المنتظر، سواء كان أفراد هذا المجتمع من القسم الذي يؤمن بالانتظار السلبي للمهدي (تعطيل أحكام الفقه السياسي والدولة الإسلامية) أو من القسم الذي يؤمن بالانتظار الإيجابي (السعي لإقامة الدولة الإسلامية وتفعيل الفقه السياسي).

و من مميزات الاجتماع الديني الشيعي الأخرى أنه اجتماع عالمي متماسك، وليس محلي أو اقليمي، وأن الأواصر المذهبية الاجتماعية المشتركة التي تشد وحدته المحلية ببعضها أو الى المركز؛ هي أقوى بكثير من التباين اللغوي والقومي والوطني. ولا يرتبط هذا الموضوع بالبعد الوجداني والعاطفي التفاعلي وحسب؛ بل أنه أعمق من ذلك بكثير. وهذا لا يلغي وجود التباينات في الإطار

ومن خلال هذه الأنماط، نفهم أن السلطة الدينية الاجتماعية الشيعية هي من النمط الرابع، كونها تستند في شرعيتها الى مضامين دينية مقدسة تتمثل بأحاديث رسول الإسلام والأئمة من آله. وهي بذلك لا تمثل سلطة ثيوقراطية مقدسة مفوضة من الله، ولا سلطة منتخبة من عموم الشيعة، ولا سلطة كارزمية تفرض نفسها من خلال مواهبها الشخصية.

٢- المؤسسة الدينية:

وتتمثل في الحوزة العلمية والمؤسسات العلمية الدينية التابعة. ويقف المرجع الديني على رأس هذه المؤسسة ويمنحها الشرعية. ولهذه المؤسسة هيكلية مؤسسية وتراتبية علمية وأجزاء متفرعة، منها المقنن كالمدارس والجامعات والمراكز والمكاتب والوكلاء والمعتمدين، ومنها غير المقنن كالحواشي وجماعات الضغط.

٣- المؤسسات الشعائرية والوجدانية والطقسية:

وتتمثل في المساجد و مراقد آل البيت والحسينيات وأمثالها. وهي تكون غالباً مراكز إقامة الشعائر والطقوس الدينية والتقليدية المجتمعية.

وغيرها من المؤسسات الدينية الأخرى، سواء السنية أو غير الإسلامية. ففي المؤسسات الدينية الأخرى تكون المرجعية الدينية جزءاً من المؤسسة الدينية؛ وإن كانت إدارياً وتراتبياً على رأسها. وهذه المؤسسة هي التي تعطي الشرعية الدينية للمرجعية الدينية، وتختارها وتضعها على رأسها. أما في النظام الاجتماعي الديني الشيعي فإن إنشاء المؤسسة الدينية الشيعية وإدارتها والولاية عليها هي إحدى وظائف السلطة الدينية.

وللتعرف على طبيعة شرعية السلطة الدينية الاجتماعية الشيعية؛ سنقارنها بالأنماط الأربعة الأساسية للسلطة الاجتماعية الدينية في الأديان المعروفة، وهي:

أ- النمط الثيوقراطي الذي يعبر عن التفويض الإلهي لصاحب السلطة

ب- النمط الانتخابي الذي تفرز جماعة المتدينين سلطته

ت- النمط الكارزمي الذي يؤمن به الأتباع نتيجة وجود قدرات خارقة لديه.

ث- النمط التقليدي الذي يستند الى مضامين دينية مقدسة.

الديني الاجتماعي الشيعي. وحيال المقارنة بين النموذجين؛ نجد العقل الاجتماعي الشيعي يعد النموذج الأول خارجاً عن الصف الشيعي، والنموذج الثاني شيعياً أصلياً. وهنا يستحضر الوعي المذهبي الشيعي، الفرق بين الخوارج العقديين المتعبدین الذين كانوا جزءاً من النظام الديني السياسي العسكري الذي يقوده الإمام علي، لكنهم خرجوا عليه وحاربوه، وبين الثابتين من الموالين لـعلي بن أبي طالب، وإن كانوا أقل اندكاً بالشعائر وممارسة للفروض. وهذا ما يكشف عن أن الانتماء الواقعي للنظام الاجتماعي الديني الشيعي، ليس انتماءً عقدياً وفقهياً وحسب، بل هو أيضاً الولاء الاجتماعي السياسي الذي يتفوق في تأثيره الميداني المفصلي وفي وعيه بحقيقة الانتماء.

ختاماً؛ لا أزعّم أن التأسيس لعلم الاجتماع الديني الشيعي بات أمراً منجزاً أو سينجز بسهولة من خلال هذه الدراسة المقتضبة؛ بل أن ما نقوم به مجرد محاولة في طريق التأسيس، متمنياً أن تساهم جهود المتخصصين في إنجاز المهمة واستكمالها.

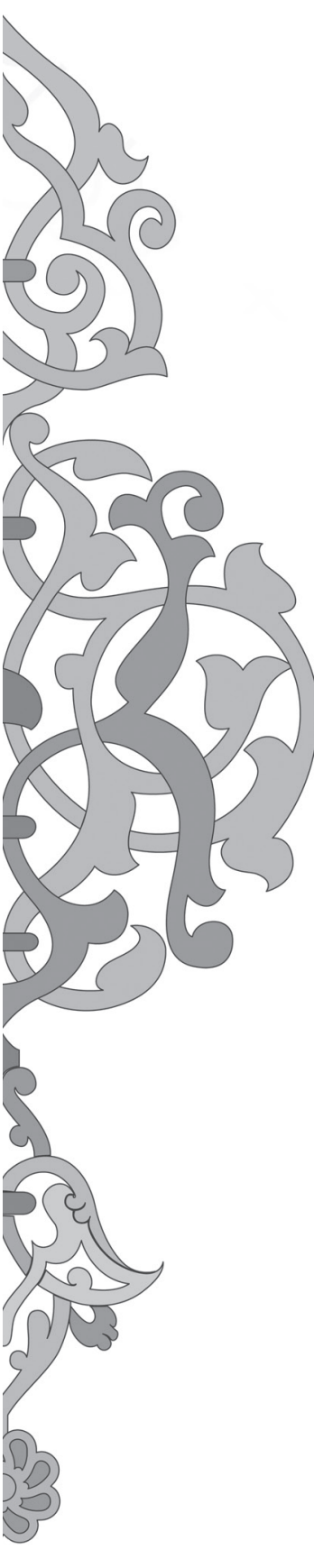
٤. المؤسسات الداعمة: وهي المؤسسات المالية والاقتصادية والسياسية والعسكرية والاعلامية والثقافية.

وهي مؤسسات تعمل في إطار النظام الاجتماعي الديني الشيعي، وتمثل الحماية المادية والمعنوية له، والمعبر عن جزء من سياقات عمل النظام وحركته الداخلي.

٥. القاعدة الاجتماعية:

وتتمثل في عموم الشيعة؛ سواء الملتزمين دينياً أو غير الملتزمين.

وما يميز الاجتماع الديني الشيعي هو تفوق الانتماءات السيسولوجية والتاريخية والطقسية لدى القاعدة الاجتماعية على الانتماءات العقدية والفرائضية. فهناك - مثلاً - عقديون ومتفقهون ومتعبدون شيعة؛ لكنهم معارضون للخط العام للنظام الاجتماعي الديني الشيعي. وفي المقابل هناك من لا يلتزم بالضوابط العقدية والممارسات الشعائرية، لكنه مندك في الخط العام للنظام



فِي ضُفَافِ أَهْلِ الْبَيْتِ عَلَيْهِ السَّلَامُ

❖ التَّخْطِيفُ الْأُسْرِيُّ فِي وَصَايَا الرَّسُولِ ﷺ دَرَسَةٌ وَتَحْلِيلٌ

التَّظْيِيمُ الْأُسْرِيُّ

صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَآلِهِ

فِي وَصَايَا الرَّسُولِ

دِرَاسَةٌ وَتَحْلِيلٌ

❖ م.م. محمد هاشم الحمداني (*)

.....
(*) باحث وأكاديمي ، جامعة كربلاء..

أولاً: نبذة تاريخية عن الزواج في عصر ما قبل البعثة:

لم يكن العرب في عصر ما قبل الإسلام يسيرون على سنة واحدة في عرف الزواج، ولكن كانوا يسيرون على أعراف مختلفة باختلاف الأماكن، وباختلاف الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية^(١)، كما أن أشكال الزواج التي عرفها العرب لم تكن خاصة بهم، بل كانت معروفة أيضاً عند غيرهم من الشعوب المجاورة. وهذه المراحل التي مرت بها الحياة الزوجية كانت قد فرضتها ظروف العيش^(٢)، فقد كان العربي في الجاهلية لا يكتفي بزوجة واحدة، أما بقصد إعالتهم، أو لغرض سياسي سيما إذا كان رئيساً بين قومه، أو بقصد الإكثار من الذرية والتناسل^(٣)، ويمكن عد الأنواع المختلفة من الزواج التي كانت سائدة عند العرب قبل الإسلام بما يلي:

١ - زواج الصداق أو البعولة: ويتم بأن يخطب الرجل من الرجل ابنته، فيصدقها بصداق يحدد مقداره، ثم يعقد عليها، وكانت قریش وكثير من القبائل العربية يؤثرون هذا النوع من الزواج^(٤).

٢- زواج الرهط: وهو نكاح تعدد الأزواج بالنسبة للمرأة^(٥) بأن يجتمع الرهط ما دون العشرة فيدخلون على المرأة، كلهم يصيبها فإذا حملت ووضعت، أرسلت إليهم، فلم يستطيع الرجل أن يمتنع، حتى يجتمعوا عندها فتقول: قد عرفتم الذي كان من أمركم وقد ولدت؛ فهو ابنك يا فلان، تسمي من أحببت باسمه فيلتحق به ولدها، ولا يستطيع أن يمتنع الرجل^(٦).

٣- زواج المبادلة أو الشغار: وهو زواج المقيضة يتم بلا مهر^(٧) بأن يزوج الرجل ابنته على أن يزوجه الآخر ابنته^(٨).

٤- زواج السبي أو الأسر: وهذا النوع من الزواج خاص

بنساء العدو الأسيرات، ولا يشترط فيه رضا الفتاة أو المهر^(٩).

٥- زواج الإماء: وهو أن يتزوج الرجل من أمته، فإذا أنجب منها أبناء لا يحق لهم أن يلحقوا بنسبه، بل يظلوا عبيداً له، وقد يعتقهم إذا رغب بذلك^(١٠).

٦- زواج الضيزن أو الميراث: وهو أن يتزوج الابن الأكبر بزوجة أبيه كجزء من ميراثه، كما قد يرث الرجل أرملة أخيه، أو يرثها أقرب الرجال إلى زوجها^(١١)، كما يطلق على هذا النوع من الزواج بزواج (المقت)^(١٢)، وقد حرم الدين الإسلامي هذا النوع من الزواج بقوله تعالى: ﴿وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَمَقْتًا وَسَاءَ سَبِيلًا﴾^(١٣).

٧- زواج المتعة: وهو زواج إلى أجل، فإذا انقضى وقعت الفقرة، وكان هذا النوع من الزواج واسع الانتشار بين العرب، إذ كان لأصحاب القوافل الأغنياء حريمهم الخاص في بعض المحطات التي يمرون بها، واستمر هذا النوع من الزواج حتى ظهور الإسلام^(١٤).

فيما سبق توضيح لأهم أنواع الزواج الذي كان سائداً عند العرب قبل البعثة، ومن خلاله توضح لنا حال المرأة في المجتمع الجاهلي إذ سُخرت المرأة لخدمة الرجل دون أي رأي، كما مر علينا، ومن الجدير بالإشارة هنا أن نسب

المرأة وغناها كانا الأمر الفاصل في اختيارها ما دعا العرب إلى أن يطلقوا على هذا النوع من الزواج «بزواج الكفاءة»^(١٥)، وقد حاول الرسول ﷺ القضاء على هذا النوع من التمايز الطبقي بقوله: «أنكحت زيد بن حارثة زينب بنت جحش، وأنكحت المقداد ضباعه بنت الزبير بن عبد المطلب ليعلموا أن اشرف الشرف الإسلام»^(١٦)، كما كان ابن العم مُقدم على كل احد في الزواج من ابنة عمه، فإذا تقدم رجل لخطبة بنت سأل ابن عمها إن كان يرغب في الاقتران بها، فإذا وافق زوجت منه، وإذا ظهر انه غير راغب زوجت من غيره، وقد يأبى ابن العم من تزويج ابنة عمه من غيره ويتركها أمداً طويلاً تنتظر، وقد ترفض ابنة العم الزواج من ابن عمها فتنشأ من أثر ذلك المنازعات التي تصل إلى إراقة الدماء^(١٧).

هذه نبذة يسيرة عن حال المرأة وأشكال الزواج السائدة قبل الإسلام، والتي ما أن بعث الله رسوله ﷺ حتى وضع الأسس، والمبادئ التي تعيد تنظيم حال الأسرة الإسلامية وفق أسس صحيحة وهذا ما سنحاول توضيحه من خلال رؤية الرسول ﷺ الاجتماعية.

ثانياً: الحث على الزواج في وصايا الرسول ﷺ

تعددت وصايا الرسول ﷺ في الحث على الزواج؛ لما

أثر في التأثير على العقول، فقد ورد عن رسول الله ﷺ قوله: «من أحب فطرتي فليستن بسنتي ومن سنتي النكاح»^(٢٤)، وهنا يلتبس القاري حثاً على الاقتداء، والسير على فطرة الرسول ﷺ في ممارسة السنن التي أوصى بها ﷺ، أما في الجانب الآخر فنجد في وصايا الرسول ﷺ أسلوب التحذير من ترك هذه السنة وهذا ما يلاحظ من قول رسول الله ﷺ: «أراذل موتاكم العزاب»^(٢٥)، ويمكننا تتبع وصايا الرسول ﷺ حول خطوات الزواج السائدة في المجتمع لتوضيح الأسس الإسلامية الصحيحة في كل خطوة.

ثالثاً: خطوات الزواج

١ - اختيار الزوجة:

وضع الرسول ﷺ من خلال وصاياه الخطوات العملية التي يمكن لأي مسلم إتباعها عند العزم على الزواج، وأول هذه الخطوات هي اختيار الزوجة الصالحة، فقد ورد عن رسول الله ﷺ قوله: «ألا أخبركم بخير نساءكم؟» قالوا: بلى، قال: «إن خير نساءكم الولود، التودود، الستيرة، العفيفة، العزيزة في أهلها، الذليلة مع بعلمها، المتبرجة مع زوجها، الحصان على غيره»^(٢٦)، كما له ﷺ قول: «تنكح المرأة لأربع: لجمالها، ولحسبها، ولدينها، فافظر بذات الدين تربت يداك»^(٢٧)، وربما يفهم من الوصية سابقة

له من أهمية في خلق مجتمع متماسك. فالمرأة هي ذلك المخلوق الذي أوجده الله تعالى ليكون شريكاً للرجل في حياته^(٢٨)، وبهذا ورد قوله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾^(٢٩)، وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾^(٣٠)، فالحث على الزواج والتأكيد عليه راجع لأهميته في زيادة عدد المسلمين، وهذا ما يتضح من الآيتين المباركتين السابقتين، وقد أكد الرسول ﷺ على هذا الهدف بقوله: «أما علمتم إنني أباهي بكم الأمم...»^(٣١)، كما أن الزواج كفيل بالقضاء على أغلب المشاكل الاجتماعية التي يمر بها المجتمع نتيجة للانحرافات التي يمر بها الشباب، وهذا المعنى يتضح من خلال قول الرسول ﷺ: «يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر، وأحصن للفرج ومن لم يستطع فليدمن الصوم فإنه له وجاء»^(٣٢)، وهنا يحث رسول الله ﷺ كل من حصل على ما يمكنه من الزواج أن لا يؤخر هذا الفرض، ومن لم يتمكن فعلياً بالصوم والصبر على شهواته^(٣٣)، ويمكن الاستنتاج بأن وصايا الرسول ﷺ في الحث على الزواج اتخذت أسلوباً الترغيب والترهيب، لما لهذا الخطاب من

رحمه»^(٣٢) فيما سبق من أقوال تتبين أهم الصفات الواجب توافرها في كل من الزوج والزوجة في ضوء وصايا الرسول ﷺ والتي مثلت الرؤية الإسلامية في إنصاف كل منهما وعدم اضطهاد الآخر.

٢- خطبة الزوجية

الخطبة: من مقدمات الزواج، وقبل الارتباط بعقد الزوجية، ليتعرف كل من الزوجين على صاحبه، ويكون الإقدام على الزواج بهدف، وبصيرة^(٣٣) وقد ورد ذكر الخطبة في القرآن الكريم بقوله تعالى: ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُمْ بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاءِ أَوْ أَكْنَنْتُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ وَلَكِنْ لَا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلَّا أَنْ تَقُولُوا قَوْلًا مَعْرُوفًا وَلَا تَعْزِمُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ حَتَّى يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجْلَهُ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾^(٣٤).

أما عن ورود الخطبة في وصايا الرسول ﷺ فبين أيدينا قولان للرسول ﷺ يمثلان الجوانب التنظيمية في الخطبة، إذ ورد عنه ﷺ قوله: «لا يبيع بعضكم على بيع بعض، ولا يخطب على خطبة أخيه حتى يترك»^(٣٥)، ولاشك أن هذا النهي هو امتداد للأسس الصحيحة التي وضعها رسول الله ﷺ في بناء مجتمع متكامل، خالٍ من

الذكر أن قول الرسول ﷺ يعكس طبيعة المجتمع في اختيار الزوجة، أي ما كان سائداً في اختيارها، وبوصي ﷺ بأحسن الاعتبارات في ذلك الاختيار ألا وهو اعتبار الدين، أي المرأة ذات الدين، إذ ينبغي معرفة الزوجين لبعضهما دينهما وأخلاقهما قبل الإقدام على الزواج وإتمامه ليكن كل منهما على بينة من الآخر^(٣٨)، كما حذر الرسول ﷺ من التركيز على عنصر الجمال وإهمال العناصر الأخرى وخصوصاً نسب الزوجة، بقوله ﷺ: «إياكم وخضراء الدمن» فويل: وما ذلك يا رسول الله؟ قال ﷺ: «المرأة الحسنة في منبت السوء»^(٣٩)، وقوله ﷺ: «اختاروا لنطفكم فان الخال أحد الضجيعين»^(٣٠) فكل هذه التوجيهات التي أوصى بها الرسول ﷺ تعبر عن اهتمام إسلامي كبير بهذه السنة التي يترتب عليها استمرار تقدم البشرية بعيداً عن الطرق الملتوية التي تنخر النظام الاجتماعي لأي مجتمع إذا ما شاعت به، كما ويلاحظ في وصايا الرسول ﷺ أنه في ذات الوقت الذي وضع فيه رسول الله ﷺ الشروط الواجبة في اختيار الزوجة أنه ﷺ لم يهمل ما يجب أن تتوافر في الرجل من شروط الالتزام بالدين، والخلق الحميد لكي تتم الموافقة له بالزواج، حيث ورد عنه ﷺ قوله: «إذا جاءكم من ترضون خلقه فزوجوه»^(٣١)، كما حذر ﷺ من الموافقة على تزويج من اشتهر بالفسق بقوله: «من زوج كريمته من فاسق فقد قطع

العائلة من مشاكل مادية محتملة، كما أن بعض المهر قد يتأخر إلى ما بعد الزواج وعلى الرجل أن يؤدي ذلك الجزء المتأخر ضماناً لحقوق المرأة المنصوص عليها في الشريعة الإسلامية^(٤١).

وقد حذر الرسول ﷺ من خداع المرأة والتجاوز على حقها المتعلق بالمهر بقوله ﷺ: «إن أعظم الذنوب عند الله رجل تزوج امرأة فلما قضى حاجته منها طلقها وذهب بمهرها...»^(٤٢)، وحرص الدين الإسلامي على ضمان هذا الحق، وعدم التلاعب به فقد ورد في القرآن الكريم قوله تعالى: «وإن أردتم استبدال زوج مكان زوج وآتيتم إحداهن قنطاراً فلا تأخذوا منه شيئاً تأخذونه بهتاناً وإثماً مبيناً»^(٤٣)، وقوله تعالى: ﴿وَإِنْ طَلَقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّا أَنْ يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَ الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَلَا تَنْسَوُا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾^(٤٤).

وهنا نجد الدين الإسلامي حريصاً على دفع حق المرأة، مع احتفاظها بالتنازل عن ذلك الحق إن شاءت، وقد أكد الرسول ﷺ على أن المهر يجب أن يكون بما يتناسب مع طاقة الرجل المادية، وهذا ما يتبين لنا من قوله ﷺ: «إن أعظم النكاح بركة أيسره مؤنة»^(٤٥) إذ تعد المغالاة في المهور من أهم الأسباب التي تدفع الشباب

المشاكل، والفتن التي قد تسببها هذه الظاهرة، أما القول الثاني للرسول ﷺ فيتعلق بالنظر للمخطوبة، كيفيته وجوازه في الإسلام وهنا نجد قول رسول الله ﷺ: «إذا خطب أحدكم المرأة فلا جناح أن ينظر إليها لخطبته...»^(٣٦) وهنا نجد حرصاً من الرسول ﷺ على أن يكون الرجل لديه صورة واضحة عن المرأة، ومراعاة لشعور الرجل في اختيار شريك حياته.

٣- مهر الزواج

كانت الأسرة قبل الإسلام تقوم على أساس الزواج بعقد، ومهر معين، يدفعه الزوج بعد رضا أولياء الفتاة، وهذا ما يسمى زواج المهر، أو البعولة، وفي الأنواع الأخرى من الزواج منها زواج السبي، أو زواج الإماء التي لا يشترط فيها رضا الفتاة أو المهر^(٣٧) والمهر: هو صداق المرأة، أي ما يدفعه الرجل إلى أهل البنت عند عقد الزواج^(٣٨)، وقد نص القرآن الكريم على ضرورة دفع المهر للزوجة بقوله تعالى: ﴿وَأَتُوا النِّسَاءَ صَدَقَاتِهِنَّ نِحْلَةً فَإِنْ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَرِيئًا﴾^(٣٩)، وتوضح الآية المباركة السابقة أن للمرأة حق التنازل عن بعض المهر إن شاءت للرجل، وقد ورد في وصايا الرسول ﷺ: «إن أعظم النكاح بركة أيسره مؤنة»^(٤٠)، وهذا ما يؤكد مرونة الدين الإسلامي مما يتيح للحياة الزوجية الاستمرار بيسر، ومواجهة ما قد يصيب

إلى العزوف عن الزواج، ولهذا أراد الرسول ﷺ مع التأكيد على حق المرأة في المهر أن يراعي شعور الرجل.

٤- الزفاف

حرص العرب قبل الإسلام على الاعتناء بمظاهر الزفاف، حيث كانوا يعدون ولائم الزواج من الأمور اللازمة، ويفعل ذلك حتى الفقير الضعيف الحال، ويدعون إليها ذوي القرابة، وأصدقائهم، وتتلاءم الولائم مع مكانة العريس وأهله^(٤٦)، أما في الشريعة الإسلامية فقد حرص الرسول ﷺ على إصدار الوصايا التي لها صلة بتنظيم عملية الزواج ومنها الزفاف. حيث وَرَدَ في وصية رسول الله ﷺ للإمام علي بن أبي طالب عليه السلام قوله: «يا علي: لا وليمة إلا في خمس: في عرس^(٤٧)، أو خرس، أو اعدار، أو وكار، أو ركاز^(٤٨)»^(٤٩).

وبهذا نستنتج أن أول مظاهر الزفاف في وصايا الرسول ﷺ هو وجود وليمة تعد لذوي القرابة، إذ يعد الإعلام بالزواج للحاضرين، وغيرهم هو من ابرز الأسباب لإعدادها، كما فيها شكر لله تعالى على نعمة الزواج^(٥٠).

أما عن سبب تسمية أول يوم من الزواج بالزفة فهي من زَفَّ القوم في مشيهم يزفون زفيفاً أي أسرعوا^(٥١)، وبما أن الزواج حادث مهم في حياة الإنسان، ولذلك يعلن عنه

بفرح، وسرور، ويقال لذلك: (بشاشة العرس)^(٥٢)، والتي تعني: إظهار الفرح والسرور، والتغني ببعض الأناشيد المنسجمة مع تعاليم الدين الإسلامي كأن تكون تحارب المنكر في عباراتها، وتوجه النفوس إلى مكارم الأخلاق^(٥٣)، وبهذا تنتهي من عرض أبرز وصايا الرسول ﷺ الخاصة بالزفاف، والتي تبرز لنا عن مظهرين إسلاميين في هذا الركن، وهما إعداد الوليمة، وإبراز مظاهر الفرح المنضبطة بضوابط الدين الإسلامي.

٥- الإنفاق على الزوجة والأهل

استكمالاً لما ذكرناه من خطوات الزواج نذكر جانباً على قدر كبير من الأهمية، ويعد أحد أبرز العوامل التي تتعلق بحسن المعاشرة، وهو الإنفاق على الزوجة والأهل، فقد أكد القرآن الكريم على هذا المعنى بقوله تعالى: ﴿لِيُنْفِقَ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا﴾^(٥٤)، وقد أكد الرسول ﷺ على ضرورة إنفاق الرجل على أهله بقوله ﷺ: «إذا انفق المسلم نفقة على أهله وهو يحتسبها كانت له صدقة»^(٥٥)، وقوله ﷺ: «عيال الرجل أسراؤه وأحب عباد الله أحسنهم صنيعاً إلى أسرائه»^(٥٦)، كما ورد في خطبة الرسول ﷺ في حجة الوداع بحق النساء قوله: «فان انتهين وأطعنكم فعليكم

«عندي آخر»، فقال ﷺ: «أنفق على ولدك»، قال: «عندي آخر»، فقال ﷺ: «أنفقه على خادمك»، قال: «عندي آخر»، فقال ﷺ: «أنت أبصر»^(٥٩)، وبهذا جسد الرسول ﷺ ما يجب على الزوج من واجبات، والتي يأتي في مقدمتها الإنفاق على الزوجة والأهل لما في ذلك من تأسيس لبنى التكافل الاجتماعي الحق، الذي هو جزء من كيان الحياة الاجتماعية.

رابعاً: حقوق الطفل في وصايا الرسول ﷺ

بعد التطرق لأهمية الزواج، ومراحل المختلفة في وصايا الرسول ﷺ لا بد من إلقاء نظرة على وصايا الرسول ﷺ في الأطفال، لأنهم النتاج الطبيعي لعملية الزواج، و من أهم غاياته، وهم هبة الله تعالى لعباده كما جاء في قوله تعالى: ﴿يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاءً وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ...﴾^(٦٠) لذلك حرص الرسول ﷺ في أقواله، وأفعاله على ضمان حقوق هذه الهبة الإلهية، ومن أهم تلك الأقوال قوله ﷺ: «من قبل ولده كتب الله (عز وجل) له حسنة، ومن فرحه فرحه الله يوم القيامة»^(٦١)، وقال ﷺ: «أحبوا الصبيان، وارحموهم، وإذا وعدتموهم شيئاً ففوا لهم»^(٦٢)، كما حذر الرسول ﷺ الآباء من مخاطر ما يزرعوه في أبنائهم من احتمال العقوق والانحراف بقوله ﷺ: «رحم الله أبوين أعانا ولدهما على

كسوتهن، ورزقهنّ بالمعروف فإنما النساء عندكم عوان أخذتموهنّ بأمانة الله، واستحللتم فروجهنّ بكتاب الله، فانقوا الله في النساء واستوصوا بهن خيراً...»^(٥٧)، وهنا نجد في قول الرسول ﷺ السابق حرصاً على التذكير بحقوق المرأة، وأن الضامن لهذه الحقوق هو الله (تعالى)، لكي لا تسول أنفس بعض المسلمين الانقلاب على هذه التعاليم، وقد وصف الرسول ﷺ النساء بالأسيرات بقوله (عوان)، وفي الوصية السابقة دلالة واضحة على أن المرأة في حضرة الرجل لأسيرة لذا عليه أن يحسن إليها بالكسوة والرزق، والقارئ للوصية سابقة الذكر يجد أن النبي ﷺ قرن الرزق والكسوة جنب إلى جنب ولكن أردفهما بشرط مهم وهو «المعروف» أي المتيسر للرجل، وبهذا أسس ﷺ نواة التعامل في تكفل الحياة المعيشية للمرأة، وهذا ما أكدته وصيته ﷺ للإمام علي بن أبي طالب عليه السلام بقوله: «يا علي: أحسن خلقك مع اهلك، وجيرانك، ومن تعاشر، ومن تصاحب من الناس تكتب عند الله في الدرجات العلى...»^(٥٨)، وهنا يتجسد فكر الرسول ﷺ المتضمن الإحسان، والعطف على الأهل، وهذا جوهر الدين الإسلامي، وهذا ما يتضح من خلال جواب رسول الله ﷺ لرجل أراد أن يتصدق فقال لرسول الله ﷺ: «عندي دينار»، فقال ﷺ: «أنفق على نفسك»، قال: «عندي آخر»، فقال ﷺ: «أنفقه على زوجك»، قال:

٢- الرضاع

في الوقت الذي حرص الدين الإسلامي فيه على الغذاء الروحي للطفل المتمثل بالأذان والإقامة، نجده حرص على الغذاء المادي للطفل، وهذا ما يتضح من بعض الآيات القرآنية المباركة التي حرصت على إتمام هذه المهمة ومنها قوله تعالى: ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ...﴾^(٦٨) ، وقوله تعالى: ﴿وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ﴾^(٦٩) ، ولنا في قول رسول الله ﷺ: «توقوا على أولادكم من لبن البغية، والمجنونة فان اللبن يعدي»^(٧٠) مثال على ذلك الاهتمام بمهمة الرضاعة.

كما حدد الرسول ﷺ مدة الرضاعة وكيفية انتهائها بقوله: «لا رضاع بعد فطام ولا يتم بعد احتلام»^(٧١).

ولا يخفى ان اللبن الأم شأن كبير عند العرب، وذلك لما يتركه من أثر في طبيعة الولد، فالمرأة ترضع أولادها الحليب المغذي لأجسادهم، وترضعهم معه عاداتها، وأخلاقها، لذلك اهتم العرب بشأن المرضعات حين تعذر الرضاع من الأم^(٧٢) وقد عدت الرضاعة بمنزلة الإخوة بين المتراضين، وهذا ما يقال عنه: «أخي من الرضاعة»^(٧٣) ، فقد كانت الشيماء بنت الحارث (أخت الرسول) التي نالت شرف أخوة الرسول ﷺ من الرضاعة^(٧٤).

برهما»^(٦٣) وقوله ﷺ: «يلزم الوالدين من العقوق لولدهما ما يلزم الولد من عقوقه لهما»^(٦٤) ، ولاشك في أن الرسول ﷺ حاول من خلال القولين السابقين إلقاء المسؤولية الكبرى على الأبوين، وحذرهم من تهية ظروف العقوق أمام أولادهم.

ويمكننا التعريف بهذه الحقوق عبر تقسيمها على النحو التالي:

١- الأذان والإقامة في أذنيه

ورد في وصية رسول الله ﷺ للإمام علي بن أبي طالب عليه السلام قوله: «يا علي: إذا ولد لك غلام أو جارية فأذن في أذنه اليمنى، وأقم في أذنه اليسرى، فإنه لا يضره الشيطان...»^(٦٥) ، وتأتي هذه السنة في سياق تدعيم الفطرة السوية للمولود، وبث شعار الإسلام في نفسه قبل أن تتلطشه نداءات الشيطان والدعوات المنحرفة، حيث تكون دعوة الإسلام هي السابقة إلى قلبه، وبصوت الأذان إعلان إسلامه^(٦٦) ، وقد أكد هذه السنة رسول الله ﷺ عند ولادة الإمام الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام، إذ ينقل أن رسول الله ﷺ أذن في أذن الحسن بن علي عليه السلام حين ولدته فاطمة عليها السلام^(٦٧).

٣- التسمية

لم يكن للعرب في عصر ما قبل البعثة المحمدية قواعد ثابتة، معينة في تسمية المواليد، ففي بعض الأحيان أن الأجداد، أو الآباء هم الذين كانوا يقومون بتسمية المولود، وفي أحيان أخرى أن الأم هي التي كانت تقوم بهذه المهمة^(٧٥)، كما حرص العرب على تربية أولادهم تربية خشنة لذلك اختاروا لهم في أغلب الأحيان أسماء دالة على الخشونة، أو توحى بالتفاؤل بالظفر على الأعداء^(٧٦) وكان للتفاؤل أثر في التسمية عند العرب، كأن يولد لأحدهم مولود فيسمع أحداً يقول: «حجراً، ذئباً» فيسميه بذلك الاسم^(٧٧)

أما عند مبعث الرسول الكريم ﷺ فقد حرص على محاربة ذلك الموروث الجاهلي حيث أظهر الدين الإسلامي اهتماماً واضحاً بتسمية المولود وهذا ما تؤكدُه وصايا رسول الله ﷺ العديدة في هذا الشأن، فقد ورد عنه ﷺ حول تسمية المولود قوله: «من حق الولد على والده ثلاثة: أن يُحسن اسمه، ويُعلمه الكتابة، ويُزوجه إذا بلغ»^(٧٨)، أما عن آلية التسمية، فنجد في أقوال الرسول ﷺ إشارات إلى ذلك، وأهمها الدعوة إلى التسمية بأسماء الأنبياء لما لهذه الأسماء من قَالٍ حسنٍ مناقضٍ للقال الجاهلي المتمثل بالتسمية بأسماء الحيوانات،

وغيرها، إذ أكد الرسول ﷺ على هذا المبدأ بقوله: «سموا أولادكم بأسماء الأنبياء، وأحسن الأسماء عبد الله، وعبد الرحمن»^(٧٩)، كما يُنقل أن رجلاً جاء إلى رسول الله ﷺ فسأله عن خير الأسماء، فقال ﷺ: «إن خير الأسماء لكم الحارث، وهمام، ونعم الاسم عبد الله، وعبد الرحمن، وتسموا بأسماء الأنبياء، ولا تسموا بأسماء الملائكة»، قال: «وباسمك يا رسول الله؟»، قال ﷺ: «وباسمي ولا تكنوا بكنتي»^(٨٠).

كما أنه من الثابت تاريخياً إن الرسول ﷺ هو من سمى الإمامين الحسن والحسين عليهما السلام ابني الإمام علي بن أبي طالب عليهما السلام^(٨١)، وبهذا وضع الرسول ﷺ الأسس الصحيحة في تسمية الأبناء، والمتمثلة بالتسمية بالأسماء الدالة على العبودية لله (تعالى)، بالإضافة إلى الأسماء التي لها مدلول حسن على المسمى، فضلاً عن بعض الأسماء الشائعة عند العرب والتي ليست فيها أي معنى للقبح والشؤم، ونظراً للأهمية التي يمثلها الاسم على من تسمى به، فقد جاءت وصايا الرسول ﷺ مهذبة لأسماء بعض الصحابة الذين تسموا بها منذ أيام الجاهلية، وقد هذبها ﷺ بعد إسلامهم فهذا يؤكد أهمية الاسم على من تسمى به، فقد وردت لفظة الاسم في القرآن الكريم في أكثر من آية مباركة منها قوله تعالى: ﴿يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ

بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا^(٨٢) ، وقوله تعالى: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ^(٨٣) ، وقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَىٰ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ^(٨٤) ، ومن هذه الأهمية للاسم ودلالته على من تسمى به جاءت وصايا الرسول ﷺ مواجهةً لذلك الموروث الجاهلي، وما يحمل من دلالات منافية لتعاليم الدين الإسلامي كالتكبر والفساد، والتشبه بصفات الخالق (تعالى).

ومن هذا المنطلق جاءت وصايا الرسول ﷺ في هذا الجانب الاجتماعي المهم، ومنها ما ورد عنه ﷺ قوله: «إن اخنع اسم عند الله (عز وجل) رجل تسمى ملك الأملاك^(٨٥)» ويتضح لنا من قول الرسول ﷺ السابق أنه أراد أن يحارب كل التسميات الدالة على الاتصاف بصفات الخالق (تعالى)، ومن هنا غيّر الرسول ﷺ أسماء بعض الصحابة لما لتسمياتهم السابقة من دلالات الشرك والاتصاف بصفات الخالق ومنهم الصحابي عبد الله ذو البجادين الذي كان اسمه عبد العزى فسماه الرسول ﷺ عبد الله، ومما يذكر أن هذا الصحابي لما أسلم عند قومه جردوه والبسوه بجاداً وهو الكساء الغليظ فهرب منهم^(٨٦) ،

كما تنطبق هذه الوصية على تغيير الرسول ﷺ لاسم أبو هريرة الذي كان اسمه قبل الإسلام عبد شمس، فسمي عبد الله، وقيل كان اسمه عبد نهم أو عبد غنم^(٨٧) ، كما يُنقل أن الصحابي عبد الله بن بدر بن زيد كان اسمه عبد العزى، فلما أسلم سمي عبد الله، وهو أحد الأربعة الذين حملوا ألوية جهينة التي عقدها لهم رسول الله ﷺ يوم فتح مكة^(٨٨) عام ٨هـ / ٦٣٠م ، كما قام رسول الله ﷺ بتسمية عبد الله بن صفوان بن قدامه التميمي وكان اسمه عبد العزى^(٩٠)

كم يُنقل أن رسول الله ﷺ قد سمي الصحابي الشريد بن سويد الثقفي بعد أن كان اسمه مالك لما لهذا الاسم من دلالة على الاتصاف بصفات الخالق (تعالى)^(٩١) ، وهذا ما يوصي به رسول الله ﷺ صراحةً بقوله: «أحب الأسماء إلى الله ما سمي به، وأصدقها الحارث وهمام، وأكذب الأسماء: خالد ومالك، وابغضها إلى الله ما سمي لغيره^(٩٢)» ، ومن هذا المنطلق غير رسول الله ﷺ اسم الصحابي قيوم أبو يحيى الأزدي وهو ممن وفد على رسول الله ﷺ وسماه عبد القيوم^(٩٣) ، كما يلاحظ أن رسول الله ﷺ قد سمي الصحابي عبد العزيز بن زيد الربيعي بعد أن كان اسمه عبد العزى^(٩٤) وينطبق هذا على الصحابي عبد الرحمن بن عوف بن الحارث بن زهرة بن كلاب، وكان

اسمه في الجاهلية عبد عمرو فسماه رسول الله ﷺ حين أسلم عبد الرحمن، ويقال: كان اسمه عبد الكعبة^(٩٥)، ويلاحظ في الأسماء التي تسمى بها المسلمين كثرة التسمي باسم عبد الله حيث عددهم ابن قيم الجوزية بثلاث مئة اسم^(٩٦)، كما يلاحظ كثرة التسمي باسم الحارث حيث عددهم الذهبي بمائة وخمس وخمسين صحابياً يحمل هذا الاسم^(٩٧).

كما يمكن ملاحظة تسمية بعض الصحابة باسم الرسول ﷺ انطلاقاً من قوله ﷺ: «تسموا باسمي ولا تكنوا بكنيتي»^(٩٨) إذ ورد أن رسول الله ﷺ قد سمى بعض الصحابة باسمه بعد أن كانوا يدعون بأسماء لا تنطبق مع التعاليم التي سنّها الإسلام لبناء المجتمع الصحيح، ومنهم محمد مولى رسول الله ﷺ، ويذكر أنه كان تاجراً من أهل مرو^(٩٩) فسافر بتجارة إلى الحجاز، وأسلم، فسماه رسول الله ﷺ محمداً^(١٠٠)، ومنهم محمد بن هلال بن المعلى الذي سماه الرسول ﷺ^(١٠١)، ومنهم محمد بن ضمرة بن أسود الذي شهد فتح مكة^(١٠٢).

كما يلاحظ في وصايا الرسول ﷺ حثاً واضحاً على التسمي بأسماء الأنبياء السابقين للإسلام، لأنهم سادات بني آدم، وأخلاقهم اشرف الأخلاق، وأعمالهم أزكى الأعمال؛ فالتسمية بأسمائهم تذكر بهم، وبأوصافهم،

وأحوالهم^(١٠٣) إذ ورد عن رسول الله ﷺ قوله: «تسموا بأسماء الأنبياء»^(١٠٤)، إذ ينقل أن الرسول ﷺ قد سمى الصحابي سليمان بن صرد بن أبي الجون الخزاعي بهذا الاسم بعد أن كان اسمه في الجاهلية يساراً^(١٠٥)، وكانت لهذا الصحابي في قومه منزلة عالية، فلما قبض الرسول ﷺ نزل الكوفة حين نزلها المسلمون، وكان فيمن كتب إلى الإمام الحسين بن علي عليه السلام أن يقدم إلى الكوفة^(١٠٦) كما ينقل أن الرسول ﷺ قد سمى الصحابي يحيى بن خالد بن رافع الأنصاري بهذا الاسم^(١٠٧)، ويلاحظ في رؤية الرسول ﷺ في تهذيب أسماء الصحابة أنها لم تقتصر على الدعوة إلى التسمي بأسماء الأنبياء السابقين للإسلام، بل دعا الرسول ﷺ إلى التسمي بأسماء الصحابة الأوائل الذين بذلوا أنفسهم في سبيل الدين الإسلامي، ومن أبرزهم حمزة بن عبد المطلب عم رسول الله ﷺ الذي استشهد في معركة أحد^(١٠٨) إذ ينقل بن سعد أن أحد الصحابة جاء إلى الرسول يستفتيه في تسمية ابنه فقال له ﷺ: «سمه بأحب الأسماء إليّ حمزة»^(١٠٩)، كما يلاحظ في رؤية الرسول ﷺ الاجتماعية أن هنالك استحداثاً لبعض الأسماء التي لم تكن موجودة في الجاهلية، وهذا ما ينطبق على تسمية سبطيه الإمامين الحسن والحسين عليهما السلام، إذ ينقل ابن سعد قول رسول الله ﷺ: «الحسن والحسين اسمان من أسماء أهل

الجنة لم يكونا في الجاهلية»^(١١٠)

وهذا ما يؤكد قول الإمام جعفر بن محمد عليه السلام: «أن رسول الله ﷺ سمي حسناً وحسيناً يوم سابعهم»^(١١١)، ومن الأسماء التي غيرها رسول الله ﷺ السائب، وهو اسم الصحابي عبد الله الغفاري، وقد غيره رسول الله ﷺ عند إسلامه^(١١٢)، كما سمي رسول الله ﷺ أحد الصحابة (سهلاً) بعد أن كان اسمه حزناً^(١١٣)، كما سمي رسول ﷺ الصحابي عبد الرحمن بن مالك بعد أن كان اسمه سواد^(١١٤)، كما سمي ﷺ الصحابي عاقل بن أبي البكير بهذا الاسم بعد أن كان اسمه غافل، وكان من أوائل المهاجرين إلى المدينة، واستشهد يوم بدر^(١١٥)، وهنالك اسم لصحابي غير منسوب يدعى أبيض يقال أن رسول الله ﷺ سماه به بعد أن كان اسمه أسود^(١١٦)، ومن هذه الأسماء الأعوس، وهو اسم الصحابي عبد الله بن عمرو الشكري، وقد غيره رسول الله ﷺ^(١١٧)، ومن هذه الأسماء التي كره رسول الله ﷺ التسمي بها ذويب، وهو اسم الصحابي عبد الله بن كليب الخولاني، وقد غيره رسول الله ﷺ بعد إسلامه^(١١٨)، ومن هذه الأسماء العاص، وهو اسم الصحابي مطيع بن حارثة، وقد أسلم يوم فتح مكة، فسماه رسول الله ﷺ مطيعاً^(١١٩)

ومن هذه الأسماء التي نهى رسول الله ﷺ عن

التسمي بها اسم مروان، إذ يُنقل أن رسول الله ﷺ غير اسم الصحابي مروان بن مالك بن أسود، وسماه عبد الله^(١٢٠)، كما غيّر رسول الله ﷺ أسماء الصحابة الدالة على التصغير، والتضعيف، ومنها نهيه عن التسمي بحمدون، أو علوان، أو نعموش^(١٢١)؛ فهنالك أسماء مشتقات للفأل أو على شكل اسم الأب، كالرجل يكون اسمه عمر فيسمي ابنه عمير^(١٢٢) ومن هذا المنطلق غيّر رسول الله ﷺ اسم صحابي يدعى قليل، فسماه كثير^(١٢٣)، ومن هذه الأسماء بحير، وهو اسم الصحابي عبد الله بن أبي ربيعة بن المغيرة بن عبد الله الذي أسلم يوم فتح مكة، فسماه رسول الله ﷺ بعبد الله^(١٢٤)، ومن هذه الأسماء اسم الحصين، وهو اسم عبد الله بن سلام: وهو رجل من بني إسرائيل، فسماه رسول الله ﷺ عبد الله^(١٢٥)، ويضاف إلى هذه الأسماء اسم حسيل، وهو اسم الصحابي الحسين بن عرفة بن نطله الأسدي، قيل: كان اسمه حسيل، واسماه رسول الله ﷺ حسيناً^(١٢٦)، ويلاحظ في فكر الرسول ﷺ الاجتماعي تغيير أسماء بعض الصحابة التي تحمل مدلولاً دالاً على الغلظة، والتشاؤم انطلاقاً من قوله ﷺ: «استحسنوا أسمائكم، فإنكم تدعون بها يوم القيامة، قم يا فلان بن فلان إلى نورك، وقم يا فلان بن فلان لا نور لك»^(١٢٧)

ومن هذه الأسماء أصرم، وهو اسم الصحابي زرعه القشري، فلما أسلم سماه رسول الله ﷺ بزعه^(١٢٨)، ويمكن بوضوح ملاحظة أن رسول الله ﷺ قد نهى عن التسمي باسم حكم، وهذا ما نلاحظه من تغيير أسماء بعض الصحابة، ومنهم الحكم بن سعيد الطائفي، الذي يقول: أتيت النبي ﷺ أبيعه، فقال: «ما اسمك؟» قلت: الحكم، فقال ﷺ: «بل أنت عبد الله»^(١٢٩)، كما غيّر رسول الله ﷺ اسم الصحابي الحكم بن سعيد بن العاص الذي أسلم قبل فتح مكة، وقتل يوم مؤتة شهيداً سنة ثمان هجرية، واسماه عبد الله^(١٣٠)، كما هذب رسول الله ﷺ اسم بغيض إذ يذكر أن الصحابي حبيب بن مروان بن عامر التميمي المازني كان اسمه بغيض فغيّره رسول الله ﷺ، وسماه حبيب^(١٣١)، كما حوّل رسول الله ﷺ اسم صيرم، وهو اسم الصحابي صيرم بن يربوع، واسماه سعيداً^(١٣٢) كما يلاحظ في نظرة الرسول ﷺ الاجتماعية لتهذيب أسماء الصحابة أنها لم تقتصر على تغيير اسم الصحابي فقط، بل تعدته لتغيير اسم البيت بأكمله، إذ غير الرسول ﷺ اسم بني الصماء: وهي امرأة من مزينة أرضعت أباهم مالك بن لوزان، فسماهم رسول الله ﷺ (بنو السميلة)^(١٣٣)، كما سمى رسول الله ﷺ بني راشدة الذين وفدوا على رسول الله ﷺ، فقال ﷺ: «من انتم؟»، قالوا: «بنو خالفه»، فقال ﷺ: «انتم بنو راشدة»،

ومنهم حاطب بن أبي بلتعة الذي شهد بدرًا، وأُجِدًا، والخندق، وبعثه رسول الله ﷺ إلى المقوقس صاحب الإسكندرية، ومات بالمدينة عام ثلاثين هجرية^(١٣٤).

أما رؤية الرسول ﷺ في الكنى التي كُنِيَ بها الصحابة، فيمكن توضيحها من خلال ما ورد عن أبي عبد الله جعفر الصادق عليه السلام: «أن رسول الله ﷺ نهى عن أربعة كنى عن أبي عيسى، وعن أبي الحكم، وأبي مالك، وعن أبي القاسم، إذا كان الاسم محمد»^(١٣٥)، كما رُوِيَ عن رسول الله ﷺ قوله: «تسمو باسمي، ولا تكنو بكينيتي»^(١٣٦) وحول هذا الحديث وَرَدَتْ حَادِثَةٌ يُمْكِنُ اعْتِبَارُهَا سَبَبًا لِنَهْيِ رسول الله عن التكني بكينيته وهي: «نادى رَجُلٌ بالبقيع: يا أبا القاسم. فالتفت إليه رسول الله ﷺ، فقال: يا رسول الله إني لم أعنك، إنما دعوت فلاناً، فقال ﷺ: «تسمو باسمي، ولا تكنو بكينيتي»^(١٣٧)، ولابد من التذكير بأن هنالك بعض الصحابة قد غَلَبَتْ كُنَاهُمْ عَلَى أَسْمَائِهِمْ، فاشتهروا بها، ومنهم الخليفة الراشدي أبو بكر، يُذكر أن هنالك اختلافاً في اسم أبو بكر، فقد أكدت بعض المصادر على أن اسمه السابق للإسلام هو عتيق وهذا ما يُنقل عن الزهري بقوله: «اسم أبي بكر عتيق، واسم أبي قحافة عثمان»^(١٣٨)، بينما نرى البعض الآخر يذكر أن اسم أبي بكر هو عبد الله^(١٣٩)، ولا يهمننا من هذا الاختلاف سوى

الإشارة العابرة إليه، ولشبهت غلبة كنيته على اسمه.

كما غلبت كنية الصحابي أبي ذر الغفاري^(١٤٠) الذي قال فيه رسول الله ﷺ: «ما أقلت الغبراء، ولا أظلت الخضراء من رجل أصدق لهجة من أبي ذر»^(١٤١)، على اسمه، وهو جندب بن جنادة بن كعب بن صعير بن الوقعة بن حرام بن سفيان بن حرام بن غفار^(١٤٢)، ويقال: اسمه برير بن جنادة^(١٤٣)، وبهذا تنتهي من عرض رؤية الرسول ﷺ في تغيير أسماء الصحابة، التي حاول من خلالها الرسول ﷺ تغيير الطبيعة الاجتماعية للمجتمع الإسلامي.

٤- الختان

يُعد الختان من العادات الجاهلية القديمة، وهو في الأصل نوع من أنواع العبادة الدموية التي كان يقدمها الإنسان إلى أربابه، لأن قطع جزء من البدن وإسالة الدم منه تضحية ذات شأن في عرف ذلك العصر^(١٤٤)، وقد كان العرب يسمون من لم يختتن: أفلف، أو أغلف، أو أعزل، ويعيونه، ويعدونه ناقصاً، كما لم يحدد العرب عمراً محدداً للاختتان^(١٤٥)، وكانوا يعدونه من المناسبات المفرحة في حياة الأسرة، فيدعون الأقرباء، والأصدقاء إلى حضور وليمته، ويلبسون الأطفال أحسن ما عندهم من حلل،

وثياب، ويضربون بالدف مبتهجين، فرحين^(١٤٦).

أما في الشريعة الإسلامية فقد وردت بعض الأحاديث عن رسول الله ﷺ حول الاختتان منها قوله ﷺ: «الفطرة خمس: الختان، الاستحداد، وقص الشارب، وتقليم الأظافر، ونف الإبط»^(١٤٧)، ويظهر لنا من القول السابق أن هنالك عادات وجدت بالفطرة وأكدها الإسلام لفائدتها، أو لعدم تناقضها مع تعاليم الدين الإسلامي، فقد وردت تأكيدات من الرسول ﷺ على الختان، بل حدد مواعده وهذا ما يلاحظ من قوله ﷺ: «اختنوا أولادكم في السابع...»^(١٤٨)، وقال ﷺ: «إن الأرض تنجس من بول الأغلف أربعين يوماً»^(١٤٩)، واستمراراً للفطرة في إعداد وليمة الختان أمر الرسول ﷺ بإعداد هذه الوليمة، وهذا ما يلاحظ في وصيته ﷺ للإمام علي بن أبي طالب عليه السلام بقوله: «يا علي: لا وليمة إلا في خمس في عرس، أو خرس، أو اعذار، أو وكار، أو ركاز»^(١٥٠) فالأعذار: هو الختان^(١٥١) وبهذا فإن الختان من الحقوق الإسلامية الثابتة للولد.

٥- العقيقة

لقد كان من عادات العرب قبل الإسلام ذبح شاة عند ميلاد المولود، وتلطيف شيء من دمها برأس المولود،

ويقال لهذه الذبيحة: العقيقة^(١٥٢) ، وقد أقر الإسلام ذلك، فهي ما يُذكي عن المولود شكراً لله تعالى، وقد شرعت لما فيها من إظهار للبشر، والنعمة، ونشر النسب وهي من حقوق المولود على والده،^(١٥٣) وتذبح عن المولود يوم السابع^(١٥٤) وهذا ما أكدته رسول الله ﷺ بقوله: «الغلام مرتين بعقيقته، يُذبح عنه يوم السابع»^(١٥٥) ، كما يُنقل عنه ﷺ قوله: «كل أمريء يوم القيامة مُرْتَهَنٌ بعقيقته، العقيقة أوجب من الأضحية»^(١٥٦) ، ولا شك في إن القولين السابقين عن رسول الله ﷺ يوضحان أحقية المولود بعقيقته، باعتبارها حقاً ثابتاً من حقوقه على والده، ومما يُنقل أن أبا طالب عليه السلام عم الرسول ﷺ علق عن رسول الله ﷺ يوم السابع، ودعا آل أبي طالب، فقالوا: «ما هذه؟» قال: «عقيقة أحمد»^(١٥٧) ، كما يُنقل البيهقي أن رسول الله ﷺ علق عن الإمامين الحسن والحسين ابني الإمام علي بن أبي طالب يوم سابعهما^(١٥٨) .

٦- المساواة بين الأبناء

نظراً لوجود التفاوت في التعامل بين الأولاد، والبنات في أحيان، وبين الأولاد فيما بينهم أحيان أخرى، رأينا أن نفرد هذا الحق من حقوق الأبناء، ألا وهو حق المساواة بينهم، ففي المجتمع الجاهلي نظروا للبنات على أنها عضو أشل، وقد قام الجاهليون بوأد البنات تخلصاً من العار الذي

تلحقه البنت بهم إذا كبرت^(١٥٩) أو لأسباب تتعلق بالفقر والإملاق، وذلك لأن بلاد العرب كانت شحيحة بالزاد، والخير، وكثيراً ما انتابها القحط، والجذب، وبهذا فقد عدوا ولادة البنت مع الفقر تعتبر نكبة على الأب الجاهلي، أما الصبيان فكان يرجى منهم النفع فلا ضرر من الإبقاء عليهم مع الفقر، والفاقة^(١٦٠) ، وهذا ما عبر عنه القرآن الكريم بقوله تعالى: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنْثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ * يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَّا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾^(١٦١) ، وقد حارب الدين الإسلامي ظاهرة الوأد بقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِمَّنْ إِمْلَاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ﴾^(١٦٢) ، وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا الْمَوْؤُودَةُ سُئِلَتْ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ﴾^(١٦٣) ، وقد حاول الرسول ﷺ محو ذلك الغبن الذي تتعرض له البنت بقوله: «نعم الولد البنات المخدرات، من كانت عنده واحدة جعلها الله سترًا له من النار، ومن كانت عنده اثنتان أدخله الله بهما الجنة، وإن كن ثلاثاً أو مثلهن من الأخوات وضع عنه الجهاد والصدقة»^(١٦٤) ، مما سبق يتضح لنا محاربة الدين الإسلامي للجانب الأول من عدم المساواة، وهو تفضيل البنين على البنات.

أما عن تفضيل بعض الأولاد على الآخر فقد حاول

الرسول ﷺ محاربة هذه الظاهرة بقوله: «اعدلوا بين أولادكم في البرِّ، كما تحبون أن يعدلوا بينكم في البر واللفظ»^(١٦٥) وعن النبي ﷺ أنه نظر إلى رجل له ابنان، فقبل أحدهما وترك الآخر، فقال: «هلاً ساويت بينهما»^(١٦٦) مما سبق تتضح لنا وقفة الإسلام الجدية في المساواة بين الأبناء في داخل الأسرة، وعدم التفريق

الهوامش:

- [١] علي، جواد، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ٢، ١٩٩٣م، ساعدت جامعة بغداد على نشره، ج ٤، ص ٦٢٩.
- [٢] الحسين، قصي، موسوعة الحضارة العربية في العصر الجاهلي، د. ط، ٢٠٠٤م، دار الهلال، بيروت، ص ١٤-١٥.
- [٣] سالم، عبد العزيز، تاريخ العرب في عصر الجاهلية، د. ط، دار النهضة، بيروت، ص ٤٤٦.
- [٤] سالم، ———، تاريخ العرب في عصر الجاهلية، ص ٤٤٦.
- [٥] سالم، تاريخ العرب في عصر الجاهلية، ص ٤٤٦.
- [٦] البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل (ت ٢٥٦هـ)، صحيح البخاري، اعتنى به: أبو صهيب أكرمي، د. ط، ١٩٨٨م، بيت الأفكار، كتاب النكاح، ح ٥١٢٧، ص ١٠١٦ - ١٠١٧.
- [٧] الحاج حسن، حسين، حضارة العرب في عصر الجاهلية، ط ٤، ٢٠٠٦م، بيروت، ص ١٢٨.
- [٨] البخاري، صحيح البخاري، كتاب النكاح، ح ٥١١٢، ص ١٠١٤.
- [٩] برو، توفيق، تاريخ العرب القديم، ط ٢، ١٩٩٦م، دار الفكر، بيروت، ص ٢٦٤.
- [١٠] سالم، تاريخ العرب في عصر الجاهلية، ص ٤٤٦.

بينهم، وبهذا تتضح لنا النظرة الإسلامية في ضوء وصايا الرسول ﷺ لأهم الحقوق التي تتعلق بالأبناء، لضمان قيام أسرة إسلامية بعيدة عن كل أشكال التمييز، والحرمان الذي ساد خلال الفترات السابقة للبعثة المحمدية.

- [١١] الحاج حسن، حضارة العرب في عصر الجاهلية، ص ٤٤٦.
- [١٢] الحسين، موسوعة الحضارة العربية، ص ١٥.
- [١٣] النساء، ٢٢.
- [١٤] الحسين، موسوعة الحضارة العربية، ص ١٥.
- [١٥] علي، المفصل، ج ٤، ص ٦٤١.
- [١٦] الهندي، أبو الحسن علاء الدين علي المتقي بن حسام الدين بن القاضي عبد الملك بن قاضي خان (ت ٩٧٥هـ)، كنز العمال في السنن والأقوال، اعتنى به: إسحاق الطيبي، ط ٢، ٢٠٠٥م، بيت الأفكار، ج ١، ص ٣١٣.
- [١٧] الحاج حسن، حضارة العرب في عصر الجاهلية، ص ١٤٠.
- [١٨] البدر، عبد الرزاق بن عبد المحسن، تكملة الإسلام للمرأة، ط ١، ٢٠٠٩م، مكتبة الملك فهد الوطنية، ص ١٢.
- [١٩] النساء، ١.
- [٢٠] الروم، ٢١.
- [٢١] الكليني، محمد بن يعقوب (ت ٣٢٨هـ)، فروع الكافي، د. ط، ١٩٩٣م، دار التعارف، ج ٣، ص ٣٣٨.
- [٢٢] مسلم بن الحجاج، أبو الحسن القشيري النيسابوري (ت

[٢٣] سيد، مبارك، اظفر بذات الدين، د. ط، المكتبة المحمودية، الأزهر، ج ٩، ص ٢٧.

[٣٤] البقرة، ٢٣٥.

[٣٥] ابن انس، مالك (ت ١٧٩هـ)، الموطأ، إعداد: احمد راتب علموش، ط ١، ١٩٧٠ م، دار النفائس، ص ٣٥٥؛ العسقلاني، احمد بن علي بن حجر (ت ٨٥٢ هـ)، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، مراجعة: قصي محب الدين الخطيب، د. ط، ١٩٨٦ م، دار الريان للتراث، ص ٤١٤.

[٣٦] النيسابوري، أبو عبد الله محمد بن عبد الله، المستدرك على الصحيحين، د. ط، ١٩٩٨ م، دار المعرفة، بيروت، ج ١، ص ٥١٤.

[٣٧] برو، تاريخ العرب القديم، ص ٢٦٤.

[٣٨] ابن منظور، لسان العرب، ج ١٢، ص ٦٥.

[٣٩] النساء، ٤.

[٤٠] الشوكاني، نيل الاوطار، ص ١٢٢١.

[٤١] العفيفي، طه عبد الله، من وصايا الرسول ﷺ، ط ٢، ٢٠٠٣ م، دار الاعتصام، القاهرة، مج ١، ص ٦١٢.

[٤٢] الشوكاني، نيل الاوطار، ص ١٢٢٤.

[٤٣] النساء، ٢٠.

[٤٤] البقرة، ٢٣٧.

[٤٥] الشوكاني، نيل الاوطار، ص ١٢٢١.

[٤٦] علي، الفصل، ج ٤، ص ٦٤٧.

[٤٧] العرس: هو طعام الوليمة، يُذكر ويؤنث، وجمعه أعراس وعُرسات، وقد أعرس فلان أي اتخذ عرساً وأعرس بأهله بني بها، الرازي، مختار الصحاح، ص ٣١٥.

٢٦١هـ، صحيح مسلم، اعتنى به: أبو صهيب الكرمي، د. ط، ١٩٩٨ م، بيت الأفكار، بيروت، كتاب النكاح، ج ١٤٠١، ص ٥٩٤؛ ابن ماجه، أبو عبد الله محمد بن يزيد (ت ٢٧٣ هـ)، السنن، تحقيق: شعيب الارنؤوط وآخرون، ط ١، ٢٠٠٩ م، دار الرسالة، دمشق، ج ٣، ص ٥٣.

[٢٣] الشوكاني، محمد بن علي بن محمد، نيل الاوطار شرح منتقى الأخبار، قدم له واعتنى به وخرج أحاديثه: رائد صبري بن أبي علفه، د. ط، د. ت، بيت الأفكار، بيروت، ص ١١٧٩.

[٢٤] الحارثي، الحسين بن علي بن الحسين (من أعلام القرن الرابع)، تحف العقول عن آل الرسول ﷺ، تقديم: حسين الأعلمي، ط ٣، ١٤٢٩ هـ، ص ٧٤.

[٢٥] الكليني، فروع الكافي، ج ٣، ص ٣٣٣.

[٢٦] الطبرسي، رضي الدين أبي نصر الحسن بن الفضل (من أعلام القرن السادس الهجري)، مكارم الأخلاق، ط ١، د. ت، لبنان، ص ١٦١؛ المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار، ط ٢، ١٩٨٣ م، مؤسسة الوفاء، بيروت، ج ١٠٠، ص ٢٣٥.

[٢٧] الألباني، محمد ناصر الدين، صحيح سنن ابن ماجه، ط ١، ٢٠٠٢ م، الكويت، مج ٦، ص ٢٨٧.

[٢٨] حسن، منصور، إذا جاءكم من ترضون دينه فوزوجوه، مجلة أخبار الخليج، العدد: ١٣٠٧٦، ٨ / ربيع الأول / ١٤٣٥ هـ، ١٠ / يناير / ٢٠١٤ م، البحرين.

[٢٩] الكليني، فروع الكافي، ج ٣، ص ٣٣٦.

[٣٠] الكليني، فروع الكافي، ج ٣، ص ٣٣٦.

[٣١] الطبرسي، مكارم الأخلاق، ص ١٦٥.

[٣٢] الطبرسي، مكارم الأخلاق، ص ١٦٥.

تحقيق: عبد العلي عبد الحميد حامد، ط ١، ٢٠٠٣م، مكتبة الرشيد، السعودية، ج ١١، ص ١٠٥.

[٦٨] البقرة، ٢٣٣.

[٦٩] لقمان، ١٤.

[٧٠] الطبرسي، مكارم الأخلاق، ص ١٧٩.

[٧١] الطبرسي، مكارم الأخلاق، ص ٣٦.

[٧٢] الحاج حسن، حضارة العرب في عصر الجاهلية، ص ١٤٢.

[٧٣] الحاج حسن، حضارة العرب في عصر الجاهلية، ص ١٤٢.

[٧٤] الذهبي، شمس الدين محمد بن احمد بن عثمان (ت ٧٤٨هـ)،

تجريد أسماء الصحابة، د. ط، د. ت، دار المعرفة، بيروت، ج ٢،

ص ٢٨١ - ٢٨٢.

[٧٥] علي، المفصل، ج ٤، ص ٦٥٥.

[٧٦] برو، تاريخ العرب القديم، ص ٢٦٨ - ٢٦٩.

[٧٧] علي، المفصل، ج ٤، ص ٦٥٦.

[٧٨] الكليني، فروع الكافي، ج ٤، ص ٥٠؛ الطبرسي، مكارم

الأخلاق، ص ١٧٧؛ المجلسي، بحار الأنوار، ج ٧١، ص ٨٠.

[٧٩] الطبرسي، مكارم الأخلاق، ص ١٧٧.

[٨٠] البخاري، التاريخ الكبير، طبعة دار الكتب العلمية، ج ٤، ص

٣٤٨؛ البيهقي، الجامع لشعب الإيمان، ج ١١، ص ١٠٦.

[٨١] ابن سعد، محمد بن منيع الزهري (ت ٢٣٩هـ)، الطبقات

الكبرى، تحقيق: علي محمد عمر، ط ١، ٢٠٠١م، مكتبة

الحانجي، القاهرة، ج ٦، ص ٣٥٦؛ علوان، عبد الله ناصح، تربية

الأولاد في الإسلام، ط ١، ١٩٧٦م، القاهرة، ج ١، ص ٩٥.

[٨٢] مريم، ٧.

[٨٣] البقرة، ٣١.

[٤٨] الخرس: هو النفاس بالولد، والأعذار: هو الختان، والوكار: هو

شراء الدار، والركاز: الرجل يقدم من مكة، المجلسي، بحار

الأنوار، ج ١٠٠، ص ٢٧٥.

[٤٩] الطبرسي، مكارم الأخلاق، ص ١٧١.

[٥٠] العفيفي، وصايا الرسول ﷺ، ص ٦١٠.

[٥١] الرازي، مختار الصحاح، ص ٢٠٧.

[٥٢] علي، المفصل، ج ٤، ص ٦٤٩.

[٥٣] العفيفي، وصايا الرسول ﷺ، ص ٦٠٨.

[٥٤] الطلاق، ٧.

[٥٥] العسقلاني، فتح الباري، ص ٤٠٧.

[٥٦] الطبرسي، مكارم الأخلاق، ص ١٧٥.

[٥٧] الحرائي، تحف العقول، ص ٣.

[٥٨] الحرائي، تحف العقول، ص ١٩.

[٥٩] الألباني، محمد ناصر الدين، صحيح الترغيب والترهيب، ط ١،

١٤١٢ هـ، ص ٢٢٥.

[٦٠] الشورى، ٤٩.

[٦١] المجلسي، بحار الأنوار، ج ١٠٤، ص ٩٩.

[٦٢] الكليني، فروع الكافي، ج ٤، ص ٥٢.

[٦٣] الطبرسي، مكارم الأخلاق، ص ١٧٧.

[٦٤] الطبرسي، مكارم الأخلاق، ص ١٧٦.

[٦٥] ابن العربي، الوصايا، ص ١٩٨؛ الطبرسي، مكارم الأخلاق، ص

١٨.

[٦٦] حمدي، ديننا، السبب العلمي وراء إلقاء الأذان في أذن المولود

الجديد، صحيفة الدستور، ٢١ / ديسمبر / ٢٠١٤م، العراق.

[٦٧] أبو بكر أحمد بن الحسين (ت ٤٥٨هـ)، الجامع لشعب الإيمان،

- [٨٤] آل عمران، ٣٦.
- [٨٥] أبو زيد، بكر بن عبد الله، معجم المناهي اللفظية، ط ٣، ١٩٩٦م، دار العاصمة، المملكة العربية السعودية، ص ٢٦٠.
- [٨٦] الذهبي، تجريد أسماء الصحابة، ج ١، ص ٢٩٩.
- [٨٧] ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج ٥، ص ٢٣٠.
- [٨٨] ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج ٥، ص ٢٦٤.
- [٨٩] ابن هشام، أبو محمد عبد الملك (ت ١٨٣هـ)، سيرة النبي ﷺ، تحقيق: محمد فتحي السيد، ط ١، ١٩٩٥م، دار الصحابة للتراث، ص ٤، ٣.
- [٩٠] الذهبي، تجريد أسماء الصحابة، ج ١، ص ٣١٩.
- [٩١] أبو زيد، معجم المناهي اللفظية، ص ٦٨٢.
- [٩٢] أبو زيد، معجم المناهي اللفظية، ص ٦٤٠.
- [٩٣] الذهبي، تجريد أسماء الصحابة، ج ٢، ص ٢٦.
- [٩٤] الذهبي، تجريد أسماء الصحابة، ج ١، ص ٣٥٨.
- [٩٥] ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج ٣، ص ١١٦-١١٧.
- [٩٦] أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب (ت ٧٥١هـ)، تحفة المودود بأحكام المولود تحقيق: عثمان بن جمعه، د. ط، دار علم الفوائد، ص ٣٣.
- [٩٧] تجريد أسماء الصحابة، ج ١، ص ٩٥-١١٢.
- [٩٨] البخاري، التاريخ الكبير، ج ٤، ص ٣٤٨؛ ابن ماجه، السنن، ج ٤، ص ٦٧٥؛ البيهقي، الجامع لشعب الإيمان، ج ١١، ص ٨٢٦٦، ص ١١٧.
- [٩٩] أشهر مدن خراسان، بينها ونيسابور سبعون فرسخا، ومنها إلى سرخس ثلاثون فرسخا، والى بلخ مائة واثنان وعشرون فرسخا، الحموي، شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت الرومي
- البغدادي (ت ٦٧٦ هـ)، معجم البلدان، د. ط، ١٩٩٧م، دار صادر، بيروت، مج ٥، ص ١١٣.
- [١٠٠] الذهبي، تجريد أسماء الصحابة، ج ٢، ص ٥٧.
- [١٠١] الذهبي، تجريد أسماء الصحابة، ج ٢، ص ٦٢.
- [١٠٢] الذهبي، تجريد أسماء الصحابة، ج ٢، ص ٥٩.
- [١٠٣] ابن قيم الجوزية، تحفة المودود بأحكام المولود، ص ٣٥.
- [١٠٤] البخاري، التاريخ الكبير، ج ٤، ص ٣٤٨؛ البيهقي، الجامع لشعب الإيمان، ج ١١، ص ١٠٦.
- [١٠٥] ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج ٥، ص ١٥٦؛ الذهبي، تجريد أسماء الصحابة، ج ١، ص ٢٣٧.
- [١٠٦] ابن اعثم الكوفي، أبو محمد احمد (ت ٣١٤ هـ)، الفتوح، تحقيق: علي شيري، ط ١، ١٩٩١م، دار الأضواء، بيروت، ج ٥، ص ٢٧.
- [١٠٧] الذهبي، تجريد أسماء الصحابة، ج ٢، ص ١٣٣.
- [١٠٨] ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج ٣، ص ٧.
- [١٠٩] الطبقات الكبرى، ج ٦، ص ٣٧٥.
- [١١٠] الطبقات الكبرى، ج ٦، ص ٣٥٦.
- [١١١] الكليني، فروع الكافي، ج ٤، ص ٢١.
- [١١٢] الذهبي، تجريد أسماء الصحابة، ج ١، ص ٢٠٦.
- [١١٣] الذهبي، تجريد أسماء الصحابة، ج ١، ص ٢٤٦.
- [١١٤] الذهبي، تجريد أسماء الصحابة، ج ١، ص ٢٤٨.
- [١١٥] ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج ٣، ص ٣٦٠-٣٦١.
- [١١٦] العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر (ت ٨٥٢هـ)، الإصابة في تمييز الصحابة، تحقيق: عبد الله عبد المحسن التركي، ط ١، ٢٠٠٨م، ص ٢٨.

- [١١٧] الذهبي، تجريد أسماء الصحابة، ج ١، ص ٣٢٦.
- [١١٨] الذهبي، تجريد أسماء الصحابة، ج ١، ص ٣٣٠.
- [١١٩] ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج ٦، ص ١٠١.
- [١٢٠] ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج ٦، ص ٢٦٠.
- [١٢١] أبو زيد، معجم المناهي اللفظية، ص ٦٣٩.
- [١٢٢] الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر (ت ٢٥٥هـ)، كتاب الحيوان، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، ط ٢، ١٩٦٥م، ج ١، ص ٣٢٦-٣٢٧.
- [١٢٣] الذهبي، تجريد أسماء الصحابة، ج ٢، ص ٢٧.
- [١٢٤] ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج ٦، ص ٨٦.
- [١٢٥] ابن ماجه، السنن، ج ٤، ص ٦٧٥؛ الذهبي، شمس الدين محمد بن احمد بن عثمان (ت ٧٤٨هـ)، سير أعلام النبلاء، ط ١، ٢٠٠٦م، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ج ٣، ص ٥.
- [١٢٦] الذهبي، تجريد أسماء الصحابة، ج ١، ص ١٣١.
- [١٢٧] الكليني، فروع الكافي، ج ٤، ص ٢١.
- [١٢٨] الذهبي، تجريد أسماء الصحابة، ج ١، ص ١٩٠.
- [١٢٩] العسقلاني، الإصابة في تمييز الصحابة، ص ٣٣٣.
- [١٣٠] ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج ٥، ص ١٢؛ الذهبي، تجريد أسماء الصحابة، ج ١، ص ١٣٤.
- [١٣١] الذهبي، تجريد أسماء الصحابة، ج ١، ص ١٢٠.
- [١٣٢] الذهبي، تجريد أسماء الصحابة، ج ١، ص ٢٦٤.
- [١٣٣] ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج ٥، ص ٢٩٢-٢٩٣.
- [١٣٤] ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج ٣، ص ١٠٦.
- [١٣٥] الكليني، فروع الكافي، ج ٤، ص ٢٢.
- [١٣٦] البخاري، التاريخ الكبير، ج ٤، ص ٣٤٨؛ ابن ماجه، السنن،

- ج ٤، ص ٦٧٥.
- [١٣٧] البخاري، التاريخ الكبير، ج ٤، ص ٣٤٨.
- [١٣٨] الشيباني، أحمد بن عمرو الضحاك (ت ٢٨٧هـ)، الآحاد والمثاني، تحقيق: فيصل احمد الجوابرة، د. ط، ١٩٩١ م، دار الراية، الرياض، ج ١، ص ٧٠؛ بن ماکولا، علي بن هبة الله بن أبي نصر (ت ٤٧٥هـ)، الإكمال في رفع الارتياح عن المؤلف والمختلف في الأسماء والكنى والأنساب، ط ١، ١٩٩٠م، دار الكتب العلمية، بيروت، ج ٢، ص ١٥.
- [١٣٩] الطبري، محمد بن جرير (ت ٣١٠هـ)، تاريخ الرسل والملوك، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط ١، د. ت، ج ٣، ص ٧؛ العسقلاني، الإصابة في تمييز الصحابة، ص ٩١٣.
- [١٤٠] العلايلي، عبد الله وآخرون، المنجد في الأعلام، ط ٢، ١٤٢٢هـ، دار الفقه للطباعة والنشر، ص ١٨٨.
- [١٤١] ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج ٤، ص ١١٤.
- [١٤٢] الذهبي، تجريد أسماء الصحابة، ج ٢، ص ١٦٤.
- [١٤٣] الاصبهاني، أبو عبد الله محمد بن اسحق بن مندة (ت ٣٩٥هـ)، فتح الباب في الكنى والألقاب، تحقيق: أبو قتيبة الفاريازي، ط ١، ١٩٩٦م، مكتبة الكوثر، الرياض، ص ٣١٠.
- [١٤٤] علوان، تربية الأولاد في الإسلام، ج ١، ص ٩٥.
- [١٤٥] الحاج حسن، حضارة العرب في عصر الجاهلية، ص ١٤٦.
- [١٤٦] علي، المفصل، ج ٤، ص ٦٥٣.
- [١٤٧] البيهقي، الجامع لشعب الإيمان، ج ١١، ح ٨٢٦٩، ص ١١٩.
- [١٤٨] ابن قيم الجوزية، تحفة المودود بأحكام المولود، ص ٢٣٣.
- [١٤٩] الطبرسي، مكارم الأخلاق، ص ١٨٥.
- [١٥٠] المجلسي، بحار الأنوار، ج ١٠٠، ص ٢٧٥.

- [١٥١] الطبرسي، مكارم الأخلاق، ص ١٧١.
- [١٥٢] علي، المفصل، ج ٤، ص ٦٥٢.
- [١٥٣] علوان، تربية الأولاد في الإسلام، ص ١٦.
- [١٥٤] علي، المفصل، ج ٤، ص ٦٥٢.
- [١٥٥] أبو داود، السنن، ج ٣، ص ١٠٣.
- [١٥٦] الطبرسي، مكارم الأخلاق، ص ١٨٢.
- [١٥٧] الطبرسي، مكارم الأخلاق، ص ١٨٢.
- [١٥٨] الجامع لشعب الإيمان، ج ١١، ح ٨٢٦٩، ص ١١٩.
- [١٥٩] الحاج حسن، حضارة العرب في عصر الجاهلية، ص ١٢٥.
- [١٦٠] سالم، تاريخ العرب في عصر الجاهلية، ص ٤٥٠ - ٤٥١.
- [١٦١] النحل، ٥٨ - ٥٩.
- [١٦٢] الأنعام، ١٥١.

مِنْ أَعْلَامِ الشَّيْعَةِ

السَّيِّدِ مُحَمَّدٍ تَقِيِّ الرَّانِيِّ

❖ الشيخ محمد أمين نجف (*)

.....
(*) أستاذ في الحوزة العلمية في النجف الاشرف.

اسمه ونسبه

الشيخ محمد تقي بن محمد رحيم بن محمد قاسم
الرازي النجفي الإصفهاني.

ولادته

لم تُحدّد لنا المصادر تاريخ ولادته، إلا أنه ولد في القرن
الثاني عشر الهجري بقرية أيوان كيف التابعة لمدينة
دماوند، وتبعد (٧١) كيلو متراً من العاصمة طهران.

دراسته وتدريسه

سافر رحمه الله في عنفوان الشباب إلى العتبات المقدّسة في
العراق، وبدأ بدراسة العلوم الدينية في الحوزات العلمية
بالنجف الأشرف وكر بلاء والكاظمية المقدّستين، ثمّ سافر
إلى مشهد المقدّسة بعد عام ١٢١٧هـ، ثمّ سافر إلى يزد، ثمّ
سافر إلى إصفهان، واستقرّ بها حتّى وافاه الأجل، كما قام

بتدريس العلوم الدينية فيها.

من أساتذته

السيد محمد مهدي بحر العلوم، أبو زوجته الشيخ جعفر
كاشف الغطاء، الشيخ محمد باقر الإصفهاني المعروف
بالوحيد البهبهاني، السيد علي الطباطبائي، السيد محسن
الأعرجي الكاظمي المعروف بالمحقّق البغدادي، الشيخ
أحمد بن زين الدين الأحسائي.

من تلامذته

الشيخ هادي السبزواري، السيد محمد باقر
الخونساري، السيد محمد حسن الشيرازي المعروف
بالشيرازي الكبير، الشيخ مهدي الكجوري الشيرازي،
الشيخ أحمد بن عبد الله الخونساري، الشيخ محمد تقي
الكلبايكاني، الشيخ محمد تقي الهروي، السيد محمد

٣- قال الشيخ عباس القمّي رحمته الله في الفوائد الرضوية: «الشيخ العالم الفاضل، المحقق المدقق، قدوة المحققين، وترجمان الأصوليين، صاحب تعليقة كبيرة على المعالم».

٤- قال الشيخ محمد علي التبريزي الخياباني رحمته الله في ريحانة الأدب: «من أكابر فحول علماء الإمامية أواسط القرن الثالث عشر الهجري، فقيه أصولي، محقق مدقق، عابد زاهد، عميق الفكر دقيق النظر... جلالته العلمية والعملية مشهورة، بل تقدّم على معاصريه في المعقول والمنقول بشهادة بعض المترجمين له، خصوصاً في أصول الفقه الذي كان فيه بغاية التبحّر».

من نشاطاته

إقامته صلاة الجماعة في مسجد ايلجي، ثمّ في مسجد شاه بمدينة إصفهان.

من مؤلفاته

هداية المسترشدين في شرح معالم الدين (٣ مجلّدات)، أجوبة المسائل، تبصرة الفقهاء، تقرير درس أستاذه السيّد بحر العلوم في الفقه، كتاب الطهارة، رسالة في عدم مفطرية شرب التتن للصيام، الرسالة العملية، فساد الشرط ضمن العقد، شرح الأسماء الحسنی.

حسن الخواجوي، السيّد حسن المدرّس، السيّد حسن الرضوي، الشيخ حسين اللنجاني، أخوه الشيخ محمد حسين، الشيخ داود الشهيد الإصفهاني، الشيخ زين العابدين الكلبيكاني، السيّد محمد صادق الموسوي الخونساري، الشيخ عبد الجواد الخراساني، الشيخ علي الزنجاني، الشيخ فتح الله الشاردي القزويني، الشيخ محمد الطهراني، السيّد حسين التويسركاني.

من أقوال العلماء فيه

١- قال تلميذه السيّد محمد باقر الخونساري رحمته الله في روضات الجنّات: «فأصبح أفضل أهل عصره في الفقه والأصول، بل أبصر أهل وقته في المعقول والمنقول، وصار كأنّه المجسّم في الأفكار الدقيقة، والمنظّم من الأنظار العميقة، أستاذاً لكلّ في الكلّ، وفي أصول الفقه على الخصوص، وجنّات الفضل الدائمة الأكل في مراتب المعقول والمنصوص، فجعل أفئدة طلاب العصر تُصرف إليه، وأخبية أصحاب الفضل تُضرب لديه».

٢- قال الشيخ آقا بزرگ الطهراني رحمته الله في الكرام البررة: «أحد رؤساء الطائفة ومحققي الإمامية، المؤسسين في هذا القرن (القرن الثالث عشر)، فاز بدرجة عالية من العلم والعمل، معقولاً ومنقولاً، فقهياً وأصولاً».

ومن مؤلفاته باللغة الفارسية: أحكام الصلاة.

وفاته

تُوفِّيَ ﷺ في الخامس عشر من شوال ١٢٤٨ هـ بمدينة إصفهان، وصلى على جثمانه الشيخ محمد إبراهيم الكلّباسي أو السيّد محمد باقر الشفتي المعروف بحجة الإسلام، ودُفن بمقبرة تخت فولاد في إصفهان، وقبره معروف يُزار.

رثاؤه

أرخ تلميذه السيّد محمد باقر الخونساري عام وفاته بقوله:

يا للذي أضحى تقياً نهتدي
بهده كالبدر المنير الأوقد

أسفاً لفقد إمامنا الحبر الذي

حتّى الزمان لمثله لم نفقد

إلى أن قال

مَن ذا يحلّ العضلات بفكرة

تفري ومَن لأولي الحوائج من غد

ومَن الذي يُحيي الليالي بعدكا

بتفقّه وتضرّع وتهجّد

أين الذي ما زال سلسل خلقه

لذوي عطاش الخلق أروى مورد

طابت ثراه كما أتى تاريخه

طارت كراك إلى النعيم السرمدي

